



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلم

جامعة الحاج لخضر - باتنة -



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم التاريخ وعلم الآثار

سياسة الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية 515 - 668 هـ / 1121 - 1269 م

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

إشراف الأستاذ الدكتور:

مسعود مزهودي

إعداد الطالبة:

مزوزية حداد

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	الرتبة	الجامعة
رشيد باقة	رئيسا	أستاذ محاضر	الحاج لخضر - باتنة -
مسعود مزهودي	مشرفا ومقررا	أستاذ التعليم العالي	الحاج لخضر - باتنة -
كمال بن مارس	عضوا مناقشا	أستاذ محاضر	08 ماي 1945 - قالمة -
يوسف عابد	عضوا مناقشا	أستاذ محاضر	الأمير عبد القادر - قسنطينة -

السنة الجامعية: 1433 - 1434 هـ / 2012 - 2013 م

استهلال

يا رب

لا تجعلني أصاب بالغرور إذا نجحت ولا باليأس إذا أخفقت ..

يا رب

ذكرني دائما أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح..

يا رب

إذا أعطيتني فلا تأخذ تواضعي..

وإذا أعطيتني تواضعا فلا تأخذ اعتزازي بكرامتي..

وإذا أسأت يا رب للناس فامنحني شجاعة الاعتذار..

وإذا أساء الناس إلي فامنحني شجاعة العفو..

يا رب

علمني أن أحب الناس كما أحب نفسي..

وعلمني أن أحاسب نفسي كما أحاسب الناس..

وعلمني أن التسامح هو أكبر مراتب القوة..

وأن الانتقام هو أول مظاهر الضعف..

استهلال

يا رب

لا تجعلني أصاب بالغرور إذا نجحت ولا باليأس إذا أخفقت ..

يا رب

ذكرني دائما أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح..

يا رب

إذا أعطيتني فلا تأخذ تواضعي..

وإذا أعطيتني تواضعا فلا تأخذ اعتزازي بكرامتي..

وإذا أسأت يا رب للناس فامنحني شجاعة الاعتذار..

وإذا أساء الناس إلي فامنحني شجاعة العفو..

يا رب

علمني أن أحب الناس كما أحب نفسي..

وعلمني أن أحاسب نفسي كما أحاسب الناس..

وعلمني أن التسامح هو أكبر مراتب القوة..

وأن الانتقام هو أول مظاهر الضعف..

إهداء

إلى من رفعت يديّ إليه فلم يخيب رجائي..
إلى الذي سألته فأجاب دعائي.. إليك يا الله كل الشكر والامتنان..
إلى منبع الحنان والعطاء الذي لم ينقطع..
إلى من ربياني صغيرة.. وعلماني أن الحياة كفاح..
وأن وراء كل تعب نجاح..
وأن الإرادة سيادة.. وأن العمل عبادة..
إليكما والداي..
أهديكم سلاما لو رفع إلى السماء لكان قمرا منيرا..
ولو نزل إلى الأرض لكساها سندسا وحريرا..
و لو مزج بماء البحر لجعل الملح الأجاج عذبا فراتا سلسبيلا..
إلى أول من وجه خطاي في مجال البحث التاريخي أستاذي محمد لخضر
بولطيف..
جزاء جهد.. وعنوان وفاء..
إلى من شاركني حلاوة الحياة إخوتي وأخواتي..
إلى كل هؤلاء أهدي هذه البذرة الطيبة..

شكر و عرفان

الحمد لله الذي تتم به الصالحات..
الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذا الإنجاز العلمي المتواضع..
الحمد لله الذي رزقني بأستاذ كان لي بمنزلة الوالد..
تحية طيبة إلى من تكرم بقبول الإشراف علي رغم العوائق والعقبات..
إلى من لم يبخل علي بتوجيهاته القيمة.. ولا بوقته الثمين..
إلى من أنار لي طريق البحث العلمي..
الأستاذ المحترم والمتواضع أمام سعة علمه..
"مسعود مزهودي"..
فله مني كامل الشكر والتقدير والاحترام والامتنان..
كما أشمل بوافر شكري الأستاذ "لخضر بولطيف"..
الذي وجهني بمختلف النصائح وساعدني بمختلف المصادر والمراجع..
والشكر موصول -أيضا- للأساتذة الكرام "أعضاء لجنة المناقشة"..
الذين لهم الفضل في تزكية وتطهير هذه الرسالة..
ولا أغفل من ثنائي كل من ساعدني في هذا البحث ولو بكلمة طيبة..

المقدمة

إن دراسة موضوع "سياسة الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية" ، تسعى إلى التعرف على الفترة الموحدية، والتي تعتبر مرحلة من المراحل المهمة التي شهدها الغرب الإسلامي، وتعتبر من الدول القوية التي صنعت الحدث في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ما بين القرنين 06-08هـ/12-14م، في الوقت الذي تدهورت فيه الدولتان العباسية والفاطمية في المشرق الإسلامي.

وفضلا عن هذا فإن عدداً من الدول الإسلامية في المشرق والمغرب كانت لها دواوين لحفظ السجلات، وكان لها رسوم في الكتابة الديوانية، وتعتبر الدولة الموحدية من الدول التي اعتنت بالكتابة والاتصال نتيجة عدة أسباب منها اتساع رقعة الدولة وحرص الخلفاء الموحديين على استقصاء ومعرفة أخبار الأقاليم.

ولعل خير ما يصور أهمية الموضوع الذي ندرسه أن الدولة الموحدية اهتمت بالكتابة الديوانية، والتي تعتبر من أهم خطط الدولة وأجلى مظاهرها الحضارية، كانت خلالها الرسائل الأداة الفاعلة لتحقيق التواصل المطلوب. فهي وثائق هامة تستعرض التاريخ الموحد والتطورات السياسية والفتوحات وتحركات الخلفاء خلال عهد طويل، فكان على الباحث انتقاء المادة العلمية من مصادرها الأولية.

إن غاية البحث هو الوقوف على مدى نجاح الموحديين في تحقيق أهدافهم، ومعرفة دورهم في تطوير الحضارة المغربية.

والإشكالية المطروحة أن موضوع دراسة سياسة الدولة الموحدية من خلال رسائلها يعتبر موضوعا جديرا بالاهتمام، إذ لا يزال يفتقر - في تقديري - إلى دراسة متكاملة، وهو موضوع يحتاج إلى مزيد من التدقيق والتحقيق، ومن البديهي أن يحتاج هذا البحث إلى تتبع المصادر على تنوع أغراضها خاصة منها الأصلية كالرسائل والوثائق، فبواسطة هذه الرسائل يمكن تصحيح الكثير من الأخطاء التاريخية، وكشف بعض الوقائع الغامضة والمجهولة، والتدقيق في خصوصيات الدولة. وتدرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات وهي:

- ما هي مواقف الموحدين من المرابطين؟.
- ما هي علاقة الموحدين بمحيطهم الخارجي؟.
- ما هو موقف الدولة من المذهب المالكي؟.
- كيف سیرت الدولة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية؟.
- ما هي أهم الإصلاحات الاجتماعية التي قامت بها الدولة؟.

إن دقة النتائج التي يتوصل إليها الباحث وقيمتها، في أي دراسة تتوقف على مناهج البحث التي يستخدمها الباحث، غير أن ما يشهده ميدان البحث من التعدد في المناهج الحديثة، "يصبح الحديث عن اعتماد منهج واحد - بعينه - أمراً محفوفاً بتحفظات ليس من الهين تجاهلها"⁽¹⁾.

وبهدف إنجاز دراسة أقرب إلى الموضوعية، اعتمدنا على عدد من المناهج المتداولة وخاصة في الكتابة التاريخية، هذا لا يعني أننا قد اعتمدنا على منهج طبقنا تقنياته؛ فمنهج البحث الأساسي هو المنهج التاريخي الوصفي القائم على سرد الأحداث حسب المصادر والمراجع.

ومن أجل تحليل بعض المسائل والتعليق عليها اعتمدنا على المنهج التحليلي، وأثناء تركيب بعض الصور والأجزاء ذات الصلة بالموضوع، بعد تحصيلها من سياقات معينة اعتمدنا على المنهج التركيبي، وفي سياق نقد الأحداث، واختبار الفرضيات، والوصول بالتالي إلى المقاربات العامة، والنتائج المحورية اعتمدنا المنهج المقارن.

وللإجابة على الإشكالية السابقة، وبفضل المادة العلمية التي توافرت لدينا، يمكن دراسة الموضوع ولم شتاته، في عدة فصول، وهي:

تناول الفصل الأول خصائص ومميزات الرسائل الديوانية؛ حيث تعرضنا فيه لمختلف تفاسير كلمة الديوان وأصله ومدى اهتمام الغرب الإسلامي به، وأهم الخصائص التي تمتاز بها الرسائل الديوانية، ثم تعرضنا في الأخير إلى أهم الكتاب الذين تولوا الكتابة الفنية على عهد الدولة الموحدية.

⁽¹⁾ لخضر محمد بولطيف: فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، (الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2009م)، ص23.

أما الفصل الثاني فقد تضمن النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية؛ تناولنا فيه النظام السياسي على عهد الدولة الموحدية، كما تعرضنا فيه إلى الجيش في الدولة الموحدية من حيث التنظيم والعدة، وأهم أساليب القتال.

كما ذهبنا إلى البحث في الفصل الثالث عن السياسة الفكرية والمذهبية والقضائية، حيث كشفنا فيه عن موقف الموحدين من العلوم العقلية، كما رأينا الركائز الأساسية التي قامت عليها الدولة الموحدية من التوحيد والإمامة وعصمة المهدي. تناولنا فيه أيضا الصراع بين الموحدين والمرابطين والقبائل المغربية الأخرى، وكشفنا فيه عن طبيعة المذهب الموحي وموقف الدولة الموحدية من المذهب المالكي، وفي الأخير ألقينا نظرة على القضاء الموحي.

ولقد سمح لنا الفصل الرابع مجالا للتحدث في السياسة الاجتماعية والاقتصادية التي اتبعتها الدولة الموحدية؛ من خلال التطرق إلى أهم الطبقات التي شهدتها المجتمع الموحي، وموقف الدولة الموحدية من الآفات الاجتماعية، كما ألقينا نظرة على السياسة الاقتصادية حيث تعرضنا إلى السياسة الفلاحية وأهم الملكيات والمنتجات الزراعية وكيف تسقى هذه الملكيات، ورأينا في الأخير كيف نظمت التجارة الداخلية، وأهم القيود والقوانين التي وضعت للتحكم فيها.

وكان من نصيب الفصل الخامس سياسة الدولة الخارجية، تناولنا فيه الصراع بين الموحدين مع الممالك الأندلسية المستقلة، كما رأينا فيه علاقة الموحدين مع صلاح الدين الأيوبي، و تطرقنا فيه أيضا إلى جهاد الموحدين للممالك النصرانية. كما كشفنا في الأخير عن العلاقات التجارية الموحدية سواء مع السودان أو مع المدن الإيطالية، وعن أهم التنظيمات التي بواسطتها تنظم التجارة.

وأهينا البحث بخاتمة ضمناها أهم النتائج المتوصل إليها، والأطروحات التي لا تزال قابلة للبحث والنقاش.

وقد واجهتنا في سياق ذلك صعوبات حمة منها:

- البتر الذي صاحب بعض الرسائل، مما أدخلنا في صعوبة فهم مضمونها، وبالتالي صعوبة تحديد وتحليل الهدف الموحي من الرسالة.
- معالجة الرسائل لنفس الموضوع في رسائل شتى أو عدة مواضيع في رسالة واحدة وبشكل غير مفصل وغامض، وهذا ما يدفع الباحث إلى الاستناد إلى المصادر الأخرى خاصة المعاصرة للفترة الموحدة للتوضيح أكثر.
- تركيز الرسائل على الجانب العسكري أكثر من الجوانب الأخرى، أو عرض هذه الجوانب باختصار، مما يجعل الباحث يلجأ إلى المصادر للتوسع والتعمق أكثر.
- ذكر بعض الكتاب باسم الكنية، وهذا ما جعل الباحث لم يتوصل إلى ترجمة لشخصية هذا الكاتب، رغم المسح التام الذي قمنا به لمختلف كتب التراجم والمناقب والطبقات التي توافرت بين أيدينا.
- التكلف والمبالغة في اللفظ والأسلوب الذي وجدناه في بعض الرسائل من طرف الكتاب، حتم على الباحث الفهم اللغوي، قبل فهم المضمون واستخراج المطلوب.

الدراسة النقدية للمصادر والمراجع

يحتاج البحث التاريخي إلى معارف عديدة ومصادر متنوعة؛ فهذه ميزة التاريخ الموحد، حيث يجد الباحث نفسه أمام عدد وافر من المصادر والمراجع، لذا فقد اعتمدنا في إنجاز هذه الدراسة على هذا العدد الوافر من المصادر والمراجع، تنوعت ما بين تاريخية، وجغرافية، ومعجمية، وكتب السيرة، وكان على الدارس أن يحاول جمع المعلومات عن دراسته من جميع مظاهرها.

أ- المصادر:

تعددت مصادر البحث، إلا أنها اختلفت في زمان ومكان تأليفها، مما أدى في بعض الأحيان إلى التباين في مضامينها، استفاد البحث منها بدرجة متفاوتة.

تعتبر مجاميع الرسائل الديوانية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية؛ منها مجموع رسائل موحديّة نُشر ليقي بروفنصال عددها سبعة وثلاثين رسالة، اقتبسها من مجلد خطي مغربي مبتور الطرفين، عرض لنا في هذه السلسلة مجموعة من الأحداث والوقائع، التي جرت في أيام الموحدين. أما دراستنا فقد حاولت تحليل ما جاء في مضمون هذه الرسائل.

ورسائل موحديّة مجموعة جديدة تحقيق ودراسة أحمد عزاوي، فهي تعتبر مصدرا آخر نشر عن تاريخ دولة الموحدين، نشرت هذه الدراسة في طبعتها الأولى 1416هـ / 1995م، منشورات كلية الآداب والعلوم بقنيطرة.

صنف أحمد عزاوي هذه الرسائل ودرسها ووضع فهرس دقيقة لمحتوياتها، فقد أخذها من عدة مجامع منها: مجموع رسائل "ابن عميرة"، ومجموع رسائل "العطاء الجزيل" لأحمد بلوي وغيرها، قام أحمد عزاوي بتحقيقها تحقيقا جيدا وحللها تحليلا تاريخيا، فقد جاءت هذه الرسائل في قسمين؛ الأول جمع فيه حوالي 135 رسالة و77 تقديمًا، رتبها ترتيبا زمنيا، ثم عرض هذه

الرسائل بكتابتها، أما القسم الثاني فقد درس فيه خصائص كل رسالة ثم عرج إلى الدراسة التاريخية.

أما دراستنا فقد حاولت جاهدة دراسة سياسة الدولة الموحدية من خلال هذه الرسائل.

وتتناثر في مصادر أخرى بعض الرسائل مثل: "البيان المغرب" المتعلق بالموحدين"، و"الحلل الموشية"، و"صبح الأعشى"، و"في نظم الجمان" لابن قطان، وفي "نفع الطيب"، وفي "كتاب الروضتين" لأبي شامة.

وبعض الرسائل لابن مغاور الشاطبي التي حققها ونشرها ابن شريفة تحت عنوان "ابن مغاور الشاطبي حياته وأثاره"، تشمل هذه الرسائل الشاطبية مجموعة رسائل ديوانية موحدية والتي ساعدتنا كثيرا في أخذ بيعة أهل شاطبة للخليفة يوسف، كما شملت نوعاً آخر من الرسائل الإخوانية.

ويمكن أن يلحق هذا النوع من الرسائل ما كتبه ابن تومرت 524/1129م من رسائل شرحاً لأفكاره، ونقداً للمجتمع المرابطي ونظامه السياسي، جمعها تحت عنوان أعز ما يطلب، وهو عبارة عن مجموع من إملاءات ابن تومرت تتضمن مجموع التعليقات والمختصرات والموضوعات والرسائل التي كانت موضوع أسس دعوة المهدي؛ تفرعت عنه مواضيع مختلفة في الفقه، والحديث، والأصول، والتوحيد، والسياسة، والجهاد، والدعوة إلى الإصلاح، والحث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفيما يتعلق بالمواضيع التي اهتمت بها دراستنا هي بعض الرسائل مثل رسالة المهدي بن تومرت إلى الموحدين، ورسائل توحيد الباري، والمرشدة، وباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...، يعتبر مصدراً أساسياً في فهم العقيدة الموحدية وكشفاً لتغيير جاء به ابن تومرت.

هذه المصادر مصادر البحث الأساسية، لأنها تزامنت مع الأحداث، وأيضاً المصادر الأساسية التي خصت الدولة الموحدية بالدراسة، فقد قدمت للبحث معارف ذات أهمية كبرى، كانت السند الهام في فهم العديد من القضايا التي يكتنفها الكثير من الغموض في المصادر الأخرى.

أخبار المهدي بن تومرت لأبي بكر علي الصنهاجي المشهور بالبيدق (ت: القرن السادس الهجري)، يعد من الكتب التاريخية القيمة جدا عن دولة الموحدين، لأن مؤلفه كان من أتباع المهدي، وقد شارك في صنع الأحداث نفسها.

فيعتبر هذا المصدر مصدر البحث الأساسي، إذ رافقنا -تقريبا- في معظم فصول البحث بنسب متفاوتة، حيث استفدنا منه في المجال السياسي وفي تنظيم الدولة خاصة في عهدي المهدي وعبد المؤمن.

والمن بالإمامة لابن صاحب الصلاة (حي سنة 594هـ/1198م)، والمتصفح لكتاب المن بالإمامة سيلمس نواحي جد هامة في تاريخ الدولة الموحدية، ظلت في معظمها مجهولة، وما زاد من أهميته أن صاحبه عاصر الأحداث وفي بعض الأحيان يأخذ عن رواة ثقة، وعند مقارنته ببعض المصادر الأخرى فإننا نجد أنه قد اطلع على الرسائل الديوانية الموحدية ودون الكثير في طيات الكتاب، كما نجد المعلومات التي كتبها البيدق كأنها كلها مخطوطة بقلم واحد.

والكتاب عبارة عن ثلاثة أسفار، وصلنا السفر الثاني فقط، الذي يبدأ بأحداث 554هـ/1159م وينتهي بحوادث 568هـ/1172م، وهي فترة قصيرة من الناحية الزمنية، غير أنها حافلة بالأحداث الهامة ويتضمن هذا معلومات هامة عن الآثار المعمارية والحضارية، حيث يتحدث عن أجهزة الدولة المختلفة، وعن نظمها، وفيه كيفية تنصيب العمال من طرف الخليفة.

ونظم الجمان لابن قطان (حي سنة 650هـ/1252م)، باعتبار ابن القطان قد عاش في كنف الدولة الموحدية، إذ يعتبر شاهد عيان، خاصة وأنه مارس الكتابة الديوانية، في عهد المرتضى، فقد اعتمدنا في دراستنا على جزء صغير الذي نقل إلينا فهو يتناول الحقبة الزمنية من 500هـ/1106م إلى 533هـ/1138م، فقد أسهب بالتفصيل عن أحداث المغرب والأندلس، فضلا عن كونه احتفظ لنا بنصوص قيمة أصيلة عن الدولة الموحدية، وجملة من الرسائل الرسمية الصادرة عن سلاطين الدولة الموحدية. فقد ذكر ابن القطان معلومات واسعة عن تنظيمات الموحدين الحزبية، والكتاب يغلب عليه الطابع المذهبي، هذا لأن الذي كتبه هو رجل من رجالات الدولة الموحدية متعصب لمذهبه.

والمعجب لعبد الواحد المراكشي (ت: 667هـ/1269م)، فهو كتاب تاريخ وسياسة، وهو أيضا تقويم جغرافي اقتصادي اجتماعي للمغرب، فريد في موضوعه، وصف المؤرخ تاريخها وصف شاهد عيان، وهو مصدر أصيل من مصادر الدولة الموحدية، إذ لا يمكن الاستغناء عنه، بالرغم أن تدوينه كان في المشرق، وهو أيضا موجز من روايات شتى عن تاريخ المغرب قبل دولة الموحدين، وتكمن أهميته أكثر في اهتمام المراكشي الواسع بالنظم الموحدية، فقد حرص على ذكر ولاية ووزراء وقضاة كل خليفة، كما قام بذييل كتابه بمعلومات جغرافية.

والبيان المغرب لابن عذاري (حي سنة 712هـ/1313م)، فهو أوسع المصادر التاريخية حول عصر المرابطين والموحدين، اعتمد المؤرخ على كتب هامة في تاريخ المغرب منها كتاب المن بالإمامة، لذا فهو يعد من أهم مصادر تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، وحتى الفترة التي تسبق نهاية دولة الموحدين، وقد استفادت الدراسة كثيرا من الجزء المخصص لتاريخ دولة الموحدين، والذي يتحدث فيه عن تاريخ هذه الدولة بالتفصيل، وهذا ما ساعدني على استيقاظ معلومات وافرة حول مختلف المناحي التي تخدم البحث.

و الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لابن أبي زرع (حي سنة 726هـ/1326م)، الذي يسرد لنا أخبار المغرب منذ دولة الأدارسة إلى أيام المؤلف؛ يعرض فيه أخبار حكام كل دولة، إلا أن معظم أخباره السياسية جاءت مضطربة وتختلف في كثير من المواقف عن المصادر الأخرى.

والعبر لابن خلدون (ت: 808هـ/1406م). فقد استطاع المؤلف أن يسجل الأحداث بدقة متناهية، ولعل مرجع ذلك قربه من السلطة، وتجربته الشخصية. فيعتبر هذا المصدر مصدرا أساسيا في البحث، إذ رافقنا -تقريبا- في جميع فصول هذا الانجاز.

أما عن كتب المشاركة التاريخية فهي قليلة التعرض لأخبار المغرب، غير أن ابن الأثير (ت: 630هـ/1233م)، سرد لنا أحداثا غير يسيرة في كتابه الكامل في التاريخ، فقد أفادنا كثيرا عن أخبار الموحدين.

ومن الكتب الأخرى - المشرقية- التي اختصت بدولة الموحدين كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي القاسم عبد الرحمان بن إسماعيل أبو شامة (ت: 665هـ/1267م)، حيث أفادنا بالوثائق الخاصة عن سفارة ابن منقذ من قبل صلاح الدين الأيوبي إلى المنصور الموحي.

رجعنا إلى بعض الكتب من كتب الموسوعات منها كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (ت: 723هـ/1337م)، الذي استفدنا من القسم التاريخي المتعلق بالمغرب. كما استفدنا من كتاب **صبح الأعشى في كتابة الإنشا للقلقشندي** (ت: 821هـ/1418م)، فقد أورد فن الكتابة الموحدية، استفدنا منه في تعريف الديوان وخصائص الرسائل الديوانية.

وقد زودتنا كتب الجغرافيا بمعلومات لا غنى عنها في مختلف المجالات، إذ كانت مهمة جدا باعتبار الجغرافيين الشهود القادرين على وصف المناطق. ومن بين هذه الكتب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب للبكري (ت: 487هـ/1094م).

ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي (ت: 560هـ/1165م) الذي اعتمدنا عليه في التعرف على بعض المناطق والمواضع. كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول (حي سنة 587هـ/1191م)، وصف فيه مكة ومصر وشمال إفريقيا وصف الشاهد العيان، وكتاب الجغرافيا لابن سعيد (ت: 685هـ/1286م). وكتاب الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (727هـ/1327م)، جاء هذا الكتاب بمثابة معجم جغرافي تاريخي، جاء المعجم على حروف المعجم.

كما كان لكتب الرحلات أهمية كبيرة للمؤرخ، فهي في بعض الأحيان تحتفظ بمعلومات بالغة الدقة كما هو الحال لرحلة التجاني (ت: 717هـ/1317م). ويعتبر كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان (ت: 957هـ/1550م) كثير الأهمية، حيث استفدنا منه في عدة مواضع.

إن التحليل العميق لمادة هذه المصنفات ساعدتنا على استخراج معطيات هامة تتعلق بالأوضاع الداخلية والخارجية للمناطق المختلفة⁽¹⁾؛ فهي لا تعطينا معلومات دقيقة لوصف المدن، ولا الأعمال العمرانية التي قام بها الخلفاء فقط، بل تحدد بعض الخطط العسكرية، ومدى تحقيق الخلفاء للرخاء الاقتصادي.

كما انتفعت الدراسة من كتب السير والتراجم منها: كتاب الصلة لابن بشكوال (ت: 578ه/1182م)، ترجم فيه الكاتب لأعيان الأندلس، ورتبهم على حروف المعجم. وكتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لابن عبد الملك (ت: 703ه/1303م)، الذي يعتبر من أكبر معاجم الأعلام التي ألفها المغاربة والأندلسيون، ترجمته للأعيان كانت بإسهاب، فقد قدم لنا مادة غزيرة لبعض كتاب الدولة الموحدية.

زودتنا هذه الكتب بمعلومات حول كتاب الرسائل الديوانية وحول ترجمة بعض الشخصيات والقضاة، ويضاف إلى ذلك المرقبة العليا للنباهي (حي سنة 702ه/1302)، وعنوان الدراية للغبريني (ت: 704ه/1304م).

إلى ذلك عنت الدراسة بكتب المناقب والبرامج؛ ومن الصنف الأول التشوف للتادلي (ت: 628ه/1230م)، والصنف الثاني نجد برنامج الرعيبي (ت: 666ه/1268م).

وقد اقتضت الدراسة الرجوع إلى كتب الأدب منها المطرب لابن دحية (ت: 633ه/1235م). وكتاب الحلة السبراء⁽¹⁾، واختصار القدح المعلى لابن الآبار (ت: 658ه/1260)، تناول الكاتب فيه تراجم الأمراء والشعراء والكتاب والعلماء وأصحاب الجاه في المغرب والأندلس من بداية القرن الأول الهجري إلى غاية منتصف القرن السابع، استفدنا من هذا الكتاب خاصة في ترجمة بعض الشخصيات المهمة.

⁽¹⁾ أغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية: صلاح الدين عثمان هاشم، مراجعة: إيغود بلياييف، (جامعة الدول العربية: الإدارة الثقافية، 1959م)، 302/1.

⁽¹⁾ يقصد بالحلة السبراء: الحلة ذات الخطوط من تحرير: أنور محمود زناقي: مصادر تاريخ المغرب والأندلس - المصادر - المراجع - الدوريات -، (سحر للنشر، ط1، 2008م)، ص14.

ومن كتب النظم التي أفاد منها البحث: كتاب الأحكام السلطانية لكل من الماوردي ومعاصره أبو يعلى الفراء (ت: 485هـ / 1066م)، وكتاب أدب الوزير للماوردي المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك للماوردي أيضا، جاءت هذه الكتب تحمل في طياتها منهجا علميا عمليا للكيفية التي يجب أن تدار بها حياة المسلمين في المجتمع الإسلامي للحاكم والمحكوم، على حد سواء اعتمادا على الشريعة الإسلامية.

ب- المراجع:

إضافة إلى المصادر السابقة، اعتمدنا عددا من الأعمال الحديثة التي تتفاوت في قيمتها وأهميتها، ولذلك رافقنا بعضها من بداية البحث إلى نهايته، بينما أحلنا على أخرى المرة والمرة. ومن بين أهم هذه المراجع، نخص بالذكر:

كتاب تاريخ المغرب العربي بأجزائه الثلاث الدارسة للفترة الموحدية " الخامس والسادس والسابع"، لسعد زغلول عبد الحميد، الذي جاءت دراسته موضوعية، استفدنا منه في جوانب عدة ، ودولة الإسلام في الأندلس- العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس- لمحمد عبد الله عنان، تناول الكتاب من الفتح إلى سقوط غرناطة، ويتميز الكتاب بوفرة المعلومات وكثرة الروايات والتعليق عليها، أفاد في دراسة علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية بالأندلس، واهتم الكتاب أيضا بالغزوات والمعارك القائمة بين الموحدين وابن مردنيش أمير شرقي الأندلس وبني غانية أمراء الجزائر الشرقية.

الجيش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين لفتح زغروت، أفادنا كثيرا في النظام العسكري عند الموحدين من حيث وحدات الجيش والعدة العسكرية وفن القتال البري والبحري، وعلاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس لهشام أبو رميلة؛ أفاد البحث في دراسة علاقات الموحدين بالممالك النصرانية، فقد تضمن معلومات وفيرة عن الغزوات والمعارك. وكتاب المهدي بن تومرت- حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، وكتاب تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت- الحركة

الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري لعبد المجيد النجار، وهي كتب تحليلية عن حركة التغيير الموحدية، استفدنا منها كثيرا في مذهب الموحدين والإمامة الموحدية.

وكتاب الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصري المرابطين والموحدين لحسن علي حسن، حمل في طياته معلومات قيمة ووافرة عن دولتين قامتتا في بلاد المغرب بجميع جوانبها، استفدنا من الأوراق التي تتحدث عن الموحدين سواء نظام الحكم أو الجهاز العسكري أو الجانب القضائي، فهو من المراجع الأساسية التي اعتمد عليها البحث كثيرا.

كما استفاد البحث من كتاب قيم الدراسة وافر المعلومات في الجانبين القضائي والمذهبي

تحت

عنوان فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في المغرب الإسلامي لمؤلفه لخضر محمد بولطيف، أمدنا كثيرا عن مذهبية القضاء الموحدية، وفي استقلالية القضاء لدى الموحدين.

وبما أن السياسة تتأثر على الحياة الاقتصادية رافقنا كتاب عز الدين موسى النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس في دراسة محطة الاقتصاد الموحدية، فقد استفدنا منه في عقد بعض الاتفاقيات الاقتصادية بين الدولة الموحدية وبعض الدول التي لها صلة بذلك، وكذا التعرف على بعض الضرائب التي تفرضها الدولة الموحدية. كما لجأ البحث إلى كتاب آخر لعز الدين موسى الموحدون في المغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، حيث سطر لنا طرقا واضحة عن الأنظمة السياسية والعسكرية للدولة الموحدية.

ومن بين أعمال المستشرقين التي استأنس بها البحث نجد: بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي خلال العصور الوسطى لجورج مارسيه. وج.ف.ب. هوبكتر: في كتابه النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى؛ تناول نظم الحكم والإدارة في المغرب في القرون الوسطى من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن السادس للهجرة/الثاني عشر ميلادي، أي حتى أواخر دولة الموحدين. استفدنا منه أثناء دراستنا للتنظيمات الاجتماعية والعسكرية في الدولة الموحدية.

والتاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية أمروسيو هويشي ميراندا؛ تناول الحياة السياسية في العصر الموحدية استفدنا منه في مواطن عدة خاصة عند تناولنا للحياة السياسية الموحدية وتاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ليوسف أشباخ، عرض سياسة المرابطين والموحدين ونظمهم في الحكم والإدارة، انتفعنا منه انتفاعا عظيما كلما استدعت الضرورة إلى ذلك.

كما لم تغفل الدراسة الإطلاع على بعض الدراسات الحديثة للباحثين الجامعيين، مثل:
الموحدون في بلاد المغرب، 515-595هـ/ 1190-1199م- دراسة في الحياة الاجتماعية
والاقتصادية- أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، 2006-2007م
ليوسف عابد. وقريبا من الدراسة السابقة نجد الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد
الموحدين - 524 - 667هـ/ 1126 - 1268م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ
الوسيط، 2007-2008م لشرقي نواره.

إضافة إلى المصادر والمراجع فإن الدراسة استفادت من مستندات أخرى متنوعة، من قبيل
المقالات التي نشرت في مختلف المجالات والموسوعات.

الفصل الأول: الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

أولاً: أصل كلمة الديوان ومدلولها

ثانياً: فن كتابة الرسائل الديوانية

ثالثاً: كتاب الرسائل الديوانية

الفصل الأول:.....الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

بقيام الدولة في أي مجتمع من المجتمعات أصبح من الضروري تنظيم العلاقات الداخلية والخارجية، إذا فلا بد عليها أن تنشئ مؤسسات إدارية تهتم بتنظيم أمورها في كافة المجالات، فكان وجود الدواوين ضرورة مهمة لإقامة دولة متكاملة، بحيث تستطيع أن تنظم أمورها الاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية.

والدولة الموحدية من بين الدول التي اهتمت بنظام الدواوين، خاصة بعدما اتسعت رقعتها الجغرافية وشمولها للعديد من المناطق، فالمكاتبات التي تصدر من السلطة المركزية أو من الأقاليم التابعة للدولة هي التي تحمل في طياتها أحداثا يمكن لنا من خلالها معرفة حركة الدولة، هذا الاهتمام أدى بها إلى توظيف أسماء لامعة من الكتاب الأكفاء العارفين باللغة وبأصول الكتابة.

أولاً- أصل كلمة الديوان ومدلولها:

أ- تعريف الديوان:

يرى الماوردي أن ⁽¹⁾: "الديوان موضوع لفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال وفي تسميته ديوانا وجهان: أحدهما: أن كسرى اطلع ذات يوم على كتاب ديوانه فرآهم يحسبون مع أنفسهم فقال: ديوانه، أي مجانين، فسمي موضعهم بهذا الاسم، ثم حذفت الهاء عند كثرة الاستعمال تخفيفا للاسم، فقليل: "ديوان". والثاني: أن الديوان بالفارسية اسم للشياطين، فسمي الكتاب باسمهم لحذقهم بالأمور ووقوفهم على الجلي والخفي وجمعهم لما شد وتفرق، ثم سمي مكان جلوسهم باسمهم، فقليل: ديوان".

⁽¹⁾ أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، الكويت: دار ابن قتيبة، ط1، 1989م)، ص 259؛ وأبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي: الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م)، ص 236.

الفصل الأول:.....الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

ذهب القلقشندي أن الديوان⁽¹⁾: "اسم للموضع الذي يجلس فيه الكتاب، وهو بكسر الدال .. وأصله دَوَّانٌ فأبدلت إحدى الواوين ياء فقليل: ديوان وجمعه دواوين".

وجاء في لسان العرب لابن منظور أن⁽²⁾: "الديوان مجتمع الصحف ... وهو عند ابن السكين بالكسر وعند الكسائي بالفتح لغة مولدة وقال سبويه: إنما صححت الواو في ديوان وإن كانت بعد الياء ولم تعتل كما اعتلت في سيد، لأن الياء في ديوان غير لازمة، وإنما هو فعال من دونت والدليل قولهم دُوِّيُون، فدل ذلك أنه فعال، وأبدلت الواو بعد ذلك، ومن قال ديوان فهو عنده بمنزلة بيطار، وإنما لم تقلب الواو في ديوان ياء وإنما كانت قبلها ياء ساكنة، من قبل أن الياء غير لازمة وإنما أبدلت في الواو تخفيفاً ألا تراهم قالوا دواوين لما زالت الكسرة من قبل الواو؟".
الجوهري: الديوان أصله دَوَّانٌ فعوض من إحدى الواوين ياء لأنه يجمع على دواوين ولو كانت الياء أصلية لقالوا دياوين، وقد دونت الدواوين.

قال أبو جعفر النحاس: "المعروف في لغة العرب أن معنى الديوان: الأصل الذي يرجع إليه ويعمل بما فيه... ويقال دَوَّانٌ هذا، أي أثبتته وأجعله أصلاً"⁽³⁾. ويشير المطرزي أن⁽⁴⁾: الديوان الجريدة، من دون الكتب، إذ جمعها لأنها قطع من القراطيس... ويقال فلان من أهل الديوان أي ممن أثبت اسمه في الجريدة.

(1) أبو العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1922م)، 1/ 90.

(2) ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهشام محمد الشاذلي، (القاهرة، د.ت)، ص1461 – 1462.

(3) أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس: صناعة الكتاب، تحقيق: بدر أحمد ضيف، (بيروت: دار العلوم العربية، ط1، 1990م)، ص 107.

(4) أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزي: المغرب في ترتيب المغرب، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت)، ص170.

الفصل الأول:.....الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

إن الديوان مؤسسة إدارية مخصصة لحفظ كل ما يتعلق بوثائق الدولة، يسمى عند الموحدين "بدار صنعة الإنشاء"، الخاصة بحفظ الدواوين والسجلات، وهو المكان المخصص للتدوين والكتابة الرسمية من طرف الكتاب⁽⁵⁾.

ب- أصل الديوان:

اختلف في أصل الديوان، ذهب قوم أن أصله عربي، وذهب الآخر على أنه فارسي الأصل:

1- الأصل الفارسي:

زعم الأصمعي أن أصل الديوان أعجمي، لأن كسرى أمر الكتاب أن يجتمعوا في دار لحساب السواد في ثلاثة أيام، فاجتمعوا وأشرف عليهم، بعضهم يعقد وبعضهم يكتب فقال: "أبيات ديو أشد" أي هؤلاء مجانين، ومن ذلك الوقت أخذ موضع الكتابة هذا الاسم، وعندما عربته العرب قالوا: ديوان⁽¹⁾.

وقال الجوهري عن أصل كلمة الديوان: أنها معربة أصلها فارسي، دخلت لغة العرب قبل الإسلام واستعملها العرب ونسوا أصلها⁽²⁾. وقيل أن العرب استخدموا كلمة الديوان في نظامهم الإداري بعد أن عربت عن الفارسية، وقد يكون لهذه الكلمة صلة بكلمة "ديور" بمعنى الكاتب أو بكلمة "دب" الأشورية بمعنى سجلات العامة⁽³⁾. وهذا التفسير يكشف ويثبت لنا أن الفرس أخذوا عن غيرهم الديوان.

⁽⁵⁾ بغداد غربي: خطة الكتابة على عهد الموحدين، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران: كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية - قسم الحضارة الإسلامية-، السنة الجامعية 2006-2007م، ص 49.

⁽¹⁾ أبو جعفر النحاس: صناعة الكتاب، ص 108.

⁽²⁾ عبد المتعال محمد الجبري: أصالة الدواوين والنقود العربية، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 1989م)، ص 08.

⁽³⁾ حسان حلاق: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1999م)، ص 30.

2- الأصل العربي:

جاء في القرآن الكريم: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾⁽⁴⁾. لذا يرى البعض أن العرب عرفوا كلمة الديوان في لغتهم قبل عصر الترجمة، قال النحاس: " والمعروف في لغة العرب

أن الديوان الأصل الذي يرجع إليه ويعمل بما فيه " ، ومنه قول ابن عباس: " إذا سألتموني عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب"⁽¹⁾.

ج- الديوان في المغرب الإسلامي:

بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، كانت بلاد المغرب بأيدي نواب الخلفاء ولم يعتنوا بديوان الإنشاء لقربهم من البداوة، فلما تولى العباسيون الخلافة، اتجهت طائفة من بني أمية إلى بلاد المغرب فملكوه، واتخذوا ديوان الإنشاء واستكتبوا بلغاء الكتاب وتوسعت دولتهم إلى بر العدو من بلاد المغرب فحكموه، واستولت عليهما طوائف من الملوك وتتابعت الدول⁽²⁾.

عندما قامت الدولة المرابطية أنشأ يوسف بن تاشفين الدواوين، قال ابن عذاري: " فدون يوسف الدواوين ورتب الأجناد وطاعته البلاد... " ⁽³⁾ ، وكان من هذه الدواوين ديوان الرسائل أو الإنشاء ويرأسه موظف كبير يعرف بالكاتب، وإلى جانب هذا الديوان كانت هناك الدواوين الخاصة بمالية الدولة، موزعة بين أربعة دواوين، وهي: ديوان الغنائم ونفقات الجند، ديوان الضرائب، ديوان الجباية وديوان مراقبة الدخل والخرج⁽⁴⁾.

⁽⁴⁾ سورة الأنبياء، الآية: 104.

⁽¹⁾ عبد المتعال محمد الجبري: أصالة الدواوين، ص 08.

⁽²⁾ الفلقشندي: صبح الأعشى، 1/ 94.

⁽³⁾ ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الثقافة، ط1983م)، 23/4.

⁽⁴⁾ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس - عصر المرابطين والموحدين-، (مصر: مكتبة الخانجي، ط1، 1980م)، ص 146.

الفصل الأول: الرسائل الدبلوماسية خصائصها ومميزاتها

اهتمت الدولة الموحدية بإنشاء الدواوين المختلفة وفي مقدمتهم ديوان الإنشاء، والذي يختص بالمراسيم السلطانية والرسائل الموجهة إلى الولاة والقضاة، وقد عين فيه خلفاء الموحدين عينة ممتازة من أدباء الأندلس والمغرب، والذي ترجمته الرسائل التي جمعها ليفي بروفنسال وغيره⁽⁵⁾، تتناول الرسائل الرسمية مسائل ومضامين مختلفة من شؤون الدولة⁽⁶⁾.

ويعتبر ديوان الإنشاء اللسان الذي يتحدث به الخلفاء، يلي ديوان الكتابة الظهائر⁽¹⁾ وكتب التوقيعات⁽²⁾. وإلى جانب ديوان الإنشاء نجد ديوان العسكر الذي ينقسم إلى قسمين: فالأول يسمى ديوان العسكر يختص بالجند النظامي والحرب والعبيد، ووظيفته إحصاء الجند يرأسه رجل يكون ملما بالشؤون العسكرية ويساعده كتاب.

أما الديوان الثاني فهو ديوان التمييز الذي هو نظام شبيه بنظام الامتحان، فكل من ميز وثبت توحيدده عد موحدا وسجل في سجل خاص بالعاصمة والنواحي، وكان له كاتب⁽³⁾، وقد أشار ابن صاحب الصلاة إلى كاتب التمييز بقوله: "حدثني الكاتب أبو عبد الله بن محسن كاتب ديوان التمييز لجميع العساكر المنفذ - بتحميله - البركات للموحدين..."⁽⁴⁾.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص 147.

⁽⁶⁾ حكيمة إملولي: الأشكال النثرية في الأدب المغربي القديم - العهد الموحدى نموذجاً - مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب المغربي القديم، (جامعة الحاج لخضر: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم اللغة العربية وآدابها)، السنة الجامعية 2008-2009م، ص 89.

⁽¹⁾ هي الكتب الصادرة عن مدعي الخلافة ببلاد المغرب والتي تسمى أيضا الصكوك، فالظهائر جمع ظهير وهو المعين، سمي مرسوم الخليفة أو السلطان ظهيرا لما يقع به من المعاونة كتب له والصكوك جمع صك وهو الكتاب، ولكنهم اقتصروا على استعمال لفظ الظهير. أنظر القلقشندي: صبح الأعشى، 10/ 299.

⁽²⁾ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى -، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 1990م)، 2/ 147.

⁽³⁾ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص 147-148.

⁽⁴⁾ عبد الملك بن صاحب الصلاة: المن بالإمامة - تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين -، تحقيق: عبد الهادي التازي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط3، 1987م)، ص 347؛ وفتحي زغروت: الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين (المغرب والأندلس)، (القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، 2005م)، ص 155.

الفصل الأول:.....الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

وكانا لهذين الديوانيين السجلات التي تكتب فيها أسماء من يدخلون في الفرق التي ستحارب والتي سيقدم لها العطاء⁽⁵⁾. إضافة إلى ذلك نجد ديوان الأعمال المخزنية، وهو المختص بالشؤون المالية

في الدولة من تحصيل للأموال العامة وإنفاقها وفي رقابة العمال والمشرفين ومحاسبتهم⁽⁶⁾.

ثانياً- فن كتابة الرسائل الديوانية الموحدية،

أ- تعريفه الرسائل:

تعتبر الرسائل شكلاً من الأشكال النثرية، وهي عبارة عن تواصل ثقافي وفكري بين مختلف المجتمعات، فيكون التواصل السياسي والأدبي بين المرسل والمرسل إليه.

لغة:

الرسائل مشتقة من المادة اللغوية رسل من الرسل في الأمور والمنطق كالتمهل والتوقر، والتثبت، وجمع الرسالة الرسائل. قال ابن جنبة: الترسل في الكلام التوقر والتفهم والترفق، من غير أن يرفع صوته شديداً. والترسل في الركوب هو أن يبسط رجله على الدابة حتى يرخي ثيابه على رجله حتى يغشيهما، قال: والترسل في القعود أن يتربع ويرخي ثيابه حتى على رجله حوله. والاسم الرِّسَالَة والرِّسَالَة والرسول والرسييل⁽¹⁾.

والرسول معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذاً من قولهم جاءت الرسل رسلاً، أو متتابعة⁽²⁾. والترسل كالرسل، والترسل في القراءة والترسيل واحد، وهي التحقيق بلا عجلة، وقيل بعضه على إثر بعض، وترسل في قراءته: أتأدّ فيها، وفي الحديث كان في كلامه ترسيل أي ترتيل، وفي حديث عمر رضي الله عنه إذا أذنتَ فترسّل، أي تأذنّ ولا تعجل⁽³⁾، وفي القرآن

⁽⁵⁾ حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 148.

⁽⁶⁾ نفسه، ص 148-149؛ وعنان: المرجع السابق، 2/ 623.

⁽¹⁾ ابن منظور: لسان العرب، 1644.

⁽²⁾ المصدر نفسه، 1645.

⁽³⁾ نفسه، 1643-1644.

الفصل الأول: الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

الكریم: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽⁴⁾. والترسل والكتابة لهما دلالة واحدة، قال القلقشندي: "الكتابة في اللغة مصدر كتب يقال كتب يكتب كتباً وكتاباً ومكتبة وكتبة فهو كاتب ومعناها الجمع، يقال تكتب لقوم إذا اجتمعوا، ومنه قيل لجماعة الخيل كتيبة، وكتبت إذا جمعت بين شفرها بحلقة أو سير نحوه، ومن ثم تسمى الخط كتابة لجمع الحروف بعضها إلى بعض، ومن ثم سمي الخط كتابة"⁽⁵⁾.

اصطلاحاً:

الرسالة قطعة نثرية طويلة أو قصيرة حسب إرادة الكاتب وغرضه وأسلوبه، وتكون كتابتها بعبارة بليغة، وأسلوب حسن، وألفاظ منتقاة، وبما أن الرسالة تعتمد أساساً على الكتابة، فهي تصوير لما يحدث في الواقع⁽⁶⁾، وفي هذا المعنى يقول القلقشندي: "بأنها صناعة روحانية تظهر بألة، جثمانية، دالة على المراد بتوسط نظمها... ومعنى الروحانية فيها بالألفاظ التي يتخيلها الكاتب في أوهامه ويصور من ضم بعضها إلى بعض صورة باطنة قائمة في نفسه، والجثمانية بالخط الذي يخطه القلم وتقيد به تلك الصورة، وتصير بعد أن كانت صورة معقولة باطنة صورة محسوسة ظاهرة"⁽¹⁾.

وقال أيضاً: "وهي جمع رسالة، والمراد فيها أمور يرتبها الكاتب: من حكاية حال من عدو أو صيد أو مدح أو تقريض، أو مفاخرة بين شيئين، أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى، وسميت رسائل من حيث إن الأديب المنشئ لها ربما كتب بها إلى غيره، مخبراً فيها بصورة الحال، مفتتحاً بما تفتتح به المكاتبات"⁽²⁾.

(4) سورة الشعراء، الآية: 16.

(5) صبح الأعشى، 51/1.

(6) حكمة إملولي: الأشكال النثرية، ص71.

(1) صبح الأعشى، 51/1.

(2) المصدر نفسه، 138 / 14 - 139.

الفصل الأول:.....الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

والرسائل أنواع عديدة، فهي تكتب حسب حاجة الناس إليها، منها الرسائل الإخوانية والرسائل الرسمية؛ فالقسم الأول هي تلك الرسائل التي تدور بين الإخوان والأصدقاء⁽³⁾، والقسم الثاني هو الرسائل الرسمية أو الرسائل الديوانية، وهي التي تصدر عن الحكام والسلاطين، أو عن دواوين إنشائهم، يتناول فيها الكتاب على لسان حكاهم مواضيع مختلفة. فهي تصدر عن ديوان الخليفة يوجهها إلى ولاته وقادة جيشه وأعدائه، وكان لكل خليفة كاتب يتولى الكتابة عنه في شؤون الدولة ومهامها⁽⁴⁾.

والدولة الموحدية من الدول الإسلامية التي اهتمت بالرسائل الرسمية خاصة وأنها بحاجة إلى التواصل بين الأقاليم والأعداء، وكان لهذه الرسائل بنية خاصة تمتاز بها.

ب- مميزات وخصائص الرسائل الديوانية:

من خلال الوقفة المتأنية عند الموروث الثري الذي صدر عن ديوان الخلفاء الموحدين، لاحظنا مجموعة من الصيغ التي تكتب بها الرسائل الديوانية، وهي صيغ متبعة في تكوين الإطار العام الشكلي للرسائل وفي بناء مضمونها، فلكل رسالة تقريبا إطارها الخاص بها وإفرادها عن غيرها، وسنحاول أن نشخص أنواع الصيغ التي كتبت بها رسائلهم الرسمية، وهي:

1- في المكاتبات الصادرة عن الخلفاء الموحدين:

1-1- المكاتبات الموجهة إلى الطلبة والموحدين:

أن تفتح الرسالة بلفظ " من فلان إلى فلان"، حيث تبتدئ الرسالة بذكر المكتوب عنه والدعاء له بما يليق، ثم يذكر اسم المكتوب إليه ويدعى له بما يناسبه، ويؤتى بالبعدية التي تليها الصلاة على النبي محمد وعلى آله وصحبه، والترضية عن الإمام المهدي المعصوم، وبعد أوصاف عديدة ونعوت للمهدي يلج الكاتب إلى صلب الموضوع مبتدئ بفعل الكتابة كأن يقول: "

(3) حكيمة إملولي: الأشكال النثرية، ص72.

(4) المرجع نفسه، ص73.

الفصل الأول: الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

كتبناه" أو " كتابنا إليكم" ثم تليها جملة دعائية قد تطول أو تقصر، ويتطرق بعدها إلى اسم المكان الذي كتبت فيه الرسالة ...، ثم يؤتى بالموضوع إلى آخر الرسالة التي تختتم بالسلام⁽¹⁾.

فمن أمثلة ذلك رسالة من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية: " من أمير المؤمنين أيده الله بنصره وأمدّه بمعونته إلى الطلبة والموحدين الذين بغرناطة أعزهم الله وأدام كرامتهم بتقواه سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد حمد الله الذي على عونته مستند الاعتصام ... والصلاة على محمد عبده ورسوله موضح سبل السلام ... وعلى آله وصحبه ...، والرضا عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم ...⁽²⁾.

فإن كتبناه إليكم - كتب الله لكم تعرف الآلاء المستحقة، وبركة المواهب التي هي من بحر عطائه مستمدة- من منزل الموحدين أظهرهم الله- بظاهر المهديّة- فتحها الله ووعد الله لأوليائه....

وجاء في آخر الرسالة " والله يعرف اليمن في ذلك والخيرة، ويجعله عنوان الإقبال وفتحة النصر. بمنه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"⁽³⁾.

ولقد تطرق القلقشندي إلى هذا الأسلوب من أسلوب المكاتبات، فأوجز رسمه: " أن تفتح المكاتبة بلفظ " من فلان إلى فلان" ويدعى له بما يناسبه، ثم يؤتى بالبعدية والتحميد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والترضية عن الصحابة، ثم عن إمامهم المهدي ثم يؤتى عن المقصود ويختتم بالسلام، والخطاب فيه بنون الجمع عن الخليفة وميم الجمع عن المكتوب إليه⁽¹⁾.

(1) محمد مجيد السعيد: بحوث أندلسية، (منشورات الجمع العلمي، 2001م)، ص 108؛ و

Lévi-provençal: **Un recueil de lettres officielles almohades- étude diplomatique et historique-**, revue hesperis, 1941, P.13.

(2) رسائل موحديّة - مجموعة جديدة-، تحقيق ودراسة: أحمد عزراوي، (القنيطرة - المغرب : منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، 1995م)، 1 / 61-71.

(3) المصدر نفسه، 1 / 61-71.

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، 6 / 443؛ وحكيمة إملولي: الأشكال النثرية، ص89.

الفصل الأول:.....الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

في بعض الأحيان تزيد كتاباتهم عن البناء الهيكلي السابق، كأن تفتتح الرسالة بالبسملة والصلاة على النبي وبالعلامة المباركة "والحمد لله وحده"، حيث أدخلها الموحدون إلى الرسائل الديوانية ويؤتى في آخر الرسالة بتاريخ كتابتها، ومن أمثلة هذا الرسم رسالة أمير المؤمنين يوسف إلى الشيخ الأجل أخيه السيد أبي سعيد وأصحابه الطلبة الذين بقرطبة: " بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم، والحمد لله وحده⁽²⁾، من أمير المؤمنين يوسف بن أمير المؤمنين- أيده الله بنصره وأمهه بمعونته- إلى الشيخ الأجل أحنينا الأعز علينا الأكرم لدينا..."⁽³⁾.

وتأتي بقية الرسوم الأخرى دون تغيير حتى النهاية ويكتب تاريخ الرسالة - الذي هو في الرسالة السابقة- الثالث من شهر رمضان المعظم سنة إحدى وستين وخمس مائة"⁽⁴⁾.

ومن الرسائل ما أخذت لونا آخر في الكتابة يبدأ بمخاطبة المكتوب إليهم مباشرة ويشير إلى مدينتهم ثم يدعو لهم ثم يؤتى بالبعدية وينتقل منها إلى لب الموضوع دون أية ديباجة وألوان اعتمد عليها في الرسائل الأخرى مثل الرسالة التي كتبها إدريس المأمون بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن إلى أهل أندووجر⁽⁵⁾ "...⁽⁶⁾ إلى الجماعة والكافة من أهل فلانة، وقاهم الله عثرات الألسنة وأرشدهم إلى محو السيئة بالحسنة، أما بعد، فإنه وصل من قبلكم كتاب حدد لكم أسهم الانتقاد..."

⁽²⁾ وجدت منذ عهد عبد المؤمن، وظلت العلامة نفسها عند ابنه يوسف ثم المنصور وفي عهد الناصر ثم المستنصر، ولعل إثبات وجود هذه العلامة منذ عهد عبد المؤمن ما قالت عنه حفصة بنت الحاج الركونية عندما دخلت على عبد المؤمن وأنشدته:

امنن علي بطرس
تخط بمنك فيه
يون في الدهر عده
الحمد لله وحده

ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، (القاهرة: دار المعارف، ط4، 2009م)، 2/ 138.
⁽³⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزاوي)، 1/ 94؛ و

Lévi-provençal: **Un recueil de lettres officielles almohades**, p.18.

⁽⁴⁾ رسائل موحدية، 1/ 97.

⁽⁵⁾ قيل أندووجر، حصن بالأندلس قرب قرطبة. أنظر شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، 1977م)، 1/ 264.

⁽⁶⁾ حدث بتر في الرسالة.

الفصل الأول: الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

واستمر إلى آخر الرسالة التي ختمها بالسلام⁽¹⁾.

وفي رسم آخر لبناء الرسالة الرسمية هي أن تبتدئ بالبعدية مباشرة من دون بسملة أو مقدمة، وقد ذهب القلقشندي إلى هذا النوع من الرسائل وصنّفه على نوعين:

الضرب الأول: أن تعقب البعدية بالحمد لله، ويؤتى على الخطبة إلى آخرها، ثم يتخلص إلى المقصود ويختم بالسلام⁽²⁾. مثل ما كتب أبو الميمون عن المستنصر بالله: "... أما بعد حمد الله الأمر بالوفاء بالعهود، والصلاة على سيدنا محمد المصطفى الكريم سيد الوجود... والرضا عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم..." ثم يؤتى بالموضوع لينتهي في الختام بالسلام⁽³⁾.

الضرب الثاني: "أن تعقب البعدية بذكر المقصود من غير خطبة، ثم يؤتى بالمقصود على آخره"⁽⁴⁾. ومن النثر الذي جاء على الضرب الثاني: كما كتب أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي، المعروف بابن الآبار عن الأمير أبي جميل إلى أهل ناحية بولاية وال عليهم، وهي: "أما بعد، فالكتاب - كتب الله لكم ملء الجوانب، قراراً، وأرسل عليكم سماء المواهب، مدراراً، من فلانة..." ولج بعدها في صلب الموضوع حتى ختم الرسالة بالسلام⁽⁵⁾.

ومن الرسائل ما يفتتح بالتحميد ثم الصلاة على النبي وآله ثم الترضية على الإمام المعصوم، ويؤتى بالإشارة إلى الكتاب ومكان تحريره والجاء إلى صلب الموضوع، ومثال ذلك رسالة من إنشاء الكاتب أبي عبد الله بن عياش عن الأمير محمد الناصر الموحد مخبراً باستيلاء الموحدين على يابسة⁽⁶⁾ وميورقة⁽⁷⁾ ومنورقة: "الحمد لله فاتح الإغلاق، ومانح الإعلاق، ممد هذه الدعوة الإمامية

(1) رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 35/1 - 37.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، 6/ 476.

(3) رسائل موحدية، 1/ 303.

(4) القلقشندي: المصدر السابق، 7/ 37-38.

(5) نفسه، 1/ 37-38.

(6) جزيرة تلي جزيرة ميورقة ويقال لها ولنورقة بنتا جزيرة ميورقة، وهي جزيرة حسنة كثيرة الكروم والأعاب، وفي شرقها جزيرة ميورقة، وبها عشرة مراس. أنظر محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (مكتبة لبنان، ط2، 1984م)، ص 616.

الفصل الأول: الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

من السبع الطباق وناصرها في البحار المرتجة، ... وهذا كتابنا إليكم... " واجا صلب الموضوع ليختم كلامه بالسلام"⁽¹⁾.

لم تتوقف الرسائل الديوانية على النثر فقط بل تعدت إلى الشعر في جزء منها أو رسالة كاملة والنوع الأول مثل الرسالة التي صدرت عن الخليفة عبد المؤمن من ظاهر قسنطينة إلى اشبيلية مخبرة بانتهاء حملته الإفريقية وبأهم نتائجه وهي: " بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم والحمد لله وحده... " وبعد الديباجة الطويلة أتى بقصيدة⁽²⁾:

تصدى لأهل الحق نيل مرادهم وطاب لهم فيما يرومونه الورد
ويسرت الأسباب فاخترت المنى وأحكمت الآمال فانتضي الجدد
ودبر رأي فالتقت غرماته على حكم ما قد أحكمت ضربه الهند
فسار إلى أمر الله جيش عرمرم يقود به سعد ويجدو به سعد
إلى آخر الرسالة، ثم ولج بعد الشعر إلى النثر واصفا النصر ثم ختم الرسالة بالسلام.

أما الرسم الثاني فهو عبارة عن شعر خال من أي مقدمة نثرية وهي لا تحتوي على تقليد من تقاليد مكاتبهم السلطانية ومن نماذج هذا الرسم: رسالة عبارة عن قصيدة وجهها أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ليستدعي العرب من إفريقية وهي من إنشاء ابن طفيل⁽³⁾:

أقيموا صدور الخيل نحو المغرب لغزو الأعادي واقتناء الرغائب
وأذكوا المذاكي العاديات على العدى فقد عرضت للحرب جرد السلاهب
فلا تقتني الآمال إلا من القنى ولا تكتب العليا بغير الكتائب

⁽⁷⁾ هي جزيرة في البحر الزقافي تحدها بجاية على جهة القبلة من بر العدو، بينهما ثلاثة مجار، ومن الوسط برشلونة من بلاد أرغون، ومن الشرق جزيرة منورقة، وطول ميورقة من الغرب إلى الشرق سبعون ميلا وعرضها من القبلة إلى الوسط خمسون ميلا. المصدر نفسه، ص 567.

⁽¹⁾ مجموع رسائل موحديّة: من إنشاء كتاب الدولة المؤنمية، نشرها ليفي بروفنسال، (الرباط: المطبعة الاقتصادية، 1941م)، ص 241-248.

⁽²⁾ رسائل موحديّة - جديدة-، (الغزاوي)، 1/ 81-82.

⁽³⁾ ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - قسم الموحدين-، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني

وآخرون، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط 1985م)، 115-114/3.

الفصل الأول:.....الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

ولا يبلغ الغايات إلا مصمم
على الهول ركاب ظهور المصاعب
يرى غمرة الهيجاء أعذب مشرب
وإن أعرضت رزقا جمام المشارب
ويأنف إلا مكسبا من حسامه
ويعرض غرا عن جميع المكاسب
ألا فابعثوها هممة عربية
تحف بأطراف القنى والقواضب
أفرسان قيس من هلال بن عامر
ما جمعت من طاعن ومضارب
وعندما تأخر العرب خاطبهم بقصيدة أخرى من قول ابن عياش يستعجلهم، وهي⁽¹⁾:
أقيموا إلى العلياء عوج الرواحل
وقودوا إلى الهيجاء جرد الصواهل
وقوموا لنصر الدين قيمة نائر
وشدوا على الأعداء شدة صباهل

1-2- المكاتبات الموحدة الموجهة إلى الممالك النصرانية:

متنوعة البدايات منها ما تفتتح بالبسملة وتليها التصليية ثم الحمدلة، مثل الرسالة التي جاءت على شكل اتفاقية بين المنصور وحكومة بيشة جاء فيها: " بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما....".

وجاء صدر الرسالة طويل ثم ولج إلى اسم المكتوب والمكتوب إليه، وجاء بالمقصود، وختم بتاريخ الكتابة⁽²⁾.

أن تبتدئ الرسالة بالبسملة والتصليية دون الحمدلة، مع ذكر المكتوب والمكتوب إليه، وعدم التطرق إلى الصدر كما في الرسوم المعتادة ويدخل مباشرة في الموضوع وختمها " بالله التوفيق"، مثل رسالة أبي زيد والي تونس إلى تجار بيشة مشجعا لهم بالتردد على البلاد: " بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما، كتاب أمان وتأكيد إحسان...، وبالله التوفيق"⁽³⁾.

(1) المصدر نفسه، 3/ 116.

(2) رسائل موحدة - جديدة-، (الغزاوي)، 1/ 173.

(3) المصدر نفسه، 1/ 176-177.

2- في المكاتبة الصادرة إلى خلفاء الموحدين:

وهي نوع من الرسوم التي كانت ترفع من طرف الأمراء والوزراء والولاة وغيرهم إلى أمير المؤمنين، جاءت الرسوم فيها متباينة منها:

أن تفتتح الرسالة بلفظ " الحضرة " متبوعة بعبارات المدح والثناء ثم يلج إلى اسم كاتبها مقترنا باسم العبودية، ثم يؤتى بتحية الإسلام على الحضرة ثم يذكر التحميد والتصليية والترضية عن الإمام المعصوم، ثم بالدعاء للمقام العالي وبعدها يدخل في الموضوع ومثال ذلك رسالة كتبها أبو المطرف بن عميرة عن صاحب أرغون من الأندلس إلى المستنصر بالله " الحضرة الإمامية العلية المنصورة الأعلام، الناصرة للإسلام المخصوصة من العدل والإحسان ما يلجو نوره متراكم الإظلام، حضرة سيدنا ومولانا الخليفة (الإمام) أمير المؤمنين أبي يعقوب ابن سادتنا الخلفاء الراشدين... " (1).

والرسالة التي صدرت عن الأمير الموحي إبراهيم إلى حضرة الخلافة، ومطلعها: " الحضرة العلية الإمامية المعظمة المكرمة القدسية، المؤيدة المنصورة الزكية. مطلع الأنوار السامية، ومنشأ الخيرات النامية ...، أدام الله تأييدها وحرس جلالها". وصدرت الرسالة الثانية، عن الأمير إبراهيم، ومطلعها: " الحضرة الإمامية القدسية المؤيدة المنصورة العلية، خلد الله أيامها، ونصر أنصارها وأعلى أعلامها، ووصل أعلاها وإظهارها وإعزازها وإعظامها... " (2).

إذا كانت بعض الرسائل تفتح بكلمة " الحضرة " فإن بعضها الآخر يستعمل لفظ الحضرة بعد البسملة والتصليية وتذكر الحضرة اسم صاحبها والمكتوب عنه ثم يأتي الكاتب بالتحميد والتصليية والترضية ثم يدخل في الموضوع بكلمة " فكتب " ويكتب اسم البلد الذي كتبت فيه الرسالة، وترسل في الموضوع الذي يختمه بالسلام وتاريخ الكتابة.

(1) ابن عميرة: رسائل ابن عميرة الديوانية - القرن السابع الهجري-، دراسة وتحقيق: أحمد عزوي، (الرباط: مطبعة ربايت، ط1، 2008م)، ص 28-30.

(2) مؤلف من العصر الموحي: "رسائل نادرة وتراجم أندلسية"، عرض وتقديم: إدريس العلوي البلغيثي، مجلة المناهل (الرباط)، ع1989/38، ص 254، 255.

الفصل الأول:.....الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

ومن هذا الرسم رسالة وجهها الشيخ أبو عبد الله بن أبي إبراهيم إلى أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن: " بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على محمد وعلى آله وسلم الحضرة السامية، حضرة سيدنا ومولانا الإمام الأعدل، الخليفة الصالح... محمد بن أبي إبراهيم: سلام على حضرة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين ورحمة الله تعالى وبركات، وبعد حمد الله على إعلاء هذا الأمر... والصلاة على محمد رسوله ونبيه الصفي الأمين...، والرضا عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم... فكتبه خديمكم من أغرناطة... والسلام الأجل...، كتب في النصف من جمادى الأخيرة عام ثلاثة وستين وخمس مائة"(1).

أن تبتدئ الرسالة بكلمة " كتابنا" أو " هذا كتابنا"، ثم يذكر مكان تدوين الرسالة ثم يؤتى بالموضوع، فمن ذلك رسالة أبي جعفر ابن عطية عن أبي حفص الموحدى إلى الخليفة أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي عن مقتل الثائر الماسي حيث قال: " كتابنا هذا من وادي ماسة، بعدما تجدد من أمر الله الكريم ونصره المعهود المعلوم..."(2).

في هذا اللون عالج الكاتب الهدف والغرض المقصود مباشرة، حيث جاءت البداية بدون مقدمة والتي تحوي على البسمة والصلاة على النبي والترضية على الإمام المعصوم أو الدعاء لأمر المؤمنين، فالكاتب في هذه الحالة يستعجل بالخبر إلى الخليفة(3).

أن تفتح الرسالة باسم المرسل إليه كاملا مع الألقاب ثم الدعاء للمقام الأعلى، وبعدها يشير إلى المكتوب عنه وينعته بالأوصاف، ثم يؤتى بالبعدية والتصلية والترضية، فالدعاء للحضرة الخلافية، ليتطرق بعد ذلك إلى الموضوع ويأتي الختام الذي ينتهي بالدعاء. منها رسالة صدرت من العزفيين إلى السيد أبي إسحاق الموحدى: " السيد الأجل الأعز أبو إسحاق ابن سيدنا الأمير الطاهر المرحوم أبي إبراهيم بن سيدنا الإمامين أمير المؤمنين..."(4).

(1) ابن صاحب الصلاة: المن، ص 263 - 265.

(2) رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 1/ 57.

(3) محمد مجيد السعيد: بحوث أندلسية، ص 114؛ ومؤلف من العصر الموحدى: "رسائل نادرة..."، ص 256.

(4) المرجع نفسه، ص 114 - 115.

الفصل الأول:.....الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

ومن رسائلهم ما تبتدئ بعد البسملة والصلاة على النبي بذكر اسم المكتوب عنه ثم اسم المكتوب إليه والدعاء له بما يليق ثم تحية الإسلام، وبعد ذلك تأخذ الرسالة مسار الرسائل الأخرى من حيث البعدية والتحميد بلفظ " أما بعد، فإن نحمد الله ... " والصلاة على النبي الترضية والدعاء لأمير المؤمنين أو لولي العهد في بعض الأحيان، ثم يدخل في الموضوع ويختتم الرسالة بالسلام وبتاريخ إنشائها، ومثال ذلك رسالة الأمير يوسف إلى غرناطة حول إنهاء ثورة غمارة والرسالة تقول: " بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً والحمد لله وحده من الأمير يوسف بن أمير المؤمنين أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الطلبة والموحدين والشيوخ والأعيان والكافة... سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فإن نحمد الله الذي لا إله إلا هو إليكم ... والسلام الجزيل عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، كتب في الرابع عشر من شوال سنة 562هـ/1166م"⁽¹⁾.

وفي بعض رسائل المبايعات تبتدئ الرسالة بعد البسملة بالصلاة على النبي ثم الإشارة إلى

الإمامة

وتليها مجموعة من الصفات ثم الترضية على الإمام المعصوم، والدعاء لأمير المؤمنين ثم ينتقل إلى المقصود مبتدئاً بلفظ " أما بعد... ويختتمها بذكر التاريخ، وهذا غالباً ما يكون في رسائل المبايعات والاستشهاد في ذلك بما كتبه أهل إشبيلية بمبايعة أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن: " بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم الحمد لله الذي جعل الإمامة قواماً للحق ونظاماً للخلق... أما بعد ... على تجديد البيعة المباركة... وكتبوا على ذلك شهادتهم في النصف من جمادى الأخيرة سنة ثلاث وستين وخمسة مائة..."⁽²⁾.

أو أن يؤتى بعد البسملة بقوله: " من فلان إلى فلان" ثم يردف بقية الخطوات، ومنه رسالة أنشأها أبو الحسن عبد الملك بن عياش جاء فيها: " بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم، من عمر وعثمان أمير المؤمنين إلى الطلبة والأشياخ والأعيان والكافة

(1) رسائل موحديّة - جديدة -، (الغزوي)، 1/ 98 - 105.

(2) المصدر نفسه، 1/ 111؛ ومحمد مجيد السعيد: بحوث أندلسية، ص 117.

الفصل الأول:.....الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

ياشيبيلية أدام الله كرامتهم بتقواه. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد فالحمد لله القاهر الغالب... والرضا عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم... والدعاء لمولانا وسيدنا أمير المؤمنين... " (3).

ومن المكاتبات ما جاء على شكل أجوبة وهي تبدأ بالبسملة والصلاة على النبي، وذكر اسم المكتوب عنه، ثم اسم المكتوب إليه والدعاء له بما يليق مع ذكر المكان يؤتى بتحية الإسلام ويرددها بالبعدية والتحميد وشكر النعم والتصلية على محمد والترضية على الإمام المعصوم ثم يؤتى بكلمة "وكتبناه إليكم"، ثم ذكر المقصود ويختم الرسالة بالسلام وبتاريخ الكتابة مثل: الرسالة الجوابية الصادرة عن الأمير يوسف حول إبعاد قوات ابن مردنيش عن أحد الحصون شرقي غرناطة " بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد رسوله وعلى آله، من الأمير يوسف بن أمير المؤمنين... وكتبناه إليكم...، من حضرة مراکش...، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله، كتب في التاسع من ذي الحجة سنة 562هـ/1166م" (1).

والرسم الآخر من المكاتبات الجوابية أن تفتتح بالمرسل والدعاء له والمرسل إليه ومكان الإرسال ثم يؤتى بالسلام وتأخذ الرسالة بعدها مسار الرسائل الأخرى، ثم يؤتى بالمقصود ويختمها بالسلام وبتاريخ الكتابة منه ما كتبه أبو القاسم القالمي عن الخليفة يوسف إلى الطلبة الغزاة بإفريقية "... من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين أيده الله بنصره...، إلى الطلبة الغزاة بإفريقية... سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد...، إنا كتبناه إليكم... " (2).

لقد وردت إلى الموحدين مكاتبات من الملوك مثل الرسالة التي وردت من صلاح الدين الأيوبي كتبها القاضي الفاضل، فقد افتتحت الرسالة بالدعاء، وعبر المكتوب عنه بنون الجمع وخاطب المكتوب إليه بأمير المؤمنين: "فتح بحضرة سيدنا أمير المؤمنين وسيد العالمين، وقسيم الدنيا والدين... أن نتيمن بمكاتبتنا ونترين بمخاطبتها... ثم يؤتى بالموضوع إلى آخر الرسالة" (3).

(3) نفسه، 1/ 89 - 93.

(1) رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 1/ 108 - 109.

(2) المصدر نفسه، 1/ 124 - 126.

(3) نفسه، 1/ 183.

3- الظواهر:

تفتتح بصيغة " هذا ظهير كريم " ثم يذكر الأمر به كأن يقول: " أمر به أمير المؤمنين... "، ويذكر اسم المرسل إليه مثل: "... ويسره للشيخ القائد الأكرم أبي بكر بن الشيخ المشرف أبي الحسن بن غالب... "، ثم يؤتى بالدعاء ثم المقصود ويختمه بتاريخ الكتابة⁽⁴⁾.

4- التقاديم:

لم يكن لهم مصطلح محدد يفتتحون به، بل بحسب ما تقتضيه قريحة الكاتب، فتارة تفتتح بلفظ إلى أهل فلانة: " إلى أهل فلانة جمع الله على البر والتقوى جمهورهم، وعرفهم من سديد لفظ إلى فلان، مثل: " إلى الوزراء والفقهاء والأعيان والأعلام والحسباء، والصدور العلية...⁽⁵⁾، أو

النظر ما يصلح أحوالهم وينظم أمورهم، سلام...⁽¹⁾.

وتارة يبتدئ بلفظ " أدام الله كرامتهم⁽²⁾ " أو بلفظ " وأن تعلموا⁽³⁾ "، وتارة يبدأ " وإن كتبناه⁽⁴⁾ "، ومن بين هذه التقاديم ما كتب لولاية ناحية مثل: " تخير وال يتقلد أشغالكم " ⁽⁵⁾، ومنها ما كتب به بإعادة وال إلى ناحية، وهي " وإنا كتبناه إليكم "، أو " وإن تعلموا أن نعتمدكم بالنظر الضابط⁽⁶⁾ ". ومن التقاديم ما كتب به في الوظائف الدينية وفي ولاية قاض مثل ما يفتتح بـ: " ...أدام الله صلاح أحوالكم...⁽⁷⁾ ".

⁽⁴⁾ نفسه، 1/ 391-392 .

⁽⁵⁾ نفسه، 1/ 419 .

⁽¹⁾ نفسه، 1/ 417 .

⁽²⁾ نفسه، 1/ 446، 451 .

⁽³⁾ نفسه، 1/ 453، 455 .

⁽⁴⁾ نفسه، 1/ 476، 477، 479 .

⁽⁵⁾ نفسه، 1/ 417 .

⁽⁶⁾ نفسه، 1/ 465 .

⁽⁷⁾ نفسه، 1/ 489 .

الفصل الأول:.....الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

ومن بين التقاديم المكتتبه بالوظائف الديوانية منها ما كتب " ...وإلى هذا فإن قدمنا عليكم بعد استخارة الله تعالى فلانا لينظر في أشغالكم المصلحية، وأعمال مجايكم المختصة..."(8).

وما يلاحظ على هذه التقاديم بصفة عامة، فإنها متوسطة الحجم مقارنة مع بقية الرسائل الأخرى، إلا أن البتر أصاب أغلبها سواء في صدورها أو في نهايتها مما صعب علينا معرفة الجهة التي صدرت منها هذه الرسائل أو تاريخ التعيين، فهي تكتفي بذكر الشخص الذي عين عليها وبعض الأعمال الموكلة له(9).

5- الجانب الفني للرسائل الديوانية:

طغيان الروح الدينية على رسائلهم وتدعيمها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وبالسيره النبوية، وبأحكام الفقه والشريعة، ونجد ذلك في الرسائل التي تعالج موضوع الحث على الجهاد أو الانتصار على الأعداء أو الدعوة إلى الدين.

يرى محمد مجيد السعيد أن(1): من أسباب طغيان الروح الدينية على الرسائل الموحدية تعود إلى طبيعة الموضوع وإلى طبيعة التعليم في الأندلس والتي يغلب عليها الطابع الديني، مما كان له أثر على طبيعة المثقف وعلى تفكيره، وتعود كذلك إلى طبيعة الصراع القائم في تلك الفترة، حيث كان عصر جهاد وصراع بين المسلمين والمسيحيين.

وأضاف سبب آخر وهو أن السلطان في عهد الموحدين يمثل السلطين الدينية والديوية، ويبدو ذلك في رسائلهم التي تعالج أمور الشريعة وتحت على تطبيق قواعد الإسلام في الحياة اليومية(2).

لا يعتمد الكاتب على الثقافة الدينية وحدها في كتاباته الرسمية، بل يتعدى إلى الثقافة الأدبية والتاريخية، فتضمنت مراسلاتهم شعرا وأمثالا وأقوالا وأحداثا تاريخية، ومثال ذلك رسالة وجهها

(8) نفسه، 1/ 474.

(9) نفسه، 1/ 411 وما بعدها.

(1) محمد مجيد السعيد: بحوث أندلسية، ص 123-124.

(2) المرجع نفسه، ص 123-124.

الفصل الأول: الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

الخليفة عبد المؤمن إلى أهل إشبيلية ليعث إليهم خبر فتح مدينة المهديّة سنة 554هـ/1109م،

حيث جاء في آخر الرسالة أبيات شعرية تتكون من اثني عشرة بيتا وكان مطلع الرسالة⁽³⁾:

ولما قضينا بالمشارك أمرنا
وتم مراد الله في كل مطلب
وأشرقت الشمس المنيرة موهنا
وأصبح وجه الحق غير محجب
وطهر هذا السقع من كل كافر
وعاد بها الإسلام بعد تغيب

فأجاب الأمير أبو يعقوب يوسف أبيه الخليفة عبد المؤمن وطلب منه النجدة، ويجب أباه

بشعر كما بعث له أبوه وطلب من أبو العباس ابن سعيد المالقي أن ينظم شعرا في ذلك، وهو⁽⁴⁾:

هو الأمر أمر الله ليس له رد
يؤيده أبيه ويسمو به جد
وقد وضحت آياته وأباته
وقد أقحمت رعبا به ألسن لد
وما اشتبهت مُدَّ حُمِّ إلا لزائغ
عقيدته كفر وإقراره جحد
فمن يبغى فيها الغيَّ بعد اجتلائه
فإن حسام الهند فيه له رشد
وهذه رياح ريجه عصف بهم
فعادوا كعاد حين جللها الرند
ولم ينجهم حصن حصين إذا انزروا
ولم يجدوا النصر العتيد بزعمهم
وكانت سبيل الرشد واضحة لهم
من اللات بل ردوا حديثا كما أرودوا
ولا سلخوا فيها سلوط معذر
فما منهم فيها وسيم ولا وخذ
ولا انتضحت فيها الشكائم واللبد
ولكنهم مالوا إلى الكفر ميلا
فصالت بهم منكم يد ولها الأيد

أجاب أمير المؤمنين في رسالة طويلة، وعدد أبياتها خمسة وثلاثين بيتا بقوله⁽¹⁾:

تسنى لأهل الحق نيل مرادهم
وطاب لهم فيما يرمونه الورد
ويسرت الأسباب فأختيرت المنى
وأحكمت الآمال فانتضى الجد

(3) ابن صاحب الصلاة: المن، ص 73.

(4) المصدر نفسه، ص 76.

(1) نفسه، ص 76.

الفصل الأول: الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

ومن مميزات الرسائل الديوانية العناية باللفظ من حيث النغمة، ومن حيث توافق الوحدات الصوتية، ويستخدم بعض الكتاب براعة نثرية عن طريق توظيف الأساليب البلاغية المختلفة والمتعددة

من جناس أو طباق أو تشبيه أو استعارة أو كناية.

ونماذج كثيرة من الرسائل الرسمية الموحدية التي تعتمد المحسنات البديعية منها رسالة لأبي جعفر بن عطية كتبها عن أبي حفص الهنتاتي حول مقتل الثائر الماسي "... فتح بهر الأنوار إشراقاً، وأحرق بنفوس المؤمنين إحداقاً، ونبه من الأمانى النائمة جفونا وإحداقاً، واستغرق غايات الشكر استغراقاً، فلا تطيق الألسن لكنّه وصفه إدراكاً ولا لحاقاً، جمع أشتات الطلب والأرب، وتقلب في النعم أكرم منقلب وملاً دلاء الآمال إلى عقد الكرب ..."⁽²⁾.

من خلال ما سبق يتضح أن الرسائل الديوانية تتبع طريقة واحدة - في أغلبها - تحدها

مجموعة من العناصر منها:

- من ...
- إلى ...
- سلام ...
- أما بعد ...
- الحمدلة ...
- التصلية على الرسول - صلى الله عليه وسلم - وآله وصحبه
- الترضية على الإمام المعصوم المهدي المعلوم - الترضية عن خليفته عبد المؤمن -.
- كتبهنا أو كتابنا ...
- مكان وزمان كتابة الرسالة ...
- السلام.

⁽²⁾ رسائل موحدية: - جديدة-، الغزوي، 1/ 57؛ ومحمد مجيد السعيد: بحوث أندلسية، ص 130.

الفصل الأول: الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

سار هذا النوع من الكتابة الكاتب أبو جعفر بن عطية وأخوه عقيل، وأبو الحسن القالمي، وأبو الحسن بن عياش، ومن خلال بعض الرسائل نجد بعض الاختلاف في بنية الرسائل، بالرغم من محاولة الاحتفاظ على السمات العامة، وهي:

- البسمة والتصلية.
- العلامة السلطانية - الحمد لله وحده.
- من ...
- إلى ...
- سلام
- البعدية
- التحميد.
- الشكر.
- التصلية على الرسول صلى الله عليه وسلم.
- الدعاء لأمير المؤمنين خليفة المهدي.
- إنا كتبناه.
- مكان الصدور.
- التوصية.

اتخذت الكتابة أسلوباً جديداً في عهد عبد الله بن عياش، وكانت طريقة كتابته:

- ذكر المرسل
- ذكر المرسل إليه
- السلام
- التحميد دون ذكر البعدية
- التصلية على الرسول - صلى الله عليه وسلم - وآله وصحبه، ثم الترضية عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم، والترضية عن خليفة عبد المؤمن ثم الترضية عن أمير المؤمنين الخليفة الحاكم.

الفصل الأول:.....الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

- ذكر مكان كتابة الرسالة بعد كلمة "إنا كتبناه" أو بعد كلمة "كتابنا".
- التوصية بتقوى الله، والعمل على طاعته والاستعانة به، والتوكل عليه:
- ذكر الموضوع.
- ذكر السلام.
- ذكر التاريخ.

نلاحظ مما سبق تداخل بين الطرق التي اتبعت في كتابة الرسائل الرسمية، والاختلاف ناتج عن تطور سنن الكتابة أو إلى مهارة وقدرة الكاتب، كما نجد بعض الرسائل حذفت منها الفقرات التمهيدية، ربما يعود إلى المؤرخين وكتاب المصادر الذين قاموا بجمع مثل هذه الرسائل، فيكتفون بنقل صلب الموضوع.

"كما اختلفت بنية الرسائل واختلفت الطرائق التي عرفتھا الفترة الأخيرة من حكم الموحدین حيث بدأ حکمهم يتلاشى ومع هذه الظروف السياسية المضطربة، فإنھا قد وفرت للكتابة دافعا قويا لنشاطها وتنوعها. ونجد هذا مطبوعا في كتابات أبو المطرف بن عميرة المخزومي(ت658 هـ/1259م)، وأبوالحسن الرعيبي (ت 666 هـ/1267م) وغيرهم حيث أسهموا في الكتابة الفنية، ولاسيما الذاتية منها بنصيب وافر تعبيرا عن أحاسيسهم، ومشاعرهم، وعبروا عن انشغالاتهم المتعددة . ولاسيما ما يتعلق بمصير بلادهم الأندلس، وما أصاب أهلها من محن وما نالهم من نكبات بعد ضياع الأرض نتيجة تخاذل حكام الموحدین الأواخر"⁽¹⁾.

ثالثا- كتاب الرسائل الديوانية:

اختارت الدولة الموحدية لحظة الكتابة كتاب بلغاء، يتميزون بأسلوب كتابة رفيع، يختارون أحسن الألفاظ والعبارات منهم:

1- أبو جعفر بن عطية:

⁽¹⁾ حكمة إملولي: الأشكال النثرية، ص92.

الفصل الأول:.....الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

هو أبو جعفر أحمد بن جعفر بن عطية القضاعي من أهل مراكش، أصله من قرملة قرية بطرشوشة من شرق الأندلس، ولد سنة 517هـ/1123م⁽¹⁾، كان أبوه أبو أحمد كاتباً لعلي بن يوسف وابنه تاشفين، كان كاتباً بليغاً، أخذ العلم عن أبيه وعن مجموعة كبيرة من أهل مراكش. وبعد فتح مراكش وانهزام دولة المرابطين هرب وغير هيئته وتشبه بالجندي، وأخفى نفسه. شارك في حملة الشيخ أبي حفص على الثائر الماسي⁽²⁾، حيث كان ضمن الرماة، التقى الجمعان فهزم جيش الماسي يوم الخميس 16 لذي الحجة سنة 542هـ/1147م⁽³⁾، أراد أبو حفص إعلام الخليفة عبد المؤمن بهذا النصر، فلم يجد في جميع من استصحبه من يكتب عنه، فقبل له أن فتي من الرماة - لأنه كان محسناً للرماية - يحسن الأدب والكتابة، فاستدعاه وعرض عليه عرضه، تظاهر بالعجز، فكتب عنه للموحدين رسالة⁽⁴⁾.

فلما بلغت الرسالة عبد المؤمن استحسناها واشتد إعجابه بها، استدعاه وقلده خطة الكتابة وأسند إليه وزارته وفوض النظر في أمورها كلها، وكانت وزارته كمالاً للدولة، ولما توجه إلى الأندلس، دبر له حساده الطريق للخلاص منه⁽⁵⁾.

مما جعل الخليفة عبد المؤمن يستوزر عبد السلام الكومي⁽¹⁾، وطلب ابن عطية وهو بالأندلس وعند وصوله إلى مراكش قيده في المسجد وهو حاسر العمامة، وطلب حضور الناس

(1) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الآبار: *الحلة السيرة*، تحقيق وتعليق: حسين مؤنس،

(القاهرة: دار المعارف، ط2، 1985م)، 2/ 238؛ وبغد غربي: *خطة الكتابة على عهد الموحدين*، ص121.

(2) لسان الدين الخطيب الملقب بذي الوزارتين: *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تحقيق: محمد عبد الله عنان، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1973م)، 1/ 263.

(3) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الآبار: *إعتاب الكتاب*، تحقيق: صالح الأشر، (دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ط1، 1961م)، ص 264.

(4) لسان الدين الخطيب: *المصدر السابق*، 1/ 264؛ و

Lévi-provençal: *Un recueil de lettres officielles almohades*, p.6.

(5) اختلفت الأراء حول نكبة ابن عطية، فقد قيل أنه طرح في بيت السلطان أبيات منها:

قل للإمام أطل الله مدته	قولا تبين لذي لب حقائقه =
= إن الزراجين قوم قد وترهم	وطالب الثأر لم تؤمن بوائقه
وللوزير إلى آرائهم ميل	لذاك ما كثرت فيهم علائقهم
فبادر الحزم في إطفاء نارهم	فرماعة من أمر عوائقهم

الفصل الأول:.....الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

على طبقاتهم، وشاورهم في أمره، فأجاب كل واحد برأيه، وأمر بسجنه، فقتله هو وأخوه أبو عقيل سنة 553/1108م، وكان عمر أبو جعفر 36 سنة ولأخيه أبو عقيل 23 سنة⁽²⁾.

كان أبو جعفر كاتباً بليغاً، فهو من أبلغ أهل زمانه⁽³⁾ يذكر صاحب الإحاطة أنه: " كان كاتباً بليغاً، سهل المآخذ، منقاد القريحة، سيال الطبع"⁽⁴⁾، ندم عبد المؤمن بن علي على قتله وبكى عليه⁽⁵⁾. وتعتبر الرسالة الخامسة من مجموع الرسائل الموحدية " المجموعة الجديدة" نموذجاً لكتابه الثرية، حيث أوردتها مجموعة من الذين ترجموا له⁽⁶⁾.

2- أبو عقيل ابن عطية:

هو أبو عقيل عطية ابن عطية ابن جعفر بن محمد بن عطية القضاعي المراكشي، وهو أخو أبو جعفر أحمد بن عطية، أصله من قمرلة بطرشوشة، ولد سنة 530/1135م، وقتل مع أخيه سنة

553/1158م خارج مراكش⁽⁷⁾.

كان يساعد أخاه أبو جعفر في عمله الوزاري لدى عبد المؤمن⁽¹⁾ كتب عن عبد المؤمن مجموعة من الرسائل منها: رسالة الخليفة عبد المؤمن إلى طلبة تلمسان في 10 شعبان

هم العدو ومن والاهم كهم فأحذر عدوكة واحذر من يصادقه
الله يعلم أي ناصح لكم والحق أبلج لا تخفى طرائقه
وعندما سمع عبد المؤمن هذه الأبيات وغر صدره على وزيره أبي جعفر فكانت نكته، وقيل أن عبد المؤمن أفضى لأبي جعفر بسر فأفشاه. أنظر أحمد بن محمد المقرئ التلمساني: *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، 1988م)، 5/ 183-184.

⁽¹⁾ المصدر نفسه، 5/ 187؛ لسان الدين الخطيب: *الإحاطة في أخبار غرناطة*، 1/ 265.

⁽²⁾ ابن الأبار: *الحلة السيرة*، 2/ 283؛ و

Lévi-provençal: *Un recueil de lettres officielles almohades*, p.8.

⁽³⁾ المقرئ: المصدر السابق، 5/ 186.

⁽⁴⁾ ابن الخطيب: المصدر السابق، 1/ 263.

⁽⁵⁾ ابن عذاري: *البيان*، 3/ 48.

⁽⁶⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزاوي)، 1/ 57-60.

⁽⁷⁾ ابن الأبار: المصدر السابق، 2/ 238؛ و

Lévi-provençal: *op.cit* , p.8.

⁽¹⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزاوي)، 1/ 19.

الفصل الأول: الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

1152/547م يعلمهم بفتح قسنطينة⁽²⁾، والرسالة التي بعثها الخليفة عبد المؤمن إلى طلبة بجاية في 10 شعبان 552/1157م يخبرهم بفتح المرية⁽³⁾ وبياسة⁽⁴⁾ وأبذة⁽⁵⁾.

3- أبو القاسم القالمي:

هو أبو القاسم عبد الرحمان القالمي من قالة وهي من قطريونة⁽⁶⁾، قال عنه صاحب المعجب بأنه من أهل مدينة بجاية من أعمال صنيعة تسمى بقالم، كتب لعبد المؤمن بن علي بعد فتح بجاية، بينما ابن عطية استمر في الوزارة إلى سنة 553/1158م، فقد كتب مع أبو القاسم أبو محمد عياش بن عبد الملك بن عياش من أهل قرطبة⁽⁷⁾.

وصفه صاحب المعجب بأنه "من نهاء الكتابة"⁽⁸⁾، وفي عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ساعد أبو الفضل بن محشرة في الكتابة حيث ظل يخدمه إلا أن مات عمل مكانه في الكتابة⁽⁹⁾.
كتب أبو القاسم القالمي مجموعة من الرسائل منها الرسالة رقم "21" من مجموع رسائل موحدية بتاريخ ربيع الثاني سنة 555/1160م، والرسالة التي كتبها عن الخليفة يوسف إلى "الطلبة الغزاة" بإفريقية بتاريخ رجب 564/1168م⁽¹⁰⁾.

4- أبو الحسن بن عياش:

⁽²⁾ مجموع رسائل موحدية، ليفي، ص 22.

⁽³⁾ مدينة بالأندلس بنيت في عهد الناصر لدين الله عبد الرحمان بن محمد سنة 955/344م، اتخذها العرب مرابطا بنيت بها محارس، كان الناس ينتجعونها ويتخذونها رباطا وتعتبر أشهر مراسي الأندلس وأعمرها. أنظر الحميري: الروض المعطار، ص 583.

⁽⁴⁾ مدينة بالأندلس، بينها وبين جيان عشرون ميلا، تطل على النهر الكبير المتجه نحو قرطبة، وهي مدينة ذات أسواق ومتاجر وحولها أراضي زراعية، دخلها الروم سنة 623/1226م. أنظر المصدر نفسه، ص 121.

⁽⁵⁾ مجموع رسائل موحدية، ص 73.

⁽⁶⁾ ذكره ابن سعيد في كتابه رايات المرزبين باسم هو أبو القاسم عبد الرحمان القالي من قالة. أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي: رايات المرزبين وغايات المميزين، تحقيق وتعليق: محمد رضوان الداية، (طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1987م)، ص 265.

⁽⁷⁾ عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد عريان، (القاهرة، 1962م)، ص 269.

⁽⁸⁾ المصدر نفسه، ص 266.

⁽⁹⁾ رسائل موحدية، 1/ 19.

⁽¹⁰⁾ المصدر نفسه، 19/1 - 20.

الفصل الأول: الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

هو أبو الحسن بن عبد الملك بن عياش بن فرج بن عبد الملك بن هارون الأزدي القرطبي، أصله من مدينة يابرة، كتب في آخر أيام المرابطين لأبي جعفر أحمد بن محمد بن حمد بن قاضي الجماعة بقرطبة وخلال الثورة التي قام بها أبو جعفر لجأ إلى إشبيلية للعبادة، يأكل من مال صديقه أبي الأصبح الباجي لحلال مكسبه⁽¹⁾، تقلد الكتابة لأبي إسحاق براز بن محمد المسوفي عامل إشبيلية لعبد المؤمن بن علي، ثم للسيد أبي حفص بن عبد المؤمن⁽²⁾، كتب عنه رسالة من ظاهر مرسية بعد هزيمة ابن مردنيش في معركة الجلاب⁽³⁾.

وعندما انتقل السيد أبو حفص بن عبد المؤمن إلى تلمسان توجه أبو الحسن بن عياش معه، وبعد مقتل ابن عطية استدعاه عبد المؤمن وكتب له مع أبي القاسم القالمي، ثم كتب عن والي إشبيلية السيد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن⁽⁴⁾.

ظل كاتباً لأبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن طيلة أيام خلافته حتى توفي سنة 568هـ/1172م⁽⁵⁾، ودفن في مقبرة مشككة⁽⁶⁾، كتب عن الخليفة الرسائل 13 و14 و24 قي المجموعة الجديدة، وهي مؤرخة ما بين أواخر 560هـ/1164م وأواسط سنة 564هـ/1168م⁽⁷⁾. كان أبو الحسن أبرع الناس حظاً فقد قيل بأنه: "كان أديبا كاتباً بليغاً شاعراً مجيداً صدرًا في محسن النظم والنثر، بارع الخط، جميل الوراثة"⁽⁸⁾.

(1) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الوصول والصلة، تحقيق ابن شريفة، (بيروت: دار الثقافة، د.ت)، السفر 5/ 26-27؛ وبغدد غربي: خطة الكتابة على عهد الموحدين، ص 130، 134.

(2) العباس بن إبراهيم السملالي: الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، مراجعة: عبد الوهاب منصور، (الرباط: المطبعة الملكية، ط2، 1993م)، 8/ 28.358

(3) رسائل موحدية - جديدة -، (الزاوي)، 1/ الرسالة 12؛ ومجموع رسائل موحدية، (لبيفي)، الرسالة 18.

(4) ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر 5/ 225.

(5) العباس بن إبراهيم السملالي: المرجع السابق، ص 369.

(6) المرجع نفسه، ص 358؛ ورسائل موحدية، 1/ 20.

(7) مجموعة رسائل موحدية، ص 138، 149.

(8) ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر 5/ 227.

5- ابن عبد الحميد:

لم تتوصل إلى ترجمة هذا الكاتب من خلال الكتب التي فحصناها ماعدا الإشارة الواردة عند صاحب الذيل: " قال أبو العباس بن هارون: وقرأته بخطه، قال لي الشيخ المسن أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله اللخمي المعروف بابن الحائك أربعة من أهل فاس معاصرون لا ترضى أحوالهم: الحاج أبو الحسن بن مؤمن وأبو حفص ابن البيراقي وأبو محمد بن الياسمين وأبو عبد الله بن عبد الحميد صلحت حاله بأخرة"⁽¹⁾.

نسبت إليه رسالة عتاب التي وجهها بإيعاز من عبد المؤمن إلى نائر هسكورة أبو بكر بن توندوت، يحثه فيه على التخلي عن دعم الحركة المرابطية والعودة إلى الصف الموحد⁽²⁾.

6- ابن مغاور الشاطبي:

هو أبو بكر بن مغاور، ولد بشاطبة سنة 502/1108م، من عائلة عربية تنتمي إلى أسرة بني سليم، وهو من أسرة نبغ أهلها في العلم، أخذ العلم عن مجموعة من الشيوخ منهم: أبوه وأبو علي الصفدي، وأبو جعفر بن غزلون وغيرهم⁽³⁾.

أخذ عنه مجموعة من التلاميذ منهم ابنا حوط الله، وأبو بكر محمد بن سليمان السلمي الشاطبي، وأبو عمرو سالم ابن صالح بن سالم المالقي. تولى ابن مغاور عدة وظائف أولها كتابة الشروط والعقود، وعندما توفي أبوه سنة 536/1141م اتجه إلى الكتابة الديوانية، كتب عن ابن مردنيش.

عند دخول الخليفة يوسف بن عبد المؤمن إلى شاطبة ظهر ابن مغاور الشاطبي بعد أن كان محتفيا حين أخذ ابن مردنيش في تصفية كل من يشك فيه، وكتب بيعة أهل شاطبة للخليفة، وكتب

رسالة أخرى للخليفة يوسف عندما كان باشبيلية سنة 570/1174م⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ المصدر نفسه، السفر 5/ 264؛ ورسائل موحدية - جديدة-، (الغزاوي)، 1/ 20-21.

⁽²⁾ رسائل موحدية، 1/ الرسالة 08.

⁽³⁾ ابن بشكوال: كتاب الصلة ومعه كتاب صلة الصلة لأبي جعفر بن إبراهيم الغرناطي: تحقيق: شريف أبو العلا العدوي، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2008 م)، 3/ 142.

الفصل الأول: الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

توفي بشاطبة في العشر الوسط من صفر سنة 587/1191م⁽¹⁾، وعمره 85 سنة، وكان قد نظم أشعارا أوصى عن كتابتها على قبره⁽²⁾.

7- أبو موسى قاضي الخلافة:

هو عيسى بن عمران بن دافال المكناسي الوردميثي التلمساني⁽³⁾ من رباط تازة⁽⁴⁾، ولد في شعبان سنة 512/1118م⁽⁵⁾، سكن مراكش، تعلم ببلده عن أبي الحسن بن عبد الله ابن خزار وغيره، انتقل إلى أغمات سنة 530/1135م ولقي أبا محمد اللخمي فأخذ منه العلم، ولقي بمراكش أبا يوسف حجاج وتفقه به⁽⁶⁾، اتجه إلى الأندلس طالبا العلم فسمع عن أبي القاسم ابن ورد بالمريّة.

روى عنه أنه كان قاضيا صالحا ورعا، وأنه كان من الفقهاء ومن أهل السخاء والكرم⁽⁷⁾، تولى قضاء إشبيلية مدة، ثم ولي قضاء الجماعة بعد موت أبي الحسن ابن أبي قنون سنة 577/1181م، فكان عادلا في قضاؤه صارما في تنفيذ الأحكام معروفا بالعدالة والتراثة، توفي بمراكش وهو يتولى قضاء الجماعة الخامس من شعبان سنة 578/1182م⁽⁸⁾، بعد أن فتح عبد المؤمن المغرب الأوسط حضر إلى مراكش مع وفد من إشبيلية لتهنئة عبد المؤمن، وعندما فتح عبد

⁽⁴⁾ ابن مغاور الشاطبي: حياته وآثاره، دراسة وتحقيق: ابن شريفة، (د.م، 1994م)، ص 18، 54.

⁽¹⁾ أبو جعفر الغرناطي: صلة الصلة، ص 142.

⁽²⁾ أيها الواقف اعتبارا بقبري
أودعوني بطن الضريح وخافوا
قلت لا تجزعوا علي فإني
واتركوني بما اكتسبت رهينا
استمع فيه قول عظمي الرميم
من ذنوب كلومها بأديمي
حسن الظن بالرعوف الرحيم
غلق الرهن عند مولى كريم

أنظر ابن مغاور: حياته وآثاره، (ابن شريفة)، ص 20.

⁽³⁾ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر 8/ 254.

⁽⁴⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 1/ 20.

⁽⁵⁾ ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر 5/ 264؛ وأبو الخطاب عمر بن حسن بن دحية ذو النسيين: المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري و آخران، مراجعة: طه حسين، (بيروت: دار العلم للجميع، 1955م)، ص 45.

⁽⁶⁾ نفسه، السفر 8/ 254.

⁽⁷⁾ أحمد بن القاضي المكناسي: جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973م)، ص 503.

⁽⁸⁾ ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر 8/ 256؛ وابن دحية: المصدر السابق، ص 45.

الفصل الأول:.....الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

المؤمن المهدي أمره بإنشاء قصيدة شعرية بغرض استجلاب عرب سليم بالمنطقة إلى الطاعة، كتب رسالته حول معركة تنس البحرية⁽¹⁾.

8- ابن مبشر:

ذهب العزاوي إلى أن⁽²⁾: هناك من اسمه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مبشر بن عبد الله بن يونس بن عمران القيسي من مكناسة الزيتون⁽³⁾، وهو قريب أبو عمران المارتلي⁽⁴⁾. وصفه صاحب الذيل بأنه: " كان كاتباً مجيداً شاعراً محسناً بارع الخط حياً بعد العشرين وستمائة"⁽⁵⁾.

ولكن العزاوي استبعد ذلك معتمداً على موضوع الرسائل التي جاءت بصيغة شكاوي موجهة إلى الخليفة يوسف في فترة إمارته (558 - 563/1162-1167م) ثم فترة خلافته، ونسب صاحب العطاء الجزيل رسالة صدرت من موظف سامي يؤنب فيها فرقة عسكرية انهزمت أمام العدو، وهذه الرسالة لا تحمل الترضية عن المهدي، والخليفة المأمون (624- 629/1226-1231م) تنكر للمهدوية، وأضاف أن " هذا لا يجعلنا نضع الرسالة في عصره أو تنسب كتابتها لابن مبشر القيسي... بل يتضح أن ابن مبشر صاحب رسائل الشكاوي إلى الخليفة يوسف هو نفسه صاحب رسالة عتاب الأخيرة".

استدل رأيه بأن البلوي صاحب العطاء الجزيل ألف كتابه بين (610-613/1213-1216م) وقبل عهد المأمون فالبلوي يذكر هذا الكاتب في الحالتين معا باسم " ابن مبشر" فلو كانا شخصين لأشار إلى ذلك⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (العزاوي)، 1/ 21-22.

⁽²⁾ المصدر نفسه، 1/ 22-23.

⁽³⁾ مدينة المغرب تتكون من أربعة مدن وقرى كثيرة متصلة بالمدن والحصون، وهي كثيرة الثمار خاصة الزيتون لذلك نسبت إليه، بينها وبين فاس أربعون ميلاً غرباً، وهي مرتفعة على الأرض، سميت باسم مكناس البربري لما نزلها مع بنيه عند حلولهم بالمغرب وإقطاعه لكل من ابن من بنيه قطعة يسكنها. أنظر الحميري: الروض المعطار: 544.

⁽⁴⁾ رسائل موحدية، 1/ 22-23.

⁽⁵⁾ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر 8/ 311.

⁽⁶⁾ رسائل موحدية، 1/ 22-23.

9- السيد أبو حفص بن عبد المؤمن:

هو أبو حفص عمر بن عبد المؤمن، شقيق يوسف، أمهما صفية بنت أبي عمران، وحسب رواية البيهقي أن أمهما أمة أهداها إليه ابن الوزير، ولدا في عام واحد، حيث حملت به أمه وهي في البحر ووضعته في قادس⁽¹⁾، وواه أبوه تلمسان وأحوازها سنة 549/1154م بعد عودة عبد المؤمن من فتح بجاية بصحبة أبا محمد عبد الحق، والكاتب الفقيه عبد الملك بن عياش⁽²⁾، استوزره أبوه بعد وفاة أبو محمد عبد السلام بن محمد⁽³⁾ سنة 555/1160م⁽⁴⁾، نسب إليه صاحب المن إنشاء

رسالة رقم 15 من مجموع رسائل موحدية مجموعة جديدة، حول مقتل زعيم غمارة حيث قال: "وكتب السيد الأعلى أبو حفص عن نفسه..."⁽⁵⁾.

وهذا لا يعني أنه لم يتخذ كتاب خصوصيين بل كتب له عبد الملك بن عياش وهو في الأندلس، عندما ولاه أبوه تلمسان، وكتب له أيضا أبو القاسم محمد بن إبراهيم بن المراعي إلى أن توفي سنة 564/1168م⁽⁶⁾.

10- أحمد بن محمد:

اكتفى ابن صاحب الصلاة بذكره "أحمد بن محمد" فلم يذكر له نسبا ولا لقبا، فهو منشئ الرسالة الموجهة إلى الخليفة يوسف بتجديد البيعة له من طرف أهل إشبيلية سنة 563/1167م عند اتخاذه لقب الخلافة⁽⁷⁾، فهي الرسالة رقم 17 من مجموع رسائل

⁽¹⁾ أبو بكر علي الصنهاجي المكنى بالبيهقي: كتاب أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق وتقديم وتعليق: عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975م، ص 138.

⁽²⁾ ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس، (الرباط: صور للطباعة والوراقة، 1972م)، ص 194.

⁽³⁾ ابن صاحب الصلاة: المن، ص 156-157.

⁽⁴⁾ ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 199-200؛ ورسائل موحدية- جديدة-، (الغراوي)، 23/1.

⁽⁵⁾ ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 194.

⁽⁶⁾ رسائل موحدية، 23/1.

⁽⁷⁾ ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 258.

الفصل الأول: الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

موحدية⁽⁸⁾، ورجح أنه أبو العباس أحمد بن مقدم الرعيني الاشبيلي⁽⁹⁾، ولد سنة 516هـ/1122م وقيل سنة 512هـ/1118م، تعلم على يد مجموعة من الشيوخ منهم أبو عمر بن صالح وأبو القاسم بن الرماك، وعلي بن مسلم وغيرهم. وصفه صاحب جذوة الإقتباس بأنه كان مقرئاً زاهداً نبيها حافظاً...⁽¹⁾، كان مع الوفد الذي بايع عبد المؤمن بمراكش سنة 542هـ/1147م⁽²⁾، توفي سنة 564هـ/1168م⁽³⁾.

11 - ابن صادق:

ذكره ابن صاحب الصلاة مرة واحدة بهذه الكنية، نسبت إليه الرسالة التي كتبها عن والي قرطبة السيد أبي إسحاق بن عبد المؤمن إلى والي غرناطة الشيخ أبي عبد الله، فهي رسالة مؤرخة برمضان سنة 564هـ/1168م، وهي الرسالة رقم 26 من مجموع الرسائل الموحدية، يخبره فيها بأن ابن همشك دخل في طاعة الدولة الموحدية⁽⁴⁾.

12 - أبو الحسن بن زيد الإشبيلي:

هو أبو الحسن علي بن زيد النجار الكاتب من أهل إشبيلية⁽⁵⁾، سماه صاحب الذيل بعلي بن زيد الأنصاري أبو الحسن له إجازة من أبي الطاهر السلفي⁽⁶⁾، كتب عن الخليفة يوسف بعد وفاة أبو الحسن عبد الملك بن عياش سنة 568هـ/1172م⁽⁷⁾، فهو نبيل وبارع في الأدب⁽⁸⁾، كانت

⁽⁸⁾ رسائل موحدية، 23/1، 110.

⁽⁹⁾ المصدر نفسه، 23 / 1.

⁽¹⁾ أحمد بن القاضي الكناسي: جذوة الإقتباس، ص 144؛ وابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر 1 / 384 - 385.

⁽²⁾ رسائل موحدية، 23/1.

⁽³⁾ أحمد بن القاضي الكناسي: المصدر السابق، ص 144.

⁽⁴⁾ ابن صاحب الصلاة: المن، ص 304 - 305؛ ورسائل موحدية - جديدة -، (الغزوي)، 23 / 1، 127 - 128.

⁽⁵⁾ أبو عبد الله محمد بن الآبار القضاعي البنسي: المقتضب من تحفة القادم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة: دار الكتاب المصري، 3 ط، 1989م)، ص 108.

⁽⁶⁾ ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 304 - 305؛ ورسائل موحدية، 23 / 1، 127 - 128.

⁽⁷⁾ ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر 5 / 214.

⁽⁸⁾ ابن الآبار: المصدر السابق، ص 108.

الفصل الأول: الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

وفاته بسبب الطاعون الذي نزل بمدينة مراكش، حسب رواية ابن عذاري توفي سنة 1175/هـ 571م⁽⁹⁾، بينما ابن الآبار يرى أنه توفي في صفر من سنة 1176/هـ 572م⁽¹⁰⁾.

كتب عن الخليفة يوسف رسالتان بإشبيلية الأولى حول انتصار فرقة موحدية على جماعة فرسان آبله في فحص هلال، وهي مؤرخة بـ 24 شعبان سنة 1172/هـ 568م، وهي الرسالة رقم 27 من المجموعة الجديدة⁽¹⁾، والثانية كتبها حول عقد الهدنة مع بعض الممالك النصرانية الاسبانية في مطلع سنة 1173/هـ 569م ورقمها 29 من المجموعة الجديدة⁽²⁾.

13 - أبو الحكم بن محمد العزيز ابن المرخي⁽³⁾:

هو علي بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي أبو الحكم من أهل إشبيلية، ولد سنة 1125/هـ 519م⁽⁴⁾، أبوه أبو بكر كان من بيت علم وجلالة⁽⁵⁾، سكن أبوه قرطبة⁽⁶⁾، أما علي فقد سكن إشبيلية ومراكش⁽⁷⁾ ولى خطة الكتابة بمراكش، وكان كاتباً بليغاً⁽⁸⁾ كتب عن أبي يعقوب بن عبد المؤمن سنة 1172/هـ 568م رسالة حول معركة فحص هلال، ورسالة أخرى سنة 1180/هـ 576م حول إعادة فتح قفصة⁽⁹⁾، وحسب رواية المراكشي فإن أبا يعقوب يوسف أبعدته عن الكتابة حيث قال: "... كتب عن أبي يعقوب بن عبد المؤمن زماناً، ثم إن أبا يعقوب خيم بظاهر إشبيلية في غزواته ونهى أهل محله كلهم عن الدخول إلى إشبيلية، فدخل إليها أبو

⁽⁹⁾ أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيبي الإشبيلي: برنامج شيوخ الرعيبي، تحقيق: إبراهيم شيوخ، (دمشق: مطبوعات إحياء التراث القديم، 1962م)، ص 27.

⁽¹⁰⁾ ابن عذاري: البيان، 3/ 136-137.

⁽¹⁾ رسائل موحدية - جديدة -، (الزاوي)، 1/ 24، 140-143.

⁽²⁾ المصدر نفسه، 1/ 24، 130-134.

⁽³⁾ عند أهل النحو بفتح الحاء، أصلهم من شرانة، وهي قرية من قرى شريش شذونة. أنظر ابن دحية: المطرب، ص 209.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه، ص 209؛ ورسائل موحدية، 1/ 24.

⁽⁵⁾ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر 5/ 312.

⁽⁶⁾ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي أحمد بن عثمان الذهبي: المستملح من كتاب التكملة، تحقيق بشار عواد معروف، (دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2008م)، ص 317.

⁽⁷⁾ ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر 5/ 312.

⁽⁸⁾ الذهبي: المصدر السابق، ص 317.

⁽⁹⁾ رسائل موحدية، 1/ 24-25.

الفصل الأول: الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

الحكم هذا فهجره أبو يعقوب ثم أقصاه ولم يعده بعد إلى الكتابة، وذلك في سنة...⁽¹⁰⁾، توفي أبو الحكم بمراكش سنة 584/1188م⁽¹¹⁾.

14 - أبو علي بن نارار:

لم نعثر على ترجمة لهذا الكاتب في كتب التراجم التي تمكنا من فحصها، نسبت إليه الرسالة

رقم 31 من رسائل موحدية جديدة، وهي نفس الرسالة رقم 20 في مجموع بروفنصال⁽¹⁾، كتبها عن الخليفة يوسف بعد إعادة فتح مدينة قفصة على يد الخليفة يوسف في أواخر رجب سنة 576/1180م⁽²⁾.

15 - أبو الحسن القلبي:

علي بن يحيى بن سعيد بن مسعود بن سهل الأنصاري التلمساني، قلبي⁽³⁾ الأصل⁽⁴⁾، أخذ عن أبي الحسن أبي قنون⁽⁵⁾، سكن تلمسان وتحول بالمغرب وسكن اشبيلية⁽⁶⁾، كان فقيها أدبيا حسن الخط، درس بجامع قرطبة زمانا⁽⁷⁾ كتب عن والي مرسية أبي محمد بن الخليفة يوسف، منها الرسالة التي كتبها عنه أثناء عودته الحملة الموحدية من حصار شنترين سنة 580/1184م⁽⁸⁾ والتي كتبها من ظاهر يابرة والمؤرخة ب21 ربيع الثاني سنة 580/1184م، وكتب رسالة

⁽¹⁰⁾ المصدر نفسه، 1/ الرسائل 28، 30؛ ومجموعة رسائل موحدية، (ليفي)، الرسالة 20.

⁽¹¹⁾ ابن دحية: المصدر السابق، ص 209؛ ورسائل موحدية، 1/ 25.

⁽¹⁾ مجموع رسائل موحدية، (ليفي)، ص 99.

⁽²⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزاوي)، 1/ 25، 150-160.

⁽³⁾ قلنة: حصن من حصون البَطْلِيُّوسِيَّة. أنظر ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب: تحقيق: شوقي ضيف، (القاهرة: دار المعارف، ط4، 2009م)، 1/ 373.

⁽⁴⁾ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، سفر 8/ 213.

⁽⁵⁾ رسائل موحدية، 1/ 26.

⁽⁶⁾ أحمد بن القاضي المكتاسي: جذوة الإقتباس، ص 484.

⁽⁷⁾ ابن عبد الملك: المصدر السابق، سفر 8/ 213.

⁽⁸⁾ رسائل موحدية، 1/ 26، 167-172.

الفصل الأول: الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

أخرى عن طلبة مراكش وهي رسالة جوايية على رسالة المنصور التي تبشر بالنصر في الأرك⁽⁹⁾، وذهب العزاوي أن انتقال السيد أبي محمد إلى منصب الوزارة كان من أسباب انتقال الكاتب إلى مراكش، ولم يجد له إلا الرسالتين وتاريخ وفاته مجهول غير أنه كان حيا عند تأليف البلوي للطاء الجزيل فيما بين 610 - 613هـ/1213-1216م⁽¹⁰⁾.

16 - أبو الفضل بن طاهر بن محشرة:

أبو الفضل بن محمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي، اشتهر بابن محشرة، يكنى أبا الفضل وأبا العلى⁽¹⁾ البجائي الأشيري، ولد سنة 540هـ/1145م أو قبلها بيسير⁽²⁾، كان أبوه قاضيا بجاية، استدعاه الخليفة أبو يعقوب يوسف ليتولى الكتابة مكره⁽³⁾، خلفا للمالقي⁽⁴⁾، كما كتب عن الخليفة يعقوب بن يوسف، وكتب بعده عن ابنه الناصر⁽⁵⁾، فهو صاحب الرسائل التي كتبها عن الخليفين يوسف ويعقوب والتي يتراوح تاريخها بين شوال 576هـ/1180م وجمادى الثانية سنة 586هـ/1190م⁽⁶⁾، توفي سنة 598هـ/1201م⁽⁷⁾.

هو كاتب بارع فقيه جليل⁽⁸⁾، ولعل أهم رسائله تلك التي كتبها عن يعقوب إلى طلبة مراكش، يصف انتصاره في قفصة والتي كانت تعد مثالا للبلاغة في عصر يعقوب⁽⁹⁾ ويرجح

⁽⁹⁾ المصدر نفسه، 1/ 26.

⁽¹⁰⁾ نفسه، 1/ 26.

⁽¹⁾ أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بجاية، حققه وعلق عليه: عادل نويهص، (بيروت: منشورات دار الأفاق الجديدة، ط2، 1979م)، ص53.

⁽²⁾ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، سفر 8/ 260؛ وبغدد غربي: خطة الكتابة على عهد الموحدين، ص145.

⁽³⁾ الحسن الشاهدي: "تاريخ الموحدين ومذهبهم من خلال رسائل موحدية"، مجلة دعوة الحق (الرباط)، ع3/ 1980، ص104.

⁽⁴⁾ الغبريني: المصدر السابق، ص53.

⁽⁵⁾ ابن عبد الملك: المصدر السابق، سفر8/ 260.

⁽⁶⁾ رسائل موحدية - جديدة -، (العزاوي)، 1/ 26.

⁽⁷⁾ ابن عبد الملك: المصدر السابق، سفر8/ 260؛ والغبريني: المصدر السابق، ص53.

⁽⁸⁾ الغبريني: المصدر السابق، ص53.

⁽⁹⁾ الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ص104.

الفصل الأول:.....الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

العزاوي الرسالة رقم 35 من مجموع رسائل موحدية المؤرخة برمضان 582/1186م قد تكون من إنشائه⁽¹⁰⁾.

17- أبو بجر بن صفوان بن إدريس:

هو صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمان بن عيسى بن إدريس التحجبي المرسي، أبو بجر⁽¹¹⁾، ولد سنة 560/1164م أو سنة 561/1165م بمرسية، أخذ عن أبي القاسم حبيش وأبي عبد الله بن حميد، وسمع عن أبي العباس بن مضاء صحيح مسلم وغيرهم⁽¹²⁾، أقام بمالقة مدة ثم انتقل إلى مراكش⁽¹⁾. يوصف بأنه "الكاتب البليغ، كان من جلة الأدباء وأعيان الرؤساء، فصيحاً، جليل القدر، له رسائل بديعة، وكان من الفضل والدين بمكان..."⁽²⁾، توفي وله سبعة وثلاثون سنة ليلة الاثنين 16 من شوال سنة 598/1201م وتكلمه أبوه وصلى عليه⁽³⁾.

من أشهر رسائله الأدبية رسالته "شرك العقول" كتبها سنة 582/1186م إلى بعض إخوانه بمرسية، عندما انتقل مع أبيه إلى شاطبة قاضيا، وهذه الرسالة هي التي جعلت السيد عبد الرحمان بن الخليفة يوسف يستكتبه وهو وال بمرسية فكتب عنه رسالة إلى ملك قشتالة مؤرخة بمنتصف ذي القعدة سنة 584/1188م، ولكنه في سنة 586/1190م غادر مراكش إلى مرسية فكتب رسالته "عنوان التصريح"، وجمع ما كتبه من شعر ونثر في كتاب سماه "عجالة

⁽¹⁰⁾ رسائل موحدية، 1/ 26، 173-175.

⁽¹¹⁾ المقرئ: نفح الطيب، 5/ 62.

⁽¹²⁾ ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، (مجريط: مطبعة ريوخس، 1886 م)، 1/ 55.

⁽¹⁾ أبو عبد الله بن عسكر وأبو بكر بن خميس: أعلام مالقة: تقديم وتخريج وتعليق: عبد الله المرابطي الترغي، (دار الغرب الإسلامي، ط1، 1999م)، ص 213.

⁽²⁾ محمد شاعر الكتي: فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، د.ت.، 2/ 118)؛ وصالح الدين خليل بن أيك الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط تركي مصطفى، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2000م)، 16/ 186.

⁽³⁾ المقرئ: نفح الطيب، 5/ 70؛ والكتبي: المصدر السابق، 2/ 118؛ والصفدي: المصدر السابق، 16/ 186؛ والذهبي:

المستملح من كتاب التكملة، ص 187؛ والغرناطي: صلة الصلة، 2/ 62.

الفصل الأول: الرسائل الديوانية خاصتها ومميزاتها

المتحفز وبداهة المستوفز"⁽⁴⁾، وكتاب " زاد المسافر" وهو الذي عارضه ابن الآبار بكتاب " تحفة القادم"⁽⁵⁾.

قال ابن سعيد: "... وساد عند منصور بني عبد المؤمن، واشتهر عنه قصد حضرة مراکش ومدح أعيانها فلم يحصل منهم على طائل فأقسم ألا يعود لمدح أحد منهم وقصر أمداحه على آل البيت...، فرأى المنصور في منامه النبي صلى الله عليه وسلم يشفع له فيه وسماه له فيه وسماه له، فقام المنصور وسأل عنه فعرف قصته، فأغناه عن الخلق من يومئذ..."⁽⁶⁾.

18 - أبو محمد الله بن عياش:

هو محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن عبد الله بن عياش التجيبي، يكنى أبا عبد الله، برشاني سرقسطي الأصل ولد ببلدة برشانة⁽⁷⁾ سنة 550هـ/1155م، وبها نشأ، سكن مراکش⁽¹⁾، كان في بداية أمره خادماً للرشييد أبا حفص بن الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن أثناء ولايته بمرسية، فلما قتل المنصور وأخاه الرشييد طلب أصحابه، فكان ابن عياش في حملتهم فاحتفى مدة عفا عنه المنصور فكتب عنه سنة 586هـ/1190م ثم عن ابنه الناصر ثم عن المستنصر بن الناصر⁽²⁾.

كان معظماً عند الملوك⁽³⁾، قال عنه ابن الآبار: "... واتصلت نباهته وخطوته أزيد من ثلاثين سنة واستعمل أبناءه معه وبعده..."⁽⁴⁾، توفي بمراكش في شهر رجب عام ثمانية عشرة وستمائة⁽⁵⁾، وقيل في جمادى الثانية⁽⁶⁾. أنشأ مجموعة من الرسائل منها:

⁽⁴⁾ رسائل موحديّة - جديدة-، (الغزوي)، 1/ 27.

⁽⁵⁾ الصفدي: المصدر السابق، 16/ 186.

⁽⁶⁾ ابن سعيد: المغرب، 2/ 361.

⁽⁷⁾ من أعمال المرية من بلاد الأندلس. أنظر عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 338.

⁽¹⁾ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، سفر 6/ 384 - 387.

⁽²⁾ ابن سعيد: المغرب، 2/ 282، عبد الواحد المراكشي: المعجب، سفر 6/ 385.

⁽³⁾ ابن عسكرو: أعلام مالقة، ص 157.

⁽⁴⁾ ابن الآبار: إعتاب الكتاب، ص 230.

⁽⁵⁾ ابن عسكرو: المصدر السابق، 157.

⁽⁶⁾ رسائل موحديّة - جديدة-، (الغزوي)، 1/ 28.

الفصل الأول: الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

- في مجموع رسائل موحدية نشرها ليفي بروفنصال:
- الرسالة رقم 35 عن الأمير يعقوب إلى طلبة فاس يخبرهم بغزوته على الروم.
- الرسالة رقم 36 عن الأمير محمد الناصر الموحي مخبرا عن استيلاء الموحدون على يابسة ومنورقة وميورقة.
- الرسالة رقم 37 عن الأمير محمد الناصر الموحي مخبرا عن غزوته على إفريقية وحصاره للمهدية.
- في المجموعة الجديدة تحقيق العزاوي، وهي:
- الرسالة رقم 43 حول نكبة ابن رشد والرسالة رقم 57 حول إعادة فتح المهدية.
- الرسالة رقم 67 تتحدث عن فتح شلبطرة، والرسالة رقم 68 والتي حملت في طياتها أخبار عن هزيمة العقاب.
- الرسالة رقم 96 حول استدعاء جند كومية من الأندلس، والرسالة رقم 97 حول مقتل تائر جزولة.
- والرسالتان رقم 105 مكرر، وهي عبارة عن ظهير عن المستنصر إلى رهبان بوبلات، والرسالة رقم 106 عن المستنصر حول الأوامر التي تقدمها عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- الرسالة رقم 105 بشأن تعيين وال جديد لاشبيلية، وغيرها⁽¹⁾.

19- أبو الحسن بن وضاح:

ذهب العزاوي أن هذا الاسم غير محدد، فأوله كنيته والثاني ليس خاصا بشخص معين، فابن الوضاح كثيرون⁽²⁾، جدهم وضاح من أهل مرسية⁽³⁾، وصف بالفقيه، وينسب إليه إنشاء

(1) المصدر نفسه، 28 / 1.

(2) نفسه، 29 / 1.

(3) أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي: بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، (دار الكتاب العربي، 1967م)، ص

191 - 192.

الفصل الأول:.....الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

رسالة عن طلبة إشبيلية إلى الخليفة المنصور، وهي غير مؤرخة لكن العزاوي رجح تاريخها ما بين 1192/588م و1198/595م⁽⁴⁾.

20- أبو الربيع سليمان الموحدي:

هو سليمان بن عبد المؤمن بن علي أبو الربيع القيسي⁽⁵⁾ وولاه أبوه علي بلنسية⁽⁶⁾، ولى سجلماسة وأعمالها لابن عمه السلطان يعقوب بن يوسف، وصف بأنه: " كان شيخا بهي المنظر حسن المخبر، فصيح العبارة باللغتين، كان يملي على كتابه الرسائل الصنعة بغير توقف ويخترع بلا تكلف، توفي سنة 1213/610م⁽⁷⁾، وقيل سنة 1207/604م⁽⁸⁾.

تولى بحماية قبل سجلماسة بعد أبو موسى عيسى وبعد أن استولى عليها ابن غانية سنة 1184/580م، انتقل منها إلى ولاية تلمسان، وله ديوان شعر جمعه كاتبه محمد بن ربه وسماه " نظم العقود"⁽⁹⁾.

21- أبو بكر بن عيسى:

هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عيسى بن محمد بن عيسى بن إسماعيل بن عيسى... ابن حجاج اللخمي، اشبيلي سكن مراكش، استقضاه المعتضد من بني عبد المؤمن بعد أبي إسحاق المكادي، ثم المرتضى بعد أبي عبد الله محمد بن يحيى الخطيب، عرف بالعدل وإنصاف المظلوم، توفي يوم الثلاثاء عشرة من شعبان سنة 1156/654م⁽¹⁾، لم يتأكد العزاوي من ترجمة هذا الكاتب، وصفه البلوي بأنه: " الفقيه الأديب الكاتب الحسيب الحميد الأوصاف المشكور التحقيق

⁽⁴⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (العزاوي)، 1/ 29 .

⁽⁵⁾ الصفدي: الوافي بالوفيات، 6/ 396.

⁽⁶⁾ ابن مغاور الشاطبي: حياته وآثاره، (ابن شريفة)، ص 191-192. تقع بلنسية في شرق الأندلس بينها وبين قرطبة جهة قرطبة ستة عشرة يوما وعلى جهة الحادة ثلاثة عشرة يوما، تعتبر قاعدة من قواعد الأندلس، استولى عليها الروم صلحا سنة 630هـ. أنظر الحميري: الروض المعطار، ص 97.

⁽⁷⁾ الصفدي: المصدر السابق، ص 396.

⁽⁸⁾ رسائل موحدية، 1/ 29.

⁽⁹⁾ عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، (الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، د.ت)، 2/ 67.

⁽¹⁾ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر 6/ 19.

الفصل الأول:.....الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

والإنصاف السابق في حلبة العقلاء، المقدم في علية الإخوان الفضلاء، أبي بكر بن عيسى أدام الله كرامته"⁽²⁾.

نسبت إليه الرسالة رقم 54 من المجموعة الجديدة، وهي مبتورة من طلبة اشبيلية إلى الخليفة وهي رسالة جوابية⁽³⁾ للناصر بعد أن وجه يبشرى النصر إلى الولايات بواسطة رسالته التي كتبها ابن عياش، فأجابه والي اشبيلية بواسطة هذه الرسالة⁽⁴⁾.

22- أبو محمد بن حامد:

أبو عبد الله بن حامد بن يحيى بن سليمان بن أبي حامد المعافري مرسى صحب أبا بحر بن صفوان بن إدريس⁽⁵⁾ وتبادلا الأشعار⁽⁶⁾ تعلم اللغة العربية عند أبي الحسن بن الشريك⁽⁷⁾، كتب للخليفة العادل دخل معه اشبيلية عندما فتحها وتوفي بعد انصرافه عن اشبيلية في آخر سنة 621/1224م⁽¹⁾، وصفه صاحب الذيل بأنه كان كاتباً بليغاً من رجالات وجاهة وجلالة، وإليه كانت رياسته⁽²⁾، نسب إليه إنشاء رسالة جوابية على رسالة الخليفة الناصر يوضح فيها المسؤولين عن الحملة رغبة أشياخ العرب المتمثلة في أن الخليفة لا يجرمهم من العطاءات⁽³⁾.

23- أبو الحسن بن الفضل:

⁽²⁾ رسائل موحدية، - جديدة-، (الغزوي)، 29 / 1.

⁽³⁾ المصدر نفسه، 29 / 1.

⁽⁴⁾ نفسه، 292 / 1.

⁽⁵⁾ ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر 4/190.

⁽⁶⁾ قال أبو بحر بن صفوان: ما شئت الوزير الكاتب أبا محمد بن حامد يوماً، فاتفق أن قال لأمر تذكره:

بين الكتيب ومنبت السُّدْر ريم غدا متواه في صدري
فقلت أجيزه:

لو شاحه قَلْمُ بلا ألم ولقُرْطِه خَفَقُ بلا دُعْرٍ
لو كنت قد أنصفت مقلته برأت هاروتا من السحر
أو كنت قد أفضى حق مرشفه أعرضت لا ورعا عن الخمر
المقري: نفتح الطيب، 6 / 72.

⁽⁷⁾ ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر 4 / 190.

⁽¹⁾ ابن سعيد: المغرب، 2 / 256.

⁽²⁾ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر 4 / 190.

⁽³⁾ رسائل موحدية- جديدة-، (الغزوي)، 1 / 30.

الفصل الأول:.....الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

هو أبو الحسن علي بن محمد بن الفضل المعافري⁽⁴⁾، أصله من أريولة لكنه نشأ بمالقة⁽⁵⁾ سكن اشبيلية فصار من أعيانها عاش في نعيم لا يحد ولا يعد⁽⁶⁾ ولي بها خطة الزكاة والمواريث⁽⁷⁾. لقد كان معدودا في جلة الأدباء ومحسوبا في علية الشعراء⁽⁸⁾، كان بينه وبين أدباء عصره مكاتبات منهم أبو بجر بن صفوان بن إدريس⁽⁹⁾ عندما بويع المأمون بالخلافة باشبيلية مدحه بقصيدة⁽¹⁰⁾ لم يرض المأمون عن مطلعها " خدمتك السيوف والأقلام"⁽¹¹⁾، توفي في ربيع الأول عام 1229/هـ627م⁽¹²⁾، وهو ابن أربع وستين سنة⁽¹³⁾.

نسب إليه إنشاء تقديم عن والي اشبيلية إلى الولايات الأندلسية مع رسالة الناصر المبشرة بالناصر على شقي ميورقة، وضح العزاوي أنها قد تكون تقدما للرسالة الأخيرة في مجموع رسائل موحدية - بروفنصال-، والتي هي رسالة خليفة عامة موجهة إلى سائر عواصم ولايات الدولة⁽¹⁴⁾.

24- أبو القاسم عبد الرحمان بن محذرة:

هو عبد الرحمان بن عمر بن عبد الرحمان بن عمر ابن عبد العزيز بن عذرة الأنصاري، يكنى أبا القاسم من أهل الجزيرة الخضراء، روى عن أبيه أبو حفص وغيره⁽¹⁾، تولى أبو القاسم

⁽⁴⁾ ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر 5/ 376.

⁽⁵⁾ ابن عسكر: أعلام مالقة، ص 315.

⁽⁶⁾ ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى: اختصار القدرح المعلى في التاريخ الحلى، اختصره: أبو عبد الله بن خليل، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (دار الكتب الإسلامية، ط2، 1980م)، ص 108.

⁽⁷⁾ المصدر نفسه، ص 109.

⁽⁸⁾ ابن عسكر: المصدر السابق، ص 315.

⁽⁹⁾ ابن عبد الملك: المصدر السابق، سفر 5/ 376.

⁽¹⁰⁾ ابن سعيد: المغرب، 2/ 287.

⁽¹¹⁾ رسائل موحدية، 1/ 31.

⁽¹²⁾ ابن سعيد: اختصار القدرح، ص 110.

⁽¹³⁾ ابن عبد الملك: المصدر السابق، سفر 5/ 387.

⁽¹⁴⁾ رسائل موحدية، 1/ 240.

⁽¹⁾ الغرناطي: صلة الصلة، 3/ 144.

الفصل الأول: الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

القضاء ببلده، كان خطيباً، فهو صاحب شعر ونثر، توفي في 15 جمادى الثانية سنة 606هـ/1209م⁽²⁾.

لا تذكر المصادر اشتغاله بالكتابة، وقد نسبت إليه رسالة عن طلبة الجزيرة الخضراء إلى السيد أبي عمران بن أبي موسى بن الخليفة عبد المؤمن رقمها في المجموعة الجديدة 58⁽³⁾. وصف بجودة القرينة وحسن الاختيار، ولطافة المأخذ في كتبه، والتقدم في ذلك في وقته⁽⁴⁾.

25- أبو عبد الله بن نجيل:

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نجيل⁽⁵⁾، نقل من ديوان الأعمال إلى ديوان الرسائل، حيث استكتبه الشيخ أبو محمد بن باجة عندما تولى الإمارة بقصبة تونس في يوم السبت العاشر من شوال سنة 603هـ/1206م⁽⁶⁾، كانت له مكانة رفيعة وعالية لدى الأمير، تولى أعلى المراتب عنده⁽⁷⁾.

26- أبو القاسم البلوي:

هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن علي القضاعي البلوي، اشبيلي قرطبي السلف، كانوا يعرفون فيها ببني علي⁽⁸⁾، ولد أبو القاسم ليلة الأحد لأربع عشر ليلة بقيت من جمادى الثانية سنة 575هـ/1179م⁽⁹⁾، كتب وهو شاب لعديد من ولاة الأندلس بإشبيلية من آل عبد المؤمن كأبي زيد وأبي موسى عيسى المعروف بالعايد وهما ابنا عبد المؤمن وأبي عمران بن أبي موسى وغيرهم⁽¹⁾.

⁽²⁾ ابن الآبار: المقتضب، ص 153.

⁽³⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزاوي)، 1/ 244.

⁽⁴⁾ الغرناطي: المصدر السابق، 3/ 144.

⁽⁵⁾ عبد الرحمان ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1992م)، 6/ 230.

⁽⁶⁾ المصدر نفسه، 6/ 230.

⁽⁷⁾ رسائل موحدية، 1/ 31-32.

⁽⁸⁾ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر 1/ 453.

⁽⁹⁾ المصدر نفسه، السفر 1/ 457.

⁽¹⁾ نفسه، السفر 1/ 455.

الفصل الأول: الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

عزل الكتابة واشتغل في القضاء، ذكر بنفسه بأنه وجد على قضاء مريلة واسطبونة سنة 606هـ/1209م⁽²⁾، وفي عهد الناصر أو قبله جاء إلى مراکش، ولكنه توجه إلى عبد الله بن عبد العزيز بن عياش إلى أن عاد إلى الأندلس، وعاد إلى مراکش مع وفد أهل اشبيلية في عهد المعتضد بالله أبو الحسن سنة 640هـ/1242م⁽³⁾.

وفي آخر حياته، ساءت حالته الاجتماعية فانتقل إلى حاحة⁽⁴⁾ لتعليم العربية لمدة سبعة أشهر، عاد بعدها إلى مراکش ولكن ما زال على حاله، ولكن أبو عبد الله بن أبي بكر بن رشيد البغدادي كفله⁽⁵⁾، له عدة تصانيف أدبية منها: "المعطوف من تدقيق وضع الميزان لعلم العروض والأوزان" و"المطول" المعطوف من تحقيق العيان والمثال في غاية البيان". وله تصنيف آخر يعتبر من أحفل الموضوعات في فنه سماه "تشبيب الإبريز..."⁽⁶⁾، فهو تصنيف خاص بالرسائل ذكره العزاوي بـ "العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل"، صنفه حسب فنون الترسيل، وفي نهاية كل فن يصرح بأنه جمع رسائل كتابه فيما بين 610هـ - 613هـ/1213-1216م⁽⁷⁾.

27- أبو الميمون:

لم تتمكن من التوصل إلى معرفة الاسم الحقيقي لهذا الكاتب، اكتفى القلقشندي بتسمية أبو الميمون، حيث قال: "كما كتب أبو الميمون عن المستنصر بالله أحد خلفائهم إلى بعض نوابه، وقد نقض العهد على بعض المهادين من النصارى"⁽¹⁾، نسب إليه القلقشندي ثلاث رسائل: الأولى تحمل رقم 69 من مجموع رسائل موحدية وهي رسالة كتبها عن أحد الولاة إلى الخليفة

⁽²⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (العزاوي)، 1/ 31.

⁽³⁾ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر 1/ 457.

⁽⁴⁾ هي أحد أقاليم مملكة مراکش، بجدها شمالا وغربا المحيط الأطلسي، وجنوبا الأطلس، وشرقا نهر أسيف نوال الذي ينبع من جبال الأطلس. أنظر الحسن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983م)، ص 95-96.

⁽⁵⁾ ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر 1/ 459.

⁽⁶⁾ نفسه، السفر 1/ 455.

⁽⁷⁾ رسائل موحدية، 1/ 32.

⁽¹⁾ القلقشندي: صبح الأعشى، 6/ 546.

الفصل الأول:.....الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

الناصر⁽²⁾، والثانية تحمل رقم 83 من مجموع رسائل موحدية كتبها عن المستنصر إلى أحد الولاة بالأندلس لأنه نقض العهد على النصارى⁽³⁾، والثالثة كتبها جوابا حول تفحص أوال شقورة وهي الرسالة رقم 111 من المجموعة الجديدة.

28- أبو العباس بن جعفر:

نسبت إليه حوالي ثلاثين رسالة موحدية، جمعت بالقسم الأخير من مجموع المخطوط الخاص، وقد وصف جامع رسائله بـ: "ومن إنشاء شاعر هذا الزمان و كاتبه المستولي من الأدب النفيس على أبعد أماده وأرفع مراتبه، الآتي بعد الزمان نادرة من نوادره وأعجوبة من عجائبه الحامل أوقار الأشعار على عتاق خاطره الحافظ وكتائبه، وأحد الشعراء وإمامهم المقدم، وسابقهم الذي لو أدركه عنترة لم يقل قبل رؤيته، هل غادر الشعراء من متردم، شيخ البر المكل والبشر المتمم والفضيلة التي عودت لسانه ممدوح ونزهته عن كل مذمم، الشيخ الفقيه الزكي المرحوم أبو العباس بن جعفر وصل الله بره وإكرامه، ويسر في كل منتحى مراميه". لم تتمكن من معرفة ترجمة هذا الكاتب، ولكن العزاوي فرض بعض الفرضيات:

الافتراض الأول: هو أن يكون هو نفسه أبا القاسم البلوي استنادا إلى تشابه في مطلع رسالتين لهما وهما رقم 79 لابن جعفر ورقم 90 للبلوي، خاصة وأنهما كتبا معا عن والي اشبيلية السيد أبي إسحاق إبراهيم بن الخليفة يوسف حوالي 612هـ/1215م، غير أن البلوي لم يعرف اسمه جعفر، كما أنه لا يوصف في تراجمه بالشاعر والافتراض الثاني هو كونه أبو العباس بن جعفر الرعيني ولكن ترجمته غير واضحة⁽⁴⁾.

29- أبو المطرف بن حميرة:

(2) المصدر نفسه، 6/ 532-533؛ ورسائل موحدية - جديدة-، (العزاوي)، 1/ 33.

(3) نفسه، 6/ 446-447.

(4) رسائل موحدية، 1/ 33.

الفصل الأول:.....الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن أحمد بن عميرة المخزومي، ولد بجزيرة شقر⁽¹⁾ وقيل ببلنسية⁽²⁾ في رمضان سنة 582/1186م⁽³⁾، كان أول طلبة العلم عند ابن عبد الملك أكثر من سماع

الحديث أخذه عن مشايخ أهله وتفنن في العلوم وبرع في الأدب. كتب عن الرئيس أبي جميل زيان ابن سعد ابن مردنيش وغيره من أمراء شرق الأندلس، انتقل إلى مراكش صحبة ركاب الرشيد أبي محمد عبد الواحد من سلا⁽⁴⁾ واستكتبه بمراكش ثم قلده بعدها قضاء بلد هلالنة من نظر مراكش الشرقي فتولاها قليلا ثم نقله إلى قضاء رباط الفتح⁽⁵⁾ وسلا وتولاها إلى أن توفي الرشيد وخلفه المعتضد بالله أبو الحسن علي فأقره عليهما مدة ثم نقله إلى قضاء مكناسة الزيتون لما قتل المعتضد اتجه من مكناسة إلى سبتة ثم اتجه إلى إفريقية فأستقضي بالأربس ثم نقل منها إلى قابس⁽⁶⁾، توفي ليلة الجمعة 20 ذو الحجة 658/1259م بتونس⁽⁷⁾، قيل عنه أنه عظيم الأندلس في الكتابة وفي فنون العلوم⁽⁸⁾.

30- أبو العلاء إدريس المأمون بن الخليفة المنصور:

(1) جزيرة بالأندلس، قريبة من شاطبة، بينها وبين بلنسية ثمانية عشرة يوما، وهي جزيرة جميلة المنظر كثيرة الشجر. أنظر الحميري: الروض المعطار، ص 349.

(2) تسمى بستان الأندلس، وهي على البحر، وفي شرقها مدينة طرطوشة. أنظر أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه: إسماعيل العربي، (بيروت: منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1970م)، ص 167.

(3) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، السفر1/ 150؛ والغبريني: عنوان الدراية، ص 301.

(4) اسمها العجمي شلة، تقع ببلاد المغرب، وهي مدينة أزلية، موقعها جميل غير بعيدة عن الرباط بأكثر من ميل ونصف، بينها وبين مراكش على الساحل تسع مراحل، نجد سلا القديمة سلا الحديثة. أنظر مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار- وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب ق6/ 12م-، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، (دار الشؤون الثقافية العامة، د.ت)، ص 140؛ والوزان: وصف إفريقيا، ص 207؛ والحميري: المصدر السابق، ص 319.

(5) بناها عبد المؤمن ثم أمها المنصور، يقابلها شمال النهر مدينة سلا. أنظر ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 138.

(6) ابن الخطيب: الإحاطة، 1/ 174-176؛ وابن الأبار: المقتضب، ص 197؛ والغبريني: المصدر السابق، ص 209.

(7) ابن عبد الملك: المصدر السابق، السفر1/ 179؛ وابن الخطيب: المصدر السابق، ص 180؛ والغبريني: المصدر السابق، ص 301.

(8) ابن سعيد: المغرب، 2/ 363.

الفصل الأول: الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

هو أبو العلاء إدريس المأمون بن أبي يوسف يعقوب المنصور بن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن⁽¹⁾، تولى مالقة وكانت ولايته فيها عظيمة ثم نقل إلى قرطبة ومنها إلى إشبيلية⁽²⁾، بويغ بإشبيلية يوم الخميس اثنين من شوال سنة 624هـ/1226م، دام حكمه خمس سنين وثلاثة أشهر، بدأت بخروجه على أخيه العادل ودخوله القصر عليه بمراكش⁽³⁾.

حاول محو آثار دولة الموحدين وتغيير رسمها فأزال اسم مهديها من الخطبة والسكة والمآذن وأنشأ في ذلك الرسالة 119 من المجموعة الجديدة، وعندما رفض الموحدون بيعته وبيعة أخيه كتب رسالة لأهل أندوجر وهي رسالة 113 من المجموعة الجديدة، توفي بواد أم الربيع 15 محرم عام 630هـ/1232م⁽⁴⁾، كما نسبت إليه رسالة أيضا تحمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي الرسالة رقم 118 من المجموعة الجديدة، إضافة إلى الرسائل التي أنشأها عنه كتابه منهم: أبو عبد الله محمد الأنصاري الغرناطي كاتبه أثناء ولايته، وكتب عنه أيضا منذ ولايته بمالقة أيام المستنصر إلى خلافته الكاتب أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن يخلفتن الفزازي⁽⁵⁾، وصفه صاحب الإحاطة أنه كان كاتباً أديباً فصيحاً بليغاً أديباً جواداً حازماً⁽⁶⁾.

31- أبو الحسن السرقسطي:

لم تتمكن من ترجمته سوى أنه كان يكتب عن أبي زكريا يحيى المعتصم بن الناصر وهي الرسالة رقم 117 من المجموعة الجديدة وجهها إلى الأمة مدافعا عن شرعيته في الخلافة لكي يتفرق الناس عن المأمون صاحب الأندلس⁽⁷⁾.

32- ابن عبدون المكناسي:

⁽¹⁾ ابن عذاري: البيان، 3/ 274.

⁽²⁾ ابن الخطيب: الإحاطة، 1/ 412.

⁽³⁾ ابن عذاري: المصدر السابق، 3/ 274؛ وأمبيروسيو هويني ميراندا: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، تعريب عبد الواحد أكيمير، (الدر البيضاء، ط1، 2004م)، ص 455.

⁽⁴⁾ ابن الخطيب: المصدر السابق، 1/ 412.

⁽⁵⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (العزوي)، 1/ 35.

⁽⁶⁾ ابن الخطيب: المصدر السابق، 1/ 410.

⁽⁷⁾ رسائل موحدية، 1/ 35.

الفصل الأول:.....الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

هو محمد ابن عبدون بن قاسم الخزرجي من أهل مكناسة، دخل مدينة فاس⁽¹⁾، وصفه صاحب الذخيرة السنية بأنه: " حائز قصب الساق في الشعر والكتابة"⁽²⁾، وقيل عنه أنه: " أديب وقته وشاعر عصره، توفي في العشر الأول من ذي القعدة سنة 1260/هـ 659م، وقيل سنة 1259/هـ 658م⁽³⁾.

عندما حاصرت قبائل فازاز مكناسة سنة 1231/هـ 629م، كتب عن أهلها استنجادا إلى الخليفة المأمون وهي الرسالة رقم 120 من المجموعة الجديدة، ونسبت إليه رسالة أخرى عن أهل مكناسة وهي رسالة تحديد البيعة للخليفة السعيد وهي الرسالة رقم 125 من المجموعة الجديدة⁽⁴⁾.

33- يحيى جامع التقاديم:

ذهب العزاوي أن التقاديم الموجودة في الخزانة الحسينية رقم 4752 تمتد من المأمون إلى عهد المرتضى، وظن أنه قد يكون أبا زكرياء يحيى الفزازي، أخو الكاتب الشهير أبي زيد يحيى الفزازي كاتب المأمون، وتبين له بعد ذلك أن أبا زكرياء هذا توفي في أول حركة المعتضد وهو في محلة الخليفة بتنسيفت قبل حركتها يوم 15 ذي الحجة سنة 1276/هـ 675م، بينما تمتد التقاديم إلى زمن المرتضى⁽⁵⁾.

أما الأستاذ البلغيثي برهن نتيجة وجود إشارات لشخصية يحيى في برنامج شيوخ الرعيبي لذا رجحها لسببين: الأول: إثبات صاحب هذا المصدر لمجموعات ترسيله التي كان يعنونها باسمه وأنه الجامع لها، وهذا الاسم يحمله مجموعة هو يحيى، وقد ذكره الناسخ في القسم الأول من المجموعة بقوله: " قال يحيى وفقه الله انتهى ما ألفيته من المکتوب في تقاديم الولاية في المجموع وفي المبيضات "

(1) أحمد بن القاضي المكناسي: جذوة الإقتباس، ص 285.

(2) علي بن أبي زرع الفاسي: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، (الرباط: دار المنصور، 1972م)، ص 11.

(3) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن غازي العثماني المكناسي: الروض المتهون في أخبار مكناسة الزيتون، (الرباط، 1952م)، ص 96.

(4) رسائل موحدية - جديدة-، (العزاوي)، 1/ 35.

(5) المصدر نفسه، 1/ 36.

الفصل الأول: الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها

والثاني معاصرته للفترة الموحدية الأخيرة التي تميزت بازدهار الحركة الأدبية، ثم معرفته لأساطين الكتابة في دواوين الدولة كالرعيبي الذي تولى الكتابة لخلفاء هذه الفترة⁽¹⁾.

فالبلغيثي يرى أنه⁽²⁾: هو يحيى بن إبراهيم الأصبحي الحكم كنيته أبو زكريا، والمعروف بالخوذج، ينسب إلى مدينة مرسية، لم يعرف تاريخ ميلاده ولا الشيوخ الذين تلقى عنهم، ولا تاريخ ومكان وفاته، وكل ما يعرف عنه أدرك المائة السابعة، وقد عاصر الرعيبي المترجم له واتصل به حسب اعتراف هذا الأخير " لقيته وعرض علي تواليفه"، ويؤكد أن أبا زكريا من أبناء العصر الموحدى الأخير ويصفه الرعيبي أنه: "قديم الإشتغال بالكتابة رائق الوراثة..."⁽³⁾.



وخلاصة القول أن الدولة الموحدية من الدول الإسلامية التي حاولت تنظيم إدارتها باتخاذها نظام الدواوين، خاصة ديوان الرسائل أو ديوان الإنشاء، فاختارت له كتاب أكفاء بلغاء، الذين أبدعوا نثر فني يتمتع بخصائص ومميزات فنية وأسلوبية وبلاغية، اتبعوا طرق وقواعد وأسس، وهي بمثابة مراسيم.

كانت كتبهم من حيث الافتتاح والاختتام، ومن حيث ذكر المكتوب عنه والمكتوب إليه ومن حيث البسملة والدعاء، ومن حيث الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة، والأشعار، فهذه القواعد لا يستطيع الكاتب أن يتجاوزها أثناء كتابته. ومن هنا يتضح لنا أن كاتب الرسائل كان يتمتع بمكانة رفيعة لدى السلطان، فهو اليد اليمنى له، فوظيفته من أرفع الوظائف.

(1) العلوي البلغيثي: "مجموع رسائل ديوانية موحدية..."، ص 164.

(2) المرجع نفسه، ص 161.

(3) الرعيبي: برنامج شيوخ الرعيبي، ص 165؛ والعلوي البلغيثي: المرجع السابق، ص 161.

الفصل الثاني: النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

أولاً: النظام السياسي

ثانياً: النظام العسكري

بعد استقرار الإسلام في المغرب أصبح إقليما إسلاميا تابعا للخلافة الإسلامية في المشرق، إلا أن البربر ثاروا على الخلافة وأعلنوا عن قيام إمارات بربرية، ولكنهم لم يتخذوا لقب الخليفة، بمجيء المرابطين وحد الكيان السياسي المغربي، إلا أنهم لم يدعوا بالخلفاء بل تسموا بأمراء المسلمين. ولما قامت الدولة الموحدية لم تعترف بالخلافة العباسية، بل أعلنت عن خلافة جديدة، اتبعت سياسة داخلية محكمة مرتكزة على أجهزة إدارية وعسكرية قوية.

أولاً- النظام السياسي:

اتبعت الدولة الموحدية نظاما سياسيا محكما من أجل السيطرة على كامل أقاليمها، حيث اتخذت نمطين من الإدارة محلية ومركزية.

أ- الإدارة المركزية:

نظمت الدولة الموحدية الإدارة المركزية تنظيما دقيقا بداية من الخليفة ثم أهل الجماعة والوزراء.

1- الخليفة:

1-1- الخلافة الموحدية:

لم يعترف الموحدون بالخلافة⁽¹⁾ العباسية، بل اعتبروا أنفسهم أحق بالخلافة عن غيرهم، لأنهم أكثر المسلمين إيمانا واصحابهم مذهبا⁽²⁾، فمركز الخلافة مراکش وليس بغداد، لعدة أسباب منها:

الضعف السياسي الذي تعاناه الخلافة العباسية نتيجة التفكك والانقسام، هذا ما اكتشفه ابن تومرت أثناء رحلته إلى المشرق، مما جعله يحس بضرورة إنشاء خلافة إسلامية قوية متماسكة على أنقاض هذه الخلافة⁽¹⁾، إضافة إلى شساعة الرقعة الجغرافية الموحدية، حيث امتد نفوذهم من المحيط الأطلسي غربا إلى طرابلس شرقا مع خضوع الأندلس لسلطانهم، كل هذه المناطق الشاسعة جعلتهم يشعرون بقوة مركزهم مقارنة بمركز الخلافة ببغداد.

⁽¹⁾ لغة: جاء بعده فصار مكانه، خلفه والخليفة المستخلف: السلطان الأعظم. أنظر مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، (مصر: مكتبة الشروق، ط4، 2004م)، ص 251. الخليفة الذي يستخلف من قبله والجمع خلائف. أنظر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 2005م)، ص807. اصطلاحا: هي رئاسة عامة الناس في أمور الدين والدنيا نيابة عن النبي - صلى الله عليه وسلم-. أنظر حسين الحاج حسن: النظم الإسلامية، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1987م)، ص159.

⁽²⁾ موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية- التاريخ الإسلامي- الإسلام في المغرب وأوروبا-، (القاهرة: دار الفكر العربي، 2008م)، ص111.

⁽¹⁾ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص 55- 56.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

من خلال الرسائل الموحدية يتبين لنا أن للخليفة الموحدى مركزا دينيا ودينيويا مرموقا في الدولة الموحدية، هو السلطة العليا في البلاد، وهو الذي يشرف على الجيش ويقوم بعزل الموظفين وتعيينهم ويؤم الصلاة ويشرف على الحفلات الدينية، وله وحده القرار في صك النقود، يسأل الرعية عن عمل الولاية والموظفين ويتفقد أعمالهم أثناء الحملات أو الزيارات التي يقومون بها. قامت الدولة الموحدية في البداية على فكرة الإمامة والتوحيد، وبعد أن تولى عبد المؤمن السلطة تحولت الخلافة إلى حكم دنيوي⁽²⁾، وبقي اسم المهدي مقدس في الخطب والرسائل الرسمية بـ "الإمام المعصوم، المهدي المعلوم"⁽³⁾، استمر ذلك حتى عهد المنصور الذي بلغت الدولة في عهده أوجها، وظلت الخلافة الموحدية تقوم تحت لواء المهدي⁽⁴⁾، وأبقى على الشعار الذي تحمله الرسائل "الإمام المعصوم، المهدي المعلوم"⁽⁵⁾. إلا أن المأمون ألغى رسوم المهدي، ولكن الخليفة الرشيد تقرب مرة أخرى من أشياخ الموحدين، وأعادوا الرسوم السابقة إلى الخلافة الموحدية⁽⁶⁾.

1-2- اتخاذ لقب أمير المؤمنين:

عندما أقر المهدي بن تومرت عبد المؤمن بن علي على الجيش قال: " أنتم المؤمنين وهذا أميركم"، وبهذا لم يجد أتباع المهدي بن تومرت حرجا في أن يلقبوا عبد المؤمن بعد أن خلف المهدي، وتسمى بأمر المؤمنين، وخاصة أنه ينتسب إلى بيت النبوة⁽⁷⁾. انتحل عبد المؤمن اسم الخليفة لأنه كان خليفة المهدي، وسبب اتخاذه لقب أمير المؤمنين كونه الرئيس العسكري للموحدين.

(2) عنان: دولة الإسلام، 2/ 630.

(3) رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 1/ الرسائل 44، 62، 46، 64، 77، 83، 98، 100... .

(4) عنان: المرجع السابق، 2/ 630.

(5) مجموع رسائل موحدية، (ليني)، الرسائل 32-34-35.

(6) عنان: المرجع السابق، 2/ 631.

(7) عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 260؛ وحسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي-العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس 447-1055/656هـ-1258م-، (بيروت: دار الجيل- القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط14، 1996م)، 4/ 301-302.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

قال المقرئ: "... فاستخلف عبد المؤمن بن علي، فكان من استيلائه على مملكة اللمتونيين ما هو معروف ثم جاز إلى الأندلس...، ثم أخرج الإفرنج من مهدية إفريقية...، وتسمى بأمير المؤمنين"⁽¹⁾. وقال صاحب الحلل: "لقبه الموحدون بالخليفة أمير المؤمنين"⁽²⁾.

تفيدنا الرسائل الموحدية بأمتلة كثيرة منها: "من أمير⁽³⁾ المؤمنين بن أمير المؤمنين أيدهم الله تعالى بنصره، وأمدهم بمعونته..."⁽⁴⁾. إلا أن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن لم يتخذ لقب "أمير المؤمنين" في بداية الأمر، فلا زال يحتفظ بلقب "الأمير"، حيث جاء في رسالته التي وجهها إلى غرناطة حول إنهاء ثورة غمارة: "بسم الله الرحمان الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم تسليمًا والحمد لله وحده، من الأمير⁽⁵⁾ يوسف ابن أمير المؤمنين، أيده الله بنصره وأمده بمعونته..."⁽⁶⁾.

يذهب سعد زغلول أن⁽⁷⁾: يوسف لم يتخذ لقب "أمير المؤمنين" لمدة خمس سنوات لعدة أسباب منها: خلع الأخ الأكبر وتوقف الأخوين عبد الله (أبو محمد) وعثمان (أبو السعيد) عن بيعه يوسف من الأسباب التي جعلت يوسف لا يحمل لقب أمير المؤمنين خلال السنتين، لأنه لم يتحصل على مبايعة إخوته ومشايخ الموحدين، والاضطرابات المحلية بالعدوة المغربية وتهديدات الاسترداد التي وضعت العراقيل أمام يوسف للحصول على الإجماع لحمله لقب "أمير المؤمنين" لمدة ثلاث سنوات أخرى، والحقيقة أن يوسف كان يحمل فعلاً خلال الخمس سنوات هذه لقب

(1) نفتح الطيب، 4 / 377.

(2) لسان الدين بن الخطيب: الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، (تونس، 1329هـ)، ص 107.

(3) اسم الأمير وهو فعيل من الإمارة. أنظر عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، حققها وقدم لها وعلق عليها عبد السلام الشدادى، (الدار البيضاء، ط1، 2005م)، 1 / 382.

(4) رسائل موحدية - جديدة-، (الغزاوي)، 1 / 115.

(5) الرسالة التي قبل هذه الرسالة جاء فيها: "من أمير المؤمنين يوسف بن أمير المؤمنين...". أنظر رسائل موحدية، 1 / 94.

(6) المصدر نفسه، 1 / 98، 108-109.

(7) سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي - أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن 558-580هـ/1172-1184م، (الإسكندرية: منشأة المعارف، 2004م)، 6 / 24.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

"الأمير" فقط، وهو ما تؤكد رسالة أبو حفص وأبو سعيد حول هزيمة ابن مردنيش في موقعة الجلاب "والدعاء لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين... ثم لفرعه الأئمة... الأمير الأجل... أبو يعقوب" (8).

وبعد انتصار أبو يعقوب يوسف على ثورة سبع بن منخفاذ الغماري اتخذ رسمياً اللقب الخلافي " أمير المؤمنين" (1)، وتشير الرسائل :

"... على تجديد البيعة المباركة لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين أبي يعقوب بن أمير المؤمنين - خلد الله أمرهم وأعز نصرهم- بالاسم المبارك الكريم، الذي أول من دعي به الفاروق رضوان الله تعالى...". وذلك في جمادى الآخرة سنة 563هـ/1167م (2). " أن يجددوا البيعة المباركة لسيدنا ومولانا الإمام الخليفة أمير المؤمنين أبي يعقوب بن الخليفة أمير المؤمنين - جدد الله لهم السعود، وأمد لأمرهم العزيز التأيد الكريم والخلود بالاسم المبارك العظيم الذي أول من نطق له فيه عمر بن الخطاب، فأقر ذلك لنفسه لقباً واسماً، وسمة لمعنى الخلافة ورسماً... " (3).

لقد تمكن أبا يعقوب من التغلب بواسطة السياسة وعن طريق القوة على الصعوبات، واعترف به الجميع، وكان ذلك سنة 562هـ/1166م، ثم اتخذ لنفسه لقب "أمير المؤمنين"، بينما اكتفى في السابق بلقب "الأمير" (4). ذهب ابن صاحب الصلاة في أخبار سنة ثلاث وستين وخمسائة: " خبر تجديد البيعة فيها والاسمية بأمير المؤمنين لسيدنا الإمام أبي يعقوب بن الخليفة أمير المؤمنين رضي الله عنهم... " (5). مع زيادة انتشار الرسائل الرسمية في أغراض الدولة المختلفة حاول الخليفة يوسف إعطاء الرسالة الموحدية شكلها القانوني يتمثل في توقيع الخليفة ليس باسمه

(8) رسائل موحدية، 1/ 89-93.

(1) أحمد بن خالد الناصري السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى - الدولتان المرابطية والموحديّة، تحقيق محمد الناصري وجعفر الناصري، (الدار البيضاء: دار الكتاب، 1994م)، 2/99.

(2) رسائل موحدية، - جديدة-، (العزوي)، 1/ 111.

(3) المصدر نفسه، 1/ 112؛ ونفسه، 1/الرسائل 18، 19، 20.

(4) روجي لي تورني: حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني والثالث عشر، ترجمة: أحمد أمين الطيبي، (ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب، 1982م)، ص 80.

(5) المن بالإمامة، ص 258.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

لكن بخطه فقط وهذه الشارة تتمثل في كلمات " الحمد لله وحده"، واتخذ لها اسم العلامة، بمعنى العلامة المميزة للرسالة والدالة على صدورها من ديوان الحضرة ذاته دون غيرها⁽⁶⁾.

1-3- ألقاب الخلفاء:

يتضح من خلال الرسائل الديوانية أن خلفاء الدولة الموحدية لقبوا بعدة أسماء: فالخليفة

المهدي لقب بـ " الإمام المعصوم والمهدي المعلوم"⁽¹⁾، و"القائم إلى أمر الله"، و" الداعي إلى سبيل الله"⁽²⁾، وتلقب بعده عبد المؤمن " بأمير المؤمنين" سنة 527هـ/ 1132م، وسار مساره ابنه يوسف وحفيده المنصور"⁽³⁾ تلقبوا بالخلفاء باعتبارهم خلفاء المهدي⁽⁴⁾، كما استعملت ألقاب أخرى مثل: "سيدنا" و"مولانا" و"الحضرة السامية"⁽⁵⁾ و" المعظم الأسنى"⁽⁶⁾، أضاف الخلفاء الموحدون اسم يشمل على كلمة "الله" إلى ألقابهم مثل: "المستنصر بالله"⁽⁷⁾ و"المنصور الناصر لدين الله"⁽⁸⁾ و" الإمام الأعدل الخليفة الصالح المنصور بالله"⁽⁹⁾.

أما الأمراء من أسرة الخليفة كانوا يلقبون " بالسيد" و"السيد الأجل" مثل: "السيد الأجل الملك الأعدل"⁽¹⁰⁾ و"الأمير الأجل"، ويلقب رجال الدولة بـ"الشيخ"، مثل: "والأشياخ...ياشيبيلية"⁽¹¹⁾.

⁽⁶⁾ رسائل موحدية، 94 / 1؛ وابن عذاري: البيان، 94 / 3؛ وسعد زغلول: تاريخ المغرب، 83/6.

⁽¹⁾ المصدر نفسه، 94 / 1.

⁽²⁾ نفسه، 108/1؛ ومحمد ولد داداه: مفهوم الملك في المغرب - من انتصاف القرن السابع - دراسة في التاريخ السياسي، لبنان: دار الكتاب اللبناني، (القاهرة: دار الكتاب المصري، ط1، 1977م)، ص141.

⁽³⁾ نفسه، 110 / 1 - 115.

⁽⁴⁾ يوسف عابد: الموحدون في بلاد المغرب، 515-595هـ/ 1190 - 1199م - دراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية - أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي -، (قسنطينة: جامعة الأمير عبد القادر، السنة الجامعية: 2006 - 2007م)، ص 105.

⁽⁵⁾ رسائل موحدية - جديدة -، (الغزاوي)، 113 / 1.

⁽⁶⁾ المصدر نفسه، 83 / 1.

⁽⁷⁾ ابن عذاري: البيان، 268 / 3.

⁽⁸⁾ رسائل موحدية، 200 / 1.

⁽⁹⁾ المصدر نفسه، 113 / 1.

⁽¹⁰⁾ ابن مغاور: حياته وآثاره، (ابن شريفة)، ص 144.

⁽¹¹⁾ رسائل موحدية، 150 / 1.

1-4- طريقتة تولي خلفاء الموحدين الحكم:

عند مرض ابن تومرت جمع أهل الجماعة وأهل الخمسين وأخبرهم باختياره لعبد المؤمن خلفا له، وبويع عبد المؤمن بعد وفاته بيعتان بيعة خاصة وبيعة عامة، فأما البيعة الخاصة فكانت عقب وفاة ابن تومرت سنة 524هـ/ 1129م⁽¹²⁾ من طرف أهل الجماعة تنفيذا لوصية إمامهم⁽¹⁾، وعندما أعلن عن خبر وفاة المهدي سنة 527هـ/ 1132م⁽²⁾، تلقى عبد المؤمن بيعة عامة الموحدين وكانت البيعة ثلاثة أيام متوالية⁽³⁾، وأصبح عبد المؤمن أول خلفاء الموحدين⁽⁴⁾. وفي فترة حكم عبد المؤمن عهد بولاية العهد لابنه محمد⁽⁵⁾، وقد أشار عبد المؤمن في إحدى رسائله "وأعلموا أن محمدا وفقه الله هو الذي ارتضوه لحمل عبثهم وتخيره...، وانعقدت البيعة المذكورة باتفاق جميعنا"⁽⁶⁾، ثم صرفه عنها وولى مكانه يوسف الذي لعبت أسرته دورا بارزا في مبايعته، وكانت بيعته بمحضر أسرته وطبقات الموحدين والوزراء ورجال الدولة، ونتيجة الإجماع الذي جاءه من الموحدين في البيعة جعلت أخويه يبايعانه، وكان تجديده بيعة يوسف بن عبد المؤمن سنة 563هـ/ 1167م وتلقب "بأمير المؤمنين"⁽⁷⁾.

⁽¹²⁾ أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق: أخبار المهدي بن تومرت، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975م)، ص 80؛ وحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص 64.

⁽¹⁾ ابن خلدون: العبر، 6/ 270-271؛ ومحمد ولد داداه: مفهوم الملك، ص 151.

⁽²⁾ يذهب البعض أن مبايعته كانت سنة 526هـ. أنظر ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، 186.

⁽³⁾ سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي- الموحدون: مصامدة السوس الجباليون المرابطين تأسيس الدولة وقيامها- 500-558هـ/ 1100-1163م، (الإسكندرية: منشأة المعارف، 2003م)، 5/ 280.

⁽⁴⁾ يوسف عابد: الموحدون في بلاد المغرب، ص 105.

⁽⁵⁾ عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 306؛ وابن الأثير: الكامل، 9/ 408؛ وحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص

71- R.Bourouiba: **Le problème de la succession de Abd al- Mu' min** و **revue d'histoire et de civilisation du maghreb**, N° 13, 1976, p.26.

⁽⁶⁾ أحمد عزوي: قضايا تاريخية خلال العصرين الموحد والمربيني-دراسة وثائقية-، (عالم الفكر، ط1، 2010م)، ص 18.

⁽⁷⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (العزوي)، 1/ 110-115.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

ولكن الأمر اختلف بالنسبة لابنه يعقوب الملقب بالمنصور، حيث مات أبوه في ظروف حربية عند أسوار شنترين، كتم خبر وفاته حتى يحكم أمره لأن أباه مات ولم يوص لأحد، وعندما اطمأن المنصور من البيعة الخاصة أعلن خبر وفاة أبيه وتمت بيعته العامة سنة 580هـ/1184م⁽⁸⁾.

أما الناصر فقد تولى عقب وفاة والده سنة 595هـ/1198م، وكان أبوه قد عهد إليه في حياته، " عقد البيعة المباركة السعيدة الأولى بولاية العهد لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين أدام الله علو أمرهم وسمو ذكركم عن أهل قرطبة وأنظارها من الموحدين والعرب والأجناد وأصناف الرعية ... وذلك في العشر الأوائل من ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة"⁽⁹⁾، فما إن مات المنصور

حتى قام أحد أفراد الأسرة وأشياخ الموحدين وزعماء القبائل وهو أبو زيد عبد الرحمان بن عمر عبد المؤمن ثم تمت البيعة العامة سنة 595هـ/1198م⁽¹⁾.

لم يكن تجديد البيعة قاصرا على العاصمة وحدها بل تعدت إلى الأقاليم وهذا ما تعرضت له بعض الرسائل، جاءت من مختلف الأقاليم كشاطبة وبلنسية، كانت البيعة الأولى للموحدين من طرف أهل بلنسية عندما ثار أهلها على ابن مردنيش المؤرخة بتاريخ جمادى الثانية 548هـ/1153م " فقد كان منكم في أمر أهل بلنسية حين إعلانهم بكلمة التوحيد وتعلقهم بهذا الأمر السعيد"⁽²⁾. وفي سنة 567هـ/1171م قدم أهل شاطبة للخليفة يوسف البيعة⁽³⁾، كما قدموها للخليفة يعقوب سنة 580هـ/1184م بعد وفاة أبيه عقب غزوة شنترين وخرجت الرسائل إلى أنحاء المملكة تخبرهم بتولي المنصور الخلافة منها الرسالة التي بعثها الأمير يعقوب إلى الطلبة والموحدين ... بغرناطة،⁽⁴⁾ كما تقدم أهل سلا إلى الخليفة الرشيد ببيعة أهل تلمسان⁽⁵⁾.

⁽⁸⁾ بويغ له في حياة أبيه بأمر منه. أنظر المراكشي: المصدر السابق، ص336؛ وحسن علي حسن: المرجع السابق، ص 74.

⁽⁹⁾ رسائل موحدية، 1 / 191 - 195؛ وابن عذاري: البيان، ص 236.

⁽¹⁾ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص 75.

⁽²⁾ أحمد عزراوي: "ذيل على رسائل موحدية - قراءة تاريخية لرسائل شاطبية-"، مجلة دعوة الحق (الرباط)، ع 350/مارس 2000م، ص 102 - 103.

⁽³⁾ ابن مغاور: حياته وآثاره، (ابن شريفة)، ص 118.

⁽⁴⁾ مجموع رسائل موحدية، (ليفى)، ص 158 - 163؛ وأحمد عزراوي: المرجع السابق، ص 120 - 122.

⁽⁵⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (العزراوي)، 1 / 398.

ويتضح من الرسائل أن بيعة الأقاليم مازالت يتقدم بها أهلها إلى الخلفاء الموحدين، مثل ما فعل أهل دانية للخليفة الرشيد الموحد، حيث أشارت الرسالة أن دانية تراجع أميرها ابن مردنيش نحو مرسية التي ثارت على ابن الخطاب فحول ابن مردنيش بيعتها نحو الحفصيين بينما دانية بعثت برسالة إلى الخليفة الرشيد الموحد تعلن له فيها عن بيعتها للموحدين⁽⁶⁾. تشير بعض الرسائل إلى بيعة بعض القبائل للخليفة الرشيد في شهر محرم سنة 630/1232م⁽⁷⁾، وفي رسالة أخرى تلقى الرشيد بيعة أهل مكناسة⁽⁸⁾، كما أوردت لنا رسالة أخرى وهي رسالة انفرد بها ابن عميرة بيعة أهل تلمسان للخليفة المأمون⁽¹⁾.

والجدير بالذكر أن الخلفاء الموحدين كانوا يتقلدون الحكم بواسطة البيعة⁽²⁾: البيعة الخاصة تقدم للخليفة من طرف أسرته وحاشيته، وأما البيعة العامة فكانت تقدم من طرف الولاة وسكان مناطق الدولة. والهدف من ذلك هو إضفاء صفة الشرعية على الخلافة الموحدية، وتطبيق عليها سيرة الخلفاء الراشدين، وبعد تولي عبد المؤمن الخلافة سن لأول مرة وراثته الملك، حيث عين عبد المؤمن ابنه الأكبر محمد لولاية عهده إلا أنه أزاله وعين محله أخاه يوسف ثم تقلد الخلافة بعده ابنه يوسف يعقوب المنصور وبعده ابنه الناصر ثم ابنه يوسف المستنصر.

1-5- النزاع حول الخلافة:

لما توفي الخليفة المستنصر بالله⁽³⁾، تولى الخلافة عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن، بعد بيعته في مراكش يوم الأحد الثالث عشر لذي الحجة من سنة عشرين وستمائة⁽⁴⁾ خرج عليه ابن أخيه العادل بن المنصور بمرسية ببيع بها يوم الثلاثاء الثالث عشر صفر عام إحدى وعشرين

(6) رسائل ابن عميرة الديوانية، (الغزاوي)، ص 87.

(7) رسائل موحدية، 1/ 389-390.

(8) المصدر نفسه، 1/ 400.

(1) محمد بن معمر: "رسالة جوابية من أهل الرباط وسلا عن كتاب الخليفة الموحد الرشيد حول بيعة أهل تلمسان"، المجلة الجزائرية للمخطوطات (وهران)، ع 2 و3/ 2004-2005م، ص 30.

(2) كانت صيغة البيعة على ما يلي بحيث يتولى إلقاءها أحد الكتاب، وهي: "تبايعون أمير المؤمنين على ما بايع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من السمع والطاعة في المنشط والمكروه واليسر والعسر والنصح له ولولاته ولعامه المسلمين هذا ماله عليكم ولكم عليه أن يجرم بعوثكم وأن لا يدخر عنكم شيئا مما تعمكم مصلحته، وأن يجعل لكم عطاءكم، وأن لا يحتجب عنكم أعانكم الله على الوفاء، وأعانه على ماقلد من أموركم". أنظر حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص 76.

(3) رسائل موحدية: - جديدة-، (الغزاوي)، 1/ 380؛

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

وستمائة⁽⁵⁾ وقام أهل بننسية بمبايعة عبد الواحد⁽⁶⁾، وقتل العادل⁽⁷⁾.

وفي سنة 623هـ / 1226م خرج على العادل واليه على قرطبة أبو محمد عبد الله البياسي⁽⁸⁾، ومقتل العادل بايع الموحدون المأمون ابن المنصور، فلما خاف الأشياخ قوة شخصيته بايعوا يحيى بن الناصر⁽¹⁾، وظل كل منهما مدعياً للأمر، عاملاً على إحراز النصر على منافسه طوال خلافة المأمون وما يقرب من الأربعة أعوام من خلافة الرشيد (624-633هـ/1227-1236م). وفي عام 629هـ/1231م ظهر خليفة ثالث لما ادعى بالأمر السيد أبو موسى بن المنصور بسبته وتسمى بالمؤيد⁽²⁾، فلما حصره المأمون فر إلى ابن هود في الأندلس⁽³⁾.

ويمكن القول أن هذا النزاع أفقد الدولة الموحدية هيبتها، فأهملت الإدارة، وانتشرت الفتن، وقتل المجابي، واستبدت الولاة بولاياتهم عندما اندلعت نار الحروب الضارية بين بني عبد المؤمن.

2- المجالس الاستشارية:

بعد أن تكاثرت أتباع المهدي، كان من الضروري تشكيل جهاز تنظيمي يشمل على أهل الجماعة⁽⁴⁾ وأهل الخمسين وأهل السبعين.

2-1- أهل الجماعة أو أهل العشرة:

يشتمل على عشرة أشياخ⁽⁵⁾ عينهم المهدي من خيرة أصحابه والسابقين بالانضمام إليه⁽⁶⁾،

(4) ابن عذاري: البيان، 3/ 269؛ وابن خلدون: العبر، 6/ 299؛ وعلي محمد محمد الصلاي: إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين، (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، 2002م)، ص 169.

(5) ابن عذاري: المصدر السابق، 3/ 270.

(6) رسائل موحدية، 1/ 354.

(7) محمد الصلاي: المرجع السابق، ص 169.

(8) ابن عذاري: المصدر السابق، 3/ 271.

(1) رسائل موحدية - جديدة- (الغزاوي)، 1/ 381.

(2) ابن خلدون: العبر، 6/ 300.

(3) الصلاي: إعلام أهل العلم، ص 169.

(4) ينفرد كتاب الأنساب بتسميتهم "أهل الجماعة". أنظر أبو بكر بن علي الصنهاجي: المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، (الرباط: دار المنصور، 1971م)، ص 30.

(5) "الونشريسي وعمر أصناج، والخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن، وأبو يحيى أبو بكر بن يجيت، والأحسن بن علي، وعمر الهنتاتي، وفقهه من أهل إفريقية لم أذكر اسمه الآن، وسمي هؤلاء بالعشرة، هذا عند اليسع. وعشرة عند غير اليسع هم: عبد المؤمن بن علي، أبو محمد البشير، أبو إبراهيم الهزرجي، أبو حفص عمر بن علي الصنهاجي، أبو الربيع سليمان، أبو بن

الذين أقاموا في تينملل من شوال سنة 514هـ/1120م إلى سنة 515هـ/1121م⁽¹⁾.

2-2 - أهل الخمسين:

وهو مجلس يشمل على خمسين شخصا يمثلون مختلف القبائل منهم ستة من هرغة، وأربعة عشرة من تينملل وثلاثة من هنتاتة واثنان من جنفيسة وأربعة من صنهاجة، وثلاثة من هسكورة، وواحد من سائر القبائل، وخمسة من الغرباء⁽²⁾، ويضاف إليهم أصحاب العشرة⁽³⁾.

2-3 - أهل السبعين:

وهو مجلس يشتمل على سبعين رجلا يبدو أنه يضم زيادة على الخمسين السابقين عشرين من ممثلي قبائل أخرى⁽⁴⁾. ابن الأثير يشير إليهم بإشارة بقوله: "والثالثة: أيت سبعين، يعني أهل سبعين وهم سبعين وهم دون التي قبلها"⁽⁵⁾، أما ابن القطان فنفي وجود أهل السبعين في قوله:

الحضري، أبو عمران موسى، بن تمارا أبو يحيى أبو بكر بن يجيت، أبو عبد الله ابن سليمان، أبو حفص عمر بن يحيى وعاشرهم عبد الله بن ملوية". أنظر أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك المعروف بابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي مكى، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990م)، ص 125-128.

وعند البيذق الذين بايعوا المهدي هم: "الخليفة عبد المؤمن بن علي ثم أبو إبراهيم، ثم بعده عمر أصناج، ثم عبد الواحد الشرقي، ثم عبد الله بن محسن الونشريسى المكنى بالبشير، وبعده أبو موسى الصودي وبعده البيذق (الفقيه المؤلف) وبعده أبو محمد وسنار، وبعده عبد الله أهلاط، وبعده آغوال وبعده يبروك آيسيجين وميمون الصغير وميمون الكبير ويحيى المسمع، وعبد السلام آغى، ومسلم الجناوي، وكراز وملول بن إبراهيم وأولاده". أنظر أخبار المهدي بن تومرت، ص 63-64.

⁽⁶⁾ هشام أبو رملية: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، (عمان: دار الفرقان، ط1، 1984م)، 38؛ وسعد زغلول: تاريخ المغرب، 118/7؛ وعبد الحميد النجار: المهدي بن تومرت - حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب-، (دار الغرب الإسلامي، ط1، 1983م)، ص 116.

⁽¹⁾ أبو عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيبي القيرواني المعروف بابن دينار: كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، (مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1286هـ)، ص 109.

⁽²⁾ البيذق: المقتبس، ص 32-35؛ وسعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي- المنصور الموحدى- 580هـ-

590هـ/1184م-1199م-، (الإسكندرية: منشأة المعارف، 2005م)، 7/ 119؛ وعبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير- العصر الإسلامي دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية-، (بيروت: دار النهضة العربية، 1981م)، ص 779؛ وج.ف.ب. هوبكتر: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، نقله عن الإنجليزية: أمين توفيق طي، (الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع - المدارس-، 1999م)، ص 126؛ وجورج مارسية: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي خلال العصور الوسطى، ترجمة: محمد عبد الصمد هيكل، (الإسكندرية: منشأة المعارف، د.ت)، ص 296.

⁽³⁾ عبد الحميد النجار: المهدي بن تومرت، ص 116.

⁽⁴⁾ ابن القطان: نظم الجمان، ص 128.

⁽⁵⁾ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، راجعه: محمد يوسف الدقاق، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط4، 2003م)، 9/ 200.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

أما ما ذكره اليسع من أمر السبعين فلا أعرفه ولا أراه صحيحا، وإنما أعرف العشرة الجماعة وأهل الخمسين، وسبعة هم أهل مشورته"⁽⁶⁾.

2-4- مهام المجالس:

كانوا بمثابة الوزراء للمهدي فهم أهل ثقته يشاورهم في المسائل الهامة ويكلفهم في تنفيذ القرارات الكبرى، ومن بين هؤلاء البشير الذي كثيرا ما تولى القيادة العسكرية وعبد المؤمن وعمر أصناج وموسى بن نمره الذين تولوا هذه المهمة في مناسبات مختلفة وتولى آخرون مهام الكتاب والقضاة⁽¹⁾، كان دور هؤلاء الأشياخ استشاريا بالدرجة الأولى⁽²⁾، فلا يعلن خلفاء الموحدين حربا أو يستعدون لها ولا يخوضون معارك إلا بعد استشارتهم، وإذا كانت الأمور أقل خطورة استشاروا أهل الخمسين، وإذا كان الأمر دون ذلك أحضروا أهل السبعين⁽³⁾.

جاء في نظم الجمان: "... وهؤلاء العشرة هم المسمون بأهل الجماعة، وتابعهم على هذا المعتقد بأثرهم خمسون رجلا، فسموا أهل خمسين، ثم تابعهم سبعون رجلا فسموا أهل سبعين... كانوا إذا قطعوا الأمور العظام يخلون بالعشرة لا يحضر معهم غيرهم، فإذا جاء أمر أهون أحضروا الخمسين وإذا جاء دون ذلك أحضروا السبعين رجلا..."⁽⁴⁾.

وقال صاحب رقم الحلل: "رتب قومه ترتيبا غريبا فمنهم أهل الدار وأهل الجماعة وأهل الساقة وأهل خمسين وأهل سبعين...، فأهل الدار للامتحان والخدمة وأهل الجماعة للتفاوض

⁽⁶⁾ نظم الجمان، ص 82؛ وهوبكتز: المرجع السابق، ص 129.

⁽¹⁾ ع. السعيدى: توحيد المغرب في عهد الموحدين، ضمن كتاب تاريخ إفريقيا العام- إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر-، إشراف: ح.ت. نياني، (باريس: اليونسكو، 1988م)، 4/ 46 ؛ و Abd Allah Laroui: L'histoire du Maghreb, 1/ 163.

⁽²⁾ لسان الدين بن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط - القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام-، تحقيق وتعليق: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، (الدار البيضاء: دار الكتاب، 1964م)، ص 270.

⁽³⁾ عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين - عصر الطوائف الثاني 510هـ - 546هـ/ 1116-1151م-، (لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988م)، ص138.

⁽⁴⁾ ابن القطان: نظم الجمان، ص 128.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

والمشورة وأهل الساقية وأهل خمسين وسبعين والحفاظ والطلبة لحمل العلم والتلقين وسائر القبائل لمدافعة العدو"⁽⁵⁾.

احتفظ عبد المؤمن بالنظم التي أقامها ابن تومرت، لكنه أدخل بعض التحسينات الإدارية حيث استقر الأمر على نظام إداري جديد يضم إلى جانب الخليفة الشيخ أبو حفص عمر وولي العهد والوزير، الكتاب، القضاة، الطلبة والحفظة، وولاية المحافظات ثم المحاسبين⁽⁶⁾، وقد أشارت إلى ذلك الرسائل الموحدية⁽⁷⁾.

وبالتالي يكون عبد المؤمن قد ألغى النظام الإداري السابق وكل الهيئات الاستشارية، حيث كان من الضروري أن يستعين بشخص واحد أو أكثر في إدارة دولته الواسعة⁽¹⁾.

بدل عبد المؤمن التنظيمات الموحدية وأقام تنظيما واحدا جديدا هو هيئة أشياخ الموحدين⁽²⁾ حيث تألفت الهيئة من الموحدين الأولين، وأضاف إليها عبد المؤمن جماعات جديدة خاصة من قبيلة كومية، وبعد أن توسعت الدولة الموحدية ضمت عناصر جديدة، ظهرت هيئتان استشاريتان هما هيئة أشياخ العرب⁽³⁾ وهيئة أشياخ الأندلس⁽⁴⁾ وفي خلافة يوسف بن عبد المؤمن ظهرت هيئة رابعة من "السادة" بني عبد المؤمن⁽⁵⁾.

من خلال الرسائل تبين لنا أن هيئة الأشياخ وجدت وجودا مستمرا ودائما، تجاوزت اختصاصاتها المسائل العسكرية إلى شؤون الإدارة والأمن والأموال العامة، واشترك الأشياخ في

⁽⁵⁾ أبو عبد الله بن الخطيب السلماني: رقم الحلل في نظم الدول، (تونس: المطبعة العمومية، 1317هـ)، ص 58.

⁽⁶⁾ لي تورني: حركة الموحدين، ص 73؛ ولخضر سيفر: التاريخ السياسي لدول المغرب الإسلامي، (الجزائر: الأمل للدراسات، 2006م)، 320/1.

⁽⁷⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزاوي)، 1/ الرسائل 6، 7، 12، 14، 119،

⁽¹⁾ صالح بن قربة: عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1911م)، ص 84؛ وعبد الله علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، (مصر: دار المعارف، 1971م)، ص 263.

⁽²⁾ كانت هيئة أشياخ الموحدين تتكون من أشياخ تلك القبائل التي قام عليها الأمر إضافة إلى أشياخ كومية وهسكورة وصنهاجة، وورث أبناءهم مكانتهم. أنظر عز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1990 م)، ص 144.

⁽³⁾ تكونت هيئة أشياخ العرب من زعماء العشائر الهلالية. المرجع نفسه، ص 144.

⁽⁴⁾ تكونت من المنتزين السابقين بالأندلس. نفسه، ص 144.

⁽⁵⁾ عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 141.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

تسيير شؤون الإدارة بصورة فعالة، وعندما ولي عبد المؤمن أولاده الولايات بعث معهم أشياخ الموحدين وزراء وأصبح ذلك تقليدا للخلفاء بعده⁽⁶⁾. يختار الخلفاء لهؤلاء الأشياخ مزوارا، تولاهما عمر الهنتاتي في خلافة عبد المؤمن ثم يوسف، وخلف عمر الهنتاتي ابنه أبو محمد عبد الواحد وولاهما في عهد المنصور والناصر⁽⁷⁾. وعندما أسقط المأمون رسوم المهديّة انقطع وجود الهيئة، ولما تولى الرشيد أعاد الرسوم وأصبح أبو عثمان بن سعيد بن زكريا الجدميوي المقدم على الأشياخ⁽⁸⁾.

ونستدل من الرسائل أن الخليفة يستعين بهيئة الأشياخ حول الأمور الهامة منها ما حدث بالنسبة لتنظيم ولاية العهد⁽¹⁾ وفي مسألة إقرار السلم والحرب⁽²⁾ والتحركات العسكرية، ونتيجة لقوة الخلفاء الأوائل سيطروا على هيئة الأشياخ، إلا أن نفوذهم تزايد منذ عهد المستنصر وخاصة بعد موته، أصبح الأشياخ يولون ويعزلون الخلفاء، مما سيدفع المأمون على إلغاء رسوم المهدي⁽³⁾.

3- الوزراء:

لم يذكر الرواة أن ابن تومرت اتخذ وزيرا⁽⁴⁾ وإنما كان يشاور أهل الجماعة ولم يطلق عليهم اسم الوزراء⁽⁵⁾، ما عدا ابن القطان الذي قال وزراه رضي الله عنه هم: "العشرة المؤثرون الذين يقال لهم الجماعة أعزهم الله تعالى"⁽⁶⁾. لذا ذهب البعض أن الدولة الموحدية عرفت وظيفة الوزير

⁽⁶⁾ ابن الخطيب: الحلل، ص 115؛ والبيدق: أخبار المهدي، ص 138؛ وابن عذاري: البيان، 3/ 50.

⁽⁷⁾ عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 145.

⁽⁸⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 1/ 384 - 386.

⁽¹⁾ المصدر نفسه، 1/ الرسائل 13، 14، 40، 41.

⁽²⁾ نفسه، 1/ الرسالة 29.

⁽³⁾ نفسه، 1/ الرسالة 119.

⁽⁴⁾ اختلف في الاشتقاق اللغوي للوزارة: معناها "الوزر" بسكون الزاي بمعنى الثقل، لأن الوزير يحمل أعباء الملك وأثقاله، أو من "الوزر" بفتح الزاي ويعني الملجأ لأن الملك يلجأ إلى رأيه ومعرفته، أو من "الأزر" وهو الظهر لأن الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر. أنظر أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي: أدب الوزير للماوردي المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك، تصحيح: حسن الهادي حسين، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1994م)، ص 9.

⁽⁵⁾ عز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 153.

⁽⁶⁾ نظم الجمال، ص 124.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

قبل أن تعرف منصبه؛ حيث كان أهل الجماعة في عهد المهدي بمثابة الوزراء، فقد تولى أبو محمد عبد الله بن محسن الونشريسي (525هـ / 1130) الذي اشتهر باسم البشير قيادة الجيش واستوزر المهدي عمر بن علي الصنهاجي (536هـ / 1141) وهو من أهل العشرة⁽⁷⁾.

وفي عهد عبد المؤمن بدأت مؤسسة الوزارة تتخذ مكانها بين نظم الدولة، ويشرف بنفسه على أشغال العدوتين " المغرب والأندلس"⁽⁸⁾. في البداية أسند عبد المؤمن هذا المنصب إلى أبي حفص عمر أصناج ويعتبر أول وزير⁽⁹⁾ لأنه كبير شيوخ الموحدين حتى الوقت الذي بدأ يحقق فيه استقرار الدولة، وبعد ذلك عهد إلى أبي جعفر بن عطية الذي جمع بين وظيفتي الوزير والكاتب⁽¹⁰⁾ وظلت الوزارة بيده حتى قتله عبد المؤمن⁽¹⁾ في سنة 553هـ/1158م مع مصادرة أمواله⁽²⁾، ثم عين شخص كومي يسمى عبد السلام استمر في الوزارة حتى قتله شنقا سنة 557هـ/1161م، ثم انتقلت الوزارة إلى عمر بن عبد المؤمن التي ظل بها حتى توفي الخليفة سنة 558هـ/1162م⁽³⁾.

يتولى الوزراء إدارة الدولة، وهو متولي المحابي" المختص بتحصيل الضرائب والجزيات" ومتولي النفقات والمحاسبة يشبه وزير المالية ومتولي أعمال المستخلص وصاحب ديوان الأعمال المخزنية، فهو يراقب إيراد الدولة ويشرف على الدخل والمنصرف، وله الحق في الإشراف على العمال ومحاسبتهم والقبض عليهم وله معاونين في كل الأقاليم يسمون "المشرفين"⁽⁴⁾. واستوزر لأبي يعقوب مجموعة من الوزراء منهم: أخوه عمر ثم أبو العلاء إدريس بن إبراهيم بن جامع وانتهت وزارته بالقبض عليه ومصادرة أمواله سنة 577هـ/1181م، ثم ابنه أبو يوسف

⁽⁷⁾ البيدق: المقتبس من كتاب الأنساب، ص 30-33؛ ويوسف عابد: الموحدون في بلاد المغرب، 109.

⁽⁸⁾ صالح بن قرية: عبد المؤمن، ص 85.

⁽⁹⁾ ابن القطان: المصدر السابق، ص 208.

⁽¹⁰⁾ عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 266.

⁽¹⁾ ابن القطان: نظم الجمال، ص 208؛ وعز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 154؛ وسعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب، 117/7.

⁽²⁾ صالح بن قرية: عبد المؤمن، ص 84.

⁽³⁾ عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 366-367؛ وابن القطان: المصدر السابق، ص 208-209؛ وحسن إبراهيم

حسن: تاريخ الإسلام، 4/ 207.

⁽⁴⁾ صالح بن قرية: المرجع السابق، ص 85.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

إلى أن مات سنة 580هـ/1184م⁽⁵⁾. ذكر صاحب المعجب أن أول وزراءه هو أبو حفص عمر بن أبي زيد الهنتاتي إلى أن مات، ثم وزر له أبو بكر بن أبي حفص عمر إبنتي حتى مات⁽⁶⁾.

وعلى عهد يعقوب لم تكن اختصاصات الوزير واضحة المعالم والمنصور نفسه كان يمارس وظيفة الوزير في حياة والده، فكان يشرف على كل أعمال الدولة من مراقبة الولاة وحماية الضرائب وإدارة القضاء. فوزيره أبو بكر يحيى صحبه الأمير إلى الأندلس ورفع راية الجهاد واستشهد في ميدان القتال في معركة الأرك، فمهمة الوزير تعدت الأمور المدنية إلى العمليات العسكرية، فالوزير كان يتبع دائما في اجتماعات المجالس وفي المواقب الاحتفالية ومهمات التفتيش⁽⁷⁾.

وهكذا استمرت الوزارة حتى نهاية حكم الدولة الموحدية بالمغرب، إلا أن الوزراء استبدوا بالحكم في نهاية الحكم الموحدية وحكموا وفق أهوائهم⁽¹⁾. فالرسائل توضح أنه خلال عهد المستنصر اتسعت سلطة الوزير ابن جامع حيث كان وصيا على هذا الخليفة في سنوات حكمه⁽²⁾. فالرسالة رقم 71 موجهة إلى الوزير متضمنة الهدوء والاستبشار بالحرب مع خير موت ملك قشتالة⁽³⁾، والرسالة رقم 72 موجهة أيضا إلى الوزير تخبره بهدوء البلاد وانتظار موسم الحصاد⁽⁴⁾، وجاء في الرسالة رقم 90: " الولي الأثير الأود الأخلص الأزكى الأفضل أبو سعيد بن الشيخ والشيخ الأجل أبي محمد بن الشيخ الأجل المرحوم أبي إسحاق"⁽⁵⁾.

3-1 - طريقة تولي الوزراء الوزارة:

⁽⁵⁾ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 266.

⁽⁶⁾ نفسه، ص 337.

⁽⁷⁾ سعد زغلول: المرجع السابق، 7 / 115.

⁽¹⁾ محمد العلمي حمدان: "أدباء المغرب في العصر المريني - مالك بن المرحل 604-699، الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية في عصره"، مجلة دعوة الحق (الرباط)، ع1/ جوان 1973 م، ص 174.

⁽²⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغراوي)، 1/ الرسائل 72، 79، 90، 92، 100، 101، 102، 108.

⁽³⁾ المصدر نفسه، 1/ 278-279.

⁽⁴⁾ نفسه، 1/ 280-281.

⁽⁵⁾ نفسه، 1/ 316-318.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

يختار الخليفة الوزير بموافقة الأشياخ، لأن الوزير كان الواسطة بين الخليفة والأشياخ⁽⁶⁾، عزل عبد المؤمن وزيره عبد السلام الكومي وولى ابنه السيد أبا حفص الوزارة برأي أشياخ الموحدين⁽⁷⁾ ولكن موافقة الأشياخ غير ضرورية بعد استقرار الخلافة، فقد ظل أبو سعيد عثمان بن جامع وزيرا على الرغم من نبذ الأشياخ له في خلافة الناصر ثم المستنصر⁽⁸⁾.

وفي فترة حكم الأشياخ وتسلمتهم أصبح تعيين الوزراء من طرفهم، ولما استرجع الخلفاء سلطاتهم منذ خلافة المأمون، انفردوا بتعيين وزرائهم إلا في أيام الرشيد الأولى حيث عين الرشيد وزيرا بموافقة أحد الشيوخ⁽⁹⁾. كان وزراء الدولة الموحدية إما من السادة بني عبد المؤمن أو من أشياخ الموحدين ما عدا أبو جعفر بن عطية فإنه استوزر بسبب مؤهلاته الإدارية⁽¹⁰⁾.

ففي بداية الحكم الموحدى كانت الوزارة وزارة تنفيذ، وكانت السلطة بيد الخليفة، وأشرف الخلفاء بأنفسهم على أحوال البلاد، ومن هنا كان الوزراء منفذين لأوامر حكام البلاد، وإذا شعر الخلفاء باستبداد أو فساد الوزير قتلوه؛ فقد نكب عبد المؤمن أبا جعفر بن عطية وقتله وصرف عبد السلام الكومي ثم وضع له السم⁽¹⁾، غير أن الوضع تبدل منذ النصف الثاني من خلافة الناصر وحتى خلع عبد الواحد بن يوسف (605هـ-621هـ / 1208م-1224م)، فاستبد الوزراء بشؤون الدولة دون مشاورة الخلفاء، وكانوا يولون الخلفاء ويعزلونهم ويوقعون على المكاتبات⁽²⁾.

يقول ابن خلدون: " لما هلك محمد الناصر ببيع ابنه يوسف سنة إحدى عشرة، وهو ابن

سنة

عشرة سنة ولقب المستنصر بالله، وغلب عليه ابن جامع ومشيخته الموحدين فقاموا بأمره... ثم وقعت المحاولة من الوزير ابن جامع وصاحب الأشغال عبد العزيز بن أبي زيد فوصلت بيعته،

⁽⁶⁾ عز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 156.

⁽⁷⁾ ابن صاحب الصلاة: المن، ص 112-119.

⁽⁸⁾ ابن خلدون: العبر، 6/297.

⁽⁹⁾ عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 156.

⁽¹⁰⁾ عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 266.

⁽¹⁾ ابن صاحب الصلاة: المن، ص 112-119؛ وابن عذاري: البيان، 3/57.

⁽²⁾ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص 106.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

واشتغل المستنصر عن التدبير بما يقتضيه الشباب... واستولى ألفنس على المعقل التي أخذها الموحدون وهزم حامية الأندلس، ووفد رسوله ابن الفخار فحاوله ابن جامع في السلم فعقده⁽³⁾.
ومنذ أن تولى العادل الخلافة عمل الخلفاء على محاسبة وزرائهم وأصبحت مهمة الوزير تنفيذية، حيث قال ابن عذاري: " وفي هذه السنة - 1208/هـ 605م - قدم الناصر بعض الولاة على أعماله وأحر آخرين عن أشغاله فأحر أبا يحيى بن أبي الحسن بن أبي عمران عن الوزارة وألزمه في داره وقدم للوزارة أبا سعيد بن أبي إسحاق بن جامع."⁽⁴⁾.

3-2- صلاحيات الوزير:

تنوعت صلاحيات الوزراء حيث كان الوزير في بعض الأحيان يقوم بوظيفة الحاجب، ظهر هذا الاختصاص حين تولى السيد أبو حفص ابن الخليفة عبد المؤمن وزارة أبيه الحجابة وندبه عبد المؤمن لكي يتولى أمر الوفود ويقودها إلى مجلسه للسلام وتحديد البيعة فأدخلوا بترتيب معين⁽⁵⁾، وفي عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن تولى أخوه السيد أبو حفص وزارة أخيه وحجابه.

كان الوزير في بعض الأحيان يمارس الكتابة في الدولة، إلا أن في عهد عبد المؤمن وجد الاختلاط بين منصب الوزارة ومنصب الكتابة، ثم انفرد بعد ذلك بالوزارة فقط⁽¹⁾، وكان الوزير في بعض الأحيان يشرف على الشؤون المالية، ظهر ذلك جليا حين تولى منصب الوزارة في عهد الناصر أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي عمران الضرير⁽²⁾. كما يكلف الوزير بالإشراف على نواحي البناء والتعمير وقد ظهر ذلك في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن حين أسند إلى وزيره أبي العلاء إدريس مهمة الإشراف على أعمال البناء والتعمير عندما كان الخليفة بإشبيلية سنة 1171/هـ 567م وأمر ببناء قصور البحيرة خارج باب جهور من إشبيلية⁽³⁾.

⁽³⁾ ابن خلدون: العبر، 6/ 296.

⁽⁴⁾ ابن عذاري: المصدر السابق، 3/ 253؛ وعز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 160.

⁽⁵⁾ حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 102.

⁽¹⁾ المقرئ: نفع الطيب، 5/ 183؛ وابن عذاري: البيان، 3/ 57.

⁽²⁾ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص 103.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 103.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

تسند إليه إدارة إقليم من الأقاليم وذلك لأهميته وكثرة الثورات به، هذا ما حدث في عهد الناصر حين اسند منصب ولاية إفريقية إلى الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن حفص وفي ذلك يقول الزركشي: "وعزم الناصر على الرحيل إلى المغرب فنظر فيمن يوليه إفريقية فوق اختياره على وزيره الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص فعقد له على ذلك سنة ثلاث وستمائة"⁽⁴⁾.

4- الكتاب:

بعد وظيفة الوزارة تأتي وظيفة الكتابة، وهي من أقدم الوظائف في تاريخ الإسلام⁽⁵⁾، والدولة الموحدية أولت أهمية للكتابة الإنشائية، وهي من الخطط الهامة في الدولة الموحدية، فقد حشد الخلفاء الموحدون عددا كبيرا من الكتاب من ذوي البلاغة والأدب ليكونوا لسانا للخليفة الموحد

في مخاطبة عن أحوال البلاد أو إجابة عن مشكلات⁽⁶⁾. زيادة على هذا ما تطلبه العلاقات الخارجية للدولة من مبادلات كتابية إلى الولاة والكافة والأعيان والأشياخ بالمغرب والأندلس⁽⁷⁾.

فتأتي المكاتبات على شكل استفسارا وهذا ما توضحه مجموع الرسائل التي نشرت وحققت من طرف الباحثين، وبقراءتها نستخلص مدى اهتمام الخلفاء بتسجيل الأحداث في الدولة.

ونستدل منها أن الرسائل التي كتبت في عهد المهدي مجهولة الكتاب⁽¹⁾، وقد قيل أن ابن تومرت كان يكتب رسائله بنفسه، وقيل أنه خصص أحد العشرة من أهل الجماعة للكتابة وهو

⁽⁴⁾ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق: محمد ماضور، (تونس: المكتبة العتيقة، ط2، 1966م)، ص18؛ وابن خلدون: العبر، 6/ 292-293.

⁽⁵⁾ سعد زغلول: تاريخ المغرب، 7/ 116.

⁽⁶⁾ مجموع رسائل موحدية، (ليفي)، الرسائل: 9، 19، 20، 25، 26، 35؛ ورسائل موحدية- جديدة-، (الغزوي)، 1/الرسائل 16، 70، 76... .

⁽⁷⁾ المصدر نفسه، 1/الرسائل 28، 29، 31، 34، 40، 41، 105، 111، 112، 119... .

⁽¹⁾ رسالة المهدي إلى المرابطين، وهي الرسالة رقم 01 من رسائل موحدية- جديدة-، (الغزوي)، 1/ 43؛ ورسالة المهدي إلى الموحدون "الرسالة المنظمة"، وهي الرسالة رقم 02 من نفس المصدر، 1/ 44-49.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

أبو الربيع سليمان الحضرمي، ساعده في الكتابة ملول بن إبراهيم بن يحيى الصنهاجي⁽²⁾. لا يعلم أن عبد المؤمن استكتب كاتباً قبل فتح مراكش، حيث أورد العزاوي رسالتين لعبد المؤمن؛ الأولى بفتح تارودانت والثانية وجهها إلى كزولة مع الرسالة المنظمة ولم يذكر لهما كاتبهما⁽³⁾. فقد أشارت الرسائل أن أول من استكتبه عبد المؤمن هو ابن عطية بعد فتح مراكش سنة 541هـ/1146م⁽⁴⁾.

جمع ابن عطية بين الوزارة والكتابة وبعدها أصبحت خطة مستقلة، بعد فتح بجاية استكتب أبا القاسم القالمي وهو من أهل بجاية وأحد نبهاء الكتاب⁽⁵⁾. والملاحظ من الرسائل أن خطة الكتابة لم يتولاها أحد من بني عبد المؤمن أو سلالة الموحديين، ويبدو أن الخلفاء يختارون فيمن يتولى الكتابة الخبرة الإدارية والبراعة الأدبية، فكان كتابهم في خلافة عبد المؤمن إما ممن خدم المرابطين في المغرب أو الأندلس أو عمل في دولة بني حماد الصنهاجيين، ولما استقرت الدولة جاء كتابهم من رجال تدرجوا في المناصب الكتابية في العاصمة أو الولايات⁽⁶⁾. وتبين لنا الرسائل الموحدية أن للكاتب ثقافة وثروة لغوية أعانتهم وأهلتهم لشغل هذا المنصب، فهم يوصفون من أهل البلاغة في وقتهم ومن أهل الأدب⁽⁷⁾.

ب- الإدارة المحلية:

1- الولاية:

لما اتسعت رقعة الدولة اضطر الخليفة إلى تقسيمها إلى أقاليم إدارية كبيرة لتسهيل إدارتها، وكان على كل إقليم عامل أو وال. تشكل الأقاليم مناطق إدارية تابعة للسلطة المركزية ودواوينها

(2) عز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 161؛ وهوبكتز: النظم الإسلامية، ص 41.

(3) رسائل موحدية، 1/ 50-52، 53-56.

(4) المصدر نفسه، 1/ 56-60.

(5) عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 161.

(6) نفسه، ص 163.

(7) مثل ما جاء في رسالة أبي حفص الهنتاتي عن مقتل الثائر الماسي: "فتح بحر الانوار إشراقاً، وأحرق بنفوس المؤمنين إحداقاً".

رسائل موحدية، 1/ 57-60.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

في العاصمة ولاسيما فيما يتعلق بالخراج والمكوس التي يتم إرسالها إلى العاصمة، لذا فكانت الإدارة في عواصم الولايات تشبه الإدارة المركزية، إذ كان على رأسها الوالي ومساعديه⁽¹⁾.

إن سيطرة الدولة الموحدية على منطقة معينة أوجب عليها عزل الموظفين المرابطين، واستبدالهم بالموحدين⁽²⁾؛ فالمناطق التي خضعت لسلطة الموحدين دون مقاومة أبقّت الدولة الولاية في مناصبهم، بقي ابن مطروح في منصبه واليا على طرابلس وفي المهديّة عين عبد المؤمن أبا عبد الله محمد ابن ترج الكومي، وعين على سوسة الحافظ عبد الحق ابن علناس الكومي⁽³⁾.

أما الأندلس فقد ترك الموحدون كل الأمراء الذين دخلوا في طاعتهم بعد أن انفصلوا عن المرابطين مثل يحيى بن يغمور⁽⁴⁾. وبما أن الوالي هو الدولاب الرئيسي لآلة الحكم الإدارية، فالأمير يختاره بكل حذر لأنه هو الممثل الشخصي له في كامل اختصاصاته الإدارية⁽⁵⁾، وقبل إعلان عبد المؤمن الحكم الوراثي كانت الأمور تخضع لأشياخ الموحدين، وبعد إعلانه أصبحت امتيازات الأسرة الحاكمة واسعة⁽⁶⁾. قام عبد المؤمن بتعيين الطلبة في مكان شيوخ الموحدين مع بقاء هؤلاء كمستشارين لهم لأنهم أكفاء، قال لهم: "العلماء أولى منكم فسلموا لهم"، استغل عبد المؤمن فكرة قبول الأشياخ تولية أبنائه الولايات فأصدر رسالة رسمية سنة (1156/551م) من رباط الفتح يشير فيها إلى اختيار أبنائه كان رغبة الشيوخ⁽⁷⁾.

عين السيد أبو حفص مدينة تلمسان، وتوجه معه أبو محمد واندوق والكاتب أبو الأصبغ بن عياش، وولى أبو سعيد غرناطة فمشى معه الشيخ أبو عبد الله بن سليمان والكاتب أبا الحسن بن العرودس، وولى السيد أبا محمد عبد الله بجاية ووجه معه الشيخ أبا يعقوب يوسف والكاتب أبا العباس بن مضاء⁽¹⁾. وولى السيد أبو الحسن على مدينة فاس فسار معه وزيرا يدربه أبو يعقوب

(1) عبد الستار عثمان: موسوعة عالم المعرفة - المدينة الإسلامية -، (د.ن، 1978 م)، ص 266.

(2) عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 139.

(3) لخضر سيفر: التاريخ السياسي، ص 330؛ ويوسف عابد: الموحدون في بلاد المغرب، ص 117.

(4) المرجع نفسه، ص 331.

(5) سعد زغلول: المرجع السابق، 7/ 147.

(6) يوسف عابد: المرجع السابق، ص 116.

(7) مجموع رسائل موحدية، (ليفي)، ص 61-66.

(1) ابن الخطيب: الحلل الموشية، ص 115.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

يوسف بن سليمان، ومن الكتاب أبو العباس بن مضاء يعلمه ويقراً⁽²⁾. وأعطى إشبيلية ليوسف ولى عليا دانيا وأبا الربيع تادلا والسوس لابنه يزيد⁽³⁾.

قال ابن الأثير: " في سنة 551هـ/1156م استعمل أولاده على البلاد...، فسلك في ذلك مسلكا عجيبا، وذلك أنه قد استعمل على البلاد شيوخ الموحدین المشهورين من أصحاب المهدي محمد بن تومرت، وكان يتعذر عليه أن يعزلهم، فأخذ أولاده وتركهم عنده يشتغلون في العلوم، فلما تمهروا فيها وصاروا يقتدى بهم، قال لأبائهم إني أريد أن تكونوا عندي، أستعين بكم على أنا ما بصدده ويكون أولادكم في الأعمال لأنهم علماء فقهاء، فأجابوا إلى ذلك لأنهم فرحون... فولى أولادهم، ثم وضع عليهم بعضهم ممن يعتمد عليه فقال: إني أرى أمرا عظيما قد فعلتموه... فقال: أولادكم في الأعمال وأولاد أمير المؤمنين ليس لهم منها شيء مع ما فيهم من العلم وحسن السياسة، وإني أخاف أن ينظر في هذا وتسقط منزلتكم... فحضرنا عند عبد المؤمن وقالوا نحب أن تستعمل على البلد السادة أولادكم. فقال: لا أفعل فلم يزالوا حتى ذلك لهم بسؤالهم إياه"⁽⁴⁾.

مع إقبال سنة 565هـ/1169م قام الخليفة يوسف بتعيينات جديدة، حيث آلت سبته وأنظارها وجبال غمارة وأقطارها إلى السيد أبي علي الحسن، وإشبيلية للسيد أبو إبراهيم وقرطبة للسيد أبو إسحاق، وأبو يحيى زكريا بن يحيى بن سنان واليا على حصون طلبيرة وسنت مرية قرب شلب⁽⁵⁾.

وعند وصول الوالي الجديد أبي حفص إلى شاطبة سنة 568هـ/1172م حمل رسالة الخليفة يوسف كتب ابن مغاور الشاطبي عن أهل بلده رسالة جوابية جاء فيها: "...لما ورد على أهل شاطبة كتاب سيدنا ومولانا أمير المؤمنين أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته، بتقديمه السادة أيدهم

(2) ابن عذاري: البيان ، 3 / 50.

(3) البيدق: كتاب المهدي، ص 138؛ وصالح بن قربة: عبد المؤمن، ص 73، والحسن الشاهدي: "تاريخ الموحدین..."، ص 106.

(4) الكامل، 9 / 408.

(5) سعد زغلول: تاريخ المغرب، 6 / 108

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

الله بالشرف- حماه الله- أبا علي بدانية، وأبا الربيع سليمان ابن عبد الله ابن الخليفة أمير المؤمنين ببلنسية وأبا حفص عمر ابن عيسى بشاطبة...⁽¹⁾.

في 21 شعبان 579هـ/ ديسمبر 1183م صدرت الأوامر الخلافية بتعيين أبناء الخليفة الأربعة حكاما لقواعد الأندلس فقد تعين السيد أبو إسحاق واليا على إشبيلية وأبو يحيى على قرطبة وأبو زيد على غرناطة وآلت مرسية إلى عبد الله محمد بعد عزل الخليفة يوسف أخاه أبا يوسف عن مرسية وشرق الأندلس⁽²⁾. كتب ابن مغاور الشاطبي رسالة تهنئة إلى الوالي الجديد⁽³⁾.
تركز الحكم في أيدي أفراد الأسرة الملكية عن طريق الروابط السياسية أو العائلية منذ عهد عبد المؤمن وظل ابنه مخلصا لتلك السياسة، فأبناء الأسرة من الإخوة والأعمام والأبناء وأبناء الإخوة والأخوات كل هؤلاء يجب أن تكون لهم الوظائف الحكومية.

اتبع يعقوب هذه السياسة مع بعض التغيرات نتيجة المنافسة على الحكم حيث طمع في عرشه كل من أخيه أبو حفص عمر والي مرسية وعمه سليمان والي تادلا في بلاد صنهاجة وقاما بالدعاية لنفسيهما في الولايات أثناء حملة يعقوب في إفريقية ضد بني غانية وكانت نهايتهما القتل، وبعد الثورة أتهم أقاربه بعدم الإخلاص، واكتفى أفراد الأسرة بعدها بما كان يعهد إليهم من أدوار هامشية.

رغم هذه السياسة المتبعة فإن يعقوب اعتمد على الأسرة الخليفة، حيث اتخذ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي وزير وهو زوج أخته، أما عن ولاة المدن: إشبيلية، قرطبة، مالقة، غرناطة، فقد كانوا من بني أعمامه ونيابة عنه كان أبو سعيد الحفصي يحكم إفريقية منذ ولايته، وفوق ذلك كان هذا الأخير قد عهد بحكم المهديّة إلى أخيه أبي علي يونس. وشغل السيد أبو زيد بن أبي حفص عمر حفيد عبد المؤمن وابن عم يعقوب المنصور في سنة 584/1188م، وكذلك كان الأمر لعم الأمير وهو السيد أبو زيد الذي عين حاكما لإشبيلية سنة 594/1197م.

⁽¹⁾ ابن مغاور: حياته وآثاره، (ابن شريفة)، ص 121؛ والجزاوي: "الذيل على رسائل موحدية..."، ص 106-109.

⁽²⁾ سعد زغلول: تاريخ المغرب، 6/252.

⁽³⁾ ابن مغاور: المصدر السابق، ص 144-147؛ والجزاوي: المرجع السابق، ص 118-119.

وفي سنة 588هـ/1192م شاركه ابنه الناصر وعمره عشر سنوات كخلف له على العرش⁽¹⁾.

تم تولية الشيخ أبو محمد ابن الشيخ أبي حفص سنة 603هـ/1206م على إفريقية في عهد الناصر⁽²⁾. وجاء في الذخيرة السنية "ولي الحفصيون بلاد إفريقية بعد أن فتح المهدي وأخرج عنها عامل ابن مردنيش"⁽³⁾، فاشترط على الناصر أن لا يتولى إفريقية إلا بقدر ما تصلح أحوالها⁽⁴⁾.

1-1 شروط تعيين الولاة:

قبل أن يعين الخليفة الوالي يستشير بعض المقربين منه، وإذا اختير الوالي فإن الخليفة يرتب له موعدا حيث يستقبل ويعين بمراسيم خاصة تدل على علو قدره ومكانته الرسمية، وبعد ذلك يتلقى الوالي تهنئي الحاضرين من الأعيان والشيوخ والعلماء وقادة الجيش⁽⁵⁾. يمكن للأmir أن يعين أفراد أسرته، كما يمكن لواحد من الولاة أن يرأس مجموعة من الولايات حسبما تقتضي الضرورة الإدارية والعسكرية، والوالي قابل للعزل كما يمكن للأmir تبديله بالنقل من موضع إلى آخر⁽⁶⁾. تفيدنا بعض تقاديم الولاة بشروط اختيار الوالي منها:

يجب أن يكون قادرا على تحمل المسؤولية والأشغال⁽⁷⁾، وأن تكون أخلاقه حسنة⁽⁸⁾، أن يكون وفيا وصادقا ومخلص والوفاء والصدق⁽⁹⁾، وأن يلتزم بالعدل والولاء الخالص للموحدين، والطاعة والانتظام في جماعة⁽¹⁰⁾.

1-2 - صلاحيات الولاة:

⁽¹⁾ سعد زغلول: تاريخ المغرب، 7/ 37-38.

⁽²⁾ أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني: رحلة التجاني، تقدم حسن حسني عبد الوهاب، (الدار العربية للكتاب ليبيا، 1981م)، ص 360.

⁽³⁾ علي بن أبي زرع الفاسي: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، (الرباط: دار المنصور، 1972م)، ص 40.

⁽⁴⁾ التجاني: المصدر السابق، ص 362.

⁽⁵⁾ يوسف عابد: الموحدون في بلاد المغرب، ص 117.

⁽⁶⁾ سعد زغلول: المرجع السابق، 7/ 147.

⁽⁷⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغراوي)، 1/ 417.

⁽⁸⁾ المصدر نفسه، 1/ 417.

⁽⁹⁾ نفسه، 1/ 423.

⁽¹⁰⁾ نفسه، 1/ 424، 457، 456.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

يفوض إليه الخليفة تعيين الحافظ والقاضي والعامل⁽¹⁾، يسند إليه أشغال الأقاليم بمختلف أنواعها⁽²⁾، كما أسند إليه مهمة إصلاح أحوال البلاد وتوفير الأمن والحماية وعقد السلم، ويتولى مهمة نشر الدعوة الموحدية⁽³⁾ وحماية الثغور⁽⁴⁾، كما أوكل له صلاحيات أخرى منها: محق الرسوم التي لا يبيحها الشرع⁽⁵⁾، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁽⁶⁾، النظر في الأشغال المصلحية والأعمال المخزنية⁽⁷⁾ النظر في الجباية المرتفعة وضبطها، رفع المظالم وإزالة المحدثات⁽⁸⁾.

من خلال التقادم يتبين لنا أن للوالي صلاحيات واسعة، إلا أنها فوضت للوالي في عهد الضعف، ففي طور الازدهار يخضع الولاية لمراقبة دقيقة من قبل الخلفاء، وكلما استحدثت الأحداث في المنطقة كان على الوالي أن يبلغ الحضرة، ويجب عليه أن يستشير الخليفة في كل ما يفعل وفي حالات الحرب والسلم، ينبغي عليه أن لا يعقد هدنة أو يبرم سلما إلا بموافقة الخليفة.

2- **النواب:** قسم الموحدون الولايات إلى أقسام إدارية يحكمها الحفظ، حيث

تركوا كل قبيلة وحدة إدارية، ولا يتم تعيين حكام الأقسام الولايات إلا بقرار من الخليفة.

2-1 - الطلبة:

وجدت طبقة الطلبة منذ عهد الخليفة عبد المؤمن، تظم كبار علماء الموحدين يقوم أعضاؤها

بحكم الولايات، يمثلون الهيئة المساعدة للوالي في عهد عبد المؤمن بن علي⁽⁹⁾.

(1) في عهد الازدهار فوض لبعض الولاة تفويضا كاملا لاسيما الإشراف المالي، لأنهم أهل ثقة الوالي، غير أن الولاة استبدوا بإدارة شؤون ولايتهم منذ خلافة المستنصر. أنظر عز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 184-185.

(2) رسائل موحدية- جديدة-، (الغزاوي)، 1/ 411.

(3) المصدر نفسه، 1/ 412.

(4) نفسه، 1/ 412، 432.

(5) نفسه، 1/ 417.

(6) نفسه، 1/ 461.

(7) نفسه، 1/ 427.

(8) نفسه، 1/ 428.

(9) هشام أبو رميلة: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، (عمان: دار الفرقان، ط1، 1984م)، ص 84.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

صنفت ضمن طبقات الموحدين في الطبقة الرابعة⁽¹⁾ ويسمون أيضا الخطباء، ومهمتهم حمل العلم وتدريبه⁽²⁾. والطلبة قسمان: طلبة المصامدة وهم من اهتم بالعلم وطلبة الحضر وهم العلماء من غير المصامدة من المغاربة والواردين على المغرب⁽³⁾ وكان لهؤلاء الطلبة ناد يجتمعون فيه للمناظرة وامتحان الواردين من أهل العلم، وهو بيت الطلبة⁽⁴⁾.

كانت لهذه الطبقة مكانة رفيعة جدا في المجتمع، نجد أغلب الرسائل التي كتبت في عهد الموحدين من قبل الخلفاء والولاة وجهت للطلبة⁽⁵⁾. وفي رسالة الفصول يوصي المهدي طلبة الحضر وأمثالهم بحفظ عقائد المهدي عن ظهر القلب، ومما يسترعي الانتباه أن الرسائل الموحدية سواء نشرها ليفي أو التي حققها العزاوي موجهة تقريبا إلى الطلبة في مختلف الجهات لأن سلطة الأقاليم كانت تحت حكم الطلبة⁽⁶⁾.

يمثل الطلبة أعلى هيئة في الولاية، يتجلى دورهم في البيعة التي أخذوها لمحمد الناصر حول ولاية العهد، وقد لعب طلبة قرطبة دورا بارزا في جمع هذه البيعة⁽⁷⁾، وللطلبة أيضا دور قيادة الجيش "فقد تحرك طلبة أغرناطة لحصار المرية"⁽⁸⁾، وتصدى الطلبة والموحدين بقرطبة لقوات جراندة⁽⁹⁾.

يسمى قائد الأسطول "بطلبة الأسطول" أو "قواد الأسطول"⁽¹⁰⁾ وتسند إلى قائد الأسطول الجبايات والمصاريف ولقد وضحت بعض التقاديم " النظر في الأسطول وأشغال البحر... ومن

(1) ابن القطان: نظم الجمان، ص 82.

(2) لخضر سيفر: التاريخ السياسي، ص 326.

(3) ابن الخطيب: رقم الحلل، ص 58.

(4) عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 246؛ ومحمد المنوني، حضارة الموحدين، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ط1، 1989م)، ص 29.

(5) رسائل موحدية: - جديدة-، (العزاوي)، 1/ الرسائل 29، 31، 34، 40، 41، 119.

(6) مجموع رسائل موحدية، (ليفى)، الرسالة 23.

(7) رسائل موحدية، 1/ الرسائل 40، 41.

(8) مجموع رسائل موحدية، ص 71 - 81.

(9) رسائل موحدية، 1/ 118 - 119؛ والتقديم 13؛ الرسائل 27، 28.

(10) المصدر نفسه، 1/ الرسائل 46، 50؛ والتقديم 25.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

أمانته الديوان والسكة والمواريث والزكاة كماله...⁽¹¹⁾، أما القواد على القبائل الأخرى تسند إليهم المهام الأمنية والإدارية " اخترناه لقود العساكر، وطلب العدو الغادر"⁽¹⁾. وجاء أيضا: " فألقينا إليه بأزمة تلکم البلاد القبليّة، وصرفنا إليها أشغالها ومجاييها ومصالحها"⁽²⁾.

2-2 - الحفاظ:

أطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى حفظ القرآن الكريم⁽³⁾، وقيل لهم أيضا صغار الطلبة⁽⁴⁾، وجدوا منذ عهد ابن تومرت، وهي الطبقة الخامسة في طبقات نظام المهدي، فهي تأتي بعد طبقة الطلبة⁽⁵⁾. عندما رغب عبد المؤمن في إعطاء الإمبراطورية إطارات ذات كفاءات عالية لتسيير أمورها، أسس مدرسة للحفاظ جمع فيها ما يقارب ثلاثة آلاف طالب من كل الفئات الاجتماعية يتم اختيارهم على أساس الاستعداد الفكري والجسدي، يتعلم هؤلاء العلوم الدينية ويدرسون مؤلفات المهدي ويتدربون على ركوب الخيل والرمي بالقوس والسباحة، منهم ثلاثة عشرة ولد الخليفة، يتكفل الخليفة بكل النفقات لدى المدرسة ويدعو الحفاظ إلى قصره كل يوم الجمعة⁽⁶⁾. كانت أعلى رتبة الحفاظ "حافظ أهل الدار"⁽⁷⁾، احتل الحفاظ وظائف إدارية كبرى في الإدارة والجيش والأسطول، وعندما أتموا دراستهم ولاهم الولايات وعزل أشياخ المصامدة عن ولاية الأعمال والرئاسة وأبقاهم للمشورة⁽⁸⁾. وهؤلاء الحفاظ يستدعيهم الخليفة من الأندلس

⁽¹¹⁾ نفسه، 1/ التقديم.2.

⁽¹⁾ نفسه، 1/ التقديم.21.

⁽²⁾ نفسه، 1/ التقديم.22.

⁽³⁾ لخضر سيفر: التاريخ السياسي، 1/ 327.

⁽⁴⁾ سعد زغلول: تاريخ المغرب، 7/ 122؛ وأحمد مختار العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، (الإسكندرية: منشأة المعارف، 2000م)، ص 156.

⁽⁵⁾ لخضر سيفر: المرجع السابق، ص 327.

⁽⁶⁾ عبد الحميد حاجيات: الجزائر في التاريخ - العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني-، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م)، ص 324-325.

⁽⁷⁾ شرقي نوار: الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين - 524-667هـ/ 1126-1268، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، (جامعة الجزائر: كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية- قسم التاريخ، 2007-2008م)، ص 145.

⁽⁸⁾ عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 140.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

والمغرب، فكان عدد الذين توجهوا من إشبيلية خمسين صبيا وبقوا في مراكش مدة ستة أشهر يدرسون في مختلف العلوم⁽⁹⁾.

ومهمة الحافظ حسب ما جاء في الرسائل الموحدية رفع المحدثات، وطمس المنكرات ومحق الرسوم التي لا يبيحها الشرع من الأسواق والأبواب⁽¹⁾، يرى البعض أن دوره هو دور صاحب الشرطة، ومن مهامه أيضا محاربة الزنا وشرب الخمر، وترجع إليه كثير من الأمور الشرعية ومن بين الحفاظ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم من أبناء أهل الجماعة⁽²⁾.

يلاحظ من الرسائل الديوانية أن الخلفاء يعينون هؤلاء الحفاظ على الولايات حيث جاء في رسالة عن الأمير يوسف حول إبعاد قوات ابن مردنيش عن أحد الحصون شرقي غرناطة في 9 ذي الحجة 562هـ/1166م "... من الأمير يوسف بن أمير المؤمنين أيدهم الله بنصره، وأمدهم بمعونته إلى الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي إبراهيم والطلبة والموحدين بأغرناطة..."⁽³⁾.

ورسالة أخرى وجهها الخليفة يوسف إلى والي غرناطة يخبره بتعيين السيد أبي إسحاق إبراهيم على ولاية غرناطة في 22 جمادى الآخرة سنة 563هـ/1167م "... من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين ... إلى الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي إبراهيم والموحدين الذين بغرناطة"⁽⁴⁾. قال البيذق: "الحفاظ وفقهم الله، لهم من القبائل ثلاث عشرة وذلك بتواليهم، ومن ذلك حفاظ أهل الدار أولهم هرغة وينقسمون إلى ثلاثة أقسام آوكدان⁽⁵⁾، قسم آيت أوغفجمي⁽⁶⁾ قسم معناه باب أهل الدار، الغزاة قسم، أهل تينملل، هنتاتة، كدميو، كنفيسة، القبائل، هسكورة القبلة، صنهاجة القبلة، صنهاجة الظل، وليس فيهم كومية ولا هسكورة الظل"⁽⁷⁾.

2-3 - العمال:

⁽⁹⁾ ابن القطان: نظم الجمان، ص 179.

⁽¹⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 1/ التقديم 10.

⁽²⁾ المصدر نفسه، 1/ الرسائل 14، 26، 23، 19، 16، 15.

⁽³⁾ نفسه، 1/ 108 - 109.

⁽⁴⁾ نفسه، 1/ 117 - 118.

⁽⁵⁾ كلمة بربرية لها صفة عربية وهي جدانة. أنظر هوبكتر: النظم الإسلامية، ص 146.

⁽⁶⁾ "آيت" تعني الأهل و"أوغفجمي" تعني "أهل الدار". المرجع نفسه، ص 146.

⁽⁷⁾ ابن القطان: نظم الجمان، ص 82.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

توضح التقاديم أن هناك فئة أخرى تتولى مهمة الإدارة الموحدية إلى جانب الطلبة والحفاظ، وتمثل في العمال، كانت مهامها أمنية " حماية نواحيها وجهاتها"، " محق الفساد والمفسدين..."، كما أسندت أيضا المهام المالية مثل: "... والنظر في أعمالها المخزنية ..."(1).

ويمكن القول أن الدولة الموحدية رغم شساعة مساحتها حاولت السيطرة عليها بتقسيمها إلى ولايات، وكل ولاية أسندت مهامها إلى ولاة أكفاء، والاتصال بين الخليفة والأقاليم يكون بواسطة المكاتبات التي يبعث بها الخليفة إلى الطلبة والأشياخ في الأقاليم، كانت سلطة الولاية في بداية الدولة محدودة نتيجة إرسال التعليمات الخطية على شكل رسائل(2)، وعن طريق استدعائهم إلى الحضرة الخلافية لتقديم الحسابات أو إعطاء المبررات. يتعرض العمال من عهد عبد المؤمن إلى الناصر للنكبات، على عكس الفترة الأخيرة حيث أصبح الخليفة يحجم عن الولي. وكانت الرسائل التي تبعث في بداية عهد الدولة تحمل العلامة المميزة "والحمد لله وحده"، بينما في عهد الضعف نجد بعض الولاية في إفريقية يبعثون برسائل إلى حكومة بيشة دون أن تكتب عليها هذه العلامة.

3- الولايات:

قسمت بلاد المغرب والأندلس إلى ولايات يتولاها السادة من بني عبد المؤمن وتحديدها أمر صعب، فاتباعها اختلف تبعا للكثافة السكانية وأهمية الإقليم، والتي ذكرت في الرسائل هي:

3-1- **سجلماسة**: تولاها السيد أبو الربيع سليمان بن عبد المؤمن في عهد المنصور(3).

3-2- **تونس**: تولاها في عهد الخليفة المنصور السيد أبو زيد بن عمر بن عبد المؤمن(4) وفي عهد الناصر السيد أبو زيد عبد الرحمان بن الخليفة عبد المؤمن(5) ثم الشيخ عبد الواحد الحفصي(6).

(1) رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 1/ التقاديم 07، 14، 15، 16، 17.

(2) المصدر نفسه، 1/ الرسائل 6، 13.

(3) نفسه، 1/ الرسالة 45.

(4) نفسه، 1/ الرسالة 36.

(5) نفسه، 1/ الرسائل 59-61-62.

(6) نفسه، 1/ الرسالة 09.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

3-3- أشبيلية: تولاهما يوسف في عهد أبيه⁽⁷⁾، وفي عهد المستنصر تولاهما السيد أبو إسحاق إبراهيم بن الخليفة يوسف، ثم في عهد الخليفة العادل السيد أبو العلي إدريس المأمون⁽⁸⁾.

3-4- قرطبة: تولاهما السيد أبو سعيد أخو الخليفة يوسف في عهده وأخو السيد أبو إسحاق إبراهيم⁽¹⁾، وفي عهد العادل تولاهما أبو العلاء إدريس المأمون، فقد جمعت له ولايتها مع إشبيلية⁽²⁾.

3-5- نرناطة: في عهد الخليفة يوسف تولاهما الشيخ أبو عبد الله بن أبي إبراهيم⁽³⁾.

3-6- مرسية: تولاهما في عهد الخليفين يوسف ثم الناصر: السيد محمد بن الخليفة يوسف ثم أخوه السيد عبد الرحمان⁽⁴⁾.

3-7- جيان: تولاهما في عهد الناصر السيد عبد الرحمان بن الخليفة عبد المؤمن⁽⁵⁾.

3-8- بلنسية: تولاهما في عهد المستنصر وعهد المأمون السيد أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن⁽⁶⁾.

3-9- سبتة: تولاهما في عهد المرتضى أبو القاسم العزفي⁽⁷⁾. إلى جانب ذلك نجد ولايات غير منصوص عليها في الرسائل نذكر منها: بجاية، سلا، وفاس، وتلمسان⁽⁸⁾.

ج- تنظيم البريد⁽⁹⁾:

⁽⁷⁾ نفسه، 1/ الرسائل 73، 74، 75، 77، 78، 79، 80، 82، 88، 90، 94، 97، 98.

⁽⁸⁾ نفسه، 1/ الرسالة 110.

⁽¹⁾ نفسه، 1/ الرسالة 13، 26.

⁽²⁾ نفسه، 1/ التقديم 04.

⁽³⁾ نفسه، 1/ الرسائل 14، 15، 16، 19، 20، 22، 23، 25.

⁽⁴⁾ نفسه، 1/ الرسالة 34، 37.

⁽⁵⁾ نفسه، 1/ الرسالة 63.

⁽⁶⁾ نفسه، 1/ الرسائل 107، 108، 115، 116.

⁽⁷⁾ نفسه، 1/ التقديم 06.

⁽⁸⁾ اسمها يتركب من كلمتين بربريتين هما "تلم" ومعناها "تجمع" و"سان" معناها "اثان" ومعناها "تجمع اثنين" وهما: "الصحراء والتل"، بمعنى أنها تجمع بين طبيعة التل والصحراء. أنظر أبو زكريا يحيى ابن أبي بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزائر: (مطبعة بيبون بونطانا الشرفية، 1903م)، ص 9. ويحيى بوغزير: مدينة وهران عبر التاريخ ويليها مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليها المساجد العتيقة في الغرب الإسلامي، (دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2009م)، ص 85، 92.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

اهتمت دولة الموحدين بنظام البريد، فقد نظمتها بشكل متقن وسريع وفي الليل والنهار وفي

البر والبحر، وتسند الوظيفة لرجال مدرين وقادرين على الركض⁽¹⁾، ويسمى ساعي البريد بالرقاص، وهو عبارة عن رسول يرد بالكتب ويصدرها⁽²⁾. قال القلقشندي: "إذا كتب كتابا إلى نواحي هذه المملكة ليوصل إلى بعض نواحيها، جهز مع من يقع الإختيار عليه من النقباء أو الوصفان، ... يركب على بغل... ويسافر عليه إلى تلك الجهة، فإن أعيان في مكان تركه عند الوالي بذلك المكان وأخذ منه بغلا عوضه... إلى أن ينتهي إلى جهة قصده ثم يعود لذلك"⁽³⁾.

يبدو أن الدولة لم تكن تعين لهم راتبا معيناً مما جعلهم يأخذون الناس بتكاليفهم ويلزمونهم بزادهم وعلف خيولهم. ولقد جاء في الرسالة الجامعة لأنواع من الأوامر ما يلي: "وإن ممن يسعى في نوع من أنواع الفساد ويستصحب الإضرار بالمسلمين في الإصدار والإيراد، هؤلاء الراقصين الذين يردون بالكتب ويصدرون ويمشون فيما بيننا وبينكم وينفرون، فإنه ذكر لنا أنهم يأخذون الناس بالنظر في كلفهم ويلزمونهم في زادهم من كل موضع وعلفهم..."⁽⁴⁾.

وحددت نفس الرسالة سنة 1148/هـ 543م واجبات الرقاص تحديداً دقيقاً، وقد ورد في هذه الرسالة "وتخبروا لرسائلكم أرسالا، واتقوا من أهل المقدره على ذلك والثقة رجالا، وادفعوا إليهم زادا يقوم بهم في الحجى والانصراف، ويقطع شأنهم من التكليف والإلحاف، وارسموا لهم أياما

(9) لغة: يراد منه مسافة معلومة مقدرة باثني عشرة ميلا. قال الجوهري: قال: ويطلق أيضا على الرسول بريد، والشخص الذي يتولى أمر البريد يسمى بصاحب البريد. أنظر القلقشندي: *صبح الأعشى*، 14/ 366-367. اصطلاحا هو: أن يجعل خيل مضمرات في عدة أماكن، فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها وقد تعب فرسه ركب غيره فرسا مستريحا، وكذلك يفعل في المكان الآخر والآخر حتى يصل بسرعة. أنظر أحمد عبد الرازق أحمد: *الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى*، (دار الفكر العربي، ط3، 1999م)، ص87.

(1) حسن علي حسن: *الحضارة الإسلامية*، ص 150.

(2) عصمت دندش: *الأندلس في نهاية المرابطين*، ص 141.

(3) القلقشندي: *صبح الأعشى*، 5/ 140.

(4) *مجموع رسائل موحدية*، (لبيفي)، ص 61-71؛ وعصمت دندش: المرجع السابق، ص141.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

معروفة العدد معلومة الأمد، لينتهوا بها إلى مواقف رسائلهم ويوزعوها على مسافات مراحلهم، وحذروهم من تكليف أحد من الناس" (5).

كان نظام الاتصال بين العاصمة والولايات يتم بواسطة البريد، وعندما صححه عبد المؤمن، أصبحت الرسائل تكتب فيها علامة مميزة "والحمد لله وحده"، وكان الخليفة يكتبها بخط يده (6). اهتم الموحدون بالبريد البحري السريع، حيث يكون ركوب الرقاص وهو ساعي البريد، من بجاية، وخروجه من المركب في ميناء المرية، ومن هناك يخرج إلى إشبيلية في أقرب وقت من تاريخه، ولو أن الرواية لا تحدد تاريخ الوصول أو عدد الأيام التي كان يستغرقها وصول الرسالة (1).

عندما بعث والي إشبيلية أبو يعقوب برسالة إلى أبيه عبد المؤمن وهي رسالة استنجد يصف فيها الفتنة استوجبه من الدعاء، نهض الرقاص بالجواب وطال أمد السفر، وبعث والده له بالجواب وهو بقسنطينة بتاريخ ربيع الأول من عام خمسة وخمسين وخمسمائة، يخبره بالإياب وركب الرقا مركبا من مدينة بجاية ونزل في المرية منها إلى إشبيلية وغرناطة في أقرب تاريخ (2).

نستدل من الرسائل أن للرقاص أهمية كبيرة، حيث كان دوره حمل الأخبار والأوامر من العاصمة إلى ولاية الأقاليم سواء كان الأمر يخص بالإعداد للمعركة، وذلك ما فعله أبو الحسن عم الخليفة المنصور الموحد ونائبه علي مراكش عندما أرسل في سنة 558هـ / 1162م رسائل من أجل حمل الطبول وإعداد الآلات للمعركة وكذلك الرسائل الصادرة إلى إشبيلية وما حولها من أجل الاستعداد لاستقبال جيوش المنصور في سنة 558هـ / 1162م القادمة لنصرة الأندلس على عدوهم، وكان هدف عبد المؤمن من هذه التعديلات على نظام البريد هو القضاء على

(5) المصدر نفسه، ص 61-71.

(6) عبد الحميد سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي- الموحدون: مصامدة السوس الجاليون المرابطين تأسيس الدولة وقيامها- 500-558هـ / 1100-1163م، (الإسكندرية: منشأة المعارف، 2003م)، 5/ 516.

(1) المرجع نفسه، 5/ 516.

(2) ابن صاحب الصلاة: المن، ص 77-78.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية الشخصيات السيئة واختيار أهل الثقة ليشغلوا في الوظيفة، وتزويدهم مما يحتاجونه من الطعام حتى لا يقوموا بعملية الاستغلال والنهب للناس، وتحديد الفترة الزمنية التي يجب أن تصل فيها الرسالة.

ثانياً: النظام العسكري

اهتمت الدولة الموحدية بالجانب العسكري، فقد كونت جيشاً قوياً مما جعل صلاح الدين الأيوبي يستنجد بالمنصور الموحد لمحاربة الصليبيين.

أ- تنظيم الجيش:

1- عناصر الجيش الموحدية: كان جيش الموحدية في البداية يقتصر على

قبائل الموحدين إلا أن عناصره تعددت بانضمام عناصر أخرى.

1-1- القبائل الموحدية:

هي القبائل التي يتكون منها هيكل الدولة الموحدية والتي تقوم على أسس مدنية وعسكرية على السواء، وهذه القبائل تنتمي إلى قبيلة مصمودة منها التي بايعت المهدي لأول مرة وتسمت بالموحدين وهي: "هرغة- قبيلة المهدي، كومية- قبيلة عبد المؤمن، تينملل هنتاة جنفيسة، جدميو"، انضمت إليهم قبائل أخرى من قبائل المصامدة مثل: هسكورة ودكالة وهيلانة وحاحة (1).

وكل من يوحد من البربر فإنه يدخل في عناصر الجيش الموحدية، وظل اسم الموحدين يطلق على القبائل السابقة في التوحيد وعلى القبائل التي انضمت إليها فيما بعد (2). وقد استحوذت هذه القبائل على المراكز الكبرى والقيادة في الجيش، بينما بقيت القبائل كانت أتباعهم. وللموحدين جند من سائر أصناف الناس من العرب والغز والأندلس والروم (3).

(1) عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 443-424.

(2) عز الدين موسى: الموحون في الغرب الإسلامي، ص 218.

(3) فتحي زغروت: الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين (المغرب والأندلس)، (القاهرة: دار التوزيع والنشر، ط1، 2005م)، ص 113-114.

1-2- العربة:

عرف بلاد المغرب العرب⁽⁴⁾ منذ الفتح الإسلامي وازدادوا منذ هجرة بني هلال وبني سليم إلى بلاد المغرب وظهر دورهم العسكري في عهد الموحدين خاصة العرب الهلالية، بعد فتح عبد المؤمن منطقة بجاية شعر بخطرهم مما جعله يستقدم عددا من أشياخهم إلى المغرب. غير أنه قهرهم عند سطيف سنة 548هـ/1153م وهذا ما نلاحظه في إحدى رسائل عبد المؤمن "... ونتيجة من نتائج أرائهم ونظرهم، بوادي الأقواس بجهات سطيف ... وتوجب مقارعتهم على دين الله ومقاتلتهم ولم يجدوا دواء يشفي من دائهم العضال إلى العزم على جهادهم ...، حتى انتهوا إلى أوائل بلاد إفريقية لا يرون لبقية المارقين أثرا..."، واستقدمهم بعد ذلك إلى المغرب حيث جاء في الرسالة 11 من المجموعة الجديدة: "...واقترحا أن يرسل من عقال الاعتقال يسرحا واختير لهما سكن فاس -حرسها الله- بجميع أهلها وبنيتها ليتزلوا بقراراتها خير منزل

ويكونوا التمييز أحوالهم هناك بمعزل وأمر لهم بما يقوم بهم من المؤاسان والمحترث والجنان " (1).

وبعد أن هزم عبد المؤمن عرب إفريقية في 555هـ/1160م بعث برسالة إلى طلبة فاس في ربيع الثاني يعلمهم بهزيمة عرب إفريقية ودخولهم تحت طاعة الموحدين وجاء فيها "... في غزو إفريقية في مسنى أعرق في الانتماء نسبه ... ووقف بهم حكم السيف والسنان، على طاعة أو عصيان ولا ثالثة، وقد خطرت...، فمن أبي إلا النفار ... وفي حين هذه المخاطبة ... وصلت أوائل العساكر المنصورة ففضت من قصصها عبرة لأولي الألباب... وأطلعت من معاني هذا الفتح المبارك ... وأنبأت بما أرسل الله في جميع بلاد إفريقية من سماء الأمن المنسكب المنساب..." (2).

وبعد حملة سطيف لاحظ عبد المؤمن بن علي شجاعة القبائل العربية وطريقتهم في القتال، فقرر نقل ألف فارس من كل قبيلة مرفقين بعيالهم إلى المغرب الأقصى، وقد تجسدت هذه الرغبة

(4) ينقسم العرب الذين دخلوا إلى إفريقيا إلى ثلاث قبائل: حكيم وهلال ومعقل. أنظر الوزان: وصف إفريقيا، 49/1.

(1) مجموع رسائل موحدية، (ليني)، ص 31-34.

(2) المصدر نفسه، ص 115-117.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

في نصيحة عبد المؤمن بن علي لأبنائه سنة 554هـ/1159م التي قال فيها: "وأحل إفريقية من العرب وأجلهم إلى بلاد المغرب وأدخرهم لحرب ابن مردنيش"⁽³⁾.

غير أنه لم يضمهم إلى الجيش إلا بعد فتح إفريقية سنة 555هـ/1160م وكان هدفه تقليص نفوذ أشياخ الموحدين، فبعد فتح بجاية استفاد بمن استقدم من أشياخ العرب في استخلاف ابنه محمد ونقل الخلافة إلى حكم وراثي، ومن أجل استتباب الأمن في الأندلس وفي إفريقية⁽⁴⁾. ولهذا السبب أشار عبد المؤمن في إحدى رسائله إلى طلبة سبتة وطنجة في ولاية الأمير أبي عبد الله بن الخليفة "وكانت هذه العشائر العربية الهلالية والقبائل الشرقية والصنهاجية وما معها من حاضرة وبادية من أهل إقليمها وذوي ألباها وحلومها يشيرون ذلك على انتزاحهم، ويعلمون بأنه غاية اقتراحهم، ومادة نفوسهم وأرواحهم، ولم تزل مخاطباتهم في ذلك تتردد في حين بعد حين...وأعلموا أن محمدا وفقه الله هو الذي ارتضوه لحمل عبئهم وتخيره، ورغبوا في تقديمه على بلادهم"⁽⁵⁾.

ويتضح مما سبق أن سياسة الدولة الموحدية والمتمثلة في تهجير العرب كان هدفها إحداث تغيير سياسي وعسكري من أجل القضاء على الفتن الداخلية ووضع حد لقبيلة مصمودة التي سيطرت على الحكم.

سار يوسف على نهج أبيه، ولكن المنصور استجابهم تغريبا لهم وانتقاما منهم لأنهم تعاونوا مع الميورقيين والأغزاز فأنزل بني هلال في بلاط الهبط وجشم في بلاد تامسنا⁽¹⁾. بعد فتح قفصة من طرف يوسف بن عبد المؤمن سنة 576هـ/1180م رحل إلى تونس، واستقدم عساكر العرب إلى المغرب ثم أشركهم في الجهاد بالأندلس والمغرب⁽²⁾، ومن الوثائق الهامة التي تحدثت عن إفريقية وأحداثها بشأن العرب وسياسة الدولة الموحدية التي اتبعتها اتجاههم الرسالة التي نشرها ليفي والتي

⁽³⁾ يوسف عابد: الموحدون في بلاد المغرب، ص 27.

⁽⁴⁾ عز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 222.

⁽⁵⁾ مجموع رسائل موحدية، ص 222.

⁽¹⁾ عز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 223.

⁽²⁾ عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 293 - 298.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

بعثها إلى الطلبة والموحدين والشيوخ والأعيان والكافة بقرطبة جاء فيها: "وخلال ذلك جمع أشياخ العرب وأعيانهم والمشار إليهم من رؤسائهم ووجوههم وكبرائهم من جميع قبائل رياح...، وعرفوا أن الغرض فيهم هو غزو الروم الذين بجزيرة الأندلس..."⁽³⁾، وختمت الرسالة بقصيدة⁽⁴⁾:

أقيموا إلى العلياء هوج الرواحل وقودوا إلى الهيحاء جرد الصواهل

وقوموا لنصر الدين قومة تائر وشدوا على الأعـداء شدة صائل

يرى سعد زغلول أن⁽⁵⁾: الهدف من سياسة الموحدين المتمثلة في استنفار عرب إفريقية

للجهاد في الأندلس هو الاستيطان وتعريب الأندلس ونشر الإسلام على مذهب التوحيد.

يمثل العرب قسما هاما في الجيش الموحدية، فإلى جانب وجودهم في جيوش بجاية وإفريقية

كانوا يمثلون الجناح الهام في جيوش الحضرة إلى الولايات⁽⁶⁾. وتشير الرسائل الديوانية إلى العرب

ومشاركتهم في حركات الموحدية سواء في الأندلس أو في المغرب " فاستشرنا الموحدية - أعزهم

الله - وإخوانهم العرب - وفقهم الله - فبادر كلهم بنيات صادقة وعزائم إلى اغتنام الأمور

مسابقة"⁽⁷⁾.

ويذكر ابن أبي زرع أن المنصور سير حملة سنة 586هـ/1190م لاسترداد شلب من

البرتغاليين يتكون الجيش من الموحدية ومعهم جمع كبير من العرب ففتح بهم أربع مدن كانت بيد

الإفرنج، وأكبر الغزوات التي انتصر فيها المنصور هي وقعة الأرك عام 591هـ/1194م، وللغرب

الهلالية دور كبير فيقول ابن أبي زرع: "أول من أجاز البحر قبائل العرب ثم قبائل زناتة"⁽¹⁾.

وتذكر الرسالة رقم 12 من رسائل موحدية أن مشاركة العرب من بني رياح في الأندلس

لأول مرة سنة 560هـ/1164م، كما تشير ذلك الرسالتين 27، 28 عندما وجه الخليفة يوسف

ياشبيلية مجموعة من فرسان الموحدية والعرب إلى النصرانية الذين تجمعوا إلى جانب الوادي الكبير

⁽³⁾ مجموع رسائل موحدية، (لبيفي)، ص 104 - 107.

⁽⁴⁾ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 254 وما بعدها.

⁽⁵⁾ سعد زغلول: تاريخ المغرب، 6/ 216.

⁽⁶⁾ عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 224.

⁽⁷⁾ مجموع رسائل موحدية، الرسائل 24، 34، 37.

⁽¹⁾ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 219؛ وأمين توفيق طي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب، (الدار العربية للكتاب،

1997م)، 2/ 85.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

وأسرت عددا كبيرا من الناس ثم عادت في اتجاه قلعة رباح (بفحص هلال) جنوب طليطلة هزمتهم الطليعة وقتلت زعيمهم وحمل رأسه إلى الخليفة، وبعد وصول خبر النصر بعث الخليفة برسائل.

وحسب الرسالة رقم 67 انضمت عناصر جديدة من إفريقية في عهد الناصر، واستمر وجود العرب في الجيش الموحدى بالأندلس حتى عهد المستنصر كقوات عسكرية حسب الرسائل 94، 95، 96. وكان لكل جماعة من الجماعات العسكرية شيخ ويتأس جميع شيوخ القبيلة "مزوار" وهذا ما تلمح إليه الرسائل رقم 55، 90، 92، 96.

1-3- الأعرار:

هم جنس من الترك، تقع بلادهم في أقصى المشرق على تخوم بلد الصين⁽²⁾، في ثغور أثريجان⁽³⁾ جاء اسمهم من الاسم العربي لقبائل "الأوغوز" التركية⁽⁴⁾، عرفوا في المصادر العربية بأسماء عديدة منها "الترك والأكراد"⁽⁵⁾، دخل الغز بلاد المغرب على شكل رقيق، غير أن أعدادهم لم تكن كبيرة، وفي عهد الموحدين غزا الأعرار بلاد المغرب من جديد، وفي ذلك يقول المراكشي: "وفي أيام ولايته - يعقوب - إما سنة 83 أو 82 ورد علينا البلاد الغز من مصر كان أول من ورد علينا مملوك يسمى قراقوش..."⁽¹⁾، عندما نزل الغز ببلاد المغرب تحالفوا مع بني غانية، واتفقا على تقسيم المغرب إلا أن ذلك لم يتم حيث هزمهم الموحدون وضموهم إلى جيشهم⁽²⁾.

وفي الرسائل الموحدية التي كانت ترسل من ساحات القتال إلى أشياخ الموحدين وطلبهم في مراكش إشارات عديدة إلى هؤلاء الغز، ففي رسالة من إنشاء الكاتب ابن محشرة 13 شعبان

⁽²⁾ فتحي زغروت: الجيوش الإسلامية، ص 117؛ ونوارة شرقي: الحياة الاجتماعية، ص 58.

⁽³⁾ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري: كتاب الجغرافية وما ذكرته في الحكماء من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ، تحقيق: محمد حاج صادق، (بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت)، ص 60.

⁽⁴⁾ أحمد مختار العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، (الإسكندرية: منشأة المعارف، 2000م)، ص 164.

⁽⁵⁾ نوارة شرقي: المرجع السابق، ص 59.

⁽¹⁾ عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 265-266.

⁽²⁾ نوارة شرقي: الحياة الاجتماعية، ص 56.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

583هـ/ 23 أكتوبر 1187م من ظاهر قابس إلى الطلبة والموحدين والأشياخ بمراكش قوله:" فقد علمتم ما كان من الأشقياء الغزيين وإخوانهم من الضلالة الميورقيين من التسحب على أرجاء هذه الجهة الإفريقية وأكنافها... وكان بقابس بنو الشقي قراقوش وأهله ... ومعهم جماعة من أوباشه الذين يعتمد عليهم... فتحصنوا بقصبة بما منيعة الجوانب... وأجمعوا على الاستماتة بما... وما تمشى للأغزاز أبادهم الله ما تمشى إلا بملكها ..."(3).

وجاء في رسالة مؤرخة في 2 رمضان 583هـ/ 5 نوفمبر 1187 من إنشاء ابن محشرة إلى الطلبة والموحدين والأشياخ بتونس من ظاهر قفصة، أن الموحدين ألفوا بقفصة " جملة ذميمة من أشقياء الأغزاز وأتباعهم... وفي يوم الحلول بقفصة وصل خطاب قراقوش وأرساله راغبا في التوحيد... معلما أنه إن قبلت توبته وأجيبته رغبته، جاء إلى الموحدين... مطيعا سامعا... ووصلت في غده أرسال يضاهاي قراقوش في قدره..."(4).

وفي رسالة من قفصة بعد استيلاء الموحدين عليها ذو القعدة 583هـ/جانفي 1187م "ولم يبق في هذه الجهات كلها من الأغزاز ينفخ للفتنة"(5). وفي رسالة تالية من إنشاء ابن محشرة بتاريخ 10 ربيع الأول 584هـ/ماي 1188م "وكننا... قد عرفنا بمن استولى عليه بقابس... من الأغزاز ومن استترل منهم بقفصة"(6). وقد ألحق الأغزاز بعد استسلامهم بجيش الموحدين المرابط في إفريقية، إذ تشير الرسائل الموحدية إلى عسكر من الموحدين والأغزاز والعرب "وإلى جيش من الموحدين والأغزاز والأعراب"، وقد شارك الأغزاز في الغزوات الكبرى التي قادها المنصور في غرب الأندلس واسترد شلب من أيدي الصليبيين عام 586هـ/1190(1). كما بينت الرسائل الموحدية إلى أن الأغزاز عنصر من عناصر الجيش الموحدية أثناء حصار محمد الناصر للمهدية، جاء في الرسالة: "فجهزنا إليه عسكرا من الموحدين والأغزاز والعرب..."(2).

(3) مجموع رسائل موحدية، (ليني)، ص 180 - 191.

(4) المصدر نفسه، ص 197 - 198.

(5) نفسه، ص 208.

(6) نفسه، ص 214.

(1) نفسه، الرسالة 33.

(2) نفسه، ص 257.

1-4- الروم:

احتفظ الموحدون بالجند الرومي، بعد أن قضوا على المرابطين، فقد كانت كتيبة من الروم ضمن الجيش الموحد الذي أرسل لقتال الماسي بعد فتح مراكش 541هـ/1146م، واستكثر يوسف بن عبد المؤمن منهم في جيشه، فقد كانوا عنصرا من عناصر الجيش في مراكش، واستخدامهم لم يكن قاصرا على جيش الحضرة بل كان في كل ولاية من ولايات المغرب الأقصى ويتم استخدامهم باتفاق مع ملوكهم مقابل بناء كنيسة وتخلي الموحدين لهم على بعض الحصون⁽³⁾.

ذهب هوبكتر أن⁽⁴⁾: هؤلاء النصارى هم الذين قاموا بفتح أبواب مدينة مراكش لعبد المؤمن سنة 541هـ/1146م. وقد وضحت الرسالة رقم 126 من رسائل موحدية جديدة وهي رسالة الخليفة المرتضى إلى البابا إينوسنت الرابع بشأن المرتزقة الإسبانية حيث جاء فيها "أن توجهوا هؤلاء النصارى المستخدمين ببلاد الموحدين... من ترونيه يرسم ما يصلحهم في دينهم ويجريهم على معتاد قوانينهم"، وحددت شروط المجندين من عقل وسلوك حسن⁽⁵⁾.

قتل عبد المؤمن جراندة أحد قاداته النصارى عندما ثبتت خيانتته⁽⁶⁾، وفي وقعة أم الرجلين سنة 659هـ/1260م بين أمير المسلمين يعقوب وجيوش المرتضى الذي كانت عناصره من الموحدين والعرب والأغزاز والروم، بعث معه وجوه الموحدين وأشياخهم من سفيان والخلط والأثيخ وبني جابر

وبني عاصم وقواد الروم والأغزاز والمصامدة إلا أن أمير المسلمين يعقوب غلبه⁽¹⁾.

1-5- السودان:

⁽³⁾ عز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 227 - 229.

⁽⁴⁾ النظم الإسلامية، ص 113.

⁽⁵⁾ رسائل موحدية - جديدة -، (العزاوي)، 1/ 404.

⁽⁶⁾ العبادي: صور من حياة الحرب، ص 172 - 173.

⁽¹⁾ ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، ص 96.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

ابتداء من خلافة يوسف بن عبد المؤمن كان للسودان فرقة قائمة بذاتها في الجيش الموحدية، وكانوا يقومون بردم خنادق المدن المحاصرة أو هدم أسوارها بعد فتحها، ومن السودان من كان حرس الخلفاء ويبدو أنهم كانوا يمشون بين يدي الخليفة خلال سير الجيش، ويضربون دائرة حول قبته أثناء المعارك⁽²⁾. إضافة إلى خدمة الأمير المتزلية في القصر، عرفوا في عهد ابن تومرت باسم "أهل الدار"⁽³⁾.

1-6- الأندلسيون:

تؤلف القوات الأندلسية بالجيش الموحدية جناحا هاما، تشترك في سائر الغزوات والحروب ضد النصارى وكانت القوات الأندلسية تمتاز بشجاعتها. قبيل فتح مراكش بدأ المنتزون في نواحي الأندلس يدخلون في التوحيد وأقر عبد المؤمن من يوحد على إدارة منطقتهم التي كان يسيطر عليها، واحتفظ كل منتز بجيوشه التي كانت تحت إمرته، وبعد أن ثارت العناصر الأندلسية على الموحدية، أرسل عبد المؤمن عناصر من الموحدية لتقييم في الأندلس، وهذا لا يعني أنه صرف الجنود الأندلسيين عن العمل العسكري، وقد تركهم في الجيش، ولكن في مراكز ثانوية وفي كل الحملات العسكرية في الأندلس نجد ذكرا للجنود الأندلسيين⁽⁴⁾.

2- تقسيم الجيش:

2-1- الرماة:

وردت لفظة "الرماة" عند البيدق بمعنى عبيد المخزن، عندما تطرق إلى أفخاذ عبيد المخزن، وقال: "منهم ثمانية من الرماة"⁽⁵⁾، ذكرها ابن القطان باسم "الغزاة" فقط وقال عنها بأنها "الأحداث الصغار"⁽¹⁾، وذكرها صاحب الحلل في المرتبة الثالث عشر باسم "الغزاة والرماة" وقال في موضع آخر "وقدم عليه الشيخ أبا حفص عمر ابن الهنتاتي ومعه جملة من الموحدية وجملة من

⁽²⁾ عز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 229-230.

⁽³⁾ سعد زغلول: تاريخ المغرب، 7/ 127.

⁽⁴⁾ عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 220.

⁽⁵⁾ البيدق: المقتبس، ص 57.

⁽¹⁾ نظم الجمان، ص 82.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

الرماة وطائفة من النصارى وغيره من الأجناد"⁽²⁾ وهذا ما سيدل على أن الرماة والغزاة اسم واحد ولكن البيدق فرق بين الرماة والغزاة"⁽³⁾، تكررت هذه الكلمة كثيرا في الرسائل الرسمية فيفهم منها أنها تعني الرماة، وفي بعض الأحيان يفهم أنها تعني القوات البحرية لأن السلاح البحري أساسه الرماية"⁽⁴⁾، " فتناطح القوم هناك وتراموا بالسهام، وتداعسوا بالرماح وتماصعوا بالسيوف"⁽⁵⁾.

وجاء في الرسالة الخامسة أثناء غزو مالقة والمرية من طرف أبي عبد الله بن سفيان وأصحابه: " فوقفنا على ما سنى الله تعالى لصاحبكم أبي محمد عبد الله بن سليمان وأصحابه النافذين معه في القطائع - عمرها الله - حين ركبوا ثبح البحر غزاة في سبيل الله"⁽⁶⁾، " ... وجد أهل الإجدادة من الرماة فرشقوهم ببتات الحنايا... "⁽⁷⁾.

2-3 - الرجالة والفرسان:

الرجالة أو المشاة هم جنود يعتمدون السير على الأقدام وسيلة للحركة"⁽⁸⁾، تشير بعض الرسائل أن الجيش الموحدى يتكون من الرجالة والفرسان، هذا ما توضحه الرسالة التي بعثها عبد المؤمن بفتح تارودانت "فميزنا عسكريا مباركا من خيل ورجل"⁽⁹⁾. وفي رسالة من إنشاء أبي الحكم بن مرخي يصف فيها معركة فحص الهلال "جمعا كثيفا من الفرسان والرجالة"⁽¹⁰⁾.

⁽²⁾ ابن الخطيب: الحلل الموشية، ص 80، 111.

⁽³⁾ البيدق: المقتبس، ص 57-59.

⁽⁴⁾ يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، (القاهرة مكتبة الخانجي، ط2، 1996م)، ص 243.

⁽⁵⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغراوي)، 1/ 83-86.

⁽⁶⁾ مجموع رسائل موحدية، (ليني)، ص 11.

⁽⁷⁾ رسائل موحدية، 1/ 373.

⁽⁸⁾ موسى هيصام: الجيش في العهد الحمادي 405هـ - 547هـ / 1014-1152، (رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، 2000-2001م)، ص 16.

⁽⁹⁾ رسائل موحدية، 1/ 50-52.

⁽¹⁰⁾ المصدر نفسه، 1/ 130-134.

كان الجيش الموحي يعتمد اعتمادا كبيرا على الرجال الذين كانوا أغلبية الملك في معظم المعارك، غير أن الفرسان وإن كانوا قلة في بداية الثورة إلا أنهم أصبحوا كثير العدد بعد قيام الدولة، ونجد في بعض الأحيان يتساوى عدد الفرسان عدد الرجال⁽¹⁾.

قال صاحب الحلل عند قتال الموحدين للماسي: "وفي أثناء ذلك قاتل عبد الحق من قبيلة دكالة فانحاز إلى الساحل في نحو عشرين ألف فارسا ومأتي ألف راجل وسار إليهم عبد المؤمن في أمم لا تحصى من الخيل والرجل والرماة، وكان أهل دكالة لا رامي عندهم"⁽²⁾. كانت دعامة جيش الموحدين تركز على قوة المشاة، وكان تقسيم الجيش كله يجري حسب الطريقة الجرمانية القديمة على نظام العشرينات، ولكل وحدة قائدها الخاص⁽³⁾.

يوضح التقديم رقم 38 أن الجند النظامي لا يختص بلقب العسكر جاء فيه: "توجيه العسكر المبارك مع صحبة من تم اختيارهم من الموحدين"⁽⁴⁾، وعندما يشار إلى العساكر فإنه عادة يكون مدلوها "الجيش القبلي". بما فيها المتطوعة، أما الأجناد فالظاهر أنهم الجند النظامي الموحي والأندلسي، إلا أن بعض الرسائل تذكر عبارة "الموحدين والعرب والأجناد"⁽⁵⁾، وأثناء معركة العقاب قسم الجيش الموحي إلى خمس فرق تتألف القوة الأمامية من القوات المتطوعة من مختلف الطوائف وتتألف قوات القلب القوات الاحتياطية من الجند الموحي، وهم أغلبية الجند النظامية، وتتألف الميمنة من القوات الأندلسية، والميسرة من قوات البربر من مختلف القبائل⁽⁶⁾.

3- الوحدات العسكرية:

تعتبر القبيلة وحدة التشكيلات الموحدية، حيث يقسم الجيش إلى قسم العرب وقسم البربر من أجل مراعاتها أثناء السير أو القتال أو توزيع العطاءات، أما جند الأندلس فقد كانوا وحدة

(1) عز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 233.

(2) ابن الخطيب: الحلل الموشية، ص 111.

(3) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس، ص 243.

(4) رسائل موحدية - جديدة -، (الزاوي)، 1/ 466.

(5) المصدر نفسه، 1/ 191 - 195.

(6) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، 4/ 219؛ ومحمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس - عصر الموحدين -، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 2001م)، 5/ 308.

عسكرية إلا أنها قسمت إلا فرق بحسب المناطق الإدارية، ولكل من العبيد والروم والأغزاز وحدات

قائمة بذاتها، كل وحدة منها قسمت إلى تشكيلات عشرية عليها نقيب أو مزوار⁽¹⁾.

اقتبس عبد المؤمن تنظيم الصفوف من الطريقة الجرمانية، فقد جعل كل صف يتألف من عشرة من الجند وكل وحدة لها قائدها⁽²⁾. وردت هذه الفرق في الرسائل باسم الكتائب، وجاء في رسالة عن الشيخ عبد الواحد الحفصي بمناسبة انتصاره على ابن غانية في إفريقية: "وحملت الكتائب على الكتائب"⁽³⁾، وفي رسالة أخرى عن السيد محمد بن الخليفة يوسف من ظاهر يابرة إلى أهل مرسية بشرق الأندلس "وقد أقصدته جنود الحق وكتائبه وانتشرت بجهاته المستباحة جحافلهم"⁽⁴⁾، وفي رسالة تالية المعبرة عن هزيمة العقاب "والمسلمون عزيزة جوانبهم، محروسة بقدرة الله كتائبهم"⁽⁵⁾، ومنها أيضا "إن كانت الجحافل المجردة في هذه الغزوة السعيدة بعض المغامر والعساكر الجمدة مقودة بشكائم الغلبة وقد اجتمعت منهم كتبية جأواء، وفيلق شهباء، وجحفل نخباء"⁽⁶⁾.

4- قائد الجيش:

أشارت الرسائل إلى تعيين قائد للجيش جاء فيها "اخترناه لقود العساكر وطلب العدو الغادر"⁽⁷⁾، وكانت صلاحياته سد الثغور والدفاع عن البلاد برفع السيف في وجه الأعداء⁽⁸⁾. كما أسندت له مهمة استئصال أولي الشر والفساد ودفاع أهل البغي، كما يتولى الجباية⁽⁹⁾.

5- وسائل القتال:

(1) عز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 237، وعصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 142.

(2) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، 4/352.

(3) مجموع رسائل موحدية، (ليفي)، ص 226.

(4) رسائل موحدية - جديدة-، (الزراوي)، 1/247.

(5) المصدر نفسه، 1/270.

(6) مجموع رسائل موحدية، ص 213-214.

(7) رسائل موحدية، 1/447؛ جاء في التقديم الأربعون "وإلى هذا فإن قدمنا الآن فلانا على الجيش"، المصدر نفسه، 1/468.

(8) المصدر نفسه، 1/447.

(9) نفسه، 1/449.

الأدوات التي استعملها الموحدون في قتالهم هي الوسائل المعروفة من قبلهم، وهي:

5-1- أسلحة قتال خفيفة: يستخدمها الجندي الواحد بمفرده كالقوس والرمح

والسيف⁽¹⁰⁾.

- **السيف:** يعتقد أنها اشتقت من الكلمة المصرية القديمة "سفيت" وهي من أشهر الأسلحة الفردية التي استخدمت على مر العصور⁽¹⁾، يعتبر أكثر الأسلحة العربية شيوعاً⁽²⁾. فهو سلاح هجومي باعتباره وسيلة فعالة في الدفاع عن الذات والمبارزة والقتال، سواء لفرقة المشاة أو الفرسان، فهو أداة خفيفة تلازم الفرد المجدد أينما حل وارتحل في حالي الحرب والسلم⁽³⁾.

أشارت الرسائل الموحدية إلى استعمال الموحدون للسيف في عدة مواطن منها: "استلحمت السيوف أحزاب الضلال"⁽⁴⁾، "وأثوا عليهم قعصا بالرمح وهبوا بالسيوف"⁽⁵⁾.

- **الرمح:** من الأسلحة التي استعملها المسلمون كثيراً في حروبهم، وله أحجام مختلفة فمنه القصير ذو أربعة أذرع وهو أشبه بالعصا وله عدة أسماء منها الحربة والغترة⁽⁶⁾، ومنه الطويل الذي يتأرجح بين أربعة أذرع وعشرة وله طبقات، وهذا أطلقوا عليه عدة أسماء: المربع والمخموس، والتام وإذا أفرط في الطول سموه: الخطل لاضطرابه في يد صاحبه⁽⁷⁾. يستخدم للكر والإغارة

⁽¹⁰⁾ فتحي زغروت، الجيوش الإسلامية، 160.

⁽¹⁾ أحمد عبد الرازق: الحضارة الإسلامية، ص 191.

⁽²⁾ حسين الحاج حسن: النظم الإسلامية، ص 455؛ ووردة العابد: القيادة العسكرية في الثغر الأدنى والأعلى بالأندلس في ق5 حتى ق6ه (ق11-12م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط تخصص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس، (جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008م)، ص 62.

⁽³⁾ موسى هيصام: الجيش في العهد الحمادي، ص 47.

⁽⁴⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغراوي)، 247/1.

⁽⁵⁾ المصدر نفسه، 171 / 1.

⁽⁶⁾ أنور عبد العليم: "الملاحة وعلوم البحار عند العرب"، عالم المعرفة، 13 سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1979 م، ص 96.

⁽⁷⁾ حسين الحاج حسن: المرجع السابق، ص 455.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

والرمي عن بعد⁽⁸⁾، والموحدون استعملوا الرماح في حروبهم هذا ما نستدل به من الرسائل الموحدية "وأثوا عليهم قصعا بالرماح وهبوا بالسيوف"⁽⁹⁾، وجاء في الرسالة 109: "ممزقة بالرماح"⁽¹⁰⁾.

- **القوس**: عود من شجر جبلي صلب، يحنى طرفه بقوة ويشد بينهما وتر من الجلد أو العصب، ولا بد من سهام يحتفظ بها الجندي في جعبته الجلدية ليرمي بها عن قوسه⁽¹¹⁾، ولا يمكن للقوس أن يؤدي دوره المنوط به إلا بوجود السهم والنشاب، فالسهم عبارة عن عود رفيع من شجر صلب، فهي طول الذراع تقريبا⁽¹⁾، وقد أشارت الرسائل الموحدية إلى استعمال الموحدون للأقواس "وجد أهل الإجازة من الرماة فرشقوهم بينات الحنايا"⁽²⁾، وجاء في الرسالة 61 من المجموعة الجديدة "يرشقون من يريدها من خللها كالنبال"⁽³⁾، "وأنشئ عليهم سحاب مكفهر من النبال"⁽⁴⁾.

5-2- أسلحة قتال ثقيلة: يشترك في استخدامها أكثر من جندي كالمجنيق والدبابة⁽⁵⁾:

5-2-1- آلات الحصار:

- **المنجنيق (العرادة)**: وهي آلات لقفذ الأحجار الضخمة المضرسة بواسطة الشد على لولب، والعرادة آلة دون المنجنيق في الحجم تستخدم لرمي الحجارة والسهام وقدور النفط⁽⁶⁾. استعمل الموحدون المنجنيقات في حروبهم، هذا ما ذكرته الرسائل الموحدية في مواطن عدة، استعملت من طرف الأمير يعقوب يوسف هذا ما تؤكد الرسالة التي بعثها إلى طلبة

⁽⁸⁾ موسى هيصام: المرجع السابق، ص 48.

⁽⁹⁾ رسائل موحدية، 1/ 171.

⁽¹⁰⁾ المصدر نفسه، 1/ 358.

⁽¹¹⁾ حسين الحاج حسن: المرجع السابق، ص 456.

⁽¹⁾ وردة العابد: القيادة العسكرية، ص 61.

⁽²⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغراوي)، 1/ 373.

⁽³⁾ المصدر نفسه، 1/ 254.

⁽⁴⁾ نفسه، 1/ 268.

⁽⁵⁾ فتحي زغروت: الجيوش الإسلامية، ص 162.

⁽⁶⁾ وردة العابد: المرجع السابق، ص 65؛ وأنور عبد العليم: " الملاحه وعلوم البحار..."، ص 97.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

مراكش في ذي القعدة 583هـ/1187م يعرفهم بفتح هذه المدينة: "فنصبت إليهم مجانيق ... واستمرت مدة على نكايتها فيهم وقتل مقاتلتهم وهدم مبانيهم... وهدمت عددا من أبراجهم"⁽⁷⁾.

كما استعملها الناصر عند فتح شلبطرة، وهذا ما توضحه الرسالة التي بعثها إلى الولايات معلما فيها بفتح هذا الحصن "أمرنا بالمنجنيق فزحف بها إليه تقذف حجارة كالجبال عليه وأنشئ عليهم سحاب مكفهر من النبال تتكسر منه النصال"⁽⁸⁾.

- **الدبابة:** عرفها العرب في حروبهم، حيث كانوا يصنعونها من الخشب السميك، تغلف باللبايد والجلود المنقوعة في الخل لدفع النار، تركب على عجلة وتحرك فتجر فيدفعها الرجال على البكر⁽¹⁾. أتقن الموحدون هذا النوع من السلاح واستعملوه في حروبهم⁽²⁾، استخدمها الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أثناء حصاره لقفصة، " واشتغل مع ذلك بعمل آلات حربية يستظهر بها على الحصون المهيدة، وتكون في الحرب والمكيدة مثل المجانيق والدبابات والأبراج"⁽³⁾.

- **الأبراج:** استعملت الدولة الموحدية الأبراج المتحركة⁽⁴⁾ التي كانت تبنى من العود حيث كانت تشحن بالرماة والآلات وكان علو هذه الأبراج يفوق علو الأسوار ومن هذه الأبراج البرج المبارك "ولما كملت الآلات، وبلغت من الخدم الغايات وأشرف البرج المبارك على جدرانهم وتمكنت المجانيق من هدم بيوتهم"⁽⁵⁾.

5-3 - وسائل دفاعية ثابتة:

- **حفر الخنادق:**

⁽⁷⁾ مجموع رسائل موحدية، (لبيفي)، ص 203 - 205.

⁽⁸⁾ رسائل موحدية، 1/ 264 - 268.

⁽¹⁾ حسين الحاج حسن: النظم الإسلامية، ص 456.

⁽²⁾ فتحي زغروت: الجيوش الإسلامية، ص 173.

⁽³⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الزواوي)، 1/ 147.

⁽⁴⁾ سعد زغلول: تاريخ المغرب، 7/ 132.

⁽⁵⁾ رسائل موحدية، 1/ 147.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

من أهم وسائل الدفاع القديمة والحديثة، فقد كانت تقوم الجيوش بحفرها حول مدنها وحصونهم للدفاع من الخلف، وتكون مانعا لهم من الغدر والمفاجأة من جانب، وقد حرصت القيادة الموحدية على إقامة الخنادق في معظم حروبها⁽⁶⁾، وقد أشارت ذلك الرسالة التي كتبها عبد العزيز بن مرخي حول فتح قفصة ومحاربة المتزري: "وأحاطوا بمدينتهم إحاطة الأطواق بالأعناق وشدوا عليهم أنشودة الحصار والخنادق"⁽⁷⁾.

- **الحصون:** اهتم الموحدون بإنشاء عدد كبير من القلاع والحصون في بلاد المغرب، ومن الخلفاء الموحدين الذين اهتموا بالبناء الحربي عبد المؤمن بن علي، وأبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، والمنصور، والناصر، ينسب إلى عبد المؤمن بناء سور تاكرت سنة 540/1145م⁽⁸⁾،

ثم أمر ببناء حصون جبل الفتح⁽¹⁾ سنة 555/1160م⁽²⁾.

بعد أن انتهى عبد المؤمن من فتح المهديّة انقادت له جميع أقاليم إفريقية، عاد إلى المغرب وأصدر قرارا ببناء مدينة حصينة سماها مدينة الفتح، هذا ما جاء في إحدى رسائلهم "وهو النظر في احتطاط مدينة عتيقة مباركة بجبل طارق... ويرتكز بفنائها علم هذه الطائفة ولوؤها... وإعداده على مقتضى المدن المحصنة المحسنة..."⁽³⁾. والهدف من بناء هذه المدينة اتخاذها كقاعدة من أجل خدمة الجهاد في الأندلس، وإعادة ما فقده المسلمون من مدن وقواعد حربية⁽⁴⁾.

ب- الأسطول:

⁽⁶⁾ وردة العابد: القيادة العسكرية، ص70.

⁽⁷⁾ مجموع رسائل موحدية، (ليني)، ص 99-113.

⁽⁸⁾ فتحي زغروت: المرجع السابق، ص149.

⁽¹⁾ يسمى جبل طارق "Gibrateur"، يطلق عليه قبل الفتح الإسلامي جبل كالي "Mons Calpo" ومعناه التحوييف أو الجبل المخوف، لوجود كهف في أسفله من ناحية البحر يعرف بغار الأقدام، عرف بعدة تسميات بعد الإسلام: الصخرة، جبل طارق، جبل الفتح. أنظر هلمة شهاب أحمد: "الأهمية الإستراتيجية لجبل طارق عند العرب والمسلمين خلال القرون الوسطى 92-867/711-1462م"، مجلة آفاق الثقافة والتراث (الإمارات العربية المتحدة)، ع16/ مارس 1997 م، ص68-69.

⁽²⁾ ابن الخطيب: الحلل الموشية، ص 118.

⁽³⁾ مجموع رسائل موحدية، (ليني)، ص 97.

⁽⁴⁾ هلمة شهاب أحمد: المرجع السابق، ص70.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

اختص الموحدون بعمارة الأساطيل الحربية فقد عملوا على إضافة العديد من السفن والقطائع بعد انضمام الأسطول المرابطي إليهم⁽⁵⁾، ويتكون الأسطول حسب ما ورد في الرسائل من:

1- **الغربان:** جمع غراب وهي مراكب طوال، تمتاز بسرعتها، عرفت بهذا الاسم لأن مقدمة هيكلها تشبه رأس الغراب، وعند انتصار الموحدون في إحدى المعارك البحرية قرب مدينة تنس سنة 567هـ/1171م، بعد اصطدام القطع البحرية الموحدية بالقطع النصرانية، وجه الموحدون الرسالة إلى أبي فلان معلنة كيفية اصطدام القطعتين⁽⁶⁾.

2- **الطرائد:** جمع طريدة، سفن خاصة لحمل الخيل⁽⁷⁾، وتتسع لحمل أربعين فرسا⁽⁸⁾،

ذكرت الطرائد في الرسالة التي بعثها صلاح الدين إلى المنصور⁽¹⁾، مفتوحة المؤخرة لها أبواب⁽²⁾.

3- **الشخاتير:** سفن تجارية ولكنها استعملت للشحن الحربي⁽³⁾.

معظم الرسائل التي تحدثت عن المعارك البحرية اكتفت بذكر اسم "الأسطول المظفر" أو "الركائب"⁽⁴⁾. للأسطول الموحدية أهمية كبيرة حيث قال ابن خلدون: "ولما استفحلت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا العدوتين أقاموا خطة هذا الأسطول... وانتهت أساطيل

⁽⁵⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزاوي)، 1/الرسائل 10، 46، 50، 53؛ ومجموع رسائل موحدية، الرسالة 05.

⁽⁶⁾ أحمد عبد الرازق: الحضارة الإسلامية، ص215؛ وتوفيق مزاري: النشاط البحري، بالمغرب الإسلامي في عهدي الموحدين والمرابطين، (تلمسان: جسر للنشر والتوزيع، 2011 م)، 412/2.

⁽⁷⁾ عبد الفتاح عبادة: سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها في الإسلام، (مصر: مطبعة الهلال، 1913م)، ص 95.

⁽⁸⁾ أنور عبد العليم: "الملاحة وعلوم البحار..."، ص95.

⁽¹⁾ رسائل موحدية، - جديدة-، (الغزاوي)، 1/ 185.

⁽²⁾ توفيق مزاري: النشاط البحري، 416/2.

⁽³⁾ أحمد غزاوي: قضايا تاريخية خلال العصرين الموحدية والمريني، ص85.

⁽⁴⁾ رسائل موحدية، 1/ الرسائل 50، 55؛ ومجموع رسائل موحدية، (ليني)، الرسالة 20.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

المسلمين على عهده في الكثرة والاستجادة إلى ما لم تبلغه من قبل ولا من بعد فيما عهدناه"⁽⁵⁾،
يدعى المسؤول عن الأسطول⁽⁶⁾ "المقدم" أو "الرايس"⁽⁷⁾.

4- ديوان الأسطول:

من خلال التقاديم يتبين لنا أن الدولة الموحدية وضعت للأسطول ديوانا تسميه في بعض الأحيان "ديوان البحر"، من صلاحياته النظر في الأسطول وأشغال البحر والتصرف في مصالح الأسطول وأرزاق غزاته⁽⁸⁾.

ج- رواتب العساكر وأعطياتهم:

1- البركات: هي رواتب تقدم لهم ثلاث مرات في السنة⁽⁹⁾ في كل أربعة أشهر،
غير أن الغز يقبضونها شهريا تسمى "الجامكية"⁽¹⁰⁾، تختلف البركات حسب مكانة المقاتل فارس
أو راجل شيخ للعرب أو شيخ للموحدين، وخلال التحركات العسكرية توزع البركات في
بدايتها ثم توزع العلف والمواساة والتضييفات أيضا، حددت إحدى الرسائل راتب القائد أبي
بكر بن الشيخ المشرف أبي الحسن بن غالب بأربعين دينارا في كل شهر مع مدين من القمح
وأربعة أمداد من الشعير⁽¹⁾.

أما رواتب الجند النظاميين المسجلين في ديوان الجيش كانوا يتناولون بركاتهم حسب
درجتهم، وطبيعة المهام التي يقوم بها، فالعساكر الذين يجشدون من أجل حملة معينة لهم بركاتهم
طالما كانوا في الخدمة، ويأخذون أيضا أربعة أحماس من المغنم المؤخوذة من العدو⁽²⁾.

⁽⁵⁾ ابن خلدون: المقدمة، 31/2-32.

⁽⁶⁾ يرى البعض أن قائد الأسطول يسمى في عهد الموحدين بـ: "صاحب البحر"، وكان علي بن عيسى بن ميمون أول أمير
للبحر الموحيدي، وأعلى منصب في قيادة الأسطول يسمى "شيخ الرؤساء". أنظر مزارى: المرجع السابق، 378/2-379.

⁽⁷⁾ "... ومقدماهما حسن وأبو بكر...". أنظر رسائل موحدية، 87/1.

⁽⁸⁾ المصدر نفسه، 413-414/1.

⁽⁹⁾ تقدم لهم أربع مرات في السنة. أنظر سعد زغلول: تاريخ المغرب، 133/7.

⁽¹⁰⁾ رسائل موحدية، 113-114/1؛ و عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 266.

⁽¹⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الزواوي)، 391/1.

⁽²⁾ سعد زغلول: تاريخ المغرب، 134/7.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

2- **المواساة:** هي غلة تفرق عليهم عند تحصيل الغلات في المخازن⁽³⁾ تكون مالية غير محدودة المدة فعبد المؤمن كان يخرج للمواساة مرتين أو ثلاثا في الشهر الواحد بسبب حضور المال لديه والخليفة يوسف كان يصل الموحدين بالمواساة في كل شهر والبركات على ممر الدهر⁽⁴⁾.

3- **الإحسان:** هو مبلغ يفرق سنويا وليس له قدر مضبوط، وإنما على قدر ما يراه السلطان وبحسب أقدار الناس، ومقادير العطايا بينهم متفاوتة، وكذلك القبائل ومزاويرهم على هذا النحو، والجند الغرباء، يميزون في الأعطيات على الموحدين وللعرب أهل البادية إقطاعات كثيرة، ومنهم من يخرج مع السلطان إذا استدعاهم السلطان للخروج⁽⁵⁾.

د- التمييز:

نظام شبيه بنظام الامتحان، فكل من ميز وثبت توحيدده عد موحدًا وسجل في سجل خاص في العاصمة والنواحي. كانت عادة التمييز تستخدم خاصة قبل القيام بمعركة من المعارك، كما أنه يعمل على تقسيم الجيش إلى الكتائب والفرق المحاربة، وقد أشار اسم كاتب ديوان التمييز ابن صاحب الصلاة بقوله: "حدثني الكاتب أبو عبد الله ابن محسن كاتب ديوان التمييز..."⁽⁶⁾.

في سنة 519هـ / 1125م قام المهدي بعملية عرض عرفت باسم "التمييز" من أجل تحطيم

المعارضين والمنافقين في تينملل ومن أجل إعادة ترتيب قواته والتخلص ممن يشك في سلوكه أو ولائه من أتباعه، عهد بها إلى أبي محمد عبد الواحد البشير "الونشريسي" وهي عملية تطهير تهدف إلى تنقية الأتباع أو الأنصار من العناصر المعادية أو المناققة فلا يبقى من الأعوان إلا المخلصون

⁽³⁾ القلقشندي: صبح الأعشى، 5 / 141.

⁽⁴⁾ العزاوي: رسائل موحدية، 2 / 235.

⁽⁵⁾ رسائل موحدية، 1 / الرسالة 55؛ والقلقشندي: صبح الأعشى، 5 / 141.

⁽⁶⁾ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص 148؛ وعصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 150.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

حقا، والمؤمنون بسلامة الحركة وصدق نواياها في عملية الإصلاح الهادفة إلى خير جماعة الموحدين⁽¹⁾، قال ابن القطان في ذلك: " كان للموحدين تمييز قتل فيه المنافقون، وتمييز بتينملل"⁽²⁾.

اختلفت الروايات وذهبت مذاهب شتى في تفسير هذا الحد، فابن الأثير روى ثلاث

روايات:

الأولى أن: ابن تومرت لما انتقل إلى مدينة تينملل خاف كثرة أهلها واحتمال تغييرهم عليه وانقلابهم ضده دعاهم للحضور إلى مسجده خارج المدينة بدون سلاح، وعند حضورهم قفز عليهم أصحابه وقتلهم جميعا ثم دخلوا المدينة واعتدوا على الأموال وسبوا النساء والأطفال.

والثانية تذكر أن: ابن تومرت لما خاف أهل تينملل دبر حيلة للتخلص منهم، وجد أن نسبة كبيرة من أبنائهم تغلب عليهم الشقرة استفسر عن ذلك ف قيل له: أن ملك المرابطين يرسل مجموعة من الروم لجمع الزكاة فينامون مع نساتنا على كره منا، واستقبح ابن تومرت، عندما التقى ابن تومرت بالونشريسي حكى له القصة لكي ينظر فيها باعتباره يعرف شيء من الدين، فنادى المهدي أهل الجبل بالحضور إلى للتمييز، فكان الونشريسي يعمد إلى الرجل الذي يخاف ناحيته، فيقول هذا من أهل النار، فيلقى من الجبل مقتولا، وإلى الشاب الغر ومن لا يخشى فيقول هذا من أهل الجنة، فيترك على يمينه فكان عدد القتلى سبعين ألفا⁽³⁾.

ذهب مراجع الغنای أن ابن تومرت لو خاف أهل الجبل فعلا وقام بتطهيرهم، لما وجدنا لهم ذكرا في نظام طبقاته بل نجدهم يكونون الطبقة الثامنة وهم الطبقة التالية لطبقة هرغة⁽⁴⁾.

وأرجح الروايات هي تلك التي تذكر أن المهدي طلب من شيوخ القبائل أن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن يرفعوا إليه أسماء الأشرار المفسدين ثم طلب منهم أن يحاولوا

(1) البيهقي: المقتبس، 36؛ وابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص179؛ وسعد زغلول: تاريخ المغرب، 5/ 241.

(2) ابن القطان: نظم الجمان، ص156.

(3) ابن الأثير: الكامل، 7/ 297- 298. كان معظم الذين نفذ فيهم حكم الإعدام من المسنين الذين لم يتحمسوا لدعوة المهدي، إما لعدم اقتناعهم بها أو لخوفهم من انتقام المرابطين. أنظر ميراندا: التاريخ السياسي، ص 76.

(4) مراجع عقيلة الغنای: قيام دولة الموحدين، (بنغازي: منشورات جامعة قار يونس، 2، 2008م)، 238- 239.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

إصلاح الأشرار بالإرشاد، وأن يكتبوا له أسماء المتمادين في غيهم ففعلوا ذلك، ثم طلب منهم ذلك مرة ثالثة فأجابوه إلى مطلبه فاستعرض قوائم الأسماء وعلم أسماء الأشرار والمفسدين التي تكررت ثلاث مرات في القوائم، ودفع القوائم إلى الونشريسي ثم جمع القبائل وطلب منه تمييزهم⁽¹⁾، فجعل الأشرار على شماله وبقية الموحدين على يمينه، فقامت كل قبيلة من قتل أشرارها⁽²⁾.

سار خلفاء المهدي سيره، في سنة 530هـ/1135م قبل غزوة تادلا، حيث قام عبد المؤمن بتمييز الجيش بتينملل وقسم لهم البركات، وتشاور مع الموحدين على الجهة التي يقصدها فنصحوه بتادلا. جاء في الرسالة "فميزنا عسكريا مباركا من خيل ورجل فخرجوا إلى ناحية تارودنت"⁽³⁾.

أما الخليفة يوسف فقد قام بتصنيف الناس والعساكر حسب أقدمتهم في الدخول في الدعوة الموحدية، وكان البدء في أول يوم بعرض قبيلة زغبة، وتمادى عرضهم مدة خمسة عشرة يوما، كان ذلك على دفعتين يوميا الأولى من الصباح حتى صلاة الظهر والثانية من بعد صلاة الظهر إلى آخر النهار، والخليفة جالس مع أشياخ الموحدين وأشياخ طلبة الحضر وأشياخ العرب. وجه الخليفة يوسف لأهل مراکش حول انتصاره في معركة فحص الجلاب اتجاه قلعة رباح رسالة إخبارية يصف فيها هذا النصر "استخبر الله تعالى على تمييز العساكر المنصورة"⁽⁴⁾.

وجاء في رسالة عن السيد أبي حفص وأبي سعيد حول هزيمة ابن مردنيش في موقعة الجلاب وانحصاره داخل مرسية "تميزوا شعوبا وقبائل"، وفي الرسالة رقم 96 حول تمييز كومية والتحذير من عدم اختلاط العرب خلال عبورهم من الأندلس إلى المغرب، وفي رسالة تالية عن السيد والي بلنسية أبو زيد إلى المأمون حول فتح حصن "بشج": "فباحث على خير أهل الحصن أسرارهم،

(1) المرجع نفسه، 240.

(2) حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته - من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي دول المرابطين والموحدين والحفصيين-، (بيروت: العصر الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 1992م)، 83 / 2.

(3) رسائل موحدية -جديدة-، (الغزاوي)، 51/1.

(4) المصدر نفسه، 135-139 / 1.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

فميز الناس ورتب مسيرهم ومسراهم، وفي اليوم الثاني أصبحوا على الحصن وحمل جميع المسلمين على النصارى "(1).

يتضح لنا من خلال الرسائل الموحدية أن عملية التمييز التي يقوم بها خلفاء الموحدين تكون قبل الحركة الموحدية؛ فالتمييز الذي قام به المهدي هو تطهير الموحدين من المنافقين والخونة، ولكن الخلفاء الذين جاءوا بعده يميزون العساكر من الفرسان والرجالة ويرتبونهم ويشكلونهم في فرق وكتائب ويسجلونهم في الديوان الذي يسمى ديوان التمييز، فهذه السياسة تهدف إلى تنظيم الجيش من حيث العدة والعتاد وهيكلته وتوزيع العطاءات والبركات عليه من أجل تحقيق النصر.

هـ - راية الموحدين(2):

تلعب الرايات دورا كبيرا في قيادة الجيش في الحرب والاستعراضات. أمر المهدي أصحابه بالغزو، فإذا عزموا على التحرك أن يقدموا أمامهم لواء أبيض مع عدد من الرجالة يكون بينه وبين الأمير مقدار ربع ميل، ويكون الأمير متقدما على الناس خلف اللواء المذكور في جملة من يختص به، ثم تتبعهم الرايات الكبار والطبول والعسكر المعروفون بالساقية، فأما رايته المنصورة المتقدمة بين يديه كتب في أحد وجهيها "الواحد الله، محمد رسول الله، المهدي خليفة الله" وفي الوجه الثاني "وما من إله إلا الله، وما توفيقي إلا الله، وأفوض أمري إلى الله"، وكانت رايات الموحدون في عهد المهدي رفع الأكسية واللباس " ارفعوا أنتم ما لديكم من الثياب"(3).

تطرقت الرسائل الموحدية إلى رفع الراية والأعلام في الحرب والنفر، كما جاء في رسالة الأمير يوسف حول إنهاء ثورة غمارة والمؤرخة ب 14 شوال سنة 562هـ/1166م واستولى الموحدون على الجبل كله واستحقوه على أهله، وضربت به خيامهم، ورفعت في أعلاه

(1) المصدر نفسه، 1/ الرسائل 12، 96، 115.

(2) الراية مختلفة الألوان، أما اللواء أبيض اللون في داخله كتابة، ويطلق عليه بند أنظر زغروت: الجيوش الإسلامية، ص136.

(3) ابن القطان: نظم الجمال، ص168.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

أعلامهم"⁽⁴⁾. قيل أن للموحدين علم أبيض يسمى علم المنصور يحمل معه في المواكب، وذكر الأعلام التي تحمل

معه في المواكب سبعة أعلام الأوسط أبيض وإلى جانبه أحمر وأصفر وأخضر فلكل قبيلة علم تمتاز به من الكتابة مثل " لا إله إلا الله أو الملك لله، وأن له الطبول والبوقات والنفير"⁽¹⁾.

قال جورج زيدان: "وأما ملوك البربر في المغرب من صنهاجة وغيرها، فلم يختصوا في راياتهم بلون واحد بل وشوها بالذهب، واتخذوها من الحرير الخالص ملونة وفي دير بظاهر مدينة برغوس في الأندلس راية من الحرير الأحمر المطرز بالنقوش...وعليها كتابات كثيرة وآيات قرآنية"⁽²⁾.

و- فن العرب:

1- إدارة المعركة البرية: قبل خوض المعركة يتخذ الموحدون عدة إجراءات، في بعض الأحيان يعقد مجلس حربي يبحث فيه خطة المعركة، ومن أهم فنون الحرب عند الموحدين⁽³⁾:

⁽⁴⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 1/ الرسالة 14.

⁽¹⁾ القلقشندي: صبح الأعشى، 5/142.

⁽²⁾ جورج زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت)، 1/181.

⁽³⁾ نظام المعركة البرية: كانت عادة عبد المؤمن إذا خرج للحرب، يرحل بعد صلاة الصبح فيضرب طبل كبير مستدير الشكل محيطه خمسة أذرع من الخشب أخضر اللون مذهب، فإذا ضربت ثلاث ضربات علم بالاستعداد للرحيل فيرحل الناس يقسم عبد المؤمن الجيش إلى أربعة أقسام لكل منها يوم يختص به، وماء يتزل عليه ويسير لكل يوم مرحلة إلى الغداة فيتزل الجيش للراحة لليوم التالي، ويتقدم ركب الخليفة وأعيان الناس تدعوا له ويمشي أمامه على بعد مائة فارس ومصحف عثمان محمول على ناقة فإذا كان وقت التزول نزلت كل قبيلة في مترها وعلى ترتيبها ويصحب الجيش جميع الصناع وما يحتاج إليه المسافر معهم.

كان نظام المعركة يقوم عند الموحدين عادة على فكرة الترييع، كل قسم من الجيش يضع تحت إمرة قائد وكانت قوة الجيش الرئيسية تتألف من المشاة النظاميين وتوضع في الصفوف الأولى وتسلح بحراب طويلة جدا، ويأتي هؤلاء صفوف من الجند قد سلحوا بالسيوف وتقلدوا الدروع الكبيرة المستديرة ثم يليهم حملة النبال والقصي. وكانت قوة الفرسان تحتل وسط المربع ويخصص لها أمكنة معينة في جميع جوانب المربع وتفتح لها مخارج سريعة، بحيث تستطيع صفوف الفرسان أن تنطلق منها ثم

1-1 - الدعوة قبل الحرب:

قامت الدعوة الإسلامية بالحكمة والموعظة والبرهان والحجة قبل شن الحرب قال سبحانه وتعالى: ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾⁽¹⁾.

لا يعلن خلفاء الموحدين الحرب إلا بعد تبليغ القول، وهذا ما نستخلصه من الرسائل⁽²⁾.

جاء في رسالة من إنشاء أبي جعفر بن عطية والتي بعثها إلى طلبة قسنطينة والمؤرخة بـ 24 جمادى الأولى سنة 547هـ/1152م "وقد علم من علم ما من الله من فتح هذه الأقطار، أن من كان بها زعماء الخسائر والبوار، ورؤساء الاستعلاء الجاهلي والاستكبار، إنما حقت عليه كلمة العذاب والدمار بعد تقديم الأندار إليهم والأعدار والتربص عليهم أمدا طويلا رجاء الاستبصار، فلما أبوا ما دعوا إليه من الحق... أحل الله بهم من ضروب الانتقام ما صيره عبرة لمن يعتبر"⁽³⁾.

1-2 - الاستطلاع:

أدرك قادة المسلمون دور الطلائع في المعارك، فكانوا إذا نزلوا بأرض العدو يقدمون طليعة تتكون من بعض الفرسان من أجل أن يختبروا أرض المعركة ويعرفوا مواقع العدو ويجمعوا

تعود إلى أماكنها الداخلية، دون أن تخل بنظام المشاة ويقوم بالهجوم الأول المتطوعون تحت قرع الطبول وصوت الأبواق رافعين أعلامهم الخضراء تؤيدهم القوات الخفيفة. أنظر ابن الخطيب: الحلل، ص 115؛ وعصمت دندش: الأندلس، ص 148.

فإذا استطاع العدو أن يرد هؤلاء وأن يتقدم حتى مواقف الجنود النظامية وقفت حملة الحراب أمامه، واستقبل حملة القسي والنبال المهاجمين بسيل السهام والحجارة، فإذا استطاع العدو أيضا أن يخترق حملة الحراب وقف أمامه حملة السيوف والدروع متأهين لرده، وأمكن للفرسان أن يخفوا إلى معاوتهم من الأماكن الداخلية، فإن استمرت المقاومة تتقدم قوات الضلع الرابع من المربع وهي الاحتياطي المكون من صفوف الجند ولاسيما جند الحرس الخاص، ويقودها للقتال أمير المؤمنين بنفسه وكثيرا ما كانت تحرز النصر بشجاعتها وخبرتها. أنظر فتحي زغروت: الجيوش الإسلامية، ص 248.

⁽¹⁾ سورة النحل، الآية: 125.

⁽²⁾ رسائل موحدية - جديدة -، (العزاوي)، 1/ الرسائل 01، 10.

⁽³⁾ مجموع رسائل موحدية، (ليفى)، ص 19. أنظر المصدر نفسه، الرسالة الثامنة من إنشاء أبي عقيل بن عطية في فتح قسنطينة وإنابة يحيى بن العزيز صاحب بجاية إلى التوحيد والمؤرخة في العشر من شعبان سنة سبع وأربعين وخمسائة.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

المعلومات الهامة عنها، يختار لها من سوابق الخيل الجيدة الحوافز والظهور ويرسلوهم متخفين من كل ثقل يعوقهم. حرص الموحدون باختيار لطلاتهم فرسانا عرفوا بخفة الحركة مع سرعة البديهة، حيث كانوا يختارون فرقة ويخصصونها ثم يقدمونها أمامهم للاستطلاع وكان الهدف من ذلك اتخاذ الحذر من مغبة الكمين أو هجوم مفاجئ⁽⁴⁾.

في ربيع أول سنة 539هـ/سبتمبر 1144م سار عبد المؤمن من تلمسان نحو فاس، عندما أراد

أن يتعرف على أحوال مدينة فاس أرسل جريدة استطلاعية من الخيل والرجال لاستكشاف ما كان أعده واليهما يحي الصحراوي للمقاومة والدفاع⁽¹⁾.

قد تقوم الطلائع بعمل خطير من أجل تأمين سلامة الجنود واحتلال الممرات الهامة في الجبال الوعرة لقطع الطريق على العدو، فبعدما عبرت الجيوش الموحدية نهر الوادي الكبير واتجهت جنوب بياسة اختار الخليفة بعض الفرسان من خيرة أنجاده من الطلائع، وطلب منهم أن يتمركزوا بممرات جبل الشارات المؤدية إلى بياسة وأبذة، ومنها ممر لوسا الوعر الذي تستطيع قوة صغيرة أن تحتله وتمنع جيشا كبيرا من جوازه، واحتلت الطليعة هذا الممر وأمنت عبور الجيش الموحدى بها حتى نزلت الجيوش كلها في البسيط الواقع تجاه الممر⁽²⁾.

1-3- الكمين:

يجب أن يكون الكمين في منخفض من الأرض، ويجب أن تكون دابة الجندي سليمة من العلل التي تنبه الأعداء إلى مكان الكمي، وعادة يكون على جانبي الطريق أو خلف الجبل⁽³⁾.

لا يشتبك الموحدون في موقعة دون أن يدبروا فيها نوع من الكمين لأعدائهم، حيث كانوا يصطنعون الفرار، ويعتنون قوات استطلاعية لكي تكشف كل ما يتعلق بالعدو من عدده ومواقعه وأحواله، ثم يرتبون خطتهم على أساس هذه المعلومات⁽⁴⁾.

⁽⁴⁾ فتحي زغروت: الجيوش الإسلامية، ص 231-232.

⁽¹⁾ سعد زغلول: تاريخ المغرب، 5/326.

⁽²⁾ فتحي زغروت: الجيوش الإسلامية، ص 231-232.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 260.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

عرف عبد المؤمن بقدرته الفائقة في رسم الكمائن وتمويه الأعداء فكان في أغلب معاركه يتم له النصر بكمين أو أكثر، حيث عندما أراد عبد المؤمن أن يفتح مراكش نزل في جبل بايجيليز حيث ضرب قبته الحمراء، وأقيمت حولها الخيام، بدأ الحصار منذ أول محرم سنة 541هـ/ جويلية 1146م، وذلك لمدة تسعة أشهر، وخلال الحصار وفدت قبائل على عبد المؤمن من قبائل المغرب، ومن رجال الأندلس مثل أبو الغمرين عزون الفائر بمدينة شريس، وعندما حاول المرابطون التقرب من محلة الموحدية قرب الظهيرة في بعض أيام شهر شوال سنة 541هـ/ مارس 1146م خرجت إليهم كمائن الموحدية فانهزموا قرب باب دكالة، يتبعهم الموحدون الذين أخذوا من خيلهم وفرسانهم وقتلوا منهم العدد الكبير وعندما طال الحصار هلك المحاصرون جوعا ودخلوا المدينة 541هـ/1146م⁽¹⁾.

1-4- الحصار:

ولعل أبرز الخطط الحربية التي كثف الجيش الموحدية استعمالها بناء على ما تم استقراؤه من الرسائل الرسمية أسلوب تضيق الخناق على الأعداء بفضل الحصار على المنطقة أو المدينة المراد الاستيلاء عليها باللجوء إلى إطالة مدته وعزل الخصم من خلاله بهدف إرغامه على الاستسلام والخضوع للشروط أو الانضواء تحت اللواء.

وأول من باشر توظيف هذا الأسلوب الهجومى المهدى، حينما حاصر مدينة مراكش لمدة أربعين بعد أن خاطب الناس برسالة بخط يده⁽²⁾ فتجمعوا إليه نحو أربعين ألف فيهم الفرسان والغالب منهم الرجال، وعند خروج المرابطين عليهم هزمهم الموحدون⁽³⁾.

استخدم عبد المؤمن أسلوب الحصار في فاس ومكناسة، حيث سار بقواته لحصار مكناسة بعد أن ترك على حصار فاس قائده أبا بكر بن يحيى بن الجبر مع جماعة من الموحدية يصحبهم

⁽⁴⁾ أشباح: تاريخ الأندلس، ص 244؛ وحسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، 4/ 354.

⁽¹⁾ ابن الخطيب: الحلال الموشية، ص 103؛ وسعد زغلول: تاريخ المغرب، 5/ 338.

⁽²⁾ رسائل موحدية- جديدة-، (العزاوي)، 1/ 44-49.

⁽³⁾ ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 83-84.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

الشيخ أبو إبراهيم إسماعيل الجيج، وعند وصول عبد المؤمن إلى مكناسة ضرب عليها الحصار⁽⁴⁾، وفي سنة 541هـ/1146م حصر مراكش لمدة تسعة أشهر وبعد طول الحصار جهدهم الجوع فخرج المرابطون لقتال الموحدين وتبعهم الموحدون فهزموهم⁽⁵⁾. وفي سنة 553هـ/1108م قام عبد المؤمن بالحركة إلى إفريقية فتح تونس عنوة، ثم حاصر المهديّة مدة سبعة أشهر حتى فتحها⁽⁶⁾.

عندما تعجز شجاعة الجند وآلات الحصار يستعين عبد المؤمن بتأييد العناصر الأخرى خاصة الطبيعية منها، ففي حصار فاس التي قاومت أسوارها المنيعة، استعان على إسقاطها بمياه النهر، سلطها على المدينة بعد أن حجزها في خزانات كبيرة، ثم أطلقها فجأة في مجاري صناعية على أسوار المدينة. أحرق وأسقط أبراج وهران بواسطة نار محرقة يؤيدها قصف الآلات...⁽¹⁾.

وأثناء فتح قفصة على يد يوسف هدموا البنايات، هذا ما تم استقراؤه من الرسالة رقم 31" كانت حول البلد غروس وبنائات وعرة المسالك وضيق المنافذ، وأثبتت المداخل إليهم والمخارج فأخذ الموحدون... في هدمها ونظروا في إزالتها... وشدوا عليهم أنشطة الحصار والخناق"⁽²⁾.

وفي الرسالة رقم 30 " تمكن الموحدون من حصارهم واستعانوا مولاهم ونصيرهم... واشغل مع ذلك بعمل بالآلات حربية يستظهر بها على الحصون المهيدة، وتكون مزيدا في الحرب"⁽³⁾.

عند تحرك الجيش في أرض العدو يقوم بجمع المؤونة من تلك الأراضي التي يمر بها الجيش وحرقتها حتى لا يستفيد منها العدو⁽⁴⁾، يلجأ في بعض الأحيان إلى قطع الإمدادات في حالة الحصار

⁽⁴⁾ الجليلي: تاريخ الجزائر، 2/ 38.

⁽⁵⁾ ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 102-103؛ وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي: تاريخ الدولتين الحفصية والموحديّة، تحقيق وتعليق: محمد ماضور، (تونس: المكتبة العتيقة، ط2، 1966م)، ص 8.

⁽⁶⁾ عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 298-299.

⁽¹⁾ أشباخ: تاريخ الأندلس، ص 246-247.

⁽²⁾ رسائل موحديّة - جديدة-، (الغزاوي)، 1/ 154.

⁽³⁾ المصدر نفسه، 1/ 144-149.

⁽⁴⁾ نفسه، 1/ الرسائل 12، 67.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

عن البلد المحاصر⁽⁵⁾، وفي بعض الأحيان تقتل الأسرى، وفي الأحيان الأخرى يعطي للمحاصرين حق توجيه بعثة عنهم لاستشارة ملكهم حول التسليم أو الصمود نجد هذه الحالة أثناء حصار الناصر لحصن شلبطرة⁽⁶⁾.

وعند الاستسلام يرفع الموحدون راياتهم على مكان المستسلم، هذا ما توضحه الرسالة التي بعثها الأمير يوسف عند فتح غمارة حيث جاء فيها "ورفعت في أعلاه أعلامهم..."⁽⁷⁾.

2- إدارة المعركة البحرية:

بعد تفحص السفن وتزويدها بالنفط والوقود وشحنها بالأسلحة، تحشد البحارة المقاتلين الذين يجيدون الحروب البحرية بعد أن تفرق عليهم الأعطيات في احتفال عظيم يقام عادة الإبحار بحضرة الخليفة ووزير الجيش وصاحب الديوان. كانت تعبئة الأساطيل تأخذ الشكل الحماسي: قلب وجناحان ومقدمة ومؤخرة، وتصطف السفن إما على شكل نصف دائرة إذا حاول العدو الاقتراب منها أحاطت به وحطمته، وإما تصطف صفوفا مستقيمة لتنطح مراكب العدو "باللجام" وتفرقه.

قبل الالتحام مع أساطيل العدو يقوم كل قائد من الأسطولين بالاستطلاع البحري، فيربق حركات صاحبه ويحدد مكانه ثم يتقرب إليه بجذر⁽¹⁾. كان لأمرأ البحر اختصاصات واسعة⁽²⁾، فكل وحدة من وحدات الأسطول معدة إعدادا تاما، لكل سفينة عدد من النواتية أو البحارة وهم تابعين للريس، وإلى جانب النواتية يوجد فرق من الجند المعدة للقتال البحري وتعمل تحت إمرة قائد يشرف على إعداد الأسلحة وتسيير دفة القتال على السفن⁽³⁾.

⁽⁵⁾ نفسه، 1/ الرسالة 87.

⁽⁶⁾ نفسه، 1/ الرسالة 67.

⁽⁷⁾ نفسه، 1/ الرسالة 14.

⁽¹⁾ فتحي زغروت: الجيوش الإسلامية، ص 296-297.

⁽²⁾ رسائل موحدية- جديدة-، (الغزاوي)، 1/ 413-414.

⁽³⁾ فتحي زغروت: المرجع السابق، ص 296-297.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

لقد لعب أسطول الموحدين دورا مهما في معارك الموحدين عند افتتاح المهديّة التي يحتلها النورمانديون سنة 555هـ/1160م⁽⁴⁾، وفي عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف سجل الأسطول نشاطا ملموسا على الجهة البرتغالية⁽⁵⁾، وفي عهد الخليفة أبي يعقوب المنصور بلغت البحرية الموحدية أوجها نشبت في عهده عدة مواقع بحرية بين الأسطول الموحدية وبين القطنيين⁽⁶⁾، ونتيجة لقوة هذا الأسطول قام صلاح الدين الأيوبي بالاستنجاد به في حروبه ضد الصليبيين. ومما يدل أيضا على

تفوق البحرية الموحدية الخطاب الذي أرسله ملك قشتالة ألفونسو الثامن إلى الخليفة المنصور يطالبه فيها بإرسال إليه أسطول كي يجوز إليه بجيوشه ويقاتله⁽¹⁾.



وخلاصة القول أن الدولة الموحدية اتبعت في سياستها الداخلية عدة أساليب بداية من بناء نظام سياسي انطلاقا من الخليفة الذي يرجع إليه أمور الدين والدنيا، وله حاشية من الوزراء يستشيرهم في مسائل شتى.

ومن أجل السيطرة على كامل التراب الذي استولوا عليه قسموه إلى عدة ولايات، وعينوا على كل ولاية وال بمساعدة النواب، كما قامت الدولة الموحدية ببناء قاعدة عسكرية متينة منظمة سواء من حيث تركيبة الجيش أو من حيث أساليب الحرب اعتمدت عليها في توطيد العدل وقمع الظلم، ابتدأت من فكرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أجل تغيير الوضع القائم في

⁽⁴⁾ ابن الخطيب: الحلل الموشية، ص 117؛ وأشباخ: تاريخ الأندلس، ص 247.

⁽⁵⁾ السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، (بيروت: دار النهضة العربية، 1969م)، ص 253؛ وتوفيق مزارى: النشاط البحري، ص 451.

⁽⁶⁾ المرجع نفسه، ص 263-264.

⁽¹⁾ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 221.

الفصل الثاني:..... النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

المغرب، وبعد كسب الأنصار رفع شعار جهاد الكفرة المثلثين حتى سقوط مراكش والقضاء على الدولة المرابطية.

إلى جانب القوات البرية استطاعت الدولة الموحدية أن تبني قاعدة عسكرية تهاب في حوض البحر الأبيض المتوسط، مما جعل صلاح الدين الأيوبي يستنجد بها لكسر شوكة الروم في بيت المقدس.

الفصل الثالث: السياسة الفكرية والمذهبية والقضائية للدولة من خلال الرسائل الديوانية

أولاً: السياسة الفكرية

ثانياً: السياسة المذهبية

ثالثاً: موقف الموحدين من المرابطين
والمعارضين

رابعاً: القضاء عند الموحدين

عند رجوع المهدي بن تومرت من رحلته العلمية، بدأ في حركته، بمواجهة الفساد الذي يراه قائما في المجتمع المغربي، بداية من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعد أن تمكن من السيطرة على عقول البربر حرر لهم كتابا دينيا بلغتهم، وحين كسب الأتباع أعلن نفسه الإمام، وأنه المهدي، وأضاف لهم أن هذا الإمام معصوم، بقيت هذه الرسوم معمول بها إلى أن تخلى عنها المأمون وأبطلها.

إلى جانب الحياة الدينية المزدهرة في بلاد المغرب، اهتم خلفاء الدولة الموحدية بالحياة الفكرية، مما جعل المدن المغربية تعج بالطلبة، واضطر بعض الخلفاء إلى تقريب بعضهم من السلطة وتعيين بعضهم قضاة.

أولاً- السياسة الفكرية للدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية:

لم تتحدث الرسائل الموحدية عن الحياة الفكرية عند الموحدين ما عدا الرسالة التي بعثها إلى الولايات من إنشاء أبي عبد الله بن عياش يأمر فيها الناس بالتخلي عن علوم الفلسفة وإحراق كتبها وقبل أن تطرق إلى موقف الموحدين من فلسفة ابن رشد رأينا التطرق إلى فلسفته ثم نكته.

أ- نشأة ابن رشد:

هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن رشد⁽¹⁾ ولد ابن رشد في مدينة قرطبة عام 1126/520م في بيت علم وفقه، جده يعد من أكبر فقهاء الأندلس الذي يسمى محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن رشد يكنى أبا الوليد ويعرف بابن رشد الجد⁽²⁾، أما أبوه يسمى أبو القاسم فكان هو الآخر فقيها له عدة تأليف في

⁽¹⁾ محمد بن أبي القاسم أحمد بن أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد يكنى أبا الوليد. النباهي: تاريخ قضاة الأندلس وسماء المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط5، 1983م)، ص111؛ وابن عبد الملك: الذيل والتكملة، 21/6-22؛ ومحمد عابد الجابري: ابن رشد سيرة وفكر دراسة ونصوص، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1998م)، ص24.

⁽²⁾ عبد الرحمان التليبي: ابن رشد الفيلسوف العالم، (تونس: المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، 1998م)، ص13.

الديوانية

الفقه والحديث⁽¹⁾ سمي باسم جده وكني بنفس كنيته، اشتهر بأبي الوليد قاضي الجماعة وبأبي الوليد الفيلسوف... درس الأصول والفقه على يد أئمة عصره، تعلم الطب ودراسة الحكمة (الفلسفة)⁽²⁾.

كان متقدما في علوم الفلسفة والطب، ذا حظ وافر من علوم اللسان العربي، استقضى بإشبيلية⁽³⁾ ثم بقرطبة⁽⁴⁾ صنف كتابا في الفقه يسمى "بداية المجتهد وكفاية المقتصد"⁽⁵⁾.

استدعاه عبد المؤمن إلى مراكش سنة 548/1153م ليستعين به على ترتيب المدارس التي أنشأها في مراكش، وكان عمره سبعة وعشرين سنة⁽⁶⁾، عندما خطط أن يكون جيل من المثقفين أطلق عليهم اسم "الطلبة"، ولتعليم هؤلاء استدعى علماء من المغرب والأندلس من بينهم ابن رشد⁽⁷⁾.

بعد وفاة عبد المؤمن سنة 548/1153م، تولى ابنه يوسف الخلافة، في سنة 566/1170م انتقل إلى إشبيلية، قضى بها خمس سنوات، وهو محاطا برجال العلم منهم ابن طفيل وابن رشد.

جاء في المعجب نقلا عن الفقيه أبو بكر بوندود بن يحيى القرطبي قال: "سمعت الحكيم أبي الوليد يقول غير مرة: لما دخلت على أمير المؤمنين أبي يعقوب وجدته هو وأبو بكر بن طفيل ليس معهما غيرها؛ فأخذ أبو بكر يثني علي يذكر بيتي وسلفي، ويضم بفضله إلى ذلك أشياء لا يبلغها قدري... " فسأله أمير المؤمنين عن السماء " الفلاسفة"، فقال له: أقدمية هي أم حادثة" فتملكه الحياء والخجل، بالرغم من أن ابن طفيل تكلم عن فلسفة أرسطو طاليس وغيرهم إلا أن أمير

(1) محمد عابد: ابن رشد، ص 27-28.

(2) التليلي: ابن رشد الفيلسوف، ص 13.

(3) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، 6/22.

(4) ابن سعيد: المغرب، 1/105.

(5) ابن عبد الملك: المصدر السابق، ص 22.

(6) محمد عابد: المرجع السابق، ص 41.

(7) نفسه، ص 44.

الديوانية

المؤمنين استمر في إلحاحه حتى تكلم "... ولم يزل يسطني حتى تكلمت فعرف ما عندي من ذلك..."⁽⁸⁾.

تولى ابن رشد القضاء في إشبيلية عام 564هـ/1168م في حكم أبي يعقوب يوسف، وفي عام 566هـ/1170م عين قاضيا على قرطبة واشتغل في هذا المنصب مدة تزيد على عشرة أعوام⁽¹⁾.

وفي عام 578هـ/1183م استدعاه هذا الأمير إلى مراكش فعاد إليها وعينه فيها طبيبه الخاص ثم أعيد إلى خطته قاضيا للجماعة، وبعد موت أبو يعقوب خلفه ابنه يعقوب الملقب بالمنصور بالله (ت 595هـ/1199م)⁽²⁾، وعلى يده بدأت مرحلة جديدة من حياة ابن رشد بالرغم من علاقته الودية معه، وتقربه من مجلسه حيث جعله من بين أطبائه، إلا أنه تنكر له تحت العوامل السياسية والشخصية وكانت النتيجة محنة ابن رشد⁽³⁾.

ب- فلسفة ابن رشد:

عرف ابن رشد كيف يعطي للبحث الفلسفي والعقلاني مظهرا لاهوتيا عندما اعتمد على القرآن والسنة، وهو يلاحظ مع ذلك أنه مع هذا العلم فرمما ضللنا عن سبيل الله لأننا نجد أحيانا تضاربا مع القانون الإلهي، وعند هذه النقطة يكون موافق مع السنة التي تنص على ضرورة الاعتقاد وحمية الإيمان.

ففي نظره لا يوجد في ذلك تناقض، فالنص المقدس يتفق بحكم الضرورة مع العقل⁽⁴⁾ ولهذا السبب قال المنصور في رسالته: "يوهمون بأن العقل ميزانها والحق برهانها"⁽⁵⁾، وبسبب الخطأ في التفسير الحرفي يفهم فهما سيئا، وعن هذا الطريق قبل ابن رشد مبدأ التأويل للصفات المتشابهة من

⁽⁸⁾ عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 314-315؛ ومحمد عابد: المرجع السابق، ص 45.

⁽¹⁾ التليلي: ابن رشد الفيلسوف، ص 19

⁽²⁾ حددها النباهي في حدود سنة 598هـ. أنظر المراقبة، ص 111.

⁽³⁾ التليلي: المرجع السابق، ص 119.

⁽⁴⁾ سعد زغلول: تاريخ المغرب، 7/ 210.

⁽⁵⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزاوي)، 206/1.

الديوانية

القرآن، فالتأويل هو الأساس المكين لمذهبه، وعن هذا الطريق أراد أن يخضع تفسير الآيات الدينية للفلسفة⁽⁶⁾.

اختلف ابن رشد في كثير من النقاط مع المذاهب الدينية في عصره مثل تعاليم ابن تومرت والأشاعرة والظاهرية، وكذلك المالكية، فإن مبدأه في التأويل اختلف بشكل حاسم مع ابن تومرت، وهنا ينبغي التفرقة بين معارف ثلاث طبقات اجتماعية هي العامة ورجال الدين والفلاسفة؛ فعامة الناس عليهم أن يفهموا النصوص المتزلة حرفيا وعليهم أن يقبلوا وعيونهم مغمضة كل التأويلات والاستعارات، أما رجال الدين فلهم أن يلاحظوا الاختلافات بين الرموز التخيلية، ولكنهم لا يستطيعون التمييز بينهما وأن يفهموا منها الحلول بالتعليقات البرهانية. بمعنى الحلول الاحتمالية وليس

القطعية وأما الفلاسفة المتعمقين في شرح النصوص الدينية، فهم الوحيدون القادرون على التأويل، عليهم أن يستخلصوا الأفكار العميقة للنصوص المتزلة⁽¹⁾.

وفي نظر ابن تومرت كان كل تصور عقلي لفكرة الإله يبدأ من العقيدة المطلقة والجزئية لكل الناس، حتى أنه كان يود إدخال كل من العقيدة والشريعة اللتين ألفهما لذلك الغرض في أفهام أكثر أهل الطبقة العامة⁽²⁾.

ج- نكبة ابن رشد⁽³⁾:

تمت نكبة ابن رشد بمحضر الرؤساء والأعيان داخل جامع قرطبة وتنص الرسالة على نبذه ومن معه⁽⁴⁾ "... نبدناهم في الله نبد النواة..."، طرد من مجلس الخليفة وصدرت الأوامر بإحراق

⁽⁶⁾ سعد زغلول : المرجع السابق، 210/7.

⁽¹⁾ نفسه، 211/7.

⁽²⁾ نفسه، 212/7.

⁽³⁾ تعرض عدد آخر من العلماء للعقاب على يد الموحدين لأسباب مختلفة، إما عقابا شرعيا أو عقابا سياسيا، منهم أحمد بن يحيى العبدري، الذي كان من أعضاء المجلس العلمي للمنصور ومعلما لأبنائه، وعوقب عدد من القضاة على ارتكابهم لأخطاء مهنية، مثل قاضي إشبيلية المسمى الواني الذي ارتشى لإطلاق سراح الناصر الجزائري سنة 586 / 1190م، فألقي عليه القبض وضرب بالسياط بعدد الدراهم التي أخذها حتى مات. أنظر محمد المغراوي: العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب والأندلس في عصر الموحدين،-أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ-، (جامعة محمد الخامس-أكادال-، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، السنة الجامعية: 2001-2002م)، ص 276.

الديوانية

كتبه الفلسفية "... ومتى عشر منهم على بحر في غلوائه عم عن استقامته واهتدائه، فليعاجل فيه بالثقيف والتعريف..."⁽⁵⁾، أخرج وهو في حال سيئة، وكتبت عنه الكتب إلى مختلف البلاد بالتقدم إلى الناس في ترك هذه العلوم جملة واحدة وأمر بإحراق كتب الفلسفة كلها إلا ما كان من الطب والحساب، فشملت هذه الكتب البلاد وعمل بما جاء فيها⁽¹⁾.

اختلف في أسباب نكبة ابن رشد ذكر المراكشي سببين أحدهما جلي والآخر خفي؛ فأما سببها الخفي وهو السبب القوي، فإن أبا الوليد عند شرحه لكتاب الحيوان لأرسطو طاليس هذبه⁽²⁾

وزاد فيه ما رآه مناسبا فقال في هذا الكتاب عند ذكره للزرافة وكيف تتولد وبأي أرض تنشأ: "وقد رأيتها عند ملك البربر..."⁽³⁾.

وأما السبب الظاهري فهو سعي بعض حساده ومنافسيه الذين وجدوا فرصة وجود المنصور في قرطبة وأطلعوه على ما كتب ابن رشد بخط يده قاتلا وهو يحكي عن بعض قدماء الفلاسفة " فقد ظهر أن الزهرة أحد الآلهة"، وعندما مثل أبو الوليد أمام الخليفة أنكر ما كتب ولعنه الخليفة⁽⁴⁾ ونفاه

إلى اليسانة⁽⁵⁾ بالقرب من قرطبة⁽⁶⁾. يرى البعض أن ابن رشد تبذل في الحديث مع المنصور، فقد كان يخاطبه إذا حضر بين يديه: "تسمع أخي"⁽⁷⁾.

⁽⁴⁾ لم يكن الاقمام موجهها إلى ابن رشد وحده، بل تعدى إلى عدد من زملائه وتلاميذه ممن يشتغلون بالحكمة وعلوم الأوائل منهم أبو جعفر الذهبي والفقير أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المهري المشهور بالأصولي، وأبو الربيع الكفيف، وأبو العباس الحافظ الشاعر. أنظر عنان: دولة الإسلام، 225/5.

⁽⁵⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 207 /1.

⁽¹⁾ عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص285.

⁽²⁾ عنان: دولة الإسلام، 228/5.

⁽³⁾ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، 384؛ و ابن سعيد: المغرب، 105/1؛ والتليبي: ابن رشد، ص20.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه، ص384.

⁽⁵⁾ قرية يسكنها اليهود قرب قرطبة. أنظر التليبي: المرجع السابق، ص20؛ ونجيب زيب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تقدم: أحمد ابن سوادة، (بيروت: دار الأمير للثقافة والعلوم، ط1، 1995م)، 373/2.

⁽⁶⁾ عبد الله العمراني: "الموحدون والحضارة أبو الوليد بن رشد"، مجلة دعوة الحق (الرباط)، ع5/ مارس 1966م، ص101.

⁽⁷⁾ التليبي: المرجع السابق، ص20.

يذهب عبد الرحمان التليلي أن⁽⁸⁾: هذه الأسباب كلها تخمينات فأغلب الآراء تعود إلى تمه سياسية أو ذات علاقة بالسياسة هي التي دفعت الخليفة المنصور الموحي إلى محاكمة ابن رشد وجماعة من العلماء وفرض الإقامة الجبرية عليهم أو العيش في حالة فرار والتهمة السياسية التي يمكن أن يكون لها صدق في نفس الخليفة إما أن تكون مرتكزة على نصوص لابن رشد وفي هذه الحالة يجب التوجه إلى نصه السياسي الوحيد بـ: "جوامع سياسة أفلاطون" إما أن تكون مبنية على التشكيك في علاقته مع أحد الأطراف السياسية وفي هذه الحالة ذكر أن سبب المحنة نتيجة قيام العلاقة بين ابن رشد وأخي الخليفة أبي يحيى والي قرطبة الذي استغل مرض يعقوب وأخذ في دعوة الناس إليه ليخلف المنصور بعد موته⁽¹⁾.

حيث قام ابن رشد بشرح آراء أفلاطون حول تحول الحكم الجماعي إلى حكم الطغيان يعلق ابن رشد قائلا: "ويمكن أن تتبين ذلك قائلا من خلال الحكم الجماعي الذي عرفه زماننا فهو ينقلب

دائما إلى طغيان، مثلا على ذلك الحال التي كانت عليها بلدنا قرطبة بعد سنة خمسمائة هجرية لقد كان الحكم فيها جماعيا، ولكنه انقلب بعد عام 540/1145م إلى حكم طغيان"⁽²⁾. وبعد عودة المنصور إلى قرطبة استدعى ابن رشد في السنة اللاحقة غير أن ابن رشد مات في نفس السنة -594/1197م- قبيل وفاة المنصور⁽³⁾.

هناك من يرى أن النكبة نشأت نتيجة وحشة بين أهل قرطبة والفيلسوف "أحدثها أسباب الحسد"، حيث كان الطلبة والفقهاء والحفاظ يغارون من ابن رشد ومن آرائه الفلسفية الجدلية ومن منزلته لدى الخليفة، وخاصة وأهم كانوا أقرب منهم لذا فكثير منهم ييئس له دعاية" ويرمونه بالمرقوق والخروج عن أحكام الشريعة"⁽⁴⁾، منهم القاضي أبو عامر يحيى بن أبي الحسن بن ربيع

⁽⁸⁾ نفسه، ص21.

⁽¹⁾ عنان: دولة الإسلام، 5/228.

⁽²⁾ التليلي: ابن رشد الفيلسوف، ص21.

⁽³⁾ عبد الله العمراني: "الموحدون والحضارة..."، ص101.

⁽⁴⁾ عنان: المرجع السابق، 5/224.

الأشعري (ت 639هـ/1241م) وبنوه، والفقير أبو زيد عبد الرحمان بن زكريا بن محمد الرجراحي (ت 605هـ/1208م)⁽⁵⁾.

فقد كانوا يجدون في دراساته أساليب الاتهام منها ما وصفه في أحد شروحه " الزهرة بأنها أحد الآلهة" وجمعوا أولئك الخصوم مقالات وأوراق كثيرة منسوبة إلى ابن رشد وقدموها إلى الخليفة في مراكش في أوائل سنة 591هـ/ 1194م، ولكن الخليفة كان مشغولا بعبوره إلى الأندلس⁽⁶⁾.

وبعد انتصاره في معركة الأرك وجه رسالة إلى مختلف الولايات يأمر الناس بالتخلي عن علوم الفلسفة وإحراق كتبها جاء فيها: "... وقد كان في سالف الدهر قوم خاضوا في بحور الأوهام، وأقر لهم عوامهم بشفوف عليهم في الأفهام، حيث لا داعي يدعوا إلا الحي القيوم ولا حاكم يفصل بين المشكوك فيه والمعلوم فخلدوا في العالم صحفا ما لها من حلاق، مسودة المعاني والأوراق بعدها من الشريعة بعد المشرقين، وتباينها تباين الثقلين، يوهمون أن العقل ميزانها والحق برهانها، وهم يتشيعون في القضية الواحدة فرقا...، نبذناهم في الله نبذ النواة...، فاحذروا ... حذركم من السموم السارية في

الأبدان... ومتى عثر على منهم على مجر في غلوائه، عم عن استقامته واهتدائه، فليعاجل فيه بالثقيف والتعريف " ⁽¹⁾.

يذهب محمد المغراوي أن السبب الرئيسي لنكبة لابن رشد هو موقف ابن رشد من الأشعرية التي كانت قد أصبحت في الغرب الإسلامي رمزا للوحدة العقائدية، والتي اعترفت بها الدولة الموحدية، إضافة إلى بعض الأفكار التي تسربت إلى فكر ابن رشد من التراث الفلسفي اليوناني⁽²⁾.

⁽⁵⁾ محمد المغراوي: العلماء والصلحاء والسلطة في المغرب، ص 271 - 272.

⁽⁶⁾ المرجع نفسه، 5 / 224.

⁽¹⁾ رسائل موحدية - جديدة -، (العزاوي)، 1/ 206.

⁽²⁾ العلماء والصلحاء والسلطة، ص 274.

ثانياً- السياسة المذهبية للدولة الموحدية من خلال الرسائل

الديوانية

أ- التوحيد⁽³⁾:

إن المتتبع لرسائل الموحدين يكشف أن حقيقة التوحيد هي العمود الفقري الذي بنيت عليه الثورة، حتى أنهم جعلوا التوحيد شعاراً لثورتهم فسمى المهدي أصحابه بالموحدين، وعرفت دعوتهم بالدعوة الموحدية، وذلك مما يراه من انحراف في أهل المغرب عن التوحيد الصحيح⁽⁴⁾، فهو يرى دائماً أن: " التوحيد هو أساس الدين الذي تبني عليه، وأن فروعه إنما تثبت بعد العلم بثبوته... " ⁽⁵⁾.

فهو من "أولى مباني الإسلام...، وروحه- الدين- ومعناه، والقاعدة التي لا يثبت العمل دون تأصيلها، والرابطة التي لا يقبل الدين دون تحصيلها"، " فأخذوا الناس بعلم التوحيد"، الذي هو " إثبات الواحد"، و" لا يكفي...إطلاق اللفظ دون تحقيق معناه؛ وذلك أن يعلم على وجهه وحده، ليكون على علم لا عن ضده، وعن يقين لا عن شك، وعن إخلاص لا عن شر، وأن يقوله مع العمل⁽¹⁾. وفي حقيقته يقول: " التوحيد هو إثبات الواحد ونفى ما سواه من إله أو شريك أو ولي أو طاغوت، كل ما يعبد سواه يجب نفيه والكفر به، والتبرؤ منه"⁽²⁾. فالله

⁽³⁾ "التوحيد يترجمه قولك: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ... فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له فنقول: للتوحيد أربع مراتب وينقسم إلى لب وإلى لب اللب وإلى قشر وإلى قشر القشر... فالرتبة الأولى من التوحيد هي أن يقول الإنسان بلسانه لا إله إلا الله وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافقين والثانية أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق... والرابعة أن لا يرى في الوجود إلا واحدا وهي مشاهدة الصديقين". أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، دراسة وتحليل: بدوي طبانة، (كرياطة فوترا، د.ت)، 4 / 240.

⁽⁴⁾ عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت- الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري-، هيردن - فرجينيا: (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1995م)، ص89.

⁽⁵⁾ محمد بن تومرت: أعز ما يطلب، تحقيق وتقديم: عبد الغني أبو العزم، (مراكش: مؤسسة الغني للنشر- دار وليلي للطباعة والنشر، 1997م)، ص113.

⁽¹⁾ مجموع رسائل موحدية، (ليفي)، ص 131- 132.

⁽²⁾ ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص313.

سبحانه وتعالى متره في المثلية عن العدد فهو ليس له شريك لا متصل به ولا منفصل عنه، ولا حال فيه وإنما له التفرد المطلق في الذات⁽³⁾، كما أنه متره عن المثلية في الصفات فهو: " لا تحده الأذهان ولا تصوره الأوهام، ولا تلحقه الأفكار ولا تكفيه العقول"⁽⁴⁾.

وهو متره عن التقيد بالمكان والزمان فهو: " لا يقال متى كان، ولا أين كان، ولا كيف كان، كان ولا مكان، كَوْن المكان، دبر الزمان، لا يتقيد بالزمان، ولا يتخصص بالمكان"⁽⁵⁾، وهو متره عن المثلية في الفعل فهو: " ليس معه مدبر في الخلق، ولا شريك في الملك"⁽⁶⁾. فقد صور المهدي هذا المفهوم للعامّة في قوله: " هو الذي ليس له في خلقه شبيه، هو الذي ليس له في ملكه شبيه، هو الذي ليس في عزته نظير، هو الذي ليس له في حكمه عنيد ولا مشير، هو الذي ليس له في وحدانيته قرين"⁽⁷⁾. وطلب إلزامهم بقراءة العقائد: "...ويلزم العامة ومن في الديار بقراءة العقيدة... وأشمل في هذا الإلزام الرجال والنساء والأحرار والعبيد وكل من توجه عليه التكليف إذ لا يصح لهم عمل ولا يقبل منهم قول دون معرفة التوحيد"⁽⁸⁾، وطلب حتى من الأجانب قراءة عقيدة التوحيد في قوله: "...

ويؤمر الذين يفهمون اللسان الغربي ويتكلمون به أن يقرؤوا التوحيد بذلك اللسان من أوله إلى آخر القول في المعجزات ويحفظوه... ويلازموا قراءته ويتعهدوه"⁽¹⁾.

⁽³⁾ عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص 203 - 204.

⁽⁴⁾ ابن تومرت: المصدر السابق، ص 223.

⁽⁵⁾ نفسه، ص 224.

⁽⁶⁾ نفسه، ص 223؛ وبلقاسم فيلاي: التعليم والدعوة الموحدية 510-524هـ/ 1116-1129م، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، (جامعة منتوري- قسنطينة-، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، السنة الجامعية، 2003 - 2004م)، ص 168.

⁽⁷⁾ نفسه، ص 193.

⁽⁸⁾ مجموع رسائل موحدية، ص 132.

⁽¹⁾ نفسه، ص 132.

حمل الطلبة مسؤولية قراءة العقائد وحفظها وفهمها للعامّة، فأمرهم بقراءة ما جاء في كتب المهدي من عقائد، فهو "هدى وتبيان، ونور وبرهان"⁽²⁾. أسس المهدي مذهبه على وحدانية الله، فهو يؤمن بوجود حياة دينية جد عميقة، اعترف به الموحدون وأيدوه⁽³⁾.

ولما قال للموحدين أيضا: "واشتغلوا بعلم التوحيد، فإنه أساس دينكم، حتى تنفوا عن الخالق الشبيه والشريك، والنقائص والآفات والحدود والجهات، ولا تحلوه في مكان، ولا في جهة، فإنه تعالى موجود قبل الأمكنة والجهات، فمن جعله في جهة ومكان فقد جسمه فقد جعله مخلوقا، ومن جعله مخلوقا فهو كعابد وثن"⁽⁴⁾. فوجود الله واجب عقلا، وهذا ما دلت إليه أفعاله، من حيث افتقار الفعل للفاعل، لأن الفاعل ليس في وجوده شك، وقد دعم رأيه بدليل من القرآن الكريم⁽⁵⁾، لقوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁽⁶⁾.

وما دام الله موجود وأنه هو الفاعل أو الخالق، وجب أن يكون واحدا، لا يشاركه أحد، إذ الخلق كله وحده⁽⁷⁾، استدل رأيه من آيات قرآنية، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا

دُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾⁽⁸⁾.

وقد عرفنا أن الله موجود ومتحد وغير متعدد⁽¹⁾، يستدل إثبات التوحيد فيقول: "إذا علم وجوده على الإطلاق علم أنه ليس معه غيره في ملكه إذ لو كان معه غيره لوجب تقيده بحدود

⁽²⁾ نفسه، الرسالة 23.

⁽³⁾ Robert et Marianne Cornevin: **Histoire de L'afrique- des origines à la deuxième guerre mondiale** , (France: Imprimerie Bussiere à Saint-Amand,1974), P.148.

⁽⁴⁾ عبد الحميد النجار: تجربة الإصلاح، ص 91.

⁽⁵⁾ بلقاسم فيلاي: التعليم والدعوة الموحدية، ص 166.

⁽⁶⁾ سورة إبراهيم، الآية: 10.

⁽⁷⁾ بلقاسم فيلاي: المرجع السابق، ص 170.

⁽⁸⁾ سورة الحج، الآية: 73

الديوانية

المحدثات لوجوب كون الغير المستقل منفصلا، والخالق سبحانه ليس بمتصل ولا بمنفصل...، فعلم بهذا أنه إله واحد ليس معه ثان في ملكه"⁽²⁾، كما قال الله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَايَايَ قَارِهُونَ﴾⁽³⁾.

"ويبدو البعد السياسي والاجتماعي لحقيقة التوحيد في اللقب الذي أطلقه على المرابطين وهو "المجسمون"، فهو لقب يشير إلى نفي التوحيد عنهم، إذ التجسيم نفي للتوحيد..."⁽⁴⁾، إن هذا اللقب أطلقوه أيضا على كل ممارسة مارسوها في حق الرعية من ظلم سياسي واجتماعي، وهو ما

نستشفه من قوله: "باب في بيان طوائف المبطلين من المثلثين والمجسمين وعلاماتهم، جميع علاماتهم ظاهرة منها ما ظهر قبل مجيئهم من كآدم ومنها ما ظهر من أحوالهم وأفعالهم... والذي ظهر من أحوالهم وأفعالهم ثمان إحداهن أنهم في أيديهم سياط كأذنان البقر، والثانية أنهم يعذبون الناس ويضربونهم بها..."⁽⁵⁾.

ذهب عبد المجيد النجار أن المهدي تأثر بالمعتزلة من التنزيه الذي أقامه على النفي والسلب، وذلك هو المنهج نفسه الذي اتخذته المعتزلة في شرح الأصل الأول من أصولهم الخمسة "التوحيد"⁽⁶⁾.

(1) بلقاسم فيلاي: التعليم والدعوة الموحدية، ص 170.

(2) المهدي بن تومرت: أعز ما يطلب، ص 217.

(3) سورة النحل، الآية: 51.

(4) عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح، ص 92.

(5) المهدي بن تومرت: المصدر السابق، ص 385.

(6) عبد المجيد النجار: المرجع السابق، 91-92. يمثل التوحيد أول مبادئ المعتزلة الخمسة وهي: التوحيد والعدل والإحسان،

والوعد والوعيد والمترلة بين المترلتين ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ والتوحيد عند المعتزلة هو التوحيد المطلق الذي لا شبهة فيه من التجسيم، ففكرة التوحيد عندهم ترمي إلى تصور ذات الله تصورا روحيا صرفا، مجرد من كل مادية أو تشبيه أو تجسيم، وذلك عن طريق إنكار الصفات فالتوحيد عند المعتزلة يعني أن الله عز وجل ليس كالأشياء، وأنه ليس بجسم ولا

عرض، ولا عنصر ولا

الديوانية

كما نلاحظ أيضا في قوله: " وتمادوا على الفساد في الأرض، وعلى العتو والطغيان، وعلى هلاك الحرث والنسل، والاعتداء على الناس في أخذ أموالهم، وخراب ديارهم وفساد بلادهم، وسفك دماءهم واستباحوا أكل أموال اليتامى... " (1).

ولقب "الموحدين" الذي أطلقه المهدي على أنصاره لم يكن يعني " التزيه في التصور الإلهي فحسب، بل كان يعني أيضا رفض الولاء للمرابطين والانضمام إلى جماعة المستجيبين لدعوة المهدي المتأدين بالآداب الاجتماعية التي أشاعها بينهم" (2).

ونلاحظ من خلال رسائل المهدي وخطبه أن الدعوة الموحدية مقترنة بالعدل وهو ما يتضمنه قوله في إحدى رسائله: " والذي نوصيكم به تقوى الله العظيم، والعمل بطاعته، والاستعانة به، والتوكل عليه، وإتباع الكتاب والسنة وتعليم التوحيد فإنه أصل دينكم وبه تصلح أعمالكم، والمحافظه

على الصلوات في أوقاتها... واثمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، واقطعوا المداينة وسوء السيرة وجميع عوائد الجاهلية... " (3).

اتخذ ابن تومرت العلم وسيلة لإحياء التوحيد الإسلامي، فقد كتب تأليفه في مذهب التوحيد باللغتين العربية والبربرية المحلية، وطالب الجباليين من أهل السوس أن يدرسوا تعاليمه بالبربرية لمن لا يعرف العربية (4).

إن الرسائل الدعائية التي كان يصورها ابن تومرت في الترغيب في مذهبه التوحيد والتنفير من حكومة المرابطين على أساس مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتظهر أهم نماذج الأولى ممثلة في الرسائل المستقاة من العقيدة والمرشدة لابن تومرت (5).

جزء ولا جوهر، بل هو الخالق للجسم والعرض... وأن شيئا من الحواس لا يدركه في الدنيا ولا في الآخرة، وأنه لا يحصره مكان ولا تحويه الأقطار، بل هو الذي لم يزل ولا زمان ولا مكان، ولا نهاية ولا أحد وأنه الخالق للأشياء. أنظر سعد زغلول: تاريخ المغرب، 209/5-210.

(1) رسائل موحدية - جديدة -، (الغزاوي)، 47/1.

(2) عبد الحميد النجار: تجربة الإصلاح، ص 93.

(3) المرجع نفسه، ص 93.

(4) ابن القطان: نظم الجمان، ص 168؛ وسعد زغلول: تاريخ المغرب، 80/6.

كما تظهر في رسالة الفصول على عهد عبد المؤمن⁽⁶⁾، وتوجد أيضا في الرسالة التي كتبها ابن عياش أبو الحسن عبد الملك إلى أمير شرق الأندلس محمد بن سعد بن مردنيش على عهد يوسف،

حيث وصف دعاة المسلمين بأنهم يأخذون بالحجز عن النار ويقيمون بمن ظل عن السبيل وعدم الدليل من معالم الهداية...، ويدعون إلى التمسك بالدين القيم والمنهاج البين...⁽¹⁾.

والإسلام سَيَعْتَوِرُهُ التغير والتبديل... والتحريف والتحويل... من نواشئ البدع وطوارئ المحدثات... وإيثار الشهوات وعبادة الأطماع...، وإنا ندعوكم إلى رعاية الله... ونهيب بكم إلى السلوك لطريقه الواضح المستقيم... وتأملوه تأمل ذوي الاستبصار... لا دين لمن لم يدن مصدقا بها...، فكونوا ممن أخذ لنفسه من نفسه، وأثار ليومه من أمسه... وقد كان سيدنا أمير المؤمنين خاطبكم بهذه الدعوة... ونحن لأوامره العلية مراعون وللدعاء إلى ما دعاكم إلى ما دعاكم إليه داعون... فأقبلوا نصيحة تحرز لكم حظ السناء...⁽²⁾.

احتل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر درجة عظيمة عند المهدي بن تومرت، فقد كان محورا لحياته فكرا وعملا منذ شروعه في رحلة العودة إلى وطنه إلى آخر أيامه، وقد أدرجه في واجب سماه "القيام بأمر الله"، ومن أوضح الأمور القيام بأمر الله عند ابن تومرت مقاومة السلطان المستبد الجائر الذي يسلك في سبيل تغيير جوره درجات مترتبة من التعريف بمظاهر الجور والفساد إلى الوعظ والإرشاد إلى التحشين في القول إلى سل السيف وإشهار الحرب، وقد سلك هو نفسه هذه الدرجات المترتبة مع علي بن يوسف الذي لم يجد معه سبيل القول في التغيير فانتقل إلى سبيل الفعل وعمد إلى التغيير والقهر وسل السيف⁽³⁾.

⁽⁵⁾ ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص 224.

⁽⁶⁾ مجموع رسائل موحدية، (ليفي)، الرسالة 25.

⁽¹⁾ المصدر نفسه، ص 141.

⁽²⁾ نفسه، ص 144، 146، 148.

⁽³⁾ ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص 278.

وهو ما يتضمنه قوله في الحث عن محاربة المرابطين "... واجتماعكم على إخماد الباطل والظلال وجهاد المجسمين والمفسدين...". وجاء أيضا: " فجاهد الكفرة المثلثين قد تعين على كل من يؤمن بالله واليوم الآخر لا عذر لأحد في تركه..."⁽⁴⁾.

ذهب به الأمر إلى نقد الرأي الذي يقول أنه لا يجوز الخروج عن السلطان الجائر خاصة الفقهاء المساندين للمرابطين الذين " تسموا باسم العلم، ونسبوا أنفسهم إلى السنة وتزينوا بالفقه والدين وتعلقوا بالكفرة وانحاز إلى جنبهم..."⁽¹⁾، هؤلاء الناس يدعون الناس إلى طاعة السلطان وعدم الخروج عليه، وقد قالوا للناس: " طاعتهم لازمة والانقياد إليهم واجب عليكم، مع علمهم بعناد الظلمة للحق وخروجهم عن السبيل وقالوا لهم عليكم السمع والطاعة في كل ما أمروكم به مع علمهم بأنهم لا يؤمرون إلا بالباطل والفساد والضلال وهلاك الحرث والنسل، وقالوا لهم تلزمكم طاعتهم في ذلك كله أتباعا لأهواء الكفرة وافتراء على الله فبغضوا إليهم أهل التوحيد..."⁽²⁾.

لما استقر عبد المؤمن بمراكش أراد النظر في مصالح المسلمين وقوام أمر الموحدين، وكان رفع له أن المظالم قد ظهرت والقبالات في الأسواق اشتهرت، فكتب أبو جعفر ابن عطية كتابا إلى الطلبة والأشياخ والحفاظ يأمرهم فيه بالمعروف والنهي عن المنكر وعن سفك الدماء وجه منها نسخا إلى

بلاد الأندلس والعدوة، جمعت هذه الرسالة قوانين العدل والفضل والسياسة والرياسة، ولما وصلت إلى إشبيلية بحثوا عن هؤلاء وأرغموهم على الاعتراف⁽³⁾، وهي الرسالة الجامعة لأنواع من الأوامر⁽⁴⁾.

⁽⁴⁾ رسائل موحدية - جديدة -، (الغزوي)، 45/1.

⁽¹⁾ المصدر نفسه، 48/1.

⁽²⁾ نفسه، 48/1.

⁽³⁾ ابن عذاري: البيان، 37 /3 .

⁽⁴⁾ رسائل موحدية - جديدة -، (الغزوي)، 1/ الرسالة 6.

الديوانية

لقد وردت في الرسائل بعض الكلمات تعبر عن المذهب منها حزب التوحيد⁽⁵⁾، سلك الجماعة⁽⁶⁾، حزب الموحدين، طائفة التوحيد⁽⁷⁾، هذا الأمر العزيز⁽⁸⁾ هذا الأمر الكريم الأمر العالي⁽⁹⁾.

ولتحقيق هذا الأمر نشر عقيدة التوحيد والقضاء على المجسمين البرابرة وإظهار الحق حث الناس على الجهاد وبين لهم فضله في قوله: "عظم الله أمر المجاهدين وبين فضلهم، وأخبر أن الجهاد بالأموال والأنفس تجارة تنجي من عذاب أليم..."⁽¹⁰⁾، سمي الجهاد تجارة لأن المسلم باع ماله ونفسه لله سبحانه وتعالى، والشهادة في سبيل الله عظيمة فالقتل في سبيل الله حياة لكي لا يظن من يظن أنه منيت، وأورد في ذلك آيات قرآنية وأحاديث لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾⁽¹⁾.

ولرفع معنويات المجاهدين اتخذ من الدعاية سلاحا فعلا لذلك فعند مخالفة النصر لهم فإن القدر معهم باعتبارهم يدافعون عن الدين الحق⁽²⁾ في قوله: "... وكفلت الموحدين عناية الله تعالى فلم ينل العدو منهم نيلا..."⁽³⁾.

مما سمح لهم بشتم المرابطين أعداءهم واعتبارهم كفار⁽⁴⁾، وشياطين ومنافقين، وكل من كذب الدعوة الموحدية فقد رفض الوحي وكذب - الرسول صلى الله عليه وسلم-⁽⁵⁾، لأن المهدي بشر به الرسول - صلى الله عليه وسلم- ، نلمح في رسالة كتبها عبد المؤمن سنة 1148/هـ 543 م من تينملل إلى جميع الطلبة بالأندلس والأشياخ والأعيان والكافة حسا إعلاميا

⁽⁵⁾ المصدر نفسه، 470، 455، 443، 416/1.

⁽⁶⁾ نفسه، 423 /1.

⁽⁷⁾ نفسه، 246/1.

⁽⁸⁾ نفسه، 336/1.

⁽⁹⁾ الغزوي: رسائل موحدية، 225/2 - 226.

⁽¹⁰⁾ رسائل موحدية، 45 /1؛ وحكيمة إملولي: الأشكال النثرية، ص 94.

⁽¹⁾ سورة آل عمران، الآية: 169.

⁽²⁾ الغزوي: رسائل موحدية، 246/2.

⁽³⁾ رسائل موحدية - جديدة - (الغزوي)، 247/1.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه، 02/1، 12.

⁽⁵⁾ نفسه، 25/1.

جاء بعد استعراضه لأهم الانتهاكات الموجودة في المجتمع فإنه ختم رسالته بتوصية تدل على الحس الإعلامي⁽⁶⁾ جاء فيها:

"وأقرؤوه على الكافة من أعلى المنابر واستحضروا له وفود القبائل من البوادي والحواضر، واسمعوا به إفصاحا وإعلانا، وأشربوه قلوب الناس جماعات ووحدا، فإذا فرغتم من قراءته على الجماهير، وبلغتم صحته بواجب التبليغ والتقرير، فاكتبوا منه نسخا إلى كل قبيلة من قبائل ذلك النظر وكل كورة من تلك الكور، وأكدوا عليهم فيما أكدنا عليكم فيه من تقديم العمل فيه على كل الوجوه، وامثال نعمه على ما يحبه الله تعالى ويرضيه، وحذروهم من التعرض لمخالفته، فلا عذر لمن لا يقصده على الفور ويأتيه، ونحن بمرصد التطلع والتسمع لما يكون منكم ومنهم لتقابل بالواجب ما يصدر عنكم وعنهم"⁽⁷⁾.

مما يلاحظ أن ابن تومرت اتخذ من فساد الواقع المغربي الذي طرأ على المجتمع المغربي في ميادين مختلفة الذي تسبب فيه الحكام والفقهاء والخارجين عن القانون من العامة سلاحا لغرس في نفوس المغاربة منهجه، فقد أعطى المهدي لحقيقة التوحيد بعدا سياسيا واجتماعيا؛ فالانحرافات من قبل الحكام المرابطين تعضد في تصورهم الإلهي الذين أنكروا التوحيد وجسموا الله، وانتهوا بهلاك المسلمين والاعتداء عليهم.

يهدف المهدي من ذلك إلى كسب أنصار وأتباع يؤمنون ببعيدته الجديدة ونشرها بين أوساط المجتمع المغربي، وبالتالي القضاء على المرابطين وتأسيس دولة جديدة في بلاد المغرب قائمة على مبدأ التوحيد التومرتي.

ج- الاعتقاد بالإمامة وظهور المهدي:

⁽⁶⁾ محمد زبير: المغرب في العصر الوسيط - الدولة - المدينة - الاقتصاد -، تنسيق: محمد المغراوي، (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 1999م)، ص183.

⁽⁷⁾ رسائل موحدية، 1/ 69.

الإمامة عند المهدي تعني الإتيان والافتداء والسمع والطاعة والامتثال للأوامر وإتيان الإمام⁽¹⁾، وقيام الإمام في الأمة أمر واجب لأن الإمامة عمدة الدين، فالدين متوقف في قيامه بين الناس وفي سيطرة أحكامه على الناس على إمام يرعى قواعده ويعمل على تنفيذها⁽²⁾.

يرى المهدي أن الإمامة أصل من أصول الدين⁽³⁾ والاعتقاد بها فرض على المسلمين يجب الإيمان بها والعمل على إحلالها؛ والإمامة موجودة منذ آدم⁽⁴⁾، ويقول ابن تومرت "... وهو وجوب اعتقاد الإمامة على الكافة وهي ركن من أركان الدين وعمدة من عمدة الشريعة، ولا يصح قيام الحق في الدنيا إلا بوجوب اعتقاد الإمامة في كل زمان من الأزمان إلا أن تقوم الساعة، ما من زمان إلا وفيه إمام لله قائم بالحق في أرضه من آدم إلى نوح، ومن بعده إلى إبراهيم..."⁽⁵⁾.

ومن الشروط التي يجب أن تتوفر في الإمام ما يلي:

أن يكون الإمام معصوما من الباطل، ليهدم الباطل، لأن الباطل لا يهدم الباطل، وأن لا يكون مفسدا لأن الفساد لا يهدم الفساد وأن يكون معصوما من الفتن، وان يكون معصوما من الجور لأن الجائر لا يهدم الجور وأن يكون معصوما من البدع لأن المبتدع لا يهدم البدع وأن يكون معصوما من الكذب، لأن الكذب لا يهدم الكذب وأن يكون معصوما من العمل بالجهل، لأن الجاهل لا يهدم الجهل..."⁽¹⁾.

يرى ابن تومرت أنه: "على الإمام الافتداء بعكس الصفات المنبوذة، إذا أنه لن يتمكن من التصدي لها أن لم يكن رافضا لها وبعيدا عنها"⁽²⁾، " لا يدفع الباطل بالباطل، وإنما يدفع بضده الذي هو الحق، لا يدفع الشيء إلا بضده، ولا تدفع الظلمة إلا بالنور، ولا يدفع الضلال إلا

(1) عبد الحميد النجار: المهدي بن تومرت، ص 224.

(2) المرجع نفسه، ص 234 - 235.

(3) نفسه، ص 35.

(4) لخضر سيفر: التاريخ السياسي، ص 227 - 228.

(5) ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص 297.

(1) المصدر نفسه، ص 297.

(2) لخضر سيفر: التاريخ السياسي، ص 229.

بالمهدي، ولا يدفع الجور إلا بالعدل، ولا يدفع المعصية إلا بالطاعة، ولا يدفع الاختلاف إلا بالاتفاق إلا بإسناد الأمور إلى أولي الأمر وهو الإمام المعصوم من الباطل والظلم، لأن الظالم لا يهدم الظلم⁽³⁾، هذا معنى قوله سبحانه: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾⁽⁴⁾.

يرى ابن تومرت أن الإمامة متواصلة منذ الأزل بذكر إمامة الأنبياء ولأقوامهم إلى إمامة الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين ومن بعده الخلفاء الراشدين⁽⁵⁾، إذا يقول: " ثم من بعد إبراهيم النبيون إلى داود جعله الله إماما في الأرض، وجعله خليفة وأمره أن يحكم في الناس بالحق، ولا يتبع الهوى وأمر الناس بطاعته، والأخذ بسنته والقيام بأمره والانقياد لحكمه والاعتداء بفعله والرجوع إلى علمه، وما جعل الله قائما بالحق في الأرض إلا ليطاع بأمر الله، وما أرسل الله من رسول في الأمم السالفة إلا ليطاع بإذن الله ثم الأمر كذلك إلى عيسى بعثه نبيا وإماما يقوم بالحق، واتبعه الحواريون واقتدوا بأمره، ثم كان الأمر كذلك إلى محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم فجعله الله إمام المتقين في زمانه ورسول رب العالمين إلى كافة الخلق أجمعين... فانقاد له الصحابة... وعرفوا حق أبي بكر وعظموه... ثم بعده عمر فقال بالحق وأحسن قيام وقاموا بطاعته أحسن قيام..."⁽¹⁾.

فالإمام هو المتبوع إليه تؤدي الحقوق، وبه تضرب الرقاب وإليه ترفع الحدود، وبعد ثلاثين سنة من عصر الخلفاء الراشدين بدت بعد ذلك أفراق وأهواء، ونزاع واختلاف، فجاء المهدي في زمان الغربة⁽²⁾.

⁽³⁾ ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص 297.

⁽⁴⁾ سورة البقرة، الآية: 123.

⁽⁵⁾ تشير الرسائل الموحدية إلى أن خلفاء الدولة الموحدية يقتدون بسيرة الخلفاء الراشدين. أنظر رسائل موحدية - جديدة -،

(العزاوي)، 1/ الرسائل 94، 98، 100، 112.

⁽¹⁾ ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص 229 - 230.

⁽²⁾ سعد زغلول: تاريخ المغرب، 213/5.

يرى سعد زغلول أن⁽³⁾: المهدي اعتبر الأنبياء أئمة بالإضافة إلى عهد الخلفاء الراشدين الذي اعتبره الكتاب استمرارا للعصر النبوي، حيث تحول الملك بعده إلى ملك عضود، فكأن النبوة تمثل المهديّة والعصمة، وكان العصر النبوي والراشدي هو عصر سيادة الفضيلة وما تلاهما من عصور المروق عن قواعد الإسلام الصحيح، وخاصة آخرها عهد المرابطين.

والإمامة الحق بعد الخلافة الراشدة هي إمامة المهدي المنتظر، الذي يعيد الحق إلى سالف عهده، ويليه عمود الإمامة الذي أنحرم بعد الخلافة الراشدة، يشير إلى نفسه تلميحا بأنه المهدي المخلص المؤيد بالحق⁽⁴⁾. تلمح بعض الرسائل أن الخليفة المدعو له هو ابن الخلفاء الراشدين: "... وعن الخلفاء الراشدين المرشدين أئمة الهدى، والدعاء لسيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبي يعقوب بن الخلفاء الراشدين بالنظر الأعز والفتح الأسنى..."⁽⁵⁾.

أولى المهدي عناية كبيرة بطاعة الإمام، لذلك حدد مجموعة من واجبات المسلم نحوه منها: "العلم بالإمام والإيمان والتصديق له والسمع والطاعة له، الرضا بحكمه والانقياد لكل ما قضى له، إتباعه والاقتراء بأفعاله"⁽⁶⁾، الرجوع إلى علمه وإتباع سبيله، ورفع الأمور إليه كلها"⁽⁷⁾.

من خلال ما سبق يتبين أن المهدي أولى عناية كبيرة بالإمام، ووجوده ضروري لساسة أمور المسلمين، ومن واجبات المسلم الإيمان به وطاعته، والإمامة عند المهدي هي إمامة المهدي المنتظر، لذا فهو أوجب الخروج على الإمام الجائر الذي تسبب في فساد المجتمع، وأوجب إشهار السيف في وجهه ونزع الملك له بقوة كما فعل مع المرابطين.

1 - المهدية⁽¹⁾:

⁽³⁾ المرجع نفسه، 213/5.

⁽⁴⁾ عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص 239.

⁽⁵⁾ رسائل موحدية - جديدة -، (العزاوي)، 1/ 294. أنظر الرسائل 70، 74.

⁽⁶⁾ يلمح من ذلك أن في هذه الفكرة اتجاهها شيعيا حيث يبين على الاقتداء بأفعال الإمام ووجوب الرجوع إلى علمه، والاعتقاد

بعصمة الإمام واختصاصه بالعلم السري الموروث. عبد المجيد النجار: عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص 237.

⁽⁷⁾ نفسه، ص 236.

اقترن المهدي أسباب ظهور المهدي بالفساد الذي ظهر في وقته، فالزمن قد كثر فيه الفساد، وانتشرت الأباطيل، واستفحل الجهل، واختلطت فيه الآراء وامتزجت، وللقضاء على هذا الفساد لابد أن يظهر المهدي الذي هو فريد في زمانه صادق في قوله، بملأ الأرض عدلاً⁽²⁾ " ... وأن العلم ارتفع، وأن الجهل عم، وأن الحق ارتفع، وأن الباطل عم، ... وأن الرؤساء الجهال استولوا على الدنيا، وأن الباطل لا يرفعه إلا المهدي، وأن الحق لا يقوم به إلا المهدي، وأن المهدي معلوم في العرب والعجم والبدو والحضر، وأن العلم به ثابت في كل مكان... وأن الإيمان بالمهدي واجب، وأن من شك به كافر، وأنه معصوم فيما دعا إليه من الحق..."⁽³⁾، فالمهدي " قامت عليه البراهين واتضحت في أمره السبل"⁽⁴⁾.

وأما عن معرفة المهدي قال: " يعرف المهدي رضي الله عنه ستة أشياء الحسب والنسب والزمان⁽⁵⁾ والمكان والقول والفعل، فأما الحسب فحسب حزب الموحدين وأما النسب فإنه من ذرية

فاطمة، وأما الزمان فيأتي في آخر الزمان، وأما المكان فالمكان الذي قام منه، وأما القول فإنه قال أن: المهدي (وهو صادق) في قوله، وأما الفعل فإنه يفتح الدنيا شرقها وغربها"⁽⁶⁾.

جاء في المعجب:"فلما قرر في نفوسهم فضيلة المهدي ونسبه ونعته، ادعى ذلك لنفسه، وقال: أنا محمد بن عبد الله... ورفع نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وصرح بدعوى العصمة لنفسه، وأنه المهدي المعصوم، وروي في ذلك أحاديث كثيرة حتى استقر عندهم أنه المهدي، وبسط يده فبايعوه على ذلك وقال: أنا أبايعكم على ما بايع عليه أصحاب رسول الله صلى الله

⁽¹⁾ تقوم فكرة المهدي عند المسلمين على الإيمان برجل مسلم يرجع نسبه إلى آل البيت، لكي يخلص الأمة من الظلم والطغيان، فيملأ الأرض عدلاً، ويسمى المهدي لأن الله قد هداه فاهتدى . أنظر عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص240.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص243.

⁽³⁾ ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص294.

⁽⁴⁾ مجموع رسائل موحدية، (ليفي)، ص130.

⁽⁵⁾ "... والرضى عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم بحسبه ونسبه ومكانه وزمانه...". المصدر نفسه، 201/1.

⁽⁶⁾ ابن تومرت: المصدر السابق، ص400.

الديوانية

عليه وسلم" (1). وفي رواية ابن القطان: "أقول وأنا محمد بن عبد الله تومرت وأنا مهدي آخر الزمان" (2).

وعندما اكتسب المهدي ثقة أتباعه اتجه إلى قرية إيجيليز اجتمع بهم تحت الشجرة وقام فيهم خطيباً: "الحمد لله الفعال لما يريد، القاضي بما يشاء، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، وصلى الله على سيدنا محمد المبشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل، وأزيل العدل بالجور، مكانه المغرب الأقصى وزمنه آخر الزمان، واسمه اسم للنبي عليه الصلاة والسلام، ونسبه نسب النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام المقربون عليه وسلم،

وقد ظهر جور الأمراء، وامتألت الأرض بالفساد، وهذا آخر الزمان والاسم الاسم، والنسب النسب والفعل"، فبايعناه على ذلك" (3).

ولا يحق لمسلم أعلن إسلامه أن يختلف عن الانضمام إلى المهدي ونصرته بعد أن سمع به، مهما كان بعده عنه (4)، ففي رسالة أمير المؤمنين إلى كزولة، قال: "فما عذر من سمع بقيام المهدي في التخلف عنه ولو كان ببلاد الصين والهند حتى يلحق به ويلتجئ إليه وينجو في سفينته من الغرق العام..." (5). وجاء أيضاً: "... واستمسكوا بأمر المهدي - رضي الله عنه - فهو سبب النجاة والخلاص والمآمن من نوائب الانتكاس والانتقاض والموعود بالظهور والاستيلاء والانتقام من عداته والاقتصاص..." (6).

(1) عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 224 - 225.

(2) ابن القطان: نظم الجمان، ص 89؛ وطارق محمد سويدان: الأندلس التاريخ المصور، مراجعة وتدقيق لغوي: راتب المصري، (الكويت: مطابع المجموعة الدولية، ط 1، 2005م)، ص 340.

(3) المصدر نفسه، ص 124 - 125.

(4) لخضر سيفر: التاريخ السياسي، ص 234.

(5) ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص 401.

(6) مجموع رسائل موحدية، (لبيفي)، ص 16.

كما لحت إحدى الرسائل الموحدية أن: " المهدي - رضي الله عنه- قد بشر به النبي - صلى الله عليه وسلم- في غير ما حديث وظهرت علاماته وآياته في قديم مزامره وحديث، ودل على اسمه وزمانه وفعله ومكانه بأدلة رفعت الأشكال والتعسف فأتى- رضي الله عنه- كما نعت النبي - عليه السلام- ووصف وقال- صلى الله عليه وسلم- فيه وفي طائفته العزيزة ما قد ظهر ظهور الإشاعة

والإذاعة، وقضى بوجوب الإثمار والأيتام والطاعة، وأخبر في جملة ما أخبر به عنهم أنهم يقاتلون على الحق إلى قيام الساعة..."⁽¹⁾.

عندما تمكن المهدي من كسب أنصاره أخذ يكلمهم عن المهدي من سلالة محمد - صلى الله عليه وسلم- أعلن لهم أنه المهدي، حيث هياً لأتباعه الجو ولقبوه أصحاب العشرة يوم مبايعتهم له أولى بيعة عقدت له، وكتب للفقير القاضي علي بن الحسن الجذامي أوله بعد البسملة والصلاة " أقول وأنا محمد بن عبد الله تومرت وأنا مهدي آخر الزمان..."⁽²⁾. حاول ابن تومرت الاقتداء بالنبي في كثير من المواقف فقد اعتكف في غار ايجلي للتعبد والصلاة كما فعل الرسول - صلى الله عليه وسلم- بأنصاره سكان المدينة⁽³⁾.

يلقب المهدي بالإمام⁽⁴⁾، وبعد إعلان المهدي أصبح يلقب بـ "الإمام المعصوم والمهدي المعلوم"، ولقد أثبتت ذلك الرسائل الديوانية الموحدية منها ما جاء في رسالة من والي قرطبة إلى والي غرناطة حول دخول ابن همشك في الطاعة للموحدين: "... والصلاة على محمد نبيه الذي تبين به دين القيمة ووضح، والرضى عن الإمام المعصوم والمهدي المعلوم..."⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ المصدر نفسه، ص08.

⁽²⁾ ابن القطان: نظم الجمان، ص88-89.

⁽³⁾ جورج مارسية: بلاد المغرب وعلاقتها ببلاد المشرق، ص295.

⁽⁴⁾ السبب الذي جعل المهدي يلقب نفسه بالإمام هو أن يثبت لأنصاره أنه المرشح الوحيد القادر على تولية السلطة. أنظر

Abd Allah Laroui: **L'histoire du Maghreb- Un essai de synthèse-**, (paris, 1976), 1/162.

⁽⁵⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزاوي)، 1/ 127-128؛ والرسائل 27، 29، 44، 77، ...

الديوانية

كان عبد المؤمن شديد التعلق بالمهدي، كثير الاحترام والتقدير له فكثيرا ما كان يتجه إلى قبره بتينملل، للتبرك به حيث قال في إحدى رسائله: " وكان مقصودنا من هذه الوجهة المباركة زيارة قبر

المكرم المهدي رضي الله تعالى عنه لتجديد عهد به تقادم، وشفاء شوق إليه لزم ولازم، والنظر في بناء مسجده المكرم تمتعا ببركاته"⁽¹⁾.

كان دائم الدعوة إلى الإيمان بالمهدي في دروسه وخطبه ورسائله، وكثيرا ما يحذر من إهمال أمره، وتجاهل مهديته فقد جاء في إحدى رسائله: "أن من لم يؤمن بالله ولا برسله، ولا بما جاءت به الرسل، ولا بالإمام المهدي الذي قامت عليه البراهين واتضح في أمره السبل، فهو متماد على كفره وتجسيمه"⁽²⁾.

وقد أمر العامة على حفظها والعمل بها، وألزمهم قراءة العقيدة حتى في الديار، شمل الإلزام النساء والرجال والأحرار والعبيد، وكل من توجب عليه التكليف، وقد كان يستجلب الصبيان من مختلف الأقطار لتعليمهم عقيدة المهدي، وسار أبو يعقوب يوسف على سيرة أبيه في اعتقاد المهديّة، حيث أعلن عن الإيمان بالمهدي والتعظيم له⁽³⁾.

أما أبو يوسف يعقوب فقد شكك في عقيدة المهدي إلا أنه ترك الأمور على عاداتها في تعظيم هذه العقيدة، ويبدو أن سائر خلفاء الدولة الموحدية ماعدا المأمون تبنوا عقيدة المهدي وألزموا العمل بها ومقاومة المعارضين لها⁽⁴⁾.

فأبو محمد عبد الله (621-624هـ/1224-1226م)، كان يعتقد المهديّة، أما عبد الواحد الرشيد (630-640هـ/1232-1242م) فقد أعاد الاعتبار إلى عقيدة المهديّة بعد أن

⁽¹⁾ ابن القطان: نظم الجمان، ص 189-190.

⁽²⁾ عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص 404.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 404-405.

⁽⁴⁾ نفسه، ص 506.

أزأها المأمون، ويبدو أن أبا جعفر المرتضى(646-665هـ/1248-1266م) كان أكثر الخلفاء الموحدين اعتقاداً للمهدية⁽⁵⁾.

2- العصمة:

العصمة فرع من فروع الإمامة لأنها صفة من صفات الإمام، وهي تعني الخلو عن الأخطاء والآثام على مستوى الفكر والسلوك⁽¹⁾، والعصمة كرامة من كرامات المهدي، فإن الله خصه بها، فمن عصمه: عصمته من أهل الإسكندرية، فإنه رأى فيها مناكر فغيرها.

ومن عصمته منع أهل المركب من تغييره وقد هموا بذلك؛ فعندما ركب في السفينة من الإسكندرية إلى المغرب رأى في المركب خمراً فأراقه فصاح عليه صاحب الخمر وسبه ووضع يده فيه، وعندما كانت وقت الصلاة أمرهم بالصلاة فامتنعوا فشدد عليهم، أرادوا إلقاءه في البحر فهال عليهم البحر وكادوا يغرقون، فقام إليهم رجل حاج فقال لهم تداركوا أنفسكم بإرضاء هذا الرجل، فأقبلوا نحوه متضرعين، فطلب منهم الوضوء والصلاة ففعلوا وسارت السفينة فصاروا يطلبون منه الدعاء كل يوم⁽²⁾.

الواضح أن العصمة التومرتية مرت بمرحلتين الأولى: تمثل العصمة من الخطر خطر الأعداء والخصوم الذي تعرض له ابن تومرت أثناء قيامه بعملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في طريق عودته من الإسكندرية إلى بلده.

والثانية العصمة من الخطأ التي تعني الحاكم المطلق أو المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلاً والذي يخضع له جميع الموحدين، ويعترفون به بعد الله كالأنبياء وخاتم المرسلين، محمد المصطفى الذي ينبغي أن ينسب إليه المهدي المعصوم⁽³⁾.

⁽⁵⁾ مجموع رسائل موحدية، (لبيفي)، ص132.

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص284.

⁽²⁾ ابن القطان: نظم الجمان، ص92.

⁽³⁾ سعد زغلول: تاريخ المغرب، 215/5.

اكتفى عبد المؤمن بلقب الخليفة وامتنع عن حمل لقب الإمام، وحافظ هو وابنه يوسف لابن تومرت بهذه التسمية، لذلك فأغلب الرسائل الموحدية تحمل ذكر "الإمام المعصوم المهدي المعلوم"⁽⁴⁾.

لكن يعقوب المنصور لم يعتقد في العصمة فقد أنكرها، إذ اعتبر فكرة عصمة المهدي فكرة كاذبة وكان من رأيه أنه على المسلمين الاعتماد على كتاب الله وسنة رسوله، ومن أجل الحفاظ على مكانة الدولة يجب عليه أن يعتمد على المبادئ الأولى، وعند وفاته استدعى أقاربه ووصاهم بالالتزام بأوامر الله كما وردت في القرآن الكريم والأحاديث النبوية⁽¹⁾.

وكتب المنصور كتابا إلى الولايات أجابه والي إشبيلية بشأن الاهتمام بالكتاب والسنة، جاء في الجواب: "... إلى معرفة حقيقة دينهم من كتاب الله وسنة الرسول... ولم يجعلوا لأحد من بلغ التكليف أو ناهزه في غير الاشتغال بدراسته في سبيل وأخذوا بتحصيله نسائهم وصبيانهم وإمامهم دون تقصير في وقت ولا تعطيل، فهو يتدارس بالأبرية والأفنية ويتلى حق تلاوته ابتهاجا به في وهدة

أو ثنية، قد عمرت بدراسته المساجد والمحاضر، وأعمت في استنساخ نسخته الأمددة والأقلام والمحابر وتساوى كله القريب والبعيد والبادي والحاضر..."⁽²⁾.

وكان عبد المؤمن قبله قد أمر أهل بجاية بإقامة الحدود وحفظ الشرائع، وإظهار الحق بلزوم الواجبات وطلب منهم العمل بالكتاب والسنة والاهتمام بالدعوة " ... وجعلهم جارين على حكم الكتاب والسنة في التدقيق... بما أمهضنا الله به إحياء معالم السنة وإحكام أمراسها، وتثبيت أركان الدعوة على وثيق أساسها وتطهير الأمة من أدرانها وأدناسها..."⁽³⁾.

⁽⁴⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 1/الرسائل 34، 42، 46، 50، 53، 54، 55.

⁽¹⁾ لي تورني: حركة الموحدين، ص 89، 91؛ والحسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب الإسلامي، (الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط2، 1986م)، ص 206.

⁽²⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 1/ 210.

⁽³⁾ مجموع رسائل موحدية، (لبيفي)، ص 128، 129.

ولكن المأمون عندما استولى على ملك مراكش 24 شوال سنة 624هـ/1226م ألغى رسوم المهدي ومحا اسمه من السكة ولعنه فوق المنبر⁽⁴⁾،

وجاء في رسالة له: " ولتعلموا أن نبذنا الباطل وأظهرنا الحق وأن لا مهدي إلا عيسى بن مريم، وما سمي مهديا إلا أنه تكلم في المهد فتلك بدعة قد أزلناها... وقد أزلنا لفظ العصمة عمن لا تثبت له عصمة ولذلك أزلنا عنه رسمه، فيمحي ويسقط ولا يثبت، وقد كان سيدنا المنصور هم أن يصدع بما به الآن صدعنا... وإذا كانت العصمة لم تثبت عند العلماء للصحابة... اللهم أشهد، اللهم أشهد، اللهم أشهد، أنا قد تبرأ منهم تبرؤ أهل الجنة من أهل النار..."⁽¹⁾.

جاء في إحدى رسائل والي إشبيلية يخبر الخليفة الناصر بقرب انتهاء الهدنة ويتوصل منه بالإذن له للورود عليه"... والرضى عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم... حتى وضحت معالم الحق بعد طسوم الرسوم..."⁽²⁾.

كما يلاحظ أن الإمام عند المهدي هو الإمام المعصوم المهدي المعلوم، فهو الذي بشر به الرسول صلى الله عليه وسلم، يكون من آل البيت، يأتي في زمان انتشر فيه الباطل والفساد، والإمام الذي صوره المهدي معصوما من الخطأ، والعصمة صفة من صفات الإمام.

لم يتوقف الرفض للمذهب التومرتي على بعض الخلفاء الموحدين بل تعدى إلى بعض الطلبة منهم ولد ابن الصقر - لم تذكر المصادر عنه شيئا سوى أنه من - طلبة العلم بمراكش-، اختار ابن الصقر وقت خطبة الجمعة وأعلن عن موقفه، عندما نطق الخطيب بجامع مراكش في عهد المرتضى بعصمة المهدي، كذبه عليه ولد ابن الصقر بقوله: " فأراد الخليفة المرتضى أن يسجنه ولا يقتله على

⁽⁴⁾ أبو عبد الله السلماني: رقم الحلل في نظم الدول، (تونس، 1316هـ) ص64.

⁽¹⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الجزاوي)، 1/ الرسالة 119.

⁽²⁾ المصدر نفسه، 1/ 261.

قوله، فأبى الأشياخ والوزراء إلا وقوع قتله، إلا أن غلبوا عليه فأل أمره إلى القتل خوفا من أن يقول ذلك غيره، فأمروا عليه فقتلوه ظلما قبحهم الله⁽³⁾.

ج- موقفه الموحدين من المذهب المالكي:

من خلال إحدى الرسائل الموحدية التي وجهها المهدي إلى أتباعه سنة 521/1127م نلاحظ أن الموحدين وقفوا موقفا عدائيا لفقهاء المذهب المالكي، حيث اتهموهم في موقف متكرر بالتبليس والتدليس، فقد وصفهم المهدي "... بأعوان الكفرة المثلثين... من الطلبة... تسموا باسم العلم، ونسبوا أنفسهم إلى السنة وتزينوا بالفقه وتعلقوا بالكفرة، وانجازوا إلى جنبهم، واستفرغوا

مجهودهم في معوتتهم... وأعانوهم على باطلهم... ويقطعون الناس عن الحق ويردوهم عن الباطل... فلبسوا الناس بالزور والغرور وظنوا أن الأمر كما قالوا، وحسبوا أن ذلك هو الحق... وقالوا لهم طاعتهم لازمة والانقياد إليهم واجب عليكم... فبغضوا إليهم أهل التوحيد وحذروهم من الرجوع إليهم وسلوك سبيلهم... وليسوا عليهم بتبديل الكلام وتحريف القول بالزور والبهتان وتقولوا علينا ما لم نقل تجنبنا وتبغضا للحق عند العوام... ودرسوا عليهم بهذه الأبواب..."⁽¹⁾.

هكذا انتقد ابن تومرت الحالة التي آل إليها الفقه في عصر المرابطين من تراكم في الأقوال الخالية من الدليل الشرعي الغالب ولم يكن في موقفه هذا رافضا لمذهب الإمام مالك، ولكنه كان يريد الرجوع إلى الأصول الحديثة للمذهب فقام باختصار كتاب الموطأ، كان هدفه من ذلك هو تحرير العقل الفقهي من التزعة الفروعية التي يحكمها الجمود والتقليد والرجوع من ثم إلى القرآن والسنة والإجماع مع إعادة الاعتبار لعلم أصول الفقه وللعقل بصفته أداة للاجتهد والاستنباط والتأويل⁽²⁾.

⁽³⁾ محمد المغراوي: العلماء والصلحاء والسلطة، ص251.

⁽¹⁾ رسائل موحدية- جديدة-، (المغراوي)، 47/1 - 48.

⁽²⁾ محمد المغراوي: "تطور علاقة السلطة الموحدية بفقهاء المذهب المالكي إلى عهد يعقوب المنصور" مجلة آفاق التراث والثقافة (الإمارات العربية المتحدة)، ع31/ 2000م، ص26.

وحين تولى الخليفة عبد المؤمن أمر بحرق كتب الفروع واقتصر على الأحاديث النبوية الشريفة، يقول ابن أبي زرع" ثم دخلت خمسين وخمسمائة فيها أمر عبد المؤمن... تغيير المنكر وتحريق كتب الفروع ورد الناس إلى قراءة الحديث وكتب بذلك إلى جميع طلبة المغرب والعدوة..."⁽³⁾.

إلى جانب ذلك فقد وصاهم بالرجوع إلى تعاليم المهدي وهذا ما نستشفه من إحدى رسائله جاء فيها:"... وليكن جميع ما تأتونه وتذرونه في هذا المقصد وتؤخرونه جاريا على حكم الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، ففعله هو الذي نقتدي به، ونستمسك بسببه، ونمضيه على وجهه، ونجريه على رسمه..."⁽⁴⁾.

إلا أن علماء المالكية استمروا في ممارسة نشاطهم، بل أكثر من ذلك فالخليفة عبد المؤمن (524-558/1130-1163م) قرب الفقيه أبي العباس بن الصقر المريبي (ت569ه/1173م) الذي يعد من أكابر الطلبة الذين يحضرون مجلس عبد المؤمن والفقيه⁽¹⁾ أبو بكر بن ميمون القرطبي (ت567ه/1172م)⁽²⁾. كما أنه كتب للفقيه ابن الحاج (ت571ه/1175م) يقول له:"ولكم عندنا- وفقكم الله وأكرمكم- من حظوظ التقريب والإيثار، وموالاته التنبيه على سبيل الدوام لكم والاستمرار فوق ما تؤملونه، وخير ما تستقبلونه"⁽³⁾.

⁽³⁾ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص195.

⁽⁴⁾ مجموع رسائل موحدية، (ليفي)، ص 138.

⁽¹⁾ لخضر بولطيف: فقهاء المالكية، ص207.

⁽²⁾ هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن إدريس بن محمد العبدري القرطبي، سكن مراكش، كان كاتباً بالغا، حافظاً للفقه واللغة والأدب كان يحضر مجالس عبد المؤمن إلى أن قال له شعرا فهجره عبد المؤمن ومنعه من الحضور في مجلسه. أنظر الحافظ جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، (دار الفكر، ط2، 1979م)، 147/1-148؛ وابن عبد الملك: الذيل والتكملة، 6/320.

⁽³⁾ رسائل موحدية- جديدة-، (الغزاوي)، ص04.

الفصل الثالث:.....السياسة الفكرية والمذهبية للدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية

وسار الخليفة يوسف على هذا المنحى الذي شبهت أيامه بأيام عثمان بن عفان لأنه يرفق بالرعية وبعمر بن عبد العزيز في العدل والإنصاف⁽⁴⁾، فهو لا تحدثنا المصادر عن اصطدامه بفقهاء المذهب المالكي، على الرغم من أنه كان يخفي موقفا رافضا لفقهاء الفروع⁽⁵⁾.

انضم في عهد الخليفة يوسف جملة من الفقهاء منهم أبو محمد الصفار (ت576ه/1180)،

وأبو الوليد بن رشد (ت595ه/1198م)، وأبو بكر بن الجدل الاشبيلي (ت586ه/1190م)، وأبو موسى بن عمران التلمساني (ت578ه/1182م)⁽⁶⁾.

عرف المنصور بورعه وتقواه بأحكام الشريعة الإسلامية وتطبيقها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود، فقد كان حريصا كل الحرص على إقامة الحدود، وكان يشدد على الرعية بإقامة الصلوات الخمس ويعاقب على تركها⁽⁷⁾. ولكن للمنصور موقف خاص من الناحية الدينية، ففي البداية طارد علم الفروع وقام بحرق كتب الفروع في مدينة فاس⁽⁸⁾، أعني دراسة تفاصيل العبادات والمعاملات، وأمر بإحراق كتب المذهب المالكي في كل البلاد مثل مدونة سحنون وكتاب ابن يونس ونوادير ابن أبي زيد، وكتاب التهذيب للبرادعي، وواضحة ابن حبيب، وأمر الناس بترك الاشتغال بعلم الرأي والخوض فيه، وأمر جماعة من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة في الصلاة وما يتعلق بها على نحو المجموعة التي جمعها ابن تومرت في الطهارة وانتشر في المغرب ووجد صدى في أوساط العامة وحفظوه، حيث قال: "وانتشر هذا المجموع في بلاد المغرب وحفظه العوام والخواص"⁽¹⁾. وكان المنصور يهدف من ذلك إزالة مذهب مالك من

⁽⁴⁾ لخضر بولطيف: المرجع السابق، ص 188.

⁽⁵⁾ محمد المغراوي: "تطور علاقة السلطة الموحدية بفقهاء المذهب المالكي..."، ص 26.

⁽⁶⁾ لخضر بولطيف: المرجع السابق، ص 206.

⁽⁷⁾ رسائل موحدية، 1/ الرسالة 44.

⁽⁸⁾ المصدر نفسه، 208/1.

⁽¹⁾ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2004م)، 186/24؛ ومحمد الرشيد: عصر المنصور الموحدية - أو الحياة السياسية والفكرية والدينية في المغرب من سنة 580ه إلى سنة 595ه، (مطبعة الشمال القسنطيني، د.ت)، ص 255؛ وعنان: دولة الإسلام، 240/5؛ ولي

المغرب، إضافة إلى ذلك كان المنصور من أشد دعاة المذهب الظاهري⁽²⁾، وقد حمل المنصور الناس على احتمال المذهب الظاهري⁽³⁾.

قام المنصور بمطاردة المالكية المعارضين لأوامر الأمير ومذهبه، فقد نكبت السلطة الموحدية بعض الفقهاء الأندلسيين سنة 586هـ / 1190م، تضاربت المصادر حول الأسباب أرجعها البعض إلى أن أحد المقرين من الخليفة وهو الطيب أبو بكر بن زهر (ت: 595هـ/1199م) في الوشاية ببعض الفقهاء.

بينما أرجعها البعض بحملة المنصور التي تهدف إلى ترك التقليد والعمل بالحديث ووجهت المطاردة بصفة خاصة نحو الفقيه أبي الحسن بن زرقون (ت 621هـ/1224)، الذي كان شيخ المالكية ألف في الفقه المالكي كتاب "تهذيب المسالك إلى تحصيل مذهب مالك"، وقد نكلت السلطة الموحدية به وأحرقت مكتبته⁽⁴⁾.

كما نكلت بالفقيه أبي محمد بن عبد الكبير بن بقى والحاج أبي بكر محمد بن خلف التجيبي المتوفى سنة 593هـ/1196م فسجنا الأول والثاني وحجز أموالها وعذبا عذابا شديدا، أما أبو محمد عبد الكريم فقد نجا من العقوبة، ولكن حصل على عفو الأمير مع ابن رشد⁽¹⁾.

إلا أن يعقوب المنصور كان محبا للعلم والعلماء حيث استدعى الفقيه أبو العباس بن جرج البلسني⁽²⁾ (ت 601هـ/1205م) إلى مراکش⁽³⁾، كما تدعمت طبقة الطلبة في عهده بفقهاء جدد⁽⁴⁾ منهم أبو عبد الله بن الفخار المالقي⁽⁵⁾ (590هـ/1193م)، والفقيه محمد بن الفرس

تورني: حركة الموحدين، ص 89؛ والحسن السائح: الحضارة الإسلامية، ص 206؛ وعبد الله كنون: النبوغ المغربي، ص 119.

⁽²⁾ اشتهر على يد الفيلسوف ابن حزم القرطبي في أوائل القرن الخامس الهجري بهدف المذهب في صياغة أحكام الشريعة؛ يجب الرجوع إلى ظاهر القرآن والسنة ولا يؤخذ في ذلك بالرأي أو القياس وأن يبقى الإجماع محصورا في صحابة الرسول - صلى الله عليه وسلم-. أنظر عنان: المرجع السابق، 5/ 240.

⁽³⁾ النويري: المصدر السابق، 24/ 186.

⁽⁴⁾ محمد المغراوي: العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب، ص 268.

⁽¹⁾ سعد زغلول: تاريخ المغرب، 7/ 217.

الغرناطي⁽⁶⁾ (597هـ/1200م) وللفقهاء المالكية مكانة بارزة في الكتابة الديوانية منهم أبو الفضل بن محشرة البجائي (ت598هـ/1201م) الذي كتب ليوسف بن عبد المؤمن (558-580هـ/1163-1184م)، ومن بعده يعقوب المنصور (580-595هـ/1184-1199م) فللناصر (595-610هـ/1199-1213م) وغيرهم⁽⁷⁾.

ثالثاً: موقفه الموحيدين من المرابطين والمعارضين من خلال الرسائل

أ- موقفه الموحيدين من المرابطين:

منذ أن استقر المهدي بتينملل سنة 518هـ/1124م أصبح يهدد المرابطين، حيث أعلن عليهم حرباً مذهبية شعواء؛ عندما نعتهم المرابطون بالخوارج رد عليهم الموحدون بأسماء عديدة

⁽²⁾ هو أحمد بن عتيق بن الحسين زياد بن جرج البلنسي، المروي الأصل، ولد سنة 550هـ، كان أعلم أهل زمانه بالعلوم القديمة، استدعه المنصور، فكانت مكانته عنده عظيمة، قدمه المنصور للشورى والفتوى في القضايا الشرعية، توفي في إفريقية عندما كان مع الناصر سنة 601هـ. أنظر ابن عبد الملك: *الذيل والتكملة*، السفر 1/280، 282.

⁽³⁾ لخضر بولطيف: *فقهاء المالكية*، ص188؛ أنظر الفصل الأول من الدراسة.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص206.

⁽⁵⁾ هو محمد بن إبراهيم بن خلف الأنصاري، مالقي بلنسي الأصل، كان من أحفظ أهل زمانه للفقهاء والحديث والتواريخ والآداب، ولد بمالقة في 09 رجب سنة 511هـ، وتوفي بمراكش بـ 12 من شعبان وقيل 17 من شعبان سنة 590هـ، دفن بمقبرة تامراكشت، استجلبه المنصور إلى مراكش سنة 580هـ، قيل عنه أنه كان فاضلاً ورعاً متواضعاً. أنظر ابن عبد الملك: *المصدر السابق*، السفر 6/87-90.

⁽⁶⁾ هو عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن فرج بن خلف بن سعيد بن هشام الخزرجي الغرناطي، من بيت علم وجمالة، متقناً لمختلف العلوم، بارزاً في الفقه وعلوم اللسان، ولد سنة 524هـ، وقيل سنة 525هـ، وتوفي يوم الأحد 04 جمادى الآخرة سنة 597هـ، دفن خارج باب البيرة. *المصدر نفسه*، 5/58-62.

⁽⁷⁾ لخضر بولطيف: *المرجع السابق*، ص199.

منها "المجسمين" و"الزراجنة"⁽¹⁾ و"الشم" و"الحشم" و"الهمج" و"الرعاغ" وإتباع الهوى المضل والشح المطاع، و"الشم، العتم الصم، البكم، العراة الحفاة، أهل الجهل والجفاء"⁽²⁾.

وسبب تلقينهم بهذه الأسماء أنه قيل للموحدين: ما يقولون؟ بعد أن سمع منهم كلاما من عندهم، قالوا له: لقبونا، قال: وكيف لقبوكم؟ قالوا يقولون خوارج، قال: سبقونا بالقبیح، لو كان خيرا أحجموا عنه وما سبقونا إليه، لقبوهم أنتم، فإن الله ذكر في كتابه " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه قولوا لهم أنتم أيضا المجسمون"⁽³⁾.

أكد لهم أن جميع علاماتهم ظاهرة منها ما ظهر قبل مجيئهم ومنها ما ظهر بعد توليتهم حكم

البلاد؛ فالذي ظهر قبل مجيئهم خمسة وهي: "إحداهن أنهم الحفاة، والثانية أنهم العراة، والثالثة أنهم العالة، والرابعة أنهم رعاء الشاء والبهم، والخامسة أنهم جاهلون بأمر الله، والذي ظهر منها بعد أخذهم البلاد سبع، إحداهن أنهم يأتون في آخر الزمان، والثانية أنهم ملوك، والثالثة أنهم يتناولون في البنيان، والرابعة أنهم يلدون مع الإماء، ويستكثرون من الجوارى، والخامسة أنهم صم، والسادسة أنهم بكم"⁽⁴⁾... والسابعة أنهم ما هم أهلا للأمانة والقيام بأمر الله".

والذي ظهر من أفعالهم ثمانية، وهي: "إحداهن أنهم في أيديهم سياط...، والثانية أنهم

يعذبون

(1) سماهم "الزراجنة" لأنهم يشبهون طائر أسود البطن أبيض الريش يقال له "الزرجان"، لأن المرابطين بيض الثياب سود القلوب، كما سماهم أيضا المجسمين لأنهم يقولون بالتحسيم ويسمون الحشم للثامهم كما يفعل النساء المتحشمت. أنظر ابن القطان: نظم الجمان، ص132؛ وحسين مؤنس: تاريخ المغرب، ص74.

(2) مجموع رسائل موحدية، (لبيفي)، ص129؛ ورسائل موحدية - جديدة-، (الغراوي)، ص54/1.

(3) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص71؛ وعبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص121.

(4) يعني أنهم صم عن الحق لا يستمعون إليه، بكم عن الحق لا يقولون به ولا يؤمرون به وكل ذلك راجع إلى الجهل والعدول عن الحق. أنظر المهدي بن تومرت: أعز ما يطلب، ص385.

الناس ويضربونهم بها، والثالثة أن نساءهم رؤوسهن كأسنمة البخت...، والرابعة أنهن كاسيات عاريات، والخامسة أنهن مائلات يعني عن الحق والرشاد، والسادسة أنهن مميلات، يعني مميلات لغيرهن، والسابعة أنهن يغدون في سخط، والثامنة أنهم يروحون في لعنة"⁽¹⁾.

لم يبدأ لهم بالحرب، بل سبق لهم الدعوة لإتباع الحق كما كان يراه والارعواء من الباطل الذي هم فيه، محاولا إقناعهم بدعوته سلما، وجعل يبعث البعوث والرسائل متدرجا من اللين إلى الشدة ومما قاله لهم في أحد رسائله: "قد أمرناكم بما نأمر به أنفسنا من تقوى الله العظيم ولزوم طاعته، وإن الدنيا مخلوقة للفناء، والجنة لمن اتقى، والعذاب لمن عصى، وقد وجب لنا عليكم حقوق بوجوب السنة فإن أدبتموها كنتم في عافية ولا فسنستعين بالله على قتلكم حتى نمحوا آثاركم ونكدر دياركم، ويرجع العامر خاليا، والجديد باليا، وكتابتنا هذا إليكم اعدارا وانذارا، وقد أعذر من أنذر"⁽²⁾.

وكان يردد على أصحابه أن الجهاد ضد المرابطين أعظم من جهاد الروم وسائر الكفرة بأضعاف كثيرة، باعتبارهم يشكلون خطرا كبيرا على الدين، أكبر من الخطر الذي يشكله النصارى

عليه، لأنهم يلبسون الإسلام مفهوما مخالفا تماما لمفهومه الحقيقي⁽³⁾، "فجهاد الكفرة الملثمين قد تعين على كل من يؤمن بالله واليوم الآخر، لا عذر لأحد في تركه، ولا حجة لهم عند الله"⁽⁴⁾.

وفي سنة 517/1123م جهز جيشا لمحاربة المرابطين، قال لهم: "أقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين تسموا بالمرابطين، فادعوهم إلى إمامة المنكر... فإن أجابوكم فهم إخوانكم لكم ما لهم وعليهم ما عليكم، وإن لم يفعلوا فقاتلوهم، فقد أباحت لكم السنة قتالهم"⁽⁵⁾.

وعندما لم يجبه المرابطون إلى دعوته؛ إذ يعتبرون أنفسهم على الحق ويعتبرونه على الباطل بدأ في جمع الجيوش والمقاتلين وبدأ في استمالة القبائل وركز دعوته فيهم ليكون له سندا يحمون

(1) المصدر نفسه، ص385.

(2) مجموع رسائل موحدية، (ليني)، ص43.

(3) محمد ولد داداه: مفهوم الملك في المغرب، ص176-177.

(4) رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 47/1.

(5) عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص259-260.

الديوانية

ظهره، ولما استكمل عدده وعدته شرع في وقائعه الحربية مبتدئا بالقبائل والقرى القريبة منه ممن تدين بالولاء والطاعة للمرابطين، وجعل يغزوهم بلا هوادة وقد عرض البيذق هذه الغزوات بالتفصيل⁽⁶⁾.

أثم المهدي المرابطين بالشرك والانحراف عن سنة نبيه"فإنهم سعوا في هدم الدين وإماتة السنة واستعباد الخلق"⁽¹⁾، وهم مفسدون في الأرض"وتنادوا على الفساد في الأرض، وعلى العتو والطغيان"⁽²⁾، فقد تهادوا على هلاك الحرث والنسل والاعتداء على الناس في أخذ أموالهم وخراب ديارهم وفساد بلادهم وسفك دمائهم واستباحوا أكل أموال الناس بالباطل وأخذ أموال اليتامى"⁽³⁾.

"فهم الكفرة الطغاة كالجبايرة والفرعنة الذين يعذبون الناس على الحق، ويقربون الجحيم والفاجر، والمخمور، وقاطع الطرق ويكرمونه"⁽⁴⁾، كما أنهم يمارسون التمييز الطبقي والظلم الاجتماعي " فإذا رأوا مجسما سفيها مضيعا، على الفجور والخمور مصرا، أو قاطعا للطريق سفاكا، أو عاصيا فاجرا أو متهاونا بالدين مستخفا بالحق، قربوه ورفعوه وأكرموه لفعله مثل أفعالهم وسلوكه لسبيلهم، ونسبوه إلى الهدى والسنة، وأعطوه السحت والخبيث ليقوى به على قطع طريق الآخرة، وسفك دماء أهل التوحيد"⁽⁵⁾. فجهادهم فرض وواجب على كل من يؤمن بالله واليوم الآخر ومن قتل من المجسمين في تلك الحرب فهو في النار، ومن قتل من الموحدين فهو في الجنة"⁽⁶⁾.

⁽⁶⁾ عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص122.

⁽¹⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الزواوي)، 47/1.

⁽²⁾ المصدر نفسه، 47/1.

⁽³⁾ نفسه، 47/1.

⁽⁴⁾ سعد زغلول: تاريخ المغرب، 220/5.

⁽⁵⁾ رسائل موحدية، 47/1؛ وعبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص20.

⁽⁶⁾ المصدر نفسه، 47/1 - 48.

وكان إلى جانب هذا التشنيع بالمرابطين وإظهار عيوبهم تصدى لهم بالرد على ما قالوه فيه، حتى لا تتزعزع ثقة أصحابه به، وحتى لا يزدادوا استنقاصا لدعوته، ولقطع الطريق على هذه الدعاية⁽⁷⁾.

ومن ذلك قوله: "وتقولوا علينا ما لم نقل تمجينا وتبغضا للحق عند العوام حتى لا يستمعوا إليه ولا يقبلوه، وعدوا لهم جملا من الأبواب، ونسبوا ذلك كله إلينا ليقربوا به بغض الحق في قلوب النار، ودلسوا عليهم بهذه الأبواب ليكون ذلك تنفيرا لهم عن سماعها فضلا عن قبولها، فمنها قالوا هذا رجل يكفر المسلمين، ويمتنع الصلاة على أهل القبلة"⁽⁸⁾.

وعند وفاة المهدي بن تومرت سنة 524هـ/1129م، تولى عبد المؤمن الخلافة سار على درب إمامه، وأخذ على عاتقه محاربة المرابطين ومطاردتهم في كل مكان، حتى سقطوا مراكش في أيدي الموحيدين سنة 541هـ/1146م.

يتضح من خلال ما سبق أن مواجهة الموحيدين للمرابطين وتكفيرهم وتجسيمهم يتوقف على الدعوة الموحدية الجديدة التي ارتبطت بالوضع المغربي خاصة في العهد الأخير من الدولة المرابطية، التي عجزت حكماؤها عن تنفيذ المشروع الإصلاحية في بلاد المغرب من أجل تغيير الفساد الذي عم البلاد، لذا نعتهم بالفسق والكفر، وأمر بمحاربتهم، ودون هواده.

والرجل الوحيد الذي يقدر على تغيير هذا المنكر رجل غير عادي، يملك قدرات خارقة تفوق قدرات الناس، كما هو الأمر بالنسبة إلى ابن تومرت، لذا نجد معظم الرسائل الموحدية تمجد كراماته، وإدعائه للعصمة والمهدوية، فهذا الصراع القائم صراع عقدي وفكري عميق بين المرابطين والموحيدين من أجل كسب الأنصار والقضاء على المرابطين.

ب- موقفه الموحيدين من القبائل المغربية:

1- تارودانته⁽¹⁾:

⁽⁷⁾ عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص85.

⁽⁸⁾ رسائل موحدية، 48/1-49.

⁽¹⁾ مدينة في السوس تقع جنوب الأطلس الكبير على وادي ماسة، فهي بعيدة عنه بما يزيد قليلا عن أربعة أميال، أسسها قدماء الأفاقة، وهي أكثر البلاد قصب السكر، ومنها يجلب إلى جميع بلاد المغرب والأندلس وإفريقية. أنظر الحسن الوزان: وصف إفريقيا، 1/118؛ ومؤلف مجهول: الاستبصار، ص211-212.

بعد وفاة المهدي قاد عبد المؤمن بعض العمليات العسكرية فقام بفتح " هسكورة الجبل " و"صنهاجة الجبل"، ثم اتجه إلى إقليم السوس، فقام بفتح مدينة تارودانت سنة 529هـ/1134م⁽²⁾، وكتب عبد المؤمن رسالة حول عمليات الموحدين بها⁽³⁾.

بعد استيلاء عبد المؤمن على بلاد السوس، لجأت بقايا المرابطين المنهزمين بعد مقتل قائدهم "توجين" إلى المناطق المجاورة من هنكيسة وجزولة، وانحصر بعضهم بتيونونين، قام العلوج بقيادة الأعرج من "أجر فر جان" باقتحام الموحدين في طريق "إيغران تطوف"، فاتبعهم الموحدون حتى وصلوا السوس، وعند وصول العلج "تيونونين" التف حوله من فر إلى المناطق المجاورة من أهل السوس، فاتجهوا إلى بلادهم.

قام عبد المؤمن بتمييز العسكر من الرجال والفرسان، فبعثوا سرية إلى أسفل السوس وكشفوا أن المنطقة معمورة فقتلوهم وغنموا غنائم، ثم ولوا أدراجهم، وفي الليلة الموالية بعثوا سرية أخرى إلى بقية البلاد، فقتلوا وغنموا أكثر من المرة الأولى⁽¹⁾.

وأما عسكر الموحدين اتجه إلى تارودنت، فهربت بقايا المرابطين، إلا الذين كانوا في تاجندويت ورقالة، فقتل الموحدون كل الذين وجدوه من المرابطين في المنطقة، وعند نزول الموحدين في وسط وحلفائهم من العلوج تارودنت حرقوها، وأطلقوا النار في قصب السكر، واستولى عبد المؤمن عليها بعد انهزام المرابطين⁽²⁾.

2- كزولة⁽³⁾:

⁽²⁾ ابن القطان: نظم الجمان، ص237.

⁽³⁾ رسائل موحدية- جديدة-، (العزاوي)، 1/ الرسالة 03.

⁽¹⁾ المصدر نفسه، 1/ 51؛ وابن القطان: نظم الجمان، ص263؛ وابن خلدون: العبر، 6/ 270-271؛ وعلام: الدولة الموحدية، ص113-114؛ وميراندا: التاريخ السياسي، ص109.

⁽²⁾ نفسه، 1/ 51-52؛ وسعد زغلول: تاريخ المغرب، 5/288.

⁽³⁾ يسميها البعض جزولة بالجيم، شعبها بدوي إخوة صنهاجة لأم، لذلك أضيفوا إليهم في الترتيب، ويدرجهم بعض النسابين والمؤرخين في مصمودة لقرب مواطن الفريقين، كانت مصمودة تسكن جبال درن وجزولة تسكن قريتهم بإقليم سوس. أنظر عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، (الرباط: المطبعة الملكية، 1968م)، 1/331. يجد جزولة شرقا درعة وغربا جبل العلم

كانت كزولة من القبائل المدعمة للمرابطين، قامت جزولة بمساعدة المرابطين في سنة 533هـ/1138م، إلا أن هذه المساعدات وصلت بعد وقوع الهزيمة بالمرابطين، فاتجهوا إلى مكان وقوع الهزيمة، وتعرضت لبعض ضربات الموحدين بعد أن نصبوا لهم الكمائن، وقتلوا عن آخرهم وأخذت دوابهم وأسلحتهم وخضعت للموحدين بعد انهزام جيش المرابطين⁽⁴⁾. أما البيذق فقد اعتبرها "أول غزوة غزاها -عبد المؤمن-، تقاتلا فيها مع تاشفين والشينيور، وافترقا عنها بسلام"⁽⁵⁾.

وحسب رواية أخرى أن عبد المؤمن حاول قطع الطريق على المرابطين لعدم انتقاهم من ساحل حاحة إلى وادي سوس؛ لذا فقد قام بتشديد حصن بالأودية الواقعة أقصى جبال الأطلس المقابل للمحيط الأطلسي، ولما علم تاشفين بذلك قرر العودة إلى مراکش، وعند وصوله إلى منطقة ركراكة تخلت عنه قوات قبيلة جزولة، وأثناء انسحابها فاجأها عمر أصناك وغنم منها ما يقارب ثلاثة آلاف فارس، في الوقت الذي أعلن أهالي جزولة خضوعهم للموحدين⁽¹⁾.

فوجه عبد المؤمن إليها رسالة يحثها فيها التخلي عن المرابطين جاء فيها: "كتبنا إليكم هذا الكتاب نصيحة وتنبهها وتذكرة وتأكيذا في تبليغ الحجة... وقد تعجبنا منكم كل العجب، والتبس علينا أمركم، ولم ندر من أين أوتيتم ابغضا منكم للحق ام جهلا بمنافع انفسكم ام تعام عن رشدكم... ولو لم تكن إلا الحمية والخروج إلى الحرية من عبودية الأشرار، اللثم، الغتم، الصم، البكم، العراة، الحفاة، أهل الجهل والجفاء... فما عذر من سمع قيام المهدي في المتخلف عنه، ولو كان ببلاد الصين والهند... ولما وصل بعض عسكرنا إلى تلك الجهات، فهاجر إليه بعض

ومن الشمال جبل الأطلس. أنظر مارمول كرنجال: إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد زنيبر ومحمد الأخضر وأحمد توفيق وأحمد بنجلون، (الرباط: دار المعرفة للنشر والتوزيع، 1989م)، 2/ 68.

⁽⁴⁾ ابن صاحب الصلاة: المن، ص15؛ وابن القطان: المصدر السابق، ص264.

⁽⁵⁾ أخبار المهدي بن تومرت، ص83.

⁽¹⁾ ابن القطان: نظم الجمان، ص264؛ وميراندا: التاريخ السياسي، ص109.

الديوانية

إخوانكم، وعرفنا بما تحقق عنده من أحوالكم في الخير وصحة أهل التوحيد، والانحياز إلى جنبتهم، واثني رجاؤنا فيكم... فإذا وصلكم كتابنا هذا فتأملوه وتفهموه...⁽²⁾.

في سنة 597هـ/1191م قام بسوس رجل من جزولة يسمى عبد الرحمان المدعو أبا القصبة،

يعرف عندهم بابن "الجزارة"، فدعا إلى نفسه واجتمع إليه خلق كثير⁽³⁾ "فإنه قد نجم هذه المدة ببلاد جزولة شقي يدعي المحال، ويتبع الخبال...، (وأن كل من شايعه من الجهال وكل من اغتر) (...). ولم يعرف (الفرق) بين الهدى والضلال..."⁽⁴⁾.

فكلما بعثت له بعثة موحدية هزمها، إلى أن بعثوا بعثا من الموحدين والغز وأصناف الجند⁽⁵⁾

بعدهما تحرك الناصر إلى ركراكة⁽¹⁾، فالتقى الجمعان، وقتل عبد الرحمان وسير برأسه إلى مراکش⁽²⁾.

أصبحت ثورة جزولة خطيرة على الموحدين خاصة بعد هزيمة العقاب، وتولى الخليفة المستنصر وهو صغير قضى على هذه الثورة سنة 612هـ/1215م، بعث المستنصر برسالة إلى البلاد يخبرهم بهذا النصر العظيم جاء فيها: "وذلك بأن اجتمعت عليه القبائل، وتقربوا بقتله وقتل أشياعه"⁽³⁾.

⁽²⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 54/1-55.

⁽³⁾ عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص395.

⁽⁴⁾ رسائل موحدية، 329/1.

⁽⁵⁾ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص395.

⁽¹⁾ الغزوي: رسائل موحدية - جديدة-، 2/ 173.

⁽²⁾ عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص395.

⁽³⁾ رسائل موحدية، 330/1.

وجاء في رسالة أخرى: " وهياً فضل الله عليها وعلى الناس، من قتل الشقي الذي نجم
بالقبلة، وكنتم الحق الذي لا يضره كنتم كاتم...، وإنه لفتح من الفتوح التي يأتي بها أسعد
الأزمان"(4).

3- ثورة الماسي(5) بالجنوب:

تعتبر حركة محمد بن هود المعروف بالماسي أول ثورة تواجه عبد المؤمن بعد إعلانه أمير
المؤمنين سنة 541هـ/ 1146م بعد سقوط مراکش، بالرغم أنه كان قائدا مشاركا لعبد المؤمن،
إلا أنه خرج عليه بعد سقوط المدينة ونهاية الأسرة اليوسفية، جمع حوله عددا كبيرا من الأنصار(6)
وسمى نفسه بالهادي " استمال الناس بجزعلاته، واستهوى القلوب بمهولاته، ونصب له الشيطان
من حبالته فأنته المخاطبات من بعد ومن كتب ونسلت إليه الرسل من كل حدب..."(7).

بعث له الخليفة عبد المؤمن عدة حملات أولها قام بها أبو زكريا بن يجيت المعروف بانجمار
الذي سار إلى معقل الشقي، إلا أنه لقي منه هزيمة قاسية ورجع إلى الخليفة خاسرا(8)، وهكذا
كان على عبد المؤمن أن يوجه إلى المرتدين الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى الهنتائي(1) بعسكر مشى
إلى هزميرة وهزمهم وبدد شملهم، ومضى إلى جزولة حيث هزم الماسي " كان للناس هناك موقف
أخذت الحرب فيه حقوقها، ونهجت به طريقها وعرفت به رجالها وفريقها، وكنا نحن في بخاصتنا
في الساقة فحملنا على من يلينا من الأعداء، وحملت كل قبيلة على من يليها من الولاء، فكانت

(4) المصدر نفسه، 332/1؛ أنظر الرسائل 99، 100، 101.

(5) هو محمد بن عبد الله بن هود، كان يعمل في تبيض الملابس الجديدة بالشب أو بتراب الفرن بمدينة سلا، فلقب بالماسي نسبة
إلى رباط ماسة في أقصى بلاد السوس الأقصى، وهو أصلا رباط عبد الله بن ياسين، استقر في رباط ماسة في شعبان سنة
541هـ/6مارس 1147م، وبعدها حمل لقب الماسي نسبة إلى الرباط الشهير، فقليل أن اسمه محمد بن عبد الله الذي كان أصلا
عمر بن الخياط، ومن لقب الهادي أن الرجل كان يصل حركته بدعوة ابن تومرت فكأنها دعوة موحدية أصولية مبنية على
الإمام المعصوم المهدي المعلوم مع تعديل في وصف المهدي إلى الهادي. أنظر سعد زغلول: تاريخ المغرب، 347-346/5.

(6) ابن عذاري: البيان، 31/3.

(7) رسائل موحدية، 57/1-58.

(8) ابن خلدون: العبر، 274/6؛ وسعد زغلول: المرجع السابق، 347-346/5.

(1) ابن عذاري: البيان، 31/3.

هناك كرات شهيرة، وحملات كثيرة... فصرع (بحمد الله) لحينه، (وبادرت اليه بوادر منونه)...⁽²⁾.

وبعث بعدها الشيخ أبو حفص الهنتاتي برسالة إخبارية للخليفة عبد المؤمن تحمل في طياتها خبر مقتل النائر الماسي: " كتابنا هذا من وادي ماسة، بعدما تجدد من أمر الله الكريم، ونصره المعهود المعلوم...فتح بحر الأنوار إشراقا واحدق بنفوس المؤمنين احداقا، ونبه من الأمانى النائمة جفونا واحداقا"⁽³⁾.

يرى سعد زغلول أن⁽⁴⁾: اتخذ الماسي لقب الهادي بدلا من المهدي تعبيرا عن الإيجابية والفاعلية في العمل بالهداية على عكس ما يمكن أن يكون من سلبية في المهديّة والعصمة فهذا ما يفسر نجاح الماسي في نشر دعوته الهادية ضد الموحدية المهديّة، وكذلك الأمر بالنسبة لدخول الكثير من قبائل بلاد السوس في الدعوة الهادية المضادة، فكأنها حركة ردة جديدة.

رغم مقتل الماسي في أواخر سنة 541هـ/ مارس 1146م فإن جذور ثورته ظلت باقية في كل بلاد المغرب، فسار الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي إلى برغواطة⁽⁵⁾ فهزمه، واتجه بعدها إلى تادلا⁽⁶⁾ حيث جدد عسكره ومشى إلى مكناسة⁽⁷⁾ بعد أن ترك على حصار فاس قائده أبا بكر يحيى بن الجبر مع جماعة من الموحدين يصحبهم الشيخ أبو إبراهيم إسماعيل ايجيج، وصل عبد المؤمن إلى مكناسة وضرب عليها الحصار⁽¹⁾.

⁽²⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الزاوي)، 57/1 - 58.

⁽³⁾ المصدر نفسه، 57/1.

⁽⁴⁾ سعد زغلول: تاريخ المغرب، 248/5.

⁽⁵⁾ وهذه القبيلة يقال لها: بلغواطة، بلام مفتوحة، واسكان الغين، والنسب إليها بلغواطي. أنظر أبو الخطاب عمر بن حسن ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، مراجعة: طه حسين، بيروت: دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع، 1955م، ص 88.

⁽⁶⁾ إقليم غير شاسع يبدأ من نهر العبيد وينتهي عند نهر أم الربيع، أما جنوبا فإنه ينتهي بين جبال الأطلس، وشمالا في المكان الذي يلتقي فيه وادي العبيد ونهر أم الربيع. أنظر الحسن الوزان: وصف إفريقيا، 174/1.

⁽⁷⁾ تقع شمال فاس، بما الكثير من الزيتون. أنظر ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص 141.

⁽¹⁾ سعد زغلول: تاريخ المغرب، 327/5..

كانت القوات المحاصرة تتكون من ستة آلاف فارس، بنت القوات عليها سورا وحفروا الخنادق، كان أهلها في سجن لا يستطيعون الخروج منها سواء شرقا أو غربا، وتركوا على هذا السور أبوابا يدخلون منها لقتال أهل البلد⁽²⁾.

وفي عهد المأمون وفي سنة 629هـ/1131م قامت بعض القبائل بحصار مكناسة منها فازاز وزرهون، كتب سكاكها رسالة استنجد وبعثوها إلى المأمون بمراكش، تحرك بجيوشه إليها مما جعل هذه القبائل تفك الحصار عن المدينة، جا في الرسالة: "... فأغاثته واجبة، وحمائته حاجية، فالعجل العجل، قبل بلوغ الأجل، والغياث، قبل تمكن الفساد والإعباث..."

... (5) إمام الهدى سمعا لدعوة شاك ثوى بين هلاك رهين هلاك

وأوشك أن يغتال مكناسة الردى وتبكي على ما تحتويه بواكي

أحاطت به الأعداء من كل جانب فقد قعدت منها بكل شراك

وقد زارها من أهل زرهون هونها وبثوا لها التطلق بعد ملاك

وأبناء فازاز له _____ مستنفزة

فها هي تشكو كل أروع شاك

.... رفع هذه الشكوى إلى المقام الإمامي الأعلى... وأعلامه وعبيده المستجرون بعدله: أهل مكناسة تلافى الله... مستصرخين جلاله"⁽³⁾.

4- ثورة سبتة⁽⁴⁾:

⁽²⁾ ابن الخطيب: الحلل الموشية، ص102.

⁽³⁾ رسائل موحدية- جديدة- (الزاوي)، 1/ 387-388.

⁽⁴⁾ مدينة كبيرة سماها الرومان " سيفيطاس"، كما أطلق عليها البرتغاليون "سوتبة"، أسسها الرومان في مدخل مضيق أعمدة هرقل. أنظر الحسن الوزان: وصف إفريقيا، 1/316.

في سنة 542هـ/ 1147 عاد يحيى الصحراوي بعد أن هرب من الأندلس فتولى أمر سبتة واتجه إلى برغواطة وتحالف معهم واتجهوا إلى دكالة⁽¹⁾ اجتمع عليه البرغواطيون، وهكذا أصبحت دكالة مركز لحركة إحياء مرابطة يقودها الصحراوي.

واتبع علي بن عيسى صاحب أسطول الأندلس، وانتهت المطاردة بمحاصرة سبتة بالقطائع، واستخدم قائد الأسطول الحيلة في تهديد سبتة عن طريق امتناع الأمير المرابطي بالدخول في طاعة الموحدين، إلا أن علي بن عيسى قتله الصحراوي لأن هذا الأخير أراد أن يغدر به، وقتل الصحراوي والد الماسي واتجه إلى يحيى الصحراوي إلى برغواطة وتحالف معهم واتجهوا إلى دكالة⁽²⁾. وفي دكالة اجتمع البرغواطيون على الصحراوي ومعهم أهل دكالة وهكذا أصبحت دكالة مركزا لحركة إحياء مرابطة يقودها إلى الصحراوي⁽³⁾.

بعث إليهم الخليفة عبد المؤمن يصلاسن فدخل سلا بالسيف وبعد تهديد برغواطة في تامسنا وإقرار الأمور في السوس الأدنى (فاس ومكناسة والعدوة سبتة وطنجة) رجع يصلاسن إلى مكناسة واتجه للجمع وعلى رأسهم الخليفة إلى العاصمة⁽⁴⁾، فأرسل عبد المؤمن الرسائل من مراكش إلى كل البلاد جاء في الرسالة " بعد كمال الغزوة المباركة وإتمامها وإطفاء نار الفتنة ببرد الهدنة وسلامها، وإصاق أنوف الكفرة المرتدين برغامها، وقطع دابر القوم الجرمين في هذه الجهة وما انتظم في نظامها؛ ونال الغزاة في هذه الحركة الميمونة من الأجور، والمغنم الموفور ... وقد آن لكم، أيها المؤمنون أن تجددوا توبتكم تجديدا وكيدا..."⁽⁵⁾.

في سنة 542هـ/ 1147م ثار أهل سبتة على الموحدين تسببت في قتل عامل الموحدين بسبتة ورسالة عبد المؤمن إليهم تهدف إلى النصح وتدعوهم إلى الدخول في الدعوة الموحدية باعتبارها

(1) تمتد ناحية دكالة من تنسيفت غربا وتنتهي على شاطئ المحيط شمالا، وعند وادي العبيد جنوبا، وأم الربيع غربا، بما عدد من المدن منها: اسفي، قنط، تيط... . أنظر الوزان: وصف إفريقيا، 147/1، 152.

(2) سعد زغلول: تاريخ المغرب، 353/5.

(3) المرجع نفسه، 353/5.

(4) نفسه، 354/5.

(5) مجموع رسائل موحدية، (ليني)، ص02؛ ورسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 1/ الرسالة 05.

عقيدة صحيحة انتصرت على المرتدين وقضت على المرابطين وبهذه الفتوح ظهرت من آيات المهدي العجب العجاب وفاضت البركات وكثر الرزق وانتشر الأمن.

" وتغتموا من هذه النصائح التي تتداولكم حظا مفيدا، وتشهدوا الله على التمسك بعصم الإيمان... فبادروا - رحمكم الله- إلى طاعة الله تعالى في العلانية والنجوى، وشدوا أيديكم على هذا الحبل المتين الأقوى، وأعلموا أنكم راحلون، فتزودوا فإن خير الزاد التقوى؛ وحافظوا - أصلحكم الله- على إخلاص النيات، والتزام الصلوات، وسائر أعمال الطاعات، وتلاوة القرآن والتوحيد فهي أكرم التلاوات. واصفحوا، واصلحوا، وتعاملوا بالخير تفلحوا، وأقرعوا أبواب الرحمة بإيمان الأيمان تستفتحوا؛ وواضبوا على تغيير المنكر وأتمروا بينكم بمعروف تنجحوا.

واشغلوا بدينكم اشتغالا يخلصكم، والتزموه التزاما يخلصكم على الدوام ويجرصكم؛ وتزيدوا من الأعمال الصالحة في هذه الأعمار التي لا تزال مع اللحظات تنقصكم. ورحم الله إمرءا عرف النصيحة فابتدراها، وجاهد نفسه على طاعة الله فقهرها..."⁽¹⁾.

وفي سنة 629هـ/1231م حاولت سبئة الاستقلال عن المأمون بزعامة أخيه عمران بن أبي موسى، وفي نفس الوقت ساهمت بعض قبائل الأطلس المتوسط بتضييق مكناسة فخرج إليها المأمون⁽²⁾، وكان قد وصله استنجد أهلها برسالة من إنشاء ابن عبدون يشتكون من حصار وعيث قبائل فازاز وزرهون⁽³⁾.

اتجه المأمون إلى مكناسة فتراجعت عنها القبائل المحاصرة لها، ثم تحرك منها إلى سبئة وحاصرها لمدة ثلاثة أشهر دون نتيجة، تحرك بعدها إلى مراکش للدفاع عنها بسبب دخول يحيى المعتصم مراکش وتخريب كنيسة النصرى، غير أن المأمون مات عند وادي أم الربيع في آخر ذي

⁽¹⁾ المصدر نفسه، ص 02-03.

⁽²⁾ العزاوي: رسائل موحدية، 2/212.

⁽³⁾ رسائل موحدية، - جديدة-، (العزاوي)، 1/ الرسالة 120.

الحجة من سنة 629هـ/1231م⁽¹⁾، واختير ابنه الرشيد خلفا له وأعلنت له البيعة من طرف القبائل⁽²⁾، وانتصر على المعتصم ودخل مراكش سنة 630هـ/1232م⁽³⁾.

وفي سنة 647هـ/1249م ثارت سبته بقيادة أبو القاسم العزفي بمساعدة أبو العباس الرنداحي قائد أسطول المدينة⁽⁴⁾، وتقرر الارتباط بالدولة الموحدية شكليا، فتوجه وفد إلى الخليفة المرتضى لتقديم البيعة⁽⁵⁾، بعث ابن أشرفي تحت إشراف العزفي⁽⁶⁾، وأغلب الظن أن العزفي كتب للخليفة بعدم صلاحية هذا العمل، فكتب المرتضى له بجواب مؤرخ بـ 14 رجب سنة 648هـ/1250م، وفيه الموافقة على عزل العامل ابن أشرفي، "ومن كرهته الرعية فإننا لا نستعمله بحال عليها"⁽⁷⁾، كانت سبته تعيش حالة من الرسوم الجائرة والمظالم، فأمر الخليفة بإلغائها⁽⁸⁾.

هذا ما فسر الضعف الذي تعاني منه سبته في النشاط التجاري، مما أدى بالحكومة بالضغط عليها من أجل جمع المحاي على التجارة الداخلية والحرف المختلفة والزراعة، وقد جاءت به إحدى الرسائل الموحدية وهي رسالة القبتوري إلى الخليفة المرتضى يشتكي فيها من ضعف المحاي بسبب انقطاع أسفار النصارى لثغر سبته، وأن أهم ما بقي هي محاي الزيت⁽⁹⁾.

5- ثورة غمارة:

عندما قرر عبد المؤمن غزو غمارة، أقام بجبل غياتة لمدة شهرين والحرب قائمة على طريقة المطاولة بالفرق العسكرية، وأثناء الصراع جاءت الأخبار من طرف الجواسيس إلى سير بن علي، بأن عبد المؤمن قرر غزو غمارة، فقرر أن يشغله عن ذلك باستمرار الصراع في جبل غياتة،

⁽¹⁾ ابن عذاري: البيان، 3/ 296-297، 298.

⁽²⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزاوي)، 1/ الرسائل 221، 124.

⁽³⁾ ابن عذاري: المصدر السابق، 3/300.

⁽⁴⁾ نفسه، 3/397.

⁽⁵⁾ الغزاوي: رسائل موحدية، 2/214.

⁽⁶⁾ رسائل موحدية، 1/ التقديم 4.

⁽⁷⁾ المصدر نفسه، 1/ التقديم 6.

⁽⁸⁾ نفسه، 1/ التقديمان 74، 76.

⁽⁹⁾ نفسه، 1/ 115-121.

الديوانية

بشكل متصل وبأسلوب متواتر، عن طريق حشد أربعة آلاف فارس يقسمون أنفسهم إلى قسمين؛ كل قسم يتكون من ألفي فارس، فتقاتل مع الموحدين بشكل متواصل لمدة أسبوع، لتحل محلها الجماعة الأخرى وهكذا بالتناوب⁽¹⁾.

ومن جهة أخرى عمل عبد المؤمن على تثبيط همم أبناء جلدته من الزناتية، فجعل زيري بن ماخوخ يرأسل إخوانه الزناتية على أن يدبروا الهزيمة يوم اللقاء، ونتج عن التدبير مسير زيري بن ماخوخ مع ثلة مختارة من الرجال من جبل غياتة إلى محلة محمد بن يحيى بن فانو وأن يضربوا فيهم، فنجحت الخطة بانتصار الموحدين وهزيمة عسكر محمد بن يحيى قائد المرابطين⁽²⁾.

بعد أن توفي عبد المؤمن بن علي تولى ابنه يوسف الخلافة ثارت قبائل في المغرب الأقصى منها صنهاجة وغمارة بقيادة مزدرع الغماري، بعث الأمير أبو يعقوب يوسف لقتال الثوار الغماريين الشيخ أبا حفص أينتما والهناتقي على رأس عسكر من الموحدين، نجح أبو حفص في مهمته⁽³⁾.

ولكن في سنة 562هـ/1167م⁽⁴⁾ استمرت ثورة غمارة ممثلة في حركة سبع بن منخفاد بصفته نائر جبال قمم الثلج ويسمى الكواكب⁽⁵⁾، وأمام خطورة الثورة " قايسنا بين جهة المرتدين من صنهاجة وغمارة، فأينا شر غمارة أوفى سراية، وأبلغ نكاية..."⁽⁶⁾ اتفق الرأي لقمع الثورة بتجهيز العساكر من الموحدين إلى بلاد صنهاجة " فنظرنا إلى ذلك في تجهيز عسكر الموحدين..."⁽⁷⁾، في منطقة القلعة تم إسناد قيادة الحملة إلى الشيخ أبي سعيد يخلف بن الحسين⁽⁸⁾.

(1) سعد زغلول: تاريخ المغرب، 5/ 294.

(2) المرجع نفسه، 5/ 294.

(3) مجموع رسائل موحدية، (ليني)، الرسالة 25؛ وابن عذاري: البيان، 3/ 97؛ وسعد زغلول: المرجع السابق، 6/ 61؛ والحسن الشاهدي: "تاريخ الموحدين..."، ص 107.

(4) رسائل موحدية - جديدة-، (الزاوي)، 1/ الرسالة 15.

(5) سعد زغلول: المرجع السابق، 6/ 62. سماه ابن أبي زرع بجل: تيزران. الأبيس المطرب، ص 210.

(6) رسائل موحدية، 1/ 100.

(7) المصدر نفسه، 1/ 100.

(8) نفسه، 1/ 100؛ ابن عذاري: المصدر السابق، 3/ 97؛ والسلاوي: الاستقصا، 2/ 131-132.

وإذا كانت الحملة الأولى التي قام بها الشيخ أبو حفص الهنتاتي قد انتهت بالقضاء على مفتاح الصنهاجي أو مرزدغ، وهذا ما توضحه الرسالة "وكان الشيخ الأجل أبو حفص... بمن معه من عساكر الموحدين... في جهة أخرى من بلادهم ورسم لهم من العمل في تلك الجهات... من النصر والفتح..."⁽¹⁾. فإن حملة الشيخ أبي سعيد يخلف لم تحقق ما كان يرجو منها، لذا خرج إليها الأمير يعقوب صحبة أخيه السيد الأعلى أبي حفص مع أخوهم أبي سعيد صاحب قرطبة حيث تمت الإحاطة بالأعداء وقتل سبع بن منخفاذ وحمل رأسه⁽²⁾، واستولى الموحدون على الجبل كله وضربت به خيامهم وأقتفوا أثر الفارين وأخذوا منهم الأموال والحريم، وفي اليوم التالي أخذ الموحون متابعة التفتيش عن بقايا المهزومين⁽³⁾.

أدخلوا البقية في الدعوة الموحدية، وبذلك اكتمل الفتح وأحصيت المغام فكانت من البقر اثنا عشر ألفا، ومن الغنم سبعة وعشرون ألفا وثلاث مائة، ومن السبي ثلاثة آلاف وست مائة وسبعة وأربعون أما الدواب فكان عددها ست مائة وسبعة عشر⁽⁴⁾. وبعد تهديد جبل غمارة عهد الأمير يوسف بولاية سبتة وسائر بلادهم إلى أخيه السيد أبي علي الحسن⁽⁵⁾.

فخاطب أبو يعقوب الموحدين بالفتح الشامل في رسالته من كتابة ابن عياش⁽⁶⁾، وتفيد تلك الرسالة بخبر أنه كان لسبع بن منخفاذ أخ اسمه عمران... جملة من اشياخهم مع أخ لغويهم، وموقد نارهم يعرف بعمران بن منخفاذ...⁽⁷⁾، أظهر للموحدين أنه يرغب في التوحيد والطاعة⁽⁸⁾.

(1) نفسه، 1/ 101.

(2) ابن خلدون: العبر، 6/ 282-283؛ وسعد زغلول: تاريخ المغرب، 6/ 63؛ وعبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ص 797.

(3) رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 1/ الرسالة 14.

(4) المصدر نفسه، 1/ 105.

(5) سعد زغلول: المرجع السابق، 6/ 65.

(6) رسائل موحدية، 1/ الرسالة 14.

(7) المصدر نفسه، 1/ 102.

(8) سعد زغلول: المرجع السابق، 6/ 64.

6- ثورة هسكورة⁽⁹⁾:

في سنة 1156/551م تمرد ابن توندوت وهو أحد زعماء هسكورة بسبب تحويل الحكم من الاختياري إلى الوراثي، وابن توندونت من أنصار المهدي، وجاءت الرسالة على شكل عتاب وتذكيره بمقام أبيه ونصحه بالعودة إلى الطاعة⁽¹⁾، وتشير إحدى الرسائل من مجموع رسائل موحدية المؤرخة بجمادى الثانية عن تائر لا تذكر اسمه، ولكن يبدو أنه تائر هسكورة، وهو من أنصار الموحدين وتلمح الرسالة على أن أنصاره تخلوا عنه⁽²⁾. وفي سنة 1157/552م قام عبد المؤمن بحركة عبر قبائل جنوب مراكش، وأثناء هذه الحركة استقبلته القبائل معلنة توبتها منها هسكورة⁽³⁾.

إن الاتجاه الجديد في سياسة عبد المؤمن المتمثل في استثثار أسرته بالخلافة وتعيين أبنائه على الأقاليم ساعد أخوي المهدي التمرد عليه، فقتل عامل مراكش من قبل عبد المؤمن وجمعا حولهما الساخطين على النظام، وتشير الرسالة إلى أن عبد المؤمن كان طيبا في معاملة الثائرين، إلا أنهما خرجا عن أمر المهدي حتى صارت حرمانه منتهكة، بفشلهما قتلها⁽⁴⁾.

7- قصة⁽⁵⁾:

ثارت قصة على العامل الموحدى عمران بن موسى الصنهاجي بزعامة الرندي (المنتري) الذي كان منفيًا من بجاية، بمساعدة " ذؤبان الأعراب وأوباش الأكراد"، وقاموا بشن الغارات على الموحدين، وسعوا إلى الفساد في الأرض⁽⁶⁾.

⁽⁹⁾ وهم أبناء تصكي العرجاء ولا يعرف لهم أب، اندرجوا في عهد الموحدين ضمن حلف مصمودة بانتمائهم إلى الدعوة الموحدية، فهي قسمين، هما: هسكورة القبلة وهسكورة الظل. أنظر بوزياني الدراجي: القبائل الأمازيغية - أدوارها - مواطنها - أعيانها - (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2007م)، 2/ 225.

⁽¹⁾ رسائل موحدية - جديدة -، (العزاوي)، 1/ الرسالة 8.

⁽²⁾ مجموع رسائل موحدية، (لبيفي)، الرسالة 15.

⁽³⁾ المصدر نفسه، الرسالة 17.

⁽⁴⁾ نفسه، الرسالة 11.

⁽⁵⁾ كان اسم مدينة قفصة مدينة الحنية، لأن فيها بنيانا قديما مثل الحنية فكانت تسمى بها، وهي متوسطة بين القيروان ومدينة قابس. أنظر مؤلف مجهول: الاستبصار، ص 152.

وعندما وصل الموحدون إلى إفريقية، علموا بهذه الحركة، فوجهوا إليهم إنذاراً ، وأمروهم أن يبتعدوا عن ما يفعلون، ولكن دون جدوى، لذا قرر الموحدون محاصرتهم⁽⁷⁾، وكانت حول البلد غروس وبناءات وعرة المسالك، فأخذ الموحدون في هدمها وإزالتها، أحاطوا بالمدينة وشدوا عليها الحصار، نصبوا عليهم المجانيق والدبابات والأبراج، وردموا خنادقهم، وخلصت المدينة في النهاية

للموحدين، بعدما أن أبعده ابن الرند إلى سلا حتى توفي فيها⁽¹⁾.

أصبحت هذه المدينة العتيقة جميلة ومحصنة، بناؤها عتيق وفناؤها واسع، محاطة بالنخيل والأعناب والزيتون والرمان وفواكه متنوعة "صنوان وغير صنوان"، تخرج منها عيون، فتسقي الأراضي المجاورة، فموقعها استراتيجي تقع بين بلاد الجريد وبلاد إفريقية، فهي مطلة على طرابلس⁽²⁾.

في سنة ست وسبعين وخمس مائة⁽³⁾ استكمل أبو يعقوب قواته عدة وعتادا، عزم على غزو قفصة وبلاد القيروان، وعند وصوله بجاية تأكد أن ابن المنتصر يجرى العرب على الفتنة، قبض عليه الخليفة، فأخذ ما وجد عنده من الأموال، سار أمير المؤمنين من بجاية حتى شارف قفصة، واتجه إليه أشياخ العرب من قبيلة رياح وسارعوا إلى الطاعة للموحدين طالبين الآمان⁽⁴⁾.

⁽⁶⁾ رسائل موحدية ، 1/152.

⁽⁷⁾ المصدر نفسه، 1/146-147.

⁽¹⁾ نفسه، 1/146-147، 155.

⁽²⁾ نفسه، 1/148-149؛ ومؤلف مجهول: الاستبصار، ص151.

⁽³⁾ يرى البعض أنها فتحت سنة خمس وسبعين وخمس مائة. أنظر أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني: مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997م)، 3/316.

⁽⁴⁾ ابن عذاري: البيان، 3/141؛ وميراندا: التاريخ السياسي، ص273.

ولما استكمل الخليفة السيطرة على المنطقة قام بنقل العرب إلى الغرب، ترك على تونس أخاه أبا علي الحسن، وولى أخاه أبا موسى بجاية، وعاد بعدها إلى مراكش ووصل إليها في شهر صفر من عام ست وسبعين وخمس مائة⁽²⁾.

8- بجاية وقسنطينة:

بعد أن تمكن الموحدون القضاء على دولة المرابطين، أخذ عبد المؤمن وزعمائه يفكرون في تنفيذ المرحلة الثانية من مخططهم الهادف إلى السيطرة على المغرب الإسلامي، إلا أن المغربين الأدنى والأوسط تعرضا لغزوات بني هلال وسليم وغارات النورماندين، وانقسام البلاد إلى إمارات مناطق نفوذ يحكمها أمراء متطاحنين⁽³⁾.

في سنة 545هـ/1150م اتجه الخليفة عبد المؤمن ناحية الغرب، حتى وصل مدينة سلا، بقي فيها مدة شهرين، استقبل الوفود الأندلسية من قضاة وأمراء وعلماء وغيرهم، فاستمع إليهم⁽⁴⁾، ثم أرسل الوزير أبو جعفر بن عطية إلى الأندلس، ففاوض النصارى المتحصنين بقصبة المرية وقدم لهم الأمان. وعند رجوع عبد المؤمن إلى المغرب استقبل في سبتة أشياخ الموحدين والطلبة والحفاظ الموجودين بالأندلس⁽⁵⁾.

وفي أول سنة خمس مائة وست وأربعين تحرك عبد المؤمن بجيشه⁽¹⁾ وأخذ في السير منطلقا من سلا إلى مكناسة إلى فاس حتى تلمسان، حتى دخل المغرب الأوسط وأخذ مدينة الجزائر من حاكمها القائد بن يحيى بن العزيز بالله أمير بني حماد، ثم هرب إلى أبيه وأخبره بسقوط المدينة⁽²⁾. جمع الأب ذخائره وهرب إلى مدينة بونة⁽³⁾ ثم اتجه إلى قسنطينة للتحصن بها⁽⁴⁾ فحاصره الموحدون بها، وفتحوا القلعة "وكانت جمل من عساكر الموحدين حين احتلال الجملة المذكورة

⁽²⁾ نفسه، 3/ 143.

⁽³⁾ مراجع عقيلة الغناي: قيام دولة الموحدين، (بنغازي: منشورات جامعة قار يونس، ط2، 2008م)، ص308-309.

⁽⁴⁾ ابن عذاري: البيان، 3/45؛ وعبد الفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة المغرب العربي- المغرب العربي بين الفاطميين والمرابطين والموحدين، المغرب العربي بين بني زيوي وبني هلال وبني حماد، دراسة في التاريخ الإسلامي، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط1، 1994م)، 3/197.

⁽⁵⁾ مراجع عقيلة الغناي: المرجع السابق، ص309.

⁽¹⁾ ابن الأثير: الكامل، 9/390.

⁽²⁾ ابن عذاري: البيان، 3/46؛ ومراجع عقيلة الغناي: قيام دولة الموحدين، ص310؛ وسالم: تاريخ المغرب، ص792.

الديوانية

فيه، واعتدادهم في عداد من يحويه ويؤويه، بجهة القلعة - حرسها الله - على إثر فتحها الميسر،... فحين ألمّ الناهضون المذكورون... فتح لهم الفتح الذي تقدم إليكم بيان القول فيه...⁽⁵⁾.

أثناء حصار قسنطينة خرج وفد يتكون من أخ الأمير الحمادي وشيوخ صنهاجة وقسنطينة يسألون الأمان، فأعطوا لهم الأمان ودخلوا في طاعة الموحدين⁽⁶⁾، ووفى له عبد المؤمن عهده، ونقله إلى المغرب الأقصى مع عائلته، ودخل الموحدون مدينة بجاية، ويذكر أنهم دخلوها بدون مقاومة⁽⁷⁾، بعث بعدها عبد المؤمن برسالة من داخلها بتاريخ الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وخمسمائة هجرية، وهي موجهة إلى أهل قسنطينة⁽⁸⁾.

وعندما فتحت قسنطينة سهلت فتح باقي المنطقة، فهي "رأس الجسد الذي استتبع بعضه بعضا واستلى؛ وبه انعقدت روابط هذا الإقليم العظيم وقواعده، وفقدت ضرر من كان ينوي الضرر... ومعه متأتى جمع شمله وضمّه وإمساك شأنه كله وعزمه"⁽⁹⁾، "...وامساك الموحدين عن معدورهم من تدميرهم وانتسافهم، يخاطبون جميع من ببلاد إفريقية وما يتصل بها إلى جهات الإسكندرية من العرب المعمورين..."⁽¹⁰⁾.

بعد أن تم لعبد المؤمن واجههم تمرد أعراب بني هلال من ناحية وثورة قبائل صنهاجة وكتامة ولواتة من ناحية أخرى، بعث الخليفة عبد المؤمن لبني هلال جريدتين من الجيش الموحدية؛ الأولى بقيادة عبد الله بن وانودين، والثانية بقيادة يصلاسن بن المعز، غير أن الخلاف وقع بين القائدين مما دفع يصلاسن إلى العودة وترك ميدان المعركة. بعد مقتل وانودين، خرج عبد المؤمن بنفسه لمواجهة العرب، حيث تمكن من إلحاق الهزيمة بالاثبج ورغبة ورياح وأدخلهم في

⁽³⁾ عبد الواحد المراكشي: المعجب، 271-272.

⁽⁴⁾ مجموع رسائل موحدية، (ليفى)، الرسالة 8؛ وابن عذاري: المصدر السابق، 46/3؛ وسالم: المرجع السابق، ص 793.

⁽⁵⁾ المصدر نفسه، ص 24؛ وأحمد عزاوي: قضايا تاريخية، ص 48.

⁽⁶⁾ نفسه، الرسالة 8.

⁽⁷⁾ ابن عذاري: البيان، 46/3؛ ومراجع عقيلة الغناي: المرجع السابق، ص 310.

⁽⁸⁾ مجموع رسائل موحدية، (ليفى)، الرسالة 7.

⁽⁹⁾ المصدر نفسه، ص 26.

⁽¹⁰⁾ نفسه، ص 29.

الدعوة الموحدية، كان ذلك في ربيع الأول سنة 548/1153م، استحوذ الموحدون على غنائم كثيرة، وقام عبد المؤمن باستصحاب زعماء بني هلال ومشايخهم إلى مراکش⁽¹⁾.

كما بينت بعض الرسائل الأخرى أنه بعد فتح إفريقية، تم نقل العرب إلى المغرب الأقصى، بعد الهزيمة التي ألحقت بهم، وهذا ما توضحه الرسالة الصادرة بتاريخ ربيع الأول سنة 555/1160م⁽²⁾، أو الرسالة الصادرة بتاريخ 24 ربيع الثاني سنة 555/1160م والتي تتضمن الحديث عن الهزيمة التي ألحقت بالعرب شرق المغرب الأوسط، وعزم هذه القبائل العربية على الارتحال مع الموحدين منهم بنو محمد بن رياح، كما أظهر عرب جشم الرغبة في التوبة⁽³⁾.

وفي عهد الأمير أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن استولى ابن غانية على مجموعة من المناطق الموحدية حتى وصل إلى بجاية⁽⁴⁾، لذا قام الموحدون بغزوه، وفتحوا خلالها مدينة بجاية، وبعث الخليفة يوسف برسالة إلى الطلبة بإشبيلية يخبرهم بذلك جاء فيها: "وأعانكم على الاعتصام بعروة الطاعة الوثقى - وأبجدكم ما كانت عليه حالة الكافر الغادر، اللعين الخاسر... شقي ميورقة- فداخل أوباشا ممن كان ببجاية ممن رق دينه... وكل منها إلى بجاية، وقد خاض هذه الجهات خوض المذل واستباح حرمة أهلها استباحة المستحل... يأخذ أموالهم بغير حقها ويصرفها بغير حقها ويصرفها في غير مستوجبها ومستحقها..."⁽⁵⁾.

9- المهديّة⁽¹⁾:

عند تحرك النورمان⁽²⁾ من صقلية لاحتلال بعض موانئ إفريقية، طلب مسلمي إفريقية نجدة عبد المؤمن، أعد عبد المؤمن جيشا قويا⁽³⁾، خرج من مدينة سلا في العاشر من شهر صفر من عام

(1) نفسه، الرسائلتان 09 و11؛ وأحمد عزوي: قضايا تاريخية، ص 50-51.

(2) رسائل موحدية - جديدة- (العزوي)، 1/ الرسالة 09.

(3) مجموع رسائل موحدية، (لبيفي)، الرسالة 21.

(4) عصام سالم سيسالم: جزر الأندلس المنسية - التاريخ الإسلامي لجزر البليار 89- 685هـ/ 708- 1287م-، (بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1984م)، ص 354.

(5) مجموع رسائل موحدية، ص 171؛ والنويري: نهاية الأرب، 171/24؛ وعزوي: قضايا تاريخية، ص 61.

(1) اسمها القديم ألفرا. أنظر كرنخال: إفريقيا، 2/373.

(2) في سنة 484هـ/1091م سيطر النورمان على صقلية بدأوا يطمحون في بسط نفوذهم على مدن شمال إفريقيا منتهزين فرصة ضعف إمارة بني زيري في المهديّة وانشغال المرابطين في مواجهة الموحدين، وضعف الدولة الفاطمية في مصر وقيام الحروب

أربعة وخمسين وخمسمائة⁽⁴⁾ وصل الجيش الموحدى مدينة تونس في 24 جمادى الثانية سنة 554هـ/1159م⁽⁵⁾، تحصن بها حاكمها ابن أحمد ابن خراسان، استأمن أهلها عبد المؤمن فأمنهم، عندما تيقن أهلها بالهلاك، نزل إليهم أشياخ لطلب السلم من أهل تونس منهم بنو عبد السيد عمر ومعاوية وعبد السيد ومنهم ابنا منصور بن إسماعيل وابن عمه عتيق ومنهم الخارجي محمد وحمزة ابن حمزة وعبد العزيز القمودي وغيرهم وكانوا اثني عشرة رجلا⁽⁶⁾، ففتحوا لهم مدينتهم⁽⁷⁾، وقضى على أسرة بني خراسان التي كانت تحكمها منذ أكثر من قرن من الزمن⁽⁸⁾.

اتجه بعده الموحدون إلى المهديّة فوصلوها في 18 رجب سنة 554هـ/5 أوت 1159م⁽⁹⁾، ضرب عبد المؤمن الحصار عليها، فبعث برسالة إلى غرناطة بتاريخ 20 ذو القعدة سنة 554هـ/1159م⁽¹⁰⁾، ودام الحصار ستة أشهر نتيجة لحصانتها، وعندما طال الحصار وصل المدد النصراني يتكون من مائة وخمسين مركبا، فخرج إليه الموحدين واستولى على ثماني قطع منه فاجتمع بقية الأسطول وولوا منهزمين وتسلم عبد المؤمن المهديّة في يوم عاشوراء من سنة خمس

الصليبية في المشرق. أخفق النورمان في الاستيلاء على مدينة طرابلس 537هـ/1148م بفعل الرباطات التي أقامها المسلمون بمحاذاة سواحل شمال إفريقيا، وبعد عودة أسطول النورمان من طرابلس إلى صقلية اتجه إلى جيجل. "سيطرة النورمان على شمال إفريقيا"، مجلة كلية الدعوة الإسلامية (ليبيا)، ع6/1989م، ص319-322.

⁽³⁾ لي تورني: حركة الموحدين، ص67.

⁽⁴⁾ ابن عذارى: البيان، 62/3.

⁽⁵⁾ Ernest Mercier: Histoire de l'Afrique septentrionale – berbérie de puis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830)-, (Paris: Ernest lrouxe éditeur, 1868), 5\100.

⁽⁶⁾ التجاني: رحلة التجاني، ص306.

⁽⁷⁾ مراجع عقيلة الغناي: قيام دولة الموحدين، ص316.

⁽⁸⁾ لي تورني: المرجع السابق، ص67.

⁽⁹⁾ مراجع عقيلة الغناي: المرجع السابق، ص316؛ و E Fagnan: L'histoire des Almohades d'après Abd El Wah'id Merrâkechi, Revue Afrika, Volume 13, (Alger, A. Jourdan libraire éditeur, 1893), p. 282-230.

⁽¹⁰⁾ مجموع رسائل موحدية، (لبيفي)، الرسالة 19.

وخمسين وخمسمائة، استمر حصار المهديّة إلى أن فتحت في 10 محرم سنة 555هـ/ جانفي 1166م⁽¹⁾.

عندما كانت وضعية الموحدين قوية نحو الإسبان، كان الوضع في إفريقية يميل لغير صالح الموحدين؛ حيث سيطر الموحدين على معظم إفريقية بما فيها المهديّة، وبينما سقطت ميورقة بيد الموحدين⁽²⁾ سقطت تونس بيد أمراء بني غانية فنظم الناصر حملة لمطاردهم، وتحرك معه الأسطول نحو المهديّة، وبعد تحرير تونس ومطاردة بني غانية من معظم جهات إفريقية شدد الناصر الحصار برا وبحرا على عاملهم بالمهديّة إلى أن فتحها سنة 602هـ/1205م، فكتب عنه كاتبه أبو عبد الله بن عياش رسالة مبشرة بفتحها إلى الولايات الموحدية⁽³⁾.

جاء فيها: " وعينا لغزوه الشيخ الأجل الأكرم أبا محمد بن الشيخ الموقر أبي حفص في جيش من الموحدين والأغزاز والأعراب فساروا إليه بسيف معودة الضراب وخيول ملس البطون... فلما نذر بهم عدو الله وهو بحمة مطماطة، ركب الجبال... وظن أن الموحدين لا يقدرّون على اتباعه... وبلغ الموحدون قابس فجددوا زادهم... فلما التقوا عليه في جيش كأنه لج موجه متراكب... كر راجعا نحو الموحدين... وهم بمتمزل أم العافية، زحفوا إليه- الموحدين-... فكانت بينهم مضاربة... فلما رأى عدو الله ما هاله فر جريحا في جريدة من الخيل..."⁽⁴⁾ ثم انصرف الناصر بعدها إلى الإصلاح والتنظيم في قوله: " وجئنا نحن قاب سبها مدة نصلح من أحوال أهلها ما فسد"⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ التجاني: رحلة التجاني، ص349؛ والنويري: نهاية الأرب، 24 / 173؛ وابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 198-199؛ وكربخال: إفريقية، 1 / 338؛ وأحمد عزاوي: قضايا تاريخية، ص52؛ و

Ernest Mercier: **Histoire de l'afrique**, 5/101.

⁽²⁾ رسائل موحدية - جديدة- (العزاوي)، 1/ الرسالة 56.

⁽³⁾ المصدر نفسه، 1/الرسالة 57؛ وابن عذاري: البيان، 3 / 243-245.

⁽⁴⁾ مجموع رسائل موحدية، (لبيفي)، ص251-258.

⁽⁵⁾ المصدر نفسه، ص253؛ والحسن الشاهدي: " تاريخ الموحدين ومذهبهم ..."، ص 107.

د- موقفه الموحد من أسرة المهدي:

بعدما أن كان نظام الحكم الموحد خلافة إسلامية يتولاه ممن تتوفر فيه مزايا إمام ورجل حكم، حسبما خطط المهدي لنظام الحكم في دولته، قرر عبد المؤمن جعل الحكم الموحد وراثيا في عقبه، هذا ما أثار حفيظة عدد كثير من الموحدين، مما دفع بعضهم إلى إعلان الثورة، منهم أسرة المهدي وعشيرته، الذين ينتظرون أن يكون خليفة المهدي منهم⁽¹⁾.

قام أخوي المهدي عيسى وعبد العزيز بالثورة ضد عبد المؤمن، حيث كانا في صحبة الجيوش الموحدية في الأندلس، وقد جعلوا على رأس حكومة الموحدية التي تحكم بالأندلس بعد دخولهم البلاد، وعندما أساءوا المعاملة في الأندلس حين سفكوا الدماء فكر الأندلسيون في القضاء على الموحدين، بلغ الموحدون مجهودات كبيرة لاسترجاع نفوذهم في الأندلس وفرضوا على الثائرين العودة إلى الطاعة الموحدية.

وفي سنة 549هـ/1154م أعلن عبد المؤمن ابنه وليا للعهد، قام الموحدون ببيعته، أما أسرة المهدي منهم أخوي المهدي عيسى وعبد العزيز، استغلا وجود عبد المؤمن في مدينة سلا فخرجوا من مدينة فاس في بعض أنصارهما ودخلا مدينة مراكش، وقبضوا على عامل المدينة أبي عمر بن يحيى بن تفرجين وقتلوه⁽²⁾، " وذلكم أن الأشقياء فلانا وفلانا وأصحابهما كانت نفوسهم الخبيثة كامنة على أذاها... فسار إليها الأشقياء المذكورون من فاس...وعلّموا أن الشيخ الشهيد أبا حفص عمر بن تفرجين... فقصدوه عند خروجه إلى الجامع"⁽³⁾.

لقي المتآمرون صمود من طرف أنصار عبد المؤمن إلى أن وصلهم ابن عطية بجيش كبير، لتهدئة الوضع، وصل عبد المؤمن فقام بقتل مجموعة من المتآمرين، أما أخوي المهدي فقد قتل عبد العزيز عند باب الدباغين أما عيسى فقد قتل عند باب إيلان⁽⁴⁾.

(1) مراجع عقيلة الغناي: سقوط دولة الموحدين، (بنغازي: منشورات جامعة قار يونس، ط2، 2008م)، ص63.

(2) مجموع رسائل موحدية، (ليفي)، الرسالة11.

(3) المصدر نفسه، ص39-45.

(4) مراجع عقيلة الغناي: المرجع السابق، ص65-66.

رابعاً- القضاء عند الموحدين:

تعتبر خطة القضاء⁽¹⁾ من أسمى الخطط عند الكافة⁽²⁾، فهي عند أهل المغرب والأندلس من "أعظم الخطط قدرا وأعلاها ذكرا وأجلها خطراً..."⁽³⁾. يعد القاضي من موظفي الدولة الكبار إلى جانب الوزير والكاتب⁽⁴⁾.

ومنصب القضاء ليس من الخطط التي استحدثت بعد قيام الدولة، فقد كان أحد "العشرة أهل الجماعة" وهو إسماعيل الهزرجي يقضي بين الناس عن إذن المهدي، ولما تولى عبد المؤمن الخلافة قلد خطة قضاء الجماعة أبا عمران موسى⁽⁵⁾ صهره وهو أحد أهل الخمسين.

وبعد أن استقرت الدولة لم يقلد الخلفاء أحد من الموحدين أولي السبق في الدعوة في هذا المنصب، وإنما ولوها لفقهاء من طلبة الحضرة. فأعلى مراتب القضاء هو قاضي الجماعة أو قاضي الخلافة أو قاضي القضاة، فقاضي الخلافة في المشرق يدعى بقاضي القضاة⁽⁶⁾.

(1) لغة: انقطاع الشيء وتماه، يقال قضى الحاكم إذا فصل في الحكم، "وقضى دينه" أي قطع ما غريمه قبله بالأداء" وقضيت الشيء" أحكمت عمله أي أحكمه وأنفذه. أنظر النباهي: الموقبة، ص2. القضاء والحكم في معنى واحد. أنظر شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية- وموجز عن الحضارات السابقة-، (دمشق: دار الفكر، ط1، 1994م)، ص276. اصطلاحاً: هو القطع فقد سمي القاضي بذلك لأنه يقطع الخصومة بين الخصمين بالحكم. أنظر أحمد عبد الرازق: الحضارة الإسلامية، ص95. قال ابن خلدون: القضاء يعني "...الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع...". أنظر المقدمة، 373/1.

(2) النباهي: المصدر السابق، ص2.

(3) أحمد بن يحيى الونشريسي: كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، نشر وتعليق: محمد الأمين بلغيث، (لافوميك، د. ت)، ص38.

(4) لخضر بولطيف: فقهاء المالكية، ص239-240.

(5) قاضي الجماعة في عصره. المراكشي: المعجب، ص319.

(6) النباهي: المصدر السابق، ص21. إضافة لفظ القضاء إلى الجماعة، جرى التزامه في الأندلس، والمراد بالجماعة جماعة القضاة، وأما قاضي الخلافة نجده بالبلاد المشرقية يدعى بقاضي القضاة، وبالأندلس، أن تسمية القاضي بقاضي الجماعة في قرطبة اسم جديد حيث كان يسمى قاضي القضاة حتى نهاية دولة بني عامر. أنظر نفسه، ص86.

توضح الرسائل الرسمية أن العدل مرتبط بطبيعة دولتهم، لأنها قامت على أساس الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فهذا العدل نابع من عدة مصادر منها الشريعة الإسلامية، وكذا
عصمة الإمام التي تسعى إلى قيام عدل كامل يستمد من تطبيق أفكاره.
وظل العدل من الشعارات السياسية للدولة الموحدية، الذي تحمله خطاباتهم الرسمية،
وعملوا بكل ما يملكونه من قوة من أجل تحقيق الأمن والاستقرار، فخطابات التبشير بالعدل
تحمل في طياتها بعدا جماهيريا بتعميمها على كل مناطق البلاد، ويجب على الناس قراءتها، والرسائل
موجهة إلى الحفاظ والطلبة والأشياخ الموجودين في الولايات، تحثهم فيها بالسهر على تنفيذ ما
جاء في هذه الرسائل، وتعليمها للعامة (1).

أ- تعيين القضاة:

يفهم من التقادم أن القضاة لا يعينون إلا بعد الاختيار والاختبار؛ فقاضي الجماعة يعين
مباشرة من طرف الخليفة، ويسمح الخليفة لبعض الولاة بتقديم بعض العمال والقضاة على الجهات
التابعة لولايتهم (2)، ففي الأندلس عين عبد المؤمن محمد بن سمالك العملي كأول قاضي للموحدين
بمالقة، وعين يوسف بن عبد المؤمن عبد الله بن زغبوش قاضيا بشاطبة وجزيرة شقر، وولى أبا
الوليد بن رشد قضاء قرطبة، وأبا المكارم المصري قضاء اشبيلية وابن الصقر قضاء غرناطة (3).
كان القضاة الذين يعينون على البلاد المغربية يستقدمون إلى مراكش، ومنها يوجهون إلى
مدن قضائهم الجديدة، من أجل أن تقدم لهم توجيهات مباشرة، واختبار كفاءتهم، ومدى
صلاحيتهم للبيئات التي سيوجهون إليها (4).

يتم تعيين القضاة بظواهر سلطانية، وهذا ما تحتفظ به تقادم القضاة، إلا أن أغلبها لا تعطينا
معلومات عن اسم القاضي المعين ولا عن اسم القاضي الذي عينه كما لا تشير إلى المدينة المعنية،

(1) مغراوي محمد: خطة القضاء بالمغرب في الدولة الموحدية 515-668هـ/1121-1269م، بحث لنيل دبلوم الدراسات
العلية في التاريخ، (الرباط: جامعة محمد الخامس- كلية الآداب والعلوم الانسانية-، 1986-1987م)، ص66.

(2) رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 1/ التقديم 01.

(3) مغراوي محمد: المرجع السابق، ص125.

(4) نفسه، ص125-126.

الديوانية

فالمعلومات التي تقدمها تقاديم القضاة قليلة ومتشابهة إلى درجة التكرار، تنحصر بين عهد المأمون والمرتضى.

إلا أنها تتوفر على بعض الإفادات المضبوطة المهمة منها ما يتعلق بتعيين القاضي أبي محمد الرعيني على شريس من طرف الخليفة المأمون سنة 626هـ/1227م، وتعيينه في نفس السنة على قضاء الجزيرة الخضراء وتعيين القاضي أبي محمد؟ على قضاء شريس من طرف الرشيد سنة 630هـ/1232م⁽¹⁾.

وقاضي الجماعة هو المسؤول عن تعيين ومراقبة القضاة والمسددين، تشير بعض التقاديم إلى أن للقاضي الحق في اختيار من ينوب عنه أو يستكبه⁽²⁾ ومن حقه أيضا أن يختار المسددين في النواحي⁽³⁾، فالمسدد هو القاضي في المدينة الصغيرة، يتولى أدنى درجة قضائية⁽⁴⁾، لا يسمى باسم القاضي إلا من هو وال للحكم الشرعي في مدينة خلية، فهو لا يصدر أحكامه إلا في القضايا الصغيرة⁽⁵⁾.

يلجأ القاضي إلى الاستعانة بالعدول أو الشهود وهؤلاء لهم في سائر الأمصار دكاكين ومصاطب يختصون بالجلوس عليها فيتعاهد هم أصحاب المعاملات للإشهاد وتقييده بالكتاب ويتم تعيين ومراقبة العدول من طرف القاضي، وانفردت بعض التقاديم بذكر شروط الشهود منها: العدالة وسداد الحالة، والتيقظ والاتصاف بالزاهة، وأن يكون ذا علم وسليم الشهادة، وأن يكون متيقظا من الغفلة والذهول⁽⁶⁾.

القاضي في حاجة ماسة إلى وجود العدول الذين يضبطون الشهادات والعقود وفق أحكام الشريعة، استطاعوا أن يصبحوا الشهود الرسميين المعترف بعدالتهم، والذين يقومون عن إذن

(1) نفسه، ص 126 - 127.

(2) رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 1/ التقاديم 53، 57، 58، 65.

(3) المصدر نفسه، 1/ التقاديم 49، 51، 54، 56، 71، 74.

(4) محمد الزحيلي: تاريخ القضاء في الإسلام، (لبنان: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، 1995م)، ص 361.

(5) الغزوي: رسائل موحدية، 2/ 248.

(6) رسائل موحدية، 1/ 483، 492، 506.

الديوانية

القاضي بالإشهاد في جميع العقود والمعاملات، ويوثقون ذلك كتابة، ويشفعونه بوضع أسمائهم في كل عقد ينجزونه. لقد كان العدول في المغرب موزعين حسب توزيع المراكز القضائية، وكانوا يتخذون دكاكين يجلسون فيها لاستقبال زبائنهم، وكان المكان الذي تنتظم فيه دكاكينهم يسمى " سباط العدول"، وقد كان سباط عدول فاس مقابلا للباب الغربي لجامع القرويين، كما كانت لهم دكاكين بمراكش قرب القصر السلطاني⁽⁷⁾.

ب- شروط تولية القاضي:

حسب الرسائل الديوانية فإن منصب القضاء لا يتولاه عندهم إلا من يكون ذا علم ودين وعقل سليم، ويجب أن تتوفر فيه الأخلاق الحميدة، النباهة، السيرة الحسنة، الثبات في حل المشكلات، العدل وحسن التفهم للخصومات، الخبرة والاستقلال، حسن التفهم للخصومات⁽¹⁾. أما النباهي حددها في عشرة شروط وهي: الإسلام، العقل، الذكورية، الحرية، البلوغ، العدالة، العلم، سلامة الحواس، الأفراد في القضاء⁽²⁾.

يرى ابن عبدون أن: "القاضي يجب أن يكون جزلا في قوله، صارما في أمره، محقا في حكمه مصونا عند الناس وعند الرئيس وعند الجمهور عارفا بحكم الله ولا يمكن من نفسه، ولا ينبسط مع الفقهاء، ولا مع الأعوان..."⁽³⁾.

ج- اختصاصات القاضي:

للقضاء الموحدية خطة يقوم وفقها، فمن بين ما نقرأه في تقاديم القضاة ما يلي: " القضاء الشرعي في النوازل والنظر الديني في المسائل"⁽⁴⁾ وقاضي الجماعة إلى جانب تعيينه إلى من ينوب عنه في الأقاليم بتعيين قضاة هذه الأقاليم ومراقبة أعمالهم القضائية، فإنه بحكم أنه من خاصة

⁽⁷⁾ مغراوي محمد: خطة القضاء بالمغرب، ص 151-152.

⁽¹⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغراوي)، 1/ التقاديم 49، 50، 51، 55، 56، 65، 68، 72، 75، 76.

⁽²⁾ المرقية، ص 05.

⁽³⁾ رسالة ابن عبدون ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمختسب، دراسة وتحقيق: ليفي بروفنصال،

(القاهرة: مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، 1955م)، ص 08.

⁽⁴⁾ رسائل موحدية، 1/ 479.

الديوانية

الخليفة، فله دور في مساعدة الخليفة في توجيه سياسة الدولة، حيث كان يحتل المرتبة الثانية بعد شيخ طلبة الحضرة⁽⁵⁾.

وكان قاضي الجماعة يشرف على قضاة ولاية مراكش، إلا أنه يعين قضاة نواحيها وقد يكلفه الخليفة النظر في المظالم وإقامة الحدود، وكان يشترك في توجيه سياسة الدولة لأنه عضو في الخاصة الذي هو أعلى هيئة استشارية في الدولة الموحدية، ولما نكب المأمون أشياخ الموحدين وأبطل رسوم المهديّة أصبح قاضي الجماعة محل استشارة الخليفة، وظهر كرجل موجه أساسي لسياسة الدولة، ويبدو أن مكان جلوس قاضي الجماعة هو قصر الخلافة، بل أن المنصور أمر قاضيه أن يجلس في

مكان يستطيع أن يسمع منه أحكامه، وكان قضاة الجماعة حريصين على تطبيق الأحكام التي يصدرونها حتى على أهل بيت الخليفة⁽¹⁾.

على القاضي أن يعين قضاة مساعدين له في الأنكحة والمواريث، وله أن ينيب إذا مرض، وكان قاضي الولاية يعين قضاة المدن الصغرى التي تقع ضمن ولايته، وفي حالات قليلة يتدخل الخلفاء في تعيين قضاة المدن الصغرى، وغالبا ما يكونون من أهل البلد التي يستقضون بها، وربما عزلوا عن عملهم إذا عزل قاضي عاصمة الولاية وكان القاضي في ولايته مسئول عن توزيع زكاة الفطر على الضعفاء والمساكين ويتولى الخطبة والصلاة في المناسبات الكبرى مثل الأعياد. وقد يستعين به الوالي في تدبير شؤون ولايته لاسيما في حالات القتال، وكان القاضي يقوم بالتعريف بأسماء أهل الولاية أثناء دخولهم على الخليفة، وقد يباشر التعليم بصفته الشخصية⁽²⁾.

أما قضاة الأقاليم فمن صلاحياتهم فض النزاعات والخصومات وإقامة الحدود والنظر في المصالح العامة كالأوقاف وحفظ أموال اليتامى⁽³⁾ والنظر في الأنكحة والشكايات⁽⁴⁾. حدد النباهي عشرة مهام وهي قطع التشاجر والخصام بين المتخاصمين، واستيفاء الحق لمن طلبه، وإلزام الولاية

⁽⁵⁾ لخضر بولطيف: فقهاء المالكية، ص 240-241.

⁽¹⁾ عز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، 203.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 203.

⁽³⁾ لخضر بولطيف: فقهاء المالكية، ص 241.

⁽⁴⁾ عز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص 202.

الديوانية

للسفهاء والجانين، والنظر في الأحباس، تنفيذ الوصايا، تزويج الأيامي من الأكفاء إذا لم يوجد الأولياء، النظر في المصالح العامة وإقامة الحدود، وتصفي الشهداء⁽⁵⁾، وتركز رسائل التقاديم لتعيين القضاة على المهام التالية ولكنها موزعة على شكل وصايا:

المساواة بين الناس، اختيار الشهود والمساعدين من القضاة، الالتزام بالاستقامة وسداد الرأي، التأمل والتمهل في القضية عدم الاستعجال، التزاهة والابتعاد عن مضان الاتهام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁽⁶⁾.

استعان الموحدون بقضاة مغاربة منهم أبو عمران موسى وهو من أهل تينملل، وأبو يوسف حجاج الهواري: "ربما اشتهرت أسرته بالتزاهة ودقة الاجتهاد مما يدفع ولاة الأمر إلى اختيار أفراد منها

لتولي منصب القضاء"⁽¹⁾، وهذا ما نجده في الدولة الموحدية حين تولى في عهد يوسف عبد المؤمن سنة 1183/579م منهم عبد الله بن محمد بن عيسى التادلي الذي تولى قضاء فاس، إضافة إلى أسرة عيسى بن عمران التازي، وهو من أهل رباط تازا من أعمال فاس⁽²⁾.

استعان خلفاء الموحدين أيضا بقضاة من خرجي مدرسة الحفاظ، فقد اختار عبد المؤمن من هؤلاء الحفاظ جميع القضاة⁽³⁾ منهم القاضي أحمد بن عبد الرحمان بن محمد الذي تولى القضاء في عدة جهات على عهد عبد المؤمن⁽⁴⁾.

اتخذ الموحدون أيضا القضاة من الأندلس كأبي القاسم أحمد بن محمد بن بقی قاضي الجماعة بمراكش، وهو من أهل قرطبة⁽⁵⁾ والقاضي أبو جعفر أحمد بن مضاء من أهل قرطبة، تولى القضاء للخليفة يوسف بن عبد المؤمن في فاس ثم نقل إلى قضاء الجماعة بمراكش⁽⁶⁾.

⁽⁵⁾ النباهي: المرقبة، ص5.

⁽⁶⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزاوي)، 1/التقاديم 49، 50، 52، 56، 58، 61، 66.

⁽¹⁾ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص157-158.

⁽²⁾ عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص218؛ وابن القطان: نظم الجمال، ص210.

⁽³⁾ أشباح: تاريخ الأندلس، 52/2.

⁽⁴⁾ حسن علي حسن: المرجع السابق، ص158.

⁽⁵⁾ النباهي: المرقبة، ص117.

⁽⁶⁾ حسن علي حسن: المرجع السابق، ص158، 159.

يمكن القول أن الرسائل الموحدية لم توضح أصناف القضاة، إلا أنها تعطينا بعض المعلومات عن القضاة، ونلاحظ تكرار الوصايا في كثير من الرسائل الموحدية، فهذا إما أن يكون نتيجة تمسك الدولة الموحدية بالعدالة، أو نتيجة المشاكل والانحرافات الكثيرة التي تعاني وتواجه الدولة خاصة في نهايتها.

انفردت بعض الرسائل الموحدية ببعض الأوامر التي وجهها الخلفاء في بداية الدولة الموحدية إلى الولاة في الأقاليم والتي بمقتضاها يمنع منعاً باتاً القضاة من تنفيذ عقوبة الإعدام على الرعايا ذوي أصحاب الجنايات، فالخليفة وحده له الحق في ذلك، وهذا ما تبينه الرسالة رقم 13 من مجموع رسائل موحدية جديدة.

جاء في الرسالة التي صدرت عن عبد المؤمن 543هـ / 1148م: " فرأينا أن ترفعوا إلينا أحكام المذنبين للكبائر، وتعلمونا بنينا كل من ترون أنه يستوجب القتل دون أن تقيموا الحد عليه، وأن يتبادروا بالعقاب إليه ولا سبيل لكم إلا قتل أحد من كل من هو في بلاد الموحدين وأنظارهم، ومن هو معهم وداخل في مضمارهم وكل من ترون أنه يستوجب القتل... فعرفونا بجلية أمره وتصحيحه، وخاطبونا بميز أمره ومشروحه، لينفذ فيه من قبلنا ما يوجبه الحق ويقتضيه... فإياكم من مخالفة أمرنا هذا في قتل أحد ممن ذكرنا كائنا من كان كبر ذنبه عندكم أو هان، ولتبادروا إلى إعلامنا بذنبه بعد سجنه وتنقيفه لنقابله بما نراه، ونجري الحق فيه مجراه..."⁽¹⁾.

وجاء في رسالة أخرى عن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن حين خاطب عماله على الأقاليم سنة 561هـ / 1165م "... بألا يحكموا في الدماء حكماً من تلقائهم، ولا يرهقوها بباد أو برأي من آرائهم، ولا يقدموا على سفكها بما يظهر إليهم، ويتقرر فيما يرونه لديهم، إلا بعد أن ترفع إلينا النازلة على وجهها وتؤدي على كنهها، وتشرح حسب ما وقعت عليه... وتفيد بالشهود العدول المعروفين في مواضعهم بالعدل والرضا الموجبين للقبول وتكتب أقوال المظلومين وحججهم وإقرارهم واعترافهم، وحجج الطالبين في مقالاتهم، واستظهارهم في بيناتهم... ويتوثقون في

⁽¹⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغراوي)، 61/1-71.

الفصل الثالث:.....السياسة الفكرية والمذهبية للدولة الموحدية من خلال الرسائل

الديوانية

المطلوبين بالدماء بسجنهم و تثقيفهم، ويتوكفون ما تصلكم به المخاطبة فتقفون عند مقتضاه...⁽²⁾.

فالرسالة الأولى جاءت في وقت قد عاشت البلاد فيها الفوضى وألا استقرار التي تسببت فيه الدولة الموحدية نتيجة وضع حد للنظام المرابطي مما ترك فراغا سياسيا استغل ومورست فيه كثيرا من التجاوزات.

جاءت الرسالة الثانية عقب وفاة الخليفة عبد المؤمن وتولية ابنه الحكم وما شهدته من مشاكل حتى أنه لم يجد الفرصة المناسبة لتلقب بأمير المؤمنين إلى سنة 563هـ/1167م. يذهب بولطيف ويقول: "فكأننا جاءت هذه الرسالة والتي قبلها في سياق تأكيد حضور السلطة المركزية، وتكريسها على حساب سلطات العمال والمشرفين الذين عرضت الرسائل بتسلطهم على الأموال والأبشار" ودعوتهم إلى إجراء العدل بين الرعية وكف أيدي التفدي عنها"⁽³⁾.

وعلى العكس من ذلك فإن خلفاء الدولة الموحدية ومن خلال تقادم القضاة يتبين لنا أنهم يلحون على قضاتهم يأخذون الحق للضعيف من القوي ولا فرق بين "المشروف والشريف"⁽⁴⁾ وبين "النبية والخامل" فأفصل بينهما بميزان العدل والسوية⁽¹⁾ وأن يحكم بين الناس بالعدل دون "مراقبة لأحد من الخلق"⁽²⁾، فالشرع لا تعتبر فيه المناصب ولا تلحظ في تنفيذه المراتب ولا يرمى فيه جانب الحق الذي دونه الجوانب..."⁽³⁾، ويجب التسوية بين الخصوم في الشدة واللين دون أن يخاف لومة لائم وتطبيق الشرع"⁽⁴⁾.

د- مصادر القضاء الموحدية:

⁽²⁾ المصدر نفسه، 97-94/1.

⁽³⁾ بولطيف لخضر: فقهاء المالكية، ص143.

⁽⁴⁾ رسائل موحدية، 497/1.

⁽¹⁾ نفسه، 499/1، 505، 511، 512، 513.

⁽²⁾ نفسه، 506/1.

⁽³⁾ نفسه، 484/1.

⁽⁴⁾ نفسه، 1 / 501، 504، 514، 516؛ ولخضر بولطيف: فقهاء المالكية، ص244.

يرجع القاضي لمعرفة الأحكام الشرعية إلى الكتاب لقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا، فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾⁽⁵⁾، ولقوله أيضاً: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾⁽⁶⁾ والسنة في القول والفعل⁽⁷⁾ في جميع أحكامه "

والاستناد إلى إجماع الأمة وفتاوى الأئمة بنقضه وإبرامه⁽⁸⁾ وإلى بعض الأوامر التي قدمها له الخليفة وأن يحافظ على الوصايا التي نأمر بها من الالتزام والعدل⁽⁹⁾، والإجماع الذي هو الركن الثالث من أركان الشريعة⁽¹⁰⁾، كما يتفحص أقوال الأئمة ويشاور أهل العلم⁽¹¹⁾ لقوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾⁽¹²⁾، كما أنه يعتمد على الإجماع "والإجماع اعتماده"⁽¹⁾، وقد حدد النباهي هذه المصادر في: "العلم بالكتاب والسنة وما وقع عليه من إجماع الأمة والاجتهاد والمتكلم به عند الفقهاء"⁽²⁾.

هـ - مذهب القضاء الموحدية:

لم تبين تقاديم القضاء بوضوح مذهب القضاة على عهد الموحدين ما عدا بعض النصائح والتوجيهات التي قدمت لهم كان يعتمد في أحكامهم على الكتاب والسنة وإجماع الأمة واقتداء بأقوال العلماء، وفي حالة عدم وجود النص فإنه يلجأ إلى القياس.

⁽⁵⁾ سورة المائدة، الآية: 92.

⁽⁶⁾ سورة الأنعام، الآية: 155.

⁽⁷⁾ رسائل موحدية - جديدة -، (الغزالي)، 1 / 479، 481، 483، 486، 488، 493، 494، 495، 500، 502،

504، 506، 507، 508، 509، 511، 512، 513، 515.

⁽⁸⁾ المصدر نفسه، 481/1، 483، 486، 488، 493، 494، 495.

⁽⁹⁾ نفسه، 1 / 483.

⁽¹⁰⁾ نفسه، 1/491، 493، 495، 502، 504، 505، 506، 507.

⁽¹¹⁾ نفسه، 1 / 491، 494، 495، 507.

⁽¹²⁾ سورة آل عمران، من الآية: 159.

⁽¹⁾ رسائل موحدية - جديدة -، (الغزالي)، 1 / 497، 502، 504، 506، 507، 509.

⁽²⁾ المرقية، ص 206.

إن سقوط الدولة المرابطية على يد الموحدين ألزم فقهاء المالكية طاعة الحكام الجدد، وعلى الموحدين أن يتقبلوا أمر الواقع ويتعاملون معهم خاصة في مجال القضاء الذي كان بين أيدي فقهاء المالكية منذ زمن طويل، ففي زمن مبكر أسندت الدولة الموحدية قضاء المدن لقضاة المالكية مثل ما حصل في مالقة بعد أن سقطت في أيدي الموحدين أسندوا قضائها إلى الفقيه عبد الله السماك (حي سنة 555هـ/1160م) ثم نقل إلى غرناطة⁽³⁾.

و لم يقتصر تقليد فقهاء المالكية للقضاء الموحدية على بداية العصر بل شمل العصر كله، هذا ما وضحته تراجم قضاة الموحدية، فقد شمل أهم المدن الأندلسية (اشبيلية، جيان، غرناطة، مالقة، المرية، مرسية، بلنسية)، والمغربية (مراكش سجلماسة، فاس، سبتة، تلمسان، بجاية، تونس)⁽⁴⁾.

ومعظم قضاة الجماعة الذي تولوا القضاء للخلفاء الموحدية مالكيين وعددهم يزيد على العشرين قاضيا، ماعدا ثلاثة منهم فإنهم ينتمون إلى المذهب الظاهري، وإذا كانت تقادم القضاة لم تبين لنا بشكل صريح مذهبية القضاء الموحدية إلا أنها أكدت العمل بموجب الكتاب السنة والرجوع إلى الإجماع وأقوال العلماء⁽⁵⁾.

ذهب بولطيف وقال: "ولعل مما يدعم قناعتنا بالتوجه المالكي للقضاء الموحدية، أن ما وصلنا من تأليف العصر الموحدية في فقه القضاء؛ ككتاب "مذاهب الحكام في نوازل الأحكام" لابن

عياض (ت 575هـ/1179م)؛ وكتاب "المفيد للحكام فيما يعرض لهم من نوازل الأحكام" لأبي الوليد بن هشام الأزدي (ت 606هـ/1209م)، وكتاب "تنبيه الحكام على مآخذ الأحكام" لأبي عبد الله بن المناصف (ت 620هـ/1223م)، كانت جميعها جارية على أحكام المذهب المالكي؛ بادية الحرص على أعمال ما قرره كبار أئمتته"⁽¹⁾.

و- استقلالية القضاء الموحدية:

⁽³⁾ لخضر بولطيف: فقهاء المالكية، ص 250.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 251-252.

⁽⁵⁾ نفسه، 252.

⁽¹⁾ فقهاء المالكية، ص 253-254.

عرف عن القاضي الموحدى أنه يتسم بالتزاهة⁽²⁾ في الحكم ويتحرى بالعدالة والصلابة والشدة⁽³⁾ في أحكامهم مما مكنهم من ممارسة أعمالهم بكل حرية واستقلالية وبدون خوف هذا ما أعطى لهم هيبتهم⁽⁴⁾.

وممارسة القضاة لصلاحياتهم بكل شدة ودقة وصلابة أدى بهم إلى الاصطدام بالولاية المستبدين الذين ضاقوا ذرعا منهم، إلا أن خلفاء الدولة الموحدية يحثون باستمرار أهل المدن أن يتعاونوا مع القاضي وهذا ما تضمنته تقاديم الولاية⁽⁵⁾.

يبادر الخاصة في بعض الأحيان بالتطاول على بعض قضاة الدولة واعتراضهم على أحكامهم، ويبلغ بهم الأمر إلى رفع شكاية إلى الخليفة هذا ما حدث مع قاضي قضاة أبي دبوس الواصل (ت665-668هـ/1266-1269م)⁽⁶⁾.

كان من المقرر أن رزق القاضي يأخذ من بيت مال المسلمين، إلا أن بعض القضاة يتخذون الحذر من قبوله، فالقاضي أبو القاسم الحوفي (ت588هـ/1192م)، "لم يأخذ على القضاء أجر" بالرغم أنه ولى قضاء اشبيلية مرتين، وإنما كان يقات من صيد السمك، كما استغنى قاضي بجاية أبو محمد بن سكاتو (ت541هـ/1146م) عن مرتب القضاء، لأنه يسترزق من قطعة أرض أورثها عن أبيه، ومن لا يجد من القضاة حرجا في أخذ أجره حتى ولو كان مضطرا إلى ذلك، فإنه لم يسلم من انتقاد الناس والفقهاء⁽¹⁾.

إن الصنف الأول من القضاة الذين لا يتقاضون أجر القضاء فهم من أهل ثقة وتقدير خلفاء الدولة الموحدية هذا ما تؤكد له تقاديم القضاة⁽²⁾، وكذا وصية المنصور لقاضي قضائه وهو على

(2) عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص319.

(3) المصدر نفسه، ص318.

(4) عز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص203؛ الزحيلي: تاريخ قضاة الإسلام، ص385.

(5) رسائل موحدية - جديدة-، (الغراوي)، 1/ 479، 480، 498، 506، 510، 517.

(6) لخضر بولطيف: المرجع السابق، ص246.

(1) المرجع نفسه، ص248.

(2) رسائل موحدية - جديدة-، (الغراوي)، 1/ 479، 480، 483، 485، 488.

فراش الموت: " كنا قد قدمناه على القضاء لعلمنا بعفافه وطهارته، لضعف مئوته وقلة طمعه، فلنتركوه على أمره"⁽³⁾.

ز- العدول:

ترتبط العدالة بالقضاء، كما قال ابن خلدون: " وهي وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن موارد تصريفه، وحقيقة هذه الوظيفة القيام عن إذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم تحملا عند الإشهاد، وأداء عند التنازع، وكتابا في السجلات يحفظ به حقوق الناس وأملاكهم وديونهم وسائر معاملاتهم"⁽⁴⁾.

ومن شروط هذه الوظيفة " الاتصاف بالعدالة والبراءة من الجرح، ثم القيام بكتاب السجلات ثم العقود من جهة عبارته وانتظام فصولها ومن جهة إحكام شروطها الشرعية وعقودها"⁽⁵⁾.

ويشترط أيضا المران والفقه، لذا خص فريق من الفقهاء الذين كانوا يعرفون في كل منطقة وفي كل زمان بهذه الوظيفة " لهم دكاكين ومصاطب، يختصون بالجلوس عليها، فيتعاهد هم أصحاب المعاملات للإشهاد وتقييده بالكتاب"⁽⁶⁾. إذن مهمة العدول للإشهاد وكتابة العقود، فالعدالة صناعة شريفة عالية، قائمة على ضبط أمور الناس على القوانين الشرعية، وحفظ دماء المسلمين وأموالهم⁽⁷⁾.

ومن بين ما يشترط في الموثق الإسلام، والعدل، واجتناب المعاصي، والسماحة سلامة الحواس، اليقظة، العلم بفقهِ الوثائق، السلامة من اللحن، حسن الخط ومقروئيتها وسهولتها⁽¹⁾.

⁽³⁾ بولطيف لخضر: فقهاء المالكية، ص248.

⁽⁴⁾ ابن خلدون: المقدمة، 378/1.

⁽⁵⁾ المصدر نفسه، 378 / 1 - 379.

⁽⁶⁾ نفسه، 379 / 1؛ وبولطيف: المرجع السابق، ص258.

⁽⁷⁾ محمد مغراوي: خطة القضاء، ص151.

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص151.

نوه القرآن الكريم بأهمية التوثيق والإشهاد، حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَدَّيْتُمْ بِذِينَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾⁽²⁾.

ولتحقيق العدالة أصبح القاضي بحاجة إلى وجود العدول لضبط الشهادات والعقود، وفقا لأحكام الشريعة، ولل قضاء قوانين درج عليها اختيار القضاة، وعرفت من سيرهم المرتضاة، منها ما حفظ عنهم في التوثيق تقييد المقالات، والتثبت فيما يرد من المشكلات، والاستظهار بعدول البيئات وحسن التفهم للخصومات...، ومن أهم ما يقدم فيه النظر،... الشهود⁽³⁾، واستطاع العدول أن يصبحوا الشهود الرسميين ويأذن من القاضي، فهم "عمدة إضائه وتوقفه في كشفه عن أحوالهم، وتعرفه ولا يقبل إلا من عرف بالشهادة"⁽⁴⁾. حددت التقاديم شروط الشهود بالذكاء والزكاء والصدق⁽⁵⁾، سليم الشهادة والتيقظ من الغفلة والذهول والمساواة بين القوي والضعيف⁽⁶⁾، والعدالة⁽⁷⁾، حيث يقول القاضي: "إنما أنتم القضاة وأنا المنفذ... والله تعالى لا يقبل إلا عدلهم وتقيهم"⁽⁸⁾.

لقد كان هؤلاء العدول موزعين حسب توزيع المراكز القضائية، وكان لهم دكاكين يجلسون فيها لاستقبال زبائنهم، ويسمى "سماط العدول"، وكان العدول يجلسون للإشهاد بإذن من القاضي، كانت ثقافة العدول مثل ثقافة القاضي فقد يكون ملما بعلوم مختلفة⁽⁹⁾.

فالشاهد العادل تقبل شهادته على عكس الذي عثرت له جرحه فإن شهادته ترد وتبطل، حتى يكون القاضي على يقين لبناء حكمه، لأن من واجباته أن لا يتعدى حدود الله، حتى يكون

⁽²⁾ سورة البقرة، من الآية: 282.

⁽³⁾ رسائل موحدية، - جديدة-، (الغزوي)، 1/ 491.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه، 1/ 511.

⁽⁵⁾ نفسه، 1/ 501، 512.

⁽⁶⁾ نفسه، 1/ 506، 515.

⁽⁷⁾ نفسه، 1/ 485، 516.

⁽⁸⁾ نفسه، 1/ 491.

⁽⁹⁾ محمد مغراوي: خطة القضاء، ص 152-154.

الديوانية

القاضي ذو يقين عند بنائه للحكم⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودَ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾⁽²⁾. ويجب على القاضي أن يحسن الاستماع إلى الخصوم الذين مثلوا أمامه، وأن يسوي بينهما في المجلس والقول والوقت، ثم يذكر متى حضر الخصمان إليه وأدليا بحججهما⁽³⁾.

فالعدالة لا تتحقق إلا بصلاح القاضي، و يجب على القاضي أن يستند إلى شهود عدول لصدور الأحكام، وجاءت توصيات الخلفاء متكررة لتطبيق ما جاء في الكتاب والسنة، هذا ما نستشفه من تقاديم القضاة.



وخلاصة القول أن حركة التغيير التي قام بها ابن تومرت مصدرها الأول الواقع المغربي الذي يرى فيه المهدي أنه فاسد، ولا بد من تغييره، انطلق من المظاهر الاجتماعية واتخذها شواهد لإقناع الناس ويكون لها أثر في النفوس وترفض هذا الواقع. قام ابن تومرت بإيجاد بدائل لهذا الواقع الفاسد، حيث رسم منهجه وفق شواهد وأدلة مقنعة ورسم الطرق والأساليب في ذلك، فقد جعل من التوحيد المحور الأساسي الذي يعتمد عليه في حركته، لأن أهل المغرب في نظره انحرفوا عن التوحيد الصحيح. مهد أرضية لكي يعلن عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم.

ورغم الأصوات المرتفعة حول تطبيق عقيدة المهدي والعمل بها، إلا أن القضاء الموحد كثيرا ما اصطبغ بصبغة مذهبية المذهب المالكي، حتى بعض أمراء الدولة منعوا العمل بالعقيدة الموحدية، وطلبوا الرجوع إلى الكتاب والسنة.

⁽¹⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزاوي)، 492/1، 505.

⁽²⁾ سورة البقرة، من الآية: 229.

⁽³⁾ رسائل موحدية، 492/1.

الفصل الرابع: السياسة الاجتماعية والاقتصادية للدولة الموحدة من خلال الرسائل الديوانية

أولاً: السياسة الاجتماعية

ثانياً: السياسة الاقتصادية

عندما حل الموحدون محل المرابطين في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي، توسعوا شرقا وقضوا على الحماديين والنورمانديين، ونتيجة للصراعات القائمة، تركت آثارا وخيمة على الاقتصاد، مما جعل الدولة الموحدية تتبع منهجا معيناً للنهوض بالاقتصاد؛ حيث قامت بتنظيم التجارة الداخلية، كما اعتنت اعتناء كبيرا بالفلاحة باعتبارها العمود الفقري للاقتصاد.

اتبع الموحدون في تقسيمهم الطبقي سياسة محكمة سمحت لهم في التحكم والسيطرة على الوضع، ونشر العقيدة الجديدة، خاصة في عهدي المهدي وعبد المؤمن؛ هذا التقسيم فرضته الظروف السياسية.

أولاً- السياسة الاجتماعية:

أ- طبقات المجتمع الموحدية:

1- الطبقة الحاكمة:

حسب رواية ابن القطان فإن ابن تومرت قسم أنصاره ومريديه إلى ثلاثة عشرة طبقة نظم أول من بايع ابن تومرت ونصره، فجعلهم أهل مشورته، ثم طبقة أهل الخمسين تضم خمسين رجلا من زعماء قبائل المصامدة⁽¹⁾، ثم طبقة السبعين تضم سبعين رجلا من زعماء القبائل غير المصامدة، أما الطبقة الرابعة فهي طبقة الطلبة تضم كبار علماء الموحدون يقوم أعضاؤها بحكم الولايات أو يمثلون الهيئة المساعدة للوالي في عهد عبد المؤمن بن علي، ثم الطبقة الخامسة تضم صغار الحفاظ، ثم طبقة أهل الدار يقوم أفرادها بخدمة ابن تومرت، أما الطبقة السابعة فتضم قبيلة هرغة، وهي قبيلة ابن تومرت نفسه، ثم الطبقة الثامنة فتضم قبيلة تينملل⁽²⁾، والطبقة التاسعة تشمل أهل جدميوة، والعاشرة

⁽¹⁾ إن مصطلح الخمسين لم يكن يعني عددا وإنما يعني اسما للهيئة، خاصة وأن انضمام القبائل يكون في فترات متقطعة، وكان المهدي يضيف إليهم رجلا أو ينقص منهم في بعض الأوقات. أنظر إبراهيم القادري بوتشيش: مقالات في تاريخ المغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين، (مكناس: مطبعة سجلماسة، ط1، 2007م)، ص96.

⁽²⁾ ابن القطان: نظم الجمان، ص82.

تشمل أهل حنفيسة والحادية عشر تشمل أهل هنتاة، أما الطبقة الثانية عشر فتكون من الجند أو أهل القبائل⁽¹⁾، والثالثة عشر تتكون من الغزاة⁽²⁾. جاء في رقم الحلل أن: "المهدي رتب قومه ترتيباً غريباً فمنهم أهل الدار وأهل الجماعة وأهل الساقية وأهل خمسين وأهل سبعين والطلبة والحفاظ وأهل القبائل"⁽³⁾.

أما في عهد عبد المؤمن فقد انحصر الحكم في عهده في أسرته وبنيه من بعده، وحتى وزراؤه وولاته كانوا من أبنائه، وكان لقبيلة كومية مكانة خاصة في دولة الموحدين فإليها ينتمي عبد المؤمن بن علي واتخذ من أفرادها بطانة له، وبهذا فإن أسرة عبد المؤمن وقبيلته كومية شكلوا أهم أفراد المجتمع في عهد الموحدين⁽⁴⁾.

1-1 - طبقة الطلبة:

أنشأ الموحدون نظاماً سياسياً جديداً فهم أول من استحدثت طبقات جديدة في المجتمع منها طبقة الطلبة التي أوجدها المهدي، وكانت خاصته أصحاب المهدي لأن باقي من دخل في دعوته سماهم الموحدين، وقد كان اختيار هذا الاسم متوافقاً ما كان مطلوباً منهم، فكانوا يعدون طلبة مهمتهم التعلم على يد أستاذهم المتمثل في صاحب الدعوة الجديدة المهدي بن تومرت، أصبحت مهمتهم فيما بعد حمل مبادئ المهدي ونشر دعوته بين الناس والحفاظ عليها⁽⁵⁾ وعندما تولى الخليفة عبد المؤمن صار اسم الطلبة يطلق على ثلاث فئات:

1-1-1-1 - طلبة الحضر:

(1) وهي قبائل الحزمير والهيلانة والحزارقة. أنظر لخضر سيفر: التاريخ السياسي، ص338.

(2) ابن القطان: نظم الجمان، ص82؛ وهشام أبو رميلة: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية، ص38؛ لخضر سيفر: المرجع السابق، ص338؛ وصالح قربة: عبد المؤمن، ص69.

(3) ابن الخطيب: رقم الحلل، ص58.

(4) ابن عذاري: البيان، 3/50؛ و عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص255؛ وابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص291؛ ونوارة شرقي: الحياة الاجتماعية، ص86.

(5) حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص331؛ وبوتشيش: مقالات في تاريخ المغرب، ص97؛ ونوارة شرقي: الحياة الاجتماعية، ص87-88.

هم الذين يجلبون إلى العاصمة مراكش يشتغلون في العلم وفي ذلك قال المراكشي: "وجرت عادتهم بالكتب إلى البلاد واستجلاب العلماء إلى حضرهم من أهل كل فن وخاصة أهل علم النظر وسموه طلبة الحضر..."⁽¹⁾، "ويؤمر طلبة الحضر ومن معناهم بقراءة العقائد وحفظها، وتعاهدها على سبيل التفهم والتبين والتنبه والتبصر"⁽²⁾.

1-1-2- طلبة الحفاظ:

جمعهم الخليفة عبد المؤمن بن علي من مختلف القبائل وأنشأ لهم مدرسة خاصة بمراكش لتكوينهم وتعليمهم على أسس الدعوة الموحدة وفي نفس الوقت يتدربون على فنون القتال والشؤون الإدارية، وكان عددهم ثلاثة آلاف طالب، حتى إذا تم هؤلاء الحفاظ دراستهم وتدريبهم وزعهم على الوظائف الإدارية بالدولة، وكان الهدف من ذلك هو القضاء على نفوذ أشياخ الموحدين وولاهم عبد المؤمن أقاليم الدولة منهم: عبد الحق بن علناس الكومي الذي ولاه مدينة سوسة⁽³⁾.

1-1-3- طلبة الموحدين:

الذين اعتنوا بالعلم من المصامدة والاهتمام بالدعوة الموحدة ونشرها في مختلف أقاليم الدولة⁽⁴⁾، وقد بينت وظيفتهم تلك الرسالة التي أرسلها الخليفة عبد المؤمن إلى طلبة بجاية سنة 1157/هـ 552م، جاء فيها: "ولتقدموا طلبة أمناء من قبلكم يعلمون الناس قراءة توحيدهم وحفظه وحفظ أم القرآن، وما تيسر معها من السور ويأخذونهم بمداومة ومعاهدته وحفظه... وليكن جميع ما تأتونه وتدرونه وتقدمونه في هذا المقصد وتؤخرونه جاريا على حكم الإمام

⁽¹⁾ عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص426، وحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص332؛ ونوارة شرقي: الحياة الاجتماعية، ص88.

⁽²⁾ مجموع رسائل موحدة، (ليني)، ص132.

⁽³⁾ حسن علي حسن: المرجع السابق، ص333؛ ونوارة شرقي: المرجع السابق، ص88.

⁽⁴⁾ نفسه، ص332.

المعصوم والمهدي المعلوم رضي الله عنه مستندا إليه ففعله هو الذي نقندي به ونستمسك بسببه ونمضيه على وجهه ونجريه على رسمه" (5).

ومعظم الرسائل الصادرة من السلطة الحاكمة إلى أقطار الدولة الموحدة تضع الطلبة في مقدمة من يخاطبهم ومن ذلك الرسالة الأولى وهي موجهة إلى طلبة سبته ومن فيها من الموحدين (6)، والرسالة الثالثة موجهة إلى الطلبة الذين بصنهاجة تأسغرت والمشيخة والأعيان (1)، والرسالة الخامسة موجهة إلى طلبة سبته ومن معهم (2)، والرسالة الحادية عشرة الموجهة إلى الطلبة الذين بتلمسان (3). وهكذا معظم الرسائل التي صدرت عن الخلافة كانت أول ما تخاطب فئة الطلبة.

1-2- طبقة الفقهاء (4):

احتل الفقهاء مكانة هامة لدى الدولة الموحدة، فقد كانوا على محط احترام الناس فكان الكثير منهم من أقرب المقربين للخلفاء، تميزوا بثقافة كبيرة ومجال علمي واسع، فلم يكن اختصاصهم في الدين فقط بل تعددت معارفهم وتعدت إلى علوم أخرى (5)، فاختصاصاتهم كثيرة ومتعددة يجندون حتى في الحركة الموحدة جاء في إحدى الرسائل: "...فعين لهم من كبار الطلبة والحفاظ وأعيان الفقهاء والقضاة..." (6).

(5) مجموع رسائل موحدة، ص 137.

(6) المصدر نفسه، ص 01.

(1) نفسه، ص 5.

(2) نفسه، ص 10.

(3) نفسه، ص 47.

(4) هم رجال الدين والدينا، فمنهم الأئمة، والخطباء والفقهاء، والقضاة، والمشاورون، والمفتون والعدول، لهم مكانة عالية في المجتمع كونهم حملة الدين والشريعة. أنظر عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 272.

(5) نوارة شرقي: الحياة الاجتماعية، ص 92.

(6) مجموع رسائل موحدة، (لبيفي)، ص 65.

اهتم الخلفاء باستجلاب عدد كبير من الفقهاء والعلماء إلى مراكش، فالخليفة عبد المؤمن كان يقدر العلماء ويتزهم منازلهم اللائقة بهم⁽⁷⁾ يقول المراكشي: " وكان عبد المؤمن مؤثرا لأهل العلم محبا لهم، محسنا إليهم، يستدعيهم من البلاد إلى الكون والجوار بحضرتة"⁽⁸⁾.

سار الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على نفس السياسة في العناية بالفقهاء، فقد كان حريصا على مجالسة الفقهاء، وكان مهتما بجلب العلماء إلى عاصمته والاستفادة من علمهم يقول المراكشي: " ويبحث عن العلماء وخاصة أهل علم النظر إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع للملك قبله من ملك"⁽⁹⁾، وفي عهد المنصور تمتع الفقهاء والعلماء بنفس المتزلة حيث كان يحضر جنائزهم يقول ابن أبي زرع: " محبا في العلماء وقضائهم صادرا عن رأيهم... يشهد جنائز الفقهاء والعلماء ويزورهم ويتبرك بهم... وأكرم الفقهاء وراعى العلماء والفضلاء..."⁽¹⁾.

إن الثقة الكبيرة التي حضي بها الكثير من العلماء في العصر الموحد لدى الخلفاء، وكذا احترام المجتمع لهم جعل الخلفاء يكلفونهم ببعض المهام السياسية في مناسبات مختلفة منها إرسال الخليفة محمد الناصر سنة 607هـ/1210م للعالم عيسى بن عبد العزيز بن يلبخت الجزولي إمام جامع المنصور بمراكش إلى صنهاجة الساكنين بأزمور لإصلاح بعض الأمور فيها⁽²⁾.

وكان العالم المالقي أحمد بن عتيق بن قنترال الأموي (ت627هـ/1230م) مقربا من إدريس بن يعقوب المنصور أيام إمارته بإشبيلية، أرسله إلى بعض قبائل المغرب ليتأكد من البيعة

⁽⁷⁾ نوارة شرقي: المرجع السابق، ص93.

⁽⁸⁾ عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص269؛ وحسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص339.

⁽⁹⁾ المصدر نفسه، ص311.

⁽¹⁾ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص216؛ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص339-340.

⁽²⁾ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1975م، ص488-490؛ وابن عبد الملك: الذيل والتكملة، 8/246-253؛ ومحمد المغراوي:

العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب والأندلس، ص241.

التي أرسلها شيوخها ونجح في مهمتها⁽³⁾. وكان الخليفة السعيد يرسل مزوار الطلبة أبا محمد عبد الله بن أبي القاسم العراقي (ت646ه/1248) إلى بعض المهام السياسية⁽⁴⁾.

1-3- طبقة القضاة:

بعد طبقة الفقهاء تأتي طبقة القضاة هذا ما نستشفه من إحدى رسائل الدولة الموحدية، وجاء فيها: "...فعين لهم من كبار الطلبة والحفاظ وأعيان الفقهاء والقضاة ونخبة الأئمة والثقة..."⁽⁵⁾، فالقضاة لهم صلة بالفقهاء إذ يختارون من العلماء ورجال الدين، فهم يشكلون طبقة متميزة لاختصاصهم بتنفيذ أحكام الدين على سائر الرعية..."⁽⁶⁾.

2- الكافة:

استعمل الموحدون أثناء مخاطبتهم للمجتمع بكامله مصطلح "الكافة"⁽¹⁾ بدل "العامة" ومن خلال الرسائل يتضح أن هذه الطبقة خاطبها الموحدون بأسماء أخرى مثل: "الناس"⁽²⁾، "القبائل"⁽³⁾، "العوام"⁽⁴⁾، "الكافة عند الموحدين"⁽⁵⁾، كما أطلق عليها أسماء أخرى من طرف المؤرخين منها رعا ع وغوغاء ودهماء وسفلة⁽⁶⁾، كما تسمى أيضا الرعية والتي تعني القطيع⁽⁷⁾.

(3) ابن عبد الملك: المصدر السابق، 282/1؛ ومحمد المغراوي: المرجع السابق، ص241.

(4) المصدر نفسه، 19/6؛ ونفسه، ص242.

(5) مجموع رسائل موحدية، (لبيفي)، ص65.

(6) حسن علي حسن: المرجع السابق، ص342.

(1) رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 1/ الرسائل 6، 15، 31، 130، 135، 140... .

(2) المصدر نفسه، 1/ 48، 49، 69.

(3) نفسه، 1/ 69.

(4) نفسه، 1/ 195.

(5) نفسه، 1/ 193.

(6) عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص281.

والعامة مقابل الخاصة فهي تشمل رعية الدولة الموحدية⁽⁸⁾، أو سواد الموحدين ممن لم يكلفهم ابن تومرت بمهام معينة⁽⁹⁾. أما الخاصة التي تعني أشرف البلد وأغنياؤه، ومن يحيط بالأمير من خواص ووزراء⁽¹⁰⁾.

تكونت طبقة العامة نتيجة فوارق المستوى المعيشي؛ فالعامة مستواها المعيشي ضعيف ودخلها محدود⁽¹¹⁾، والعوام في المجتمع الموحدية هم أكثرية الفئات الاجتماعية الذين لا تربطهم أية صلة بالسلطة إلا دفع الضرائب والدفاع عن الأرض، فهي أكثر عرضة للأخطار السياسية والكوارث الطبيعية التي كانت تحتاج البلاد من حين إلى آخر، وكانت وضعيتها في الأرياف أكثر صعوبة⁽¹²⁾.

ففي سنة 524هـ / 1129م عمت موجة الجفاف مدينتي فاس وغرناطة، وخلال الحصار الموحدية لمدينة مراكش كان الجفاف يخيم على العاصمة مما زاد وضعية المحاصرين تأزماً، نجم عن الجفاف مجاعات عصفت بالعديد من أرواح العامة، لأن الخاصة كان لها من الوسائل ما تقاوم به كخزن الحبوب في الأهرام، أما العامة فلم يملكوا قوتهم اليومي⁽¹⁾.

وفي سنة 1113/526م اشتدت المجاعة وكثر الموتى بقرطبة، امتدت إلى السنة التالية، فقد قاسى العوام محنة حقيقية من هذه المجاعة، وانعدمت الأقوات خلال أعوام المجاعات حتى اضطر العوام إلى أكل جذور النباتات⁽²⁾.

⁽⁷⁾ بيير غيشار: التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدية - من بداية القرن الثامن إلى نهاية القرن الثامن عشر - ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998م)، 984/2.

⁽⁸⁾ يوسف عابد: الموحدون في بلاد المغرب، 179.

⁽⁹⁾ بوتشيش: مقالات في تاريخ الغرب الإسلامي، ص 97.

⁽¹⁰⁾ عصمت دندش: المرجع السابق، ص 281.

⁽¹¹⁾ يوسف عابد: المرجع السابق، ص 182.

⁽¹²⁾ نفسه، ص 183.

⁽¹⁾ إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2000م)، ص 199 - 200.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 201.

وحدثت مجاعة أخرى سنة 1218/616هـ، شملت المغرب والأندلس معا، حيث تعسرت الظروف فيهما، وغلّت الأسعار، وفي سنة 1228/626م شهد المغرب مجاعة أخرى، كما شهدت مكناسة ونتيجة لاشتداد المجاعة اضطر الناس إلى أكل الخسيس من الحيوان حتى عدم ذلك وهلك الناس قتلا وجوعاً⁽³⁾.

ويذكر ابن عذاري أنه كانت في أيام الرشيد مجاعة عظيمة إذا "لم يبق لأحد سبد ولا لبد ولا طارف ولا تالد ولا ذخيرة ولا مال ولا عقار واستولت المجاعة على جمهور الناس ورأوا مخنا يستعاذ بالله منها"⁽⁴⁾.

هذه الفئة عاشت ظروفًا قاسية، فعوام مكناسة رفعوا شكواهم إلى الناصر ضد الوالي أبي الربيع بن أبي عمران الذي ساء معاملتهم كثيرا، حيث كانت السلطات تفرض عليهم ضرائب باهظة لم يكن في مقدورهم دفعها، خاصة في آخر عهد الدولة الموحدية، على عكس بداية الدولة حيث سن الخلفاء قوانين مكنت لهم العيش في كنف السلطة العادلة، بإلغائها ضريبة القبالة التي فرضها المرابطون عليهم وأثقلت كاهلهم⁽⁵⁾.

أما الأندلس فبحكم موقعها الجغرافي فهي قريبة من دار الحرب، فإن أهلها عانوا بكل طبقاتهم وعلى غاراتهم المتكررة، وكانت هذه الغارات متكررة على الطبقة الدنيا من المجتمع على عكس الطبقات العليا⁽¹⁾. وفي سنة 1253/651هـ حدث زلزال عنيف، حصد الكثير من العامة⁽²⁾.

⁽³⁾ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن غازي العثماني المكناسي: الروض المتهون في أخبار مكناسة الزيتون، (الرباط، 1952م)، ص 09.

⁽⁴⁾ البيان، 3/ 325.

⁽⁵⁾ نوارة شرقي: الحياة الاجتماعية، ص 102.

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص 103.

⁽²⁾ ابن عذاري: البيان، 3/ 402؛ ونوارة شرقي: الحياة الاجتماعية، ص 104.

هذه الكوارث الطبيعية والفوارق الاجتماعية أدت إلى ظهور طبقة جديدة في المجتمع الموحد وهي طبقة المتسولين الذين كانوا يجتمعون بكثرة في الجوامع، مما يجعل الكثير من المتصوفين في جمع هؤلاء في إحدى الجوامع وتقديم لهم القمح⁽³⁾.

إلى جانب الجوامع ارتاد المتسولون الطرقات والأسواق، ومما يؤكد ذلك ما جاء في ترجمة أبي عمران موسى ابن إسحاق موسى: " وما جاء قط مسكين وعنده ما يعطيه إلا أعطاه، فإن لم يجد شيئاً يعطيه قام معه إلى السوق يمشي على الناس ويسألهم له"⁽⁴⁾. وكشفت لنا كتب المناقب والتصوف أن رجال المتصوفين تعاطفوا كثيراً مع هذه الطبقة، حيث أن أحدهم جرد نفسه من الثياب فقدمها إلى أحد المتسولين⁽⁵⁾.

ومما يؤكد انتشار طبقة الفقيرة في المجتمع الموحد تلك الرسالة التي بعثها المنصور إلى إشبيلية عقب عيد الفطر سنة 580هـ/1184م، يطلب من العمال بتقديم مجموعته من زكاة الفطر إلى القاضي أبو المكارم من أجل توزيعها على الفقراء. كما نلمح من هذا النص جانب إنساني اجتماعي صدر من طرف المنصور، ألا وهو الاهتمام بالطبقة الفقيرة المنتشرة في المجتمع الموحد وفقاً لهم وتوسعا عليهم⁽⁶⁾.

قسم عبد المؤمن المجتمع إلى ثلاث طبقات وهذا ما دلتنا عليه الرسائل الموحدية منها الرسالة الموجهة إلى طلبة تلمسان، وهي: السابقون الأولون الذين بايعوا المهدي بن تومرت وساندوه وحاربوا معه، إضافة إلى الذين حضروا معه معركة البحيرة والطبقة الثانية الذين انضموا إلى

⁽³⁾ إبراهيم القادري: الإسلام السري في المغرب العربي، (القاهرة: سينا للنشر، ط1، 1995م)، ص 164 - 165.

⁽⁴⁾ أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبي، تحقيق: أحمد التوفيق، (الرباط: منشورات كلية الآداب، ط2، 1997م)، ص 298.

⁽⁵⁾ المصدر نفسه، ص 274؛ وإبراهيم القادري: المرجع السابق، ص 168.

⁽⁶⁾ مجموع رسائل موحدية، (لبي، ص 167؛ محمد زنبير: المغرب في العصر الوسيط، 247.

الموحدين مابين معركة البحيرة وفتح مدينة وهران، والطبقة الثالثة الذين خضعوا بعد الاستيلاء على وهران⁽¹⁾.

يمكن لمدينة واحدة أن تحتوي على سكان من طبقات مختلفة، فنجد مثلا في إحدى الرسائل الموجهة إلى الطلبة والخاصة والعامّة لمدينة سبتة، اختلاف عدد الطبقات من مدينة لأخرى، فالرسائل

الموجهة إلى مختلف الأقطار تبين لنا أن السكان طبقات في هذه الأقاليم " الطلبة والشيوخ والأعيان والخاصة والعامّة..."⁽²⁾.

الفرق بين فئتي العامّة والخاصة أن هذه الأخيرة صاحبة الامتياز في المجتمع باحتكارها أموالا كثيرة، أما العامّة فتتكون من صغار الزراع والعمال الزراعيين والتجار الصغار وأصحاب المهن والحرف والعمال الأجراء، وبعض الموظفين الصغار، وتتميز بمستوى معيشتها المنخفض⁽³⁾.

ومن جملة الطبقة العامّة الجنود الذين جاءوا إلى المدن المغربية لكسب معاشهم، وعامّة المزارعين الذين يشتغلون في مزارع الشرفاء وشيوخ الموحدين⁽⁴⁾، ومن لم يجد حرفة فإنه يتجه إلى الغصب واللصوصية⁽⁵⁾، إن التطورات التي حدثت في المدن أدت إلى ظهور طبقات اجتماعية عجزت عن كسب رزقها مما جعلها تحترف اللصوصية⁽⁶⁾.

3- العبيد:

عرفت المغرب خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي والثاني عشر الميلاديين

(1) مجموع رسائل موحدية، (ليفى)، ص51.

(2) المصدر نفسه، الرسائل 3، 14، 17، 21؛ ولخضر سيفر: التاريخ السياسي، ص338-339.

(3) يوسف عابد: الموحدون في بلاد المغرب، ص183.

(4) المرجع نفسه، ص184.

(5) رسائل موحدية- جديدة-، (العزاوي)، ص152.

(6) المصدر نفسه، ص153.

أعددا كبيرة من العبيد⁽¹⁾، وكان العبيد يجلب إلى بلاد المغرب بسبب الحروب⁽²⁾، خاصة وأن اسبانيا رفعت راية حركة الاسترداد وأهل المغرب حملوا لواء الجهاد⁽³⁾.

أطلقت عليهم عدة تسميات منها عبيد المخزن وعبيد الحرمة وقوقو وجناوة وسموا أيضا بالسودان في البداية؛ لأن أكثريتهم يجلبون من السودان وعمم الاسم فيما بعد على باقي العبيد⁽⁴⁾. والعبيد في الدولة الموحدية ملزم بالقوانين والتغييرات التي تحدثها الدولة الموحدية كباقي الطبقات الأخرى حيث جاء في إحدى الرسائل: "...ويلزم العامة... وأشمل في هذا الإلزام الرجال والنساء والأحرار والعبيد..."⁽⁵⁾.

وكان السودان يجلب من البلاد الغربية وزويلة عن طريق أودغشت، فهم أفضل العبيد خدمة لقوتهم وشدتهم وشجاعتهم وهذا ما جعل الموحدين يستقدمونه في الجيش الموحدى واستخدموا حتى كخدم داخل المنازل وفي الزراعة أيضا. ولم يقتصر عبيد الدولة الموحدية على السود فقط، فعند توسعات الدولة الموحدية كانوا كثيرا ما يجلبون الأسرى من المناطق التي يدخلونها عندما كانوا أحرارا وعند وقوعهم في الأسرى أصبحوا عبيدا، واستخدموا كحرس خاص في القصور وحراسة الخيول⁽⁶⁾.

قام المجتمع الموحدى على الطبقة من بدايته، فقد كانت القبائل الموحدية السلطة والسلطان، وغير الموحدين رعية لها، فابن تومرت اهتم بها كثيرا، وأكد عبد المؤمن هذا النظام عندما عين أولاده وأولاد هذه القبائل على الوظائف الكبرى وقصر التعليم على أولادهم، وسارت هذه الطبقة تشمل السادة عبد المؤمن وأشياخ الموحدين، وملكوا أموالا كثيرة التي استثمارها في التجارة⁽⁷⁾.

(1) يوسف عابد: الموحدون في بلاد المغرب، ص 179.

(2) رسائل موحدية - جديدة-، (الزاوي)، 1/ 114.

(3) يوسف عابد: المرجع السابق، ص 179.

(4) نوارة شرقي: الحياة الاجتماعية، ص 60-61.

(5) مجموع رسائل موحدية: (ليني)، ص 132.

(6) نوارة شرقي: المرجع السابق، ص 61-62.

(7) عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 171.

إن ما نستشفه من الرسائل الديوانية أن الدولة الموحدية أولت اهتماما كبيرا بطبقات المجتمع الموحد، من جانب نشر العقيدة الموحدية، حيث ألزمو العامة والعيبد والنساء والرجال، وكل من يجب عليه التكليف، وأمر طلبة الحضرة بتولي مهمة هذه الدعوة.

ب- محاربة الآفات الاجتماعية:

كانت عادة شرب الخمر منتشرة في المجتمع المغربي خلال القرن السادس الهجري الحادي عشر ميلادي، شمل حتى النساء وأصبحت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة صاحبة خمر وما خور⁽¹⁾.

عمل ابن تومرت على محاربة المنكرات منذ البداية وحارب الخمر واللهو والدفوف عندما دخل فاس قال لأتباعه: "أخرجوا واقطعوا مقارع من شجر التين الذي أسفل الوادي الذي لا ينتفع به، وأقبلوا في سرعة... حتى وصلنا زقاق بزفالة قال لنا تفرقوا في الحوانيت، وكانت الحوانيت مملوءة دفوفا ... ومزامير وعيدانا وروطا وأريبة وكيترات وجميع اللهو، فقال لنا المعصوم: "أكسروا ما وجدتم من اللهو"⁽²⁾.

فقد أفتى في وجوب إراقة كل المسكرات وكسر الأواني ومنع صنع المسكرات داخل المنازل⁽³⁾، كما بينت لنا الرسائل الموحدية أن سكان بلاد المغرب يتعاطون الخمر منها رسالة الفصول التي حررت في منتصف سنة (566هـ/1170م)، جاء فيها: "وأمر في النظر في الربوب وتمييزها والهجوم على بائعيها ومدمني شربها ومستعمليها؛ فيراق مسكرها، ويقطع منكرها"⁽⁴⁾.

من خلال الرسائل الموحدية نكتشف أن في عهد الدولة الموحدية انتشر انحلال الأخلاق والفساد في المجتمع حيث شاعت بين الناس الملاهي... والاجتماع على سير الجاهلية من الملاهي على فنونها وأنواعها وضروبها واختلاف آلتها، وما يتبعها من المناكر الناشئة عن أهل الجهالة

(1) يوسف عابد: الموحدون في بلاد المغرب، ص255.

(2) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 53.

(3) يوسف عابد: المرجع السابق، ص256-257.

(4) مجموع رسائل موحدية، (لبيفي)، الرسالة 23.

والأفعال المنافية للشريعة الصادرة بين أهل الزراعة والضلالة من الرجال المفسدين والغواة المضلين،
ومن النساء المفنات في طرق الغوايات...⁽⁵⁾.

وأمر الخليفة برسالة في الكشف عن هذه الظاهرة ومحاربتها وفق كتاب الله وسنة رسوله في
قوله: "فاكشفوا عن هذه الأصناف وأثروهم عن مكامنهم، ونقبوا عليهم في مظانهم فمن شهد
عليه منهم بشهادة صحيحة سالمة من الهوى والظنة باستصحاب حاله، وتماديه على الإحضار في
محل باطله ومحاله فيحكم كتاب الله جل اسمه وإتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم..."⁽¹⁾.

إن هذه الظاهرة سايرت الدولة الموحدة حتى في عهد الخلفاء الضعاف، فالمستنصر حاربها
في عهده في قوله: "وكان أهل الذعارة والفساد قد اجتمعت منهم جماعات فعانت أياما في هذه
الجهات، فأنفذ العبد جملة من الأجناد في طلبهم وخاطب أهل الجهات بالخروج من كل مكان
إليهم بالتعاون عليهم حتى فلاق الله مجموعهم وشتت شملهم..."⁽²⁾.

كما قام الخلفاء بمحاربة الخمر بواسطة أمناء والتميز بين الرب الحلال والرب الحرام
"...والله الله البحث على الخمر... فإنها مفتاح الشرور ورأس الكبائر... فخذوا في طلبها في
طلبها في المواطن المتهممة بشأنها واجتهدوا في إراققتها وكسر دنانها... ولا يكن منهم من يفرق بين
الحلال والحرام ويميز..."⁽³⁾.

وجاء في رسالة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن سنة 580هـ/1184م إلى طلبة اشبيلية:
"فإن الناس تجوزوا في أمر الرب... أغفلوا فيه الاجتهاد... وحاول اتخاذه وبيعه من لا يتوقف على
احترام... رأينا... أن قطعه بالكلية أخلق بالاحتياط لديهم وأحدر... ولا توجدوا أحد إلى بيعه
سيلا واشتدوا في ذلك اشتدادا... وأخلوا الحوانيت التي كان يباع فيها منه وأفقروها... والديار
المعروفة ببيعه أيضا لا تتركوها وأريقوا ما تلقون من مشتبهه وملتبسه، وعاقبوا من تجدونه عنده

⁽⁵⁾ المصدر نفسه، ص134.

⁽¹⁾ نفسه، ص134.

⁽²⁾ رسائل موحدة - جديدة-، (الجزوي)، 311/1.

⁽³⁾ المصدر نفسه، 67 / 1.

أشد عقوبة على دلسه... وحتى وجدتم عندهم رائحة منه كائنا من كان فأقيموا عليه ما رسمه
الشرع...⁽⁴⁾.

لم تكتف الدولة الموحدة بمحاربة الفساد الاجتماعي فحسب بل حاربت حتى الفساد
الإداري الذي يمس المجتمع مثل ما فعله حاملوا البريد " الرقاصين " وما ينجم عنهم من تسلط على
الناس من إزامهم في الزاد⁽⁵⁾.

بينت بعض الرسائل بأن الجرائم كانت منتشرة خاصة في الولايات البعيدة عن مركز
العاصمة لذا قام بعض الولاة بتنفيذ أحكام القتل والإعدام، هذا ما جعل الخلفاء يتدخلون ويمنعون
الولاة من تنفيذ هذه الأحكام قبل استشارتهم حيث جاء في الرسالة: " وينتسرون بالقتل بأعراض
الناس أقبح الانتشار يستحلون حرمت المسلمين من غير حلها...⁽¹⁾.

وجاء أيضا... "بألا يحكموا في الدماء حكما من تلقائهم، ولا يهرقوها بباد أو برأي من
آرائهم ولا يقدموا على سفكها بما يظهر إليهم ويتقرر فيما يرونه لديهم، إلا بعد أن ترفع إلينا
النازلة على وجهها، وتؤدي على كنهها، وتشرح حسب ما وقعت عليه وتنتهي بالتوثق والبيان
إلى ما انتهت إليه، وتفيد بالشهود العدول... وتكتب أقوال المظلومين وحججهم...⁽²⁾.

هناك بعض الرسائل تحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منها الرسالة التي بعثها
المستنصر سنة 617هـ/1220م إلى الأمة يحثهم فيها على: " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
تظهر من الأرجاس، وتتقى الحواضر والبوادي من الأدناس وتسلم القلوب والجوارح من
الوسواس الخناس...⁽³⁾، ووصاهم بالمحافظة على الصلاة خاصة في المساجد⁽⁴⁾، ومنها الرسالة التي

⁽⁴⁾ مجموع رسائل موحدة، (ليني)، ص167؛ ومغراوي محمد: خطة القضاء بالمغرب، ص102.

⁽⁵⁾ رسائل موحدة، 1/ الرسالة 6.

⁽¹⁾ المصدر نفسه، 1/ 63.

⁽²⁾ نفسه، 1/ 96.

⁽³⁾ نفسه، 1/ 348 - 349.

⁽⁴⁾ نفسه، 1/ 349.

بعثها الخليفة المأمون حول " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" والحث على الصلوات وإيتاء الزكاة وإيتاء الصدقات والنهي عن شرب الخمر والمسكرات⁽⁵⁾.

ونجد في بعض التقاديم ما لها علاقة بالسياسة الاقتصادية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"وعليه أن يأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... ولا يجعل في الحق سييلا على مظلوم لظالم"⁽⁶⁾ وإزالة المظالم ومحو الرسوم الجورية من الأسواق "ووكدنا عليه في الاجتهاد في رفع المحدثات، وطمس آثار المنكرات، ومحق الرسوم التي لا يبيحها الشرع من الأسواق والأبواب، وإزالة كل ما لا يجيزه محكم السنة والكتاب"⁽⁷⁾.

و"الكشف عن الذين يغرمون الناس ما ليس قبلهم، ويأكلون بالباطل"⁽¹⁾، كما طالبت الكشف عن القبائل التي سارت سير الجاهلية والتي انتشر في أوساطها القتل والفساد، وأن يجاربوا أهل النفاق والذين يقولون ما لا يفعلون، مع مقارعة الذين نودوا إلى الإصلاح ولم يستجيبوا، مع محاربة اللصوصية، وأمرت موظفيها بمحاربة هؤلاء الأصناف إن ثبتت عليهم الحجة " فإن تعينوا على التحقيق فليُمضَ عليهم حكم الله تعالى الذي أمر به فيهم... وفتح باب جهادهم ومحو آثارهم وجعله أهم وأولى من جهاد الكفرة الجسمين⁽²⁾.

انتهج المنصور سياسة الحصول على الأخبار المتعلقة بحياة الناس اليومية وما يعانونه، من ارتفاع في الأسعار أو من التعسف الذي يلحق بالعامّة سواء من طرف القضاة أو الحكام، فكان يجتمع بأمناء الأسواق وأشياخ الحضر مرة في الشهر، كما يحرص على تلقي أخبار الأقاليم باستفسار الوفود⁽³⁾. هذه السياسة تكشف لنا عن غطاء آخر منتشر في أوساط المجتمع ألا وهو التلصص والسرقة، إلى درجة أن الخليفة يتدخل بنفسه لمراقبة ما يجري في السوق من غش في السلعة غيرها.

⁽⁵⁾ نفسه، 1/ الرسالة 118؛ ومجموع رسائل موحدة، (لبيفي)، الرسائل 23، 28.

⁽⁶⁾ نفسه، 402/1.

⁽⁷⁾ نفسه، 1/ 431؛ ونفسه، 1/ التقاديم 08، 09، 11، 12، 16، 28، 46، 48، 71، 74، 76.

⁽¹⁾ مجموع رسائل موحدة، (لبيفي)، ص 134.

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص 133 - 134.

⁽³⁾ محمد زنبير: المغرب في العصر الوسيط، ص 247.

إلى جانب ذلك فإن يعقوب المنصور يهدف من سياسته هذه إلى إزالة الظلم من المجتمع، وتحقيق العدل، كما يهدف إلى الحصول على كل المعلومات المتعلقة بحياة الرعية، بتسخير كل الوسائل العمومية والخصوصية لهذه الغاية خاصة المعلومات التي تتعلق بمستوى المعيشة للرعية، ومحاولة التخفيف من ظاهرة الفقر⁽⁴⁾.

بالرغم أن المنصور قد حث سكان المغرب على ترك العادات السيئة والتي تحجبهم عن الحقيقة باستمرار⁽⁵⁾، إلا أنهم مارسوا عادات كثيرة؛ فالمرأة المغربية لم تكتف بتزين نفسها بالحناء فقط بل انتشرت في أوساطهن ظاهرة الوشم؛ حيث تقوم المرأة بغرز الإبر في البدن حتى يسيل الدم ثم يحشى بالكحل، وكذا النساء المغربيات يتعطرن بالعطور بأنواعها، وتستعمل أنواعا من الحلبي كالأقراط والخواتم والأساور والخلائل⁽¹⁾.

كما نهامهم عن الاختلاط في إحدى رسائله "فتعدى الناس ما حد لهم وتدرجوا إلى ما يختاره الله ويرتضيه، وارتكبوا من اللبس والشبهات في ظلم الاختلاط ودياجيه"⁽²⁾، إلا أنه أثناء الوفاة يختلط النساء بالرجال وتكشف النساء عن وجوههن ويسودوهن كما يسودن بعضا من أجسادهن، وينشرن شعورهن ويلبسن الأسود والأزرق ويقوم بعضهن بتلطix وجوههن بالسخام، ويهلن التراب على الرؤوس وتلطخ البيوت بالسواد، وتصحن بأهازيج خاصة، ويقوم الرجال بالتهليل والصلاة، وكان أكثر الناس عند إخراج الميت يصيحون صيحة عظيمة ويسمون ذلك وداعا للميت وقياما بحقه⁽³⁾.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 259.

⁽⁵⁾ مجموع رسائل موحدة، الرسالة 28.

⁽¹⁾ يوسف عابد: الموحدون في بلاد المغرب، ص 290، 294.

⁽²⁾ مجموع رسائل موحدة، (ليني)، ص 166.

⁽³⁾ جمال طه: الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى - العصر المرابطي والموحدي، (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط 1، 2004م)، ص 392.

وقد أشارت بعض الرسائل الموحدية إلى أن النساء المغربيات "يخضبن بالحناء بطون الأكف وظهور السواعد"⁽⁴⁾، وأثبتت المصادر أن هذه العادة يستعملنها قبل الزفاف إلى أزواجهن حيث يخضبن بالحناء وجوههن وأذرعهن وأيديهن إلى رؤوس الأصابع⁽⁵⁾. كما انتشرت عادة التفاؤل والتشاؤم في أوساط سكان بلاد المغرب "وتشاءموا يسرى الصباح، ولولا ضلالهم لحمدوا سرى ذلك الصباح..."⁽⁶⁾. يرى البعض أن هذه الاعتقادات جاءت نتيجة عجز الناس عن تجاوز مشاكلهم، وذلك محاولة لتخطي مشاكلهم، وبسبب ضعف الوعي.

ساد في أوساط الناس ممارسات مخالفة للشرع كالسحر والشعوذة والاعتقاد بالجن والتبرك بالصلحاء، وانتشرت بينهم ظاهرة التنبؤ بالغيب⁽⁷⁾. ولعل من بين المعتقدات الذهنية التي انتشرت بين أوساط العامة ظاهرة التبرك والتمسح بركات الأولياء الصالحين، وظل قبر المهدي بن تومرت مزارا من طرف سكان المغرب وخاصة العامة⁽¹⁾.

جرت عادة الموحدية قتل الأسرى من الرجال واسترقاق النساء والأطفال، فقد انتهى البيع في دكالة لما أنهى عبد المؤمن ثورتها سنة 543/1148م إلى أن بيعت المرأة بدرهم والغلام بنصف درهم وأصبحت تجارة النساء في بداية الدولة الموحدية مشكلة بسبب عدم الدقة في تحديد الحرة من غيرها وهذا ما صورته لنا الرسائل الرسمية⁽²⁾.

ثانيا- السياسة الاقتصادية للدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية:

⁽⁴⁾ رسائل موحدية، 1/ الرسالة 11.

⁽⁵⁾ الوزان: وصف إفريقيا، 1/ 64-65؛ ويوسف عابد: المرجع السابق، ص 291.

⁽⁶⁾ رسائل موحدية- جديدة-، (الغزاوي)، 1/ الرسالة 55.

⁽⁷⁾ نوارة شرقي: الحياة الاجتماعية، ص 105.

⁽¹⁾ مجموع رسائل موحدية، (ليفي)، الرسائل 16، 17.

⁽²⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزاوي)، 1/ الرسالة 06.

اعتمدت الدولة الموحدية سياسة اقتصادية مكنتها من تحقيق اكتفائها الغذائي بإنتاجها لمختلف المنتجات الفلاحية، مما جعلها ذات بنية اقتصادية قوية رغم ما شهدته من أزمات طبيعية وسياسية.

أ- سياسة الدولة الفلاحية:

1- الملكيات:

اعتبر الموحدون الأراضي التي استولوا عليها من المرابطين وحلفائهم أرضاً خراجية عنوية، أو ملكاً للدولة وزادت ملكية الدولة الموحدية على ما كانت عليه في أيام المرابطين بمصادرة أملاك الثائرين عليهم تأديباً⁽³⁾.

كانت الدولة الموحدية تقطع قبائلهم وقواد جندهم الاقطاعات الزراعية كرواتب لهم، إضافة إلى الإقطاع الثاني الذي هو إقطاع منفعة فهو أن للمقطع حق الانتفاع بالأرض وغلتها دون تملكها⁽⁴⁾، كما أقطع عبد المؤمن لأخوي المهدي عيسى وعبد العزيز وأشياعهما من قبيلة هرغة الذين ثاروا عليه عام 548هـ/1153م إقطاعاً يسمى إقطاع التأليف، فنقلهم من مراكش إلى فاس⁽⁵⁾.

أما الملكيات الخاصة تنقسم إلى ملكيات كبيرة كانت في أيدي أبناء البيت الموحد وكبار رجال الدولة وقادة الجيش، قال المراكشي: "والموحدون لهم الأقطاع والأموال المتأصلة. هذا مع أنه أقطع أعيانهم أقطاعاً كإقطاع الموحدين أو أوسع..."⁽¹⁾، بالإضافة إلى الملكيات الصغيرة التي يملكها جميع الفلاحين.

⁽³⁾ عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 157 - 158.

⁽⁴⁾ كمال أبو مصطفى: جوانب من حضارة المغرب الإسلامي - من خلال نوازل الونشريسي - ، (الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1997م)، ص 63.

⁽⁵⁾ حسين سيد عبد الله مراد: "فلاحو فاس في عصر الموحدين 540هـ - 646م/1146-1248م"، وقائع تاريخية دورية علمية محكمة (القاهرة)، ع3/ يوليو 2005م، ص 69.

⁽¹⁾ المعجب، ص 366.

هناك تسميات مختلفة لهذا النوع من الأراضي فالملكيات الكبيرة تسمى "بحيرة"، أو مجشرا مختصا بزراعة أصناف من الفواكه والخضر والبقول على أنواعها، أو تسمى روضا أو رياضاً، أما الملكيات الصغيرة تسمى "عرصة"، أو جنة أو جنان أو جنات⁽²⁾.

لما تم لعبد المؤمن إخضاع إفريقية في 1149م/544هـ أمر بتقسيم البلاد من برقة شرقاً إلى بلاد نول من السوس الأقصى غرباً بالفراسخ والأميال طولاً وعرضاً، أسقط من التقسيم الجبال والهضاب والسبخ وما بقي وضع عليه الخراج، وألزم كل قبيلة بربرية كانت أو عربية بقسطها من الزرع والماشية والأموال⁽³⁾ وطلب من جميع المزارعين الهاريين من أراضيهم الرجوع إليها للعمل فيها⁽⁴⁾.

يهدف عبد المؤمن من هذه السياسة بناء نظام اقتصادي يستند إليه في إقامة منشأته الحربية من بناء القلاع والحصون وتزويد الجيش بمختلف الأسلحة، وبناء الأساطيل، وتزويد المحاربين بالأقوات والنفقات⁽⁵⁾.

وكانت نظم الموحدية العسكرية منع الجند في السير في الأرض المزروعة وبدراء أهل الفساد عن الزرع مما جعل الرخاء يعم المغرب كله، إلا أن الزراعة تعرضت لأعمال التخريب من حين إلى آخر نتيجة الثورات منها ثورة ابن الرند في قفصة وثورة الأغزاز والعرب الماللية أيام يوسف بن عبد المؤمن وتحالف الأغزاز والعرب الماللية مع بني غانية في خلافة المنصور والناصر وما فعله المنصور في التخريب عقاباً لهم حيث قام بنسف الزرع - زرع قفصة⁽¹⁾.

(2) حسين سيد عبد الله مراد: "فلاحو فاس..."، ص 70-71.

(3) أبو عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيبي القيرواني المعروف بابن أبي دينار: كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية: ط 1، 1286م، ص 112؛ والجيلالي: تاريخ الجزائر، 62/2؛ وأبو ضيف: القبائل العربية، ص 73-74.

(4) إبراهيم القادري بوتشيش: "تطور الفلاحة في مكناس من عصر المرابطين إلى أواخر العصر المريني"، مجلة المناهل (الرباط)، ع 1989/38م، ص 219.

(5) عبد الله علي علام: الدولة الموحدية، ص 253.

(1) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، (بيروت: دار الشروق، ط 1، 1983م)، ص 161 - 162.

ولم يختلف وضع البلاد الأندلسية عن شرق البلاد، حيث شهدت تخريب زروعها خاصة حول قرطبة وغرناطة نتيجة هجمات إسبانيا وحلفائهم بني مردنيش وابن همشك في خلافة عبد المؤمن وبداية عهد يوسف وما خربه الموحدون أيضا في شرق الأندلس حتى عادت خرابا، ومع ضم بلاد بني مردنيش حاول الموحدون نقل الصراع إلى مناطق نصارى إسبانيا وتخريب زروعهم وبنوا الحصون لحماية لأراضيهم وتحديد مدن.

ومما يدل على عدم استقرار الزراعة في بلاد المغرب تلك الرسائل التي تبعت إلى الخليفة خاصة بعد فترة الجفاف والحرب ما جاء في الرسالة: "... يموت طاغية الكفار المعجل بروحه إلى النار، صاحب قشتالة... والناس بما جاء الأرض من الحيا أيضا في استبشار..."(2).

وفي رسالة أخرى: "وتساوى الأمانة والدعة ليلها ونهارها وغدوها ورواحها والبلاد والحمد لله ممهدة ساكنة والرعية هادئة... تثمر في البلاد من ثمرات الخيرات والبركات ... وأما الزرع فقد بسط

الله الآمال بكثرتة وصلاحه في هذا العام بسطا، وأعطى هذه الجهات منه حظا وافرا وقسطا، فأن الناس كانوا قد استكثروا منه في كل مكان... واعتنى أهل الثغور أيضا بالازدراع اعتناء الغير وتنافسوا في الإكثار منه تنافس الوثائق... فبدت الأرض منه في ملاءة حسن يسر..."(3).

أصاب الجفاف حتى الجهات الشرقية من البلاد كما هو الحال في قفصة وإفريقية في سنوات 1167/563م و1168/564م و1190/576م... على ما كان بإفريقية في هذا العام من قلة إصابتها وخلو مخازنها..."(4).

أثناء فترة الجفاف يصعب على الجيوش التحرك خاصة في المنطقة ما بين القيروان وقفصة

وعند تحرك الخليفة يوسف بجيش لفتح قفصة سنة 1190/576م(1).

(2) رسائل موحدية: - جديدة-، (الغزوي)، ص 279.

(3) المصدر نفسه، 280/1؛ والرسائل 73، 74، 75، 78، 103، 104.

(4) نفسه، 159/1.

(1) نفسه، 1/الرسالتان 30، 31.

2- الإنتاج الفلاحي:

نتيجة للسياسة الموحدة القائمة على تقسيم الأراضي إلى ملكيات وتوزيعها، ساعدت على ازدهار الإنتاج الفلاحي، كما شجعت النظم العسكرية المتبعة، وكذا الاستبشار بتزول الأمطار الفلاحين الاهتمام بالزراعة وبتربية الحيوانات.

2-1- تربية الماشية:

إن تربية الحيوانات عمل قائم بذاته ولكن كثيرا ما يكون متصل بالزراعة سواء من حيث المناطق أو الأشخاص الذين يقومون بها، ولا تقتصر تربية الحيوانات على نوع واحد من الحيوانات وكثيرا ما تربي الأغنام والخيول والبغال والجمال في منطقة واحدة⁽²⁾، وقد تفيدنا إحدى الرسائل الموحدة في أهمية غنائم الجيش الموحد في جبل الكواكب بعد القضاء على ثورة غمارة بزعامة سبع بن منخفاذ ومن هذه الغنائم البقر والغنم⁽³⁾. ويتضح من إحدى الرسائل اهتمام قبائل العرب الرحل بتامسنا وتادلا بتربية الماشية غنما وإبلا وخيلا (الثاغية والراغية والصاهل والشاء)⁽⁴⁾.

إن تربية الماشية تعتمد على اختلاف البيئة الجغرافية، وبما أن بيئات المغرب تختلف جغرافيا فقد ظهر اختلاف توزيع ثرواته الحيوانية في بيئات مختلفة؛ اختصت المنطقة الشرقية (جبل زغوان وبونة وشرشال والجزائر وجيجل وقسنطينة) بتربية الأغنام والأبقار في البلاد الغربية (تلمسان وجبال غمارة وفاس وتادلا والسوس وسجلماسة ودرعة)، وفي الأندلس (قرطبة، جيان اشبيلية وشلب)⁽⁵⁾.

وكانت منطقة الخيول في البلاد الشرقية جبل زغوان والمسيلة والزاب) إلى منطقتي تلمسان وسجلماسة وفي الغرب كانت تربية الخيول في تلمسان جبال فازاز، وتربي الإبل في صحراء زناتة شرقا وفي الغرب درعة وسجلماسة وصحراء صنهاجة⁽⁶⁾.

⁽²⁾ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص198.

⁽³⁾ رسائل موحدة- جديدة-، (الغراوي)، 1/ الرسالة 14.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه، 1/الرسالة 55.

⁽⁵⁾ عز الدين موسى: المرجع السابق، ص198.

⁽⁶⁾ نفسه، ص198، 201.

2-2 - الإنتاج الزراعي:

إن السياسة الزراعية التي اتبعها الموحدون خاصة عبد المؤمن حين قسم الأراضي إلى فراسخ وأميال وألزم أهل الأراضي خدمة الأرض، وكذا الاعتماد على طرق عدة للري، جعل الإنتاج الزراعي الموحد يتنوع.

تصنف بعض الرسائل الموحدية أهم المنتوجات الزراعية التي ينتجها بلاد المغرب، كما جاء في إحدى الرسائل الموحدية التي تبين أنواع منتجات قفصة (النخيل والأعناب والزيتون والرمان وفواكه ذات ألوان)⁽¹⁾، كما كشفت لنا رسائل التشكي من عيث العناصر العسكرية بالأندلس وأتلفت زراعة الحبوب "الزرع" والعنب "العصير"، أما الفاكهة فتأتي باسم "الثمرات" دون تمييز⁽²⁾. كانت البلاد الشرقية كلها مناطق زراعية مزدهرة؛ فغابة قفصة تحوي الكثير من أشجار الفواكه فكان فيها التفاح والرمان والبرتقال والموز والفسق ونجد أزهار الياسمين والفاردين والنرجس والكرمة، وكانت بلاد الزاب تزهو أيضا بفواكهها وخاصة الجوز (المسيلة، نقاوس) إلى جانب إنتاج قابس للتوت ودودة الحرير والموز... وأن النخيل في بلادهم لا يثمر إلا به، ومن رسالة لأبي مطرف بن عميرة في وصف قابس، وكان قد ولي قضاءها في مدة الخليفة المستنصر رحمه الله: "بلد غوطي البساتين طورى الزيتون والتين، فأما النخل فجمع عظيم وطلع هضيم، وسكك مأبورة، ونواعم في الخدور مقصورة وأن بقعته لوارقة الظل..."⁽³⁾. ونجد قصب السكر في القيروان وقابس وفي واحات الجريد والقطن في المسيلة وطبنة ومستغانم⁽⁴⁾.

ظلت منطقة باجة تتميز عن كل المدن بالقمح، حيث كانت تطعم سكان البلاد جميعا من عرب وبربر، وكانت المحاصيل الزراعية بما رخيصة الثمن، وبقرب باجة كانت منطقة القل ذات الأرض السوداء الصالحة لزراعة جميع محاصيل الحبوب وكذلك البقول والبقول، أما بجاية وجزائر

(1) رسائل موحدية - جديدة -، (الغراوي)، 1/ الرسالة 30.

(2) المصدر نفسه، 1/ الرسائل من 90 إلى 96.

(3) التجاني: رحلة التجاني، ص 90.

(4) سعد زغلول: تاريخ المغرب، 167/7.

بني مزغنة فكانت هي الأخرى مناطق للقمح والشعير، وبعد القمح يأتي الزيتون، وكانت النخلة أساس بلاد الجريد، إلى جانب ذلك نجد أشجار الفاكهة والكرم والتوت ونباتات استوائية مثل الموز وقصب السكر والقطن وفي جيجل توجد الأعناب والتفاح⁽¹⁾.

ومنطقة تازا كانت غنية بأشجار الفاكهة من التين والكرم واللوز والأرز في الجبال ووجدت فيها أنواع من النباتات الطبيعية، واشتهرت بلاد غمارة بفلاحة أرضها من القمح والشعير والحبوب والفواكه والعسل وغيرها، وفي جنوب وادي تنسيفت نهر مراکش كانت جبال درن من أحسن البلاد سقاية وأكثرها شجرا وكرما، ومنطقة وادي سوس عرفت بغناها في قصب السكر وفي ايجلي كانت التمور وفيرة⁽²⁾.

أما سجلماسة فكانت مشهورة بزراعة القطن، وفي درعة نجد الزيت، النيلة والكروية والكمون، الحناء. وإقليم الساحل بالمغرب الأوسط هو الآخر خصيبا، فكان ينتج الحبوب الكثيرة⁽³⁾.

إن الإنتاج الزراعي الموحدية يتأرجح بين القحط والازدهار خاصة في الثغور، يتوقف ذلك على نزول الأمطار، هذا ما توضحه بعض الرسائل الموحدية " وكان للمطر إغباب تهادى أياما ثم أنزل الله الغيث الآن في هذه الجهات فجاد الأرض وبسط النفوس، وكان للثغور الجوفية منه الحظ⁽⁴⁾،

"فالناس ينتشرون في الأرض لزراعتهم⁽⁵⁾ ومستبشرون بالرخاء ومستكثرون منها جهد استطاعتهم"⁽⁶⁾. بعد أن غلا السعر وكثر التشكي من عدم الإنصاف وقلة الطعام⁽⁷⁾.

(1) المرجع نفسه، 164/7 - 165 - 166.

(2) نفسه، 161/7 - 162.

(3) نفسه، 163 / 7.

(4) رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 292/1،

(5) المصدر نفسه، 301/1.

(6) نفسه، 299/1.

(7) نفسه، 302/1.

كما أن لمكناسة أهمية كبيرة في الزراعة الشجرية، خاصة أشجار التفاح والإحاص
والسفرجل والجوز والتين بكل أنواعه والزيتون والرمان، تميزت الزراعة بالمغرب ببدايتها إذ تعتمد
على الدورة الثلاثية وعلى التزييل وقلب الأرض، بينما ظلت وسائل الإنتاج بدائية إذ تعتمد على
الحرث بالثور والزوجة والمحراث⁽¹⁾.

3- نظام الري:

للحصول على إنتاج زراعي وفير ونتيجة لتذبذب الأمطار، وانعدامها في بعض الأحيان كما
أشارت إلى ذلك الرسائل الموحدة، اعتمد في بلاد المغرب على نظام محكم للري، كانت نتائجه
وفرة الإنتاج.

جرى العرف في بلاد المغرب على أن سكان المغرب كانوا يسقون أرضهم باستعمال بعض
الوسائل كالسانية⁽²⁾، وقد أمدتنا بعض النوازل بمعلومات قيمة عن نظام الري في بلاد المغرب
حيث يقوم الأهالي بالتعاون فيما بينهم لخدمة الساقية (جدول النهر أو القناة)، ويتعاونون فيما
بينهم على تحمل نفقات خدمة الساقية وتطهير مجراها عند الحاجة إليها في الري، فالنفقات كانت
تقتصر على أصحاب المزارع الذين يتفنون بها في تلك السنة دون غيرهم ممن ليس لهم زراعة في
هذا الوقت.

ويذكر الونشريسي أن العادة جرت في المغرب على أن الماء أي العين أو الساقية الذي
يسقى به القوم أرضهم إذ كان ممتلكا لهم فهو بينهم على الحظوظ التي يمتلكونها لأن من تملك
حظا من ماء فهو مال من أمواله، وإن كان الماء المذكور غير ممتلك وإنما هو من ماء الأودية التي
لا ملك لأحد عليها فحكمه أن يسقى به الأعلى فالأعلى، لا حق فيه للأسفل حتى يسقى
الأعلى⁽³⁾.

(1) بوتشيش: "تطور الفلاحة في مكناس..."، ص 209-210.

(2) رسائل موحدة: - جديدة-، (الغزوي)، 1/الرسالة 90.

(3) كمال أبو مصطفى: جوانب حضارية من نوازل الونشريسي، ص 59.

تفيدنا إحدى النوازل أن نظام الري في تلمسان كان منظماً تنظيمياً دقيقاً للغاية، بحيث كان المزارعون يتعاونون فيما بينهم على سقاية الأرض، فقد كان بتلمسان عين مشتركة بين أهلها يسقون منها بساتينهم ومزارعهم فمنهم من كان يروي أرضه نهاراً ومنهم من يرويها ليلاً وفتة ثالثة كانت تروى من الغداة إلى الزوال، وجماعة أخرى تروى من الزوال إلى العصر⁽⁴⁾.

أشارت إحدى الرسائل إلى نوعين من أشكال السقي بقفصة: نوع بواسطة مياه العيون النابعة من داخل المدينة وخارجها فتسقي كل ما هو في مستو مجاريها بينما يسقى المرتفع عن المجاري بواسطة المياه المستخرجة من الآبار: "تتفجر عيون مستبحرة تخرج من داخل البلدة فتسقي كل حنة بقسط مقسوم وشرب معلوم، وأنبط خلال سوادها مياه تسقي ما ارتفع عن مجاري العيون، وتعم بالري ما ارتفع من الظهور على البطون"⁽¹⁾.

أما في الأندلس كان نظام الري في السهول الساحلية يعتمد على السقي من الوديان، حيث يوزعون الماء بواسطة الأسداد والقنوات والساقيات والناعورات⁽²⁾ كما استغلت الجماعات القروية على باستغلال الفلج مهما كانت صغيرة وريه بتحويل مجاري المياه التي كانت في الغالب صغيرة، حيث يقوم الفلاح بخزن المياه في الخزانات ويسقي بها المدرجات أو جر إليها المياه الجوفية⁽³⁾.

ب- تنظيم التجارة الداخلية:

ازدهرت التجارة الداخلية في الدولة الموحدة بفعل عدة عوامل منها إشاعة الأمن واهتمام الخلفاء بتأمين الطرق التجارية⁽⁴⁾ وحماية التجار⁽⁵⁾، وتوعد المهدي بقتل كل من خالف هذا الأمر

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 58.

⁽¹⁾ رسائل موحدة - جديدة -، (الغزاوي)، 148/1؛ مؤلف مجهول: الاستبصار، 153.

⁽²⁾ إكسبيراثيون غارثيا سانثيز: الزراعة في إسبانيا المسلمة - ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس - ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998م)، ص 1379.

⁽³⁾ بيبير غيشار: التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة، ص 988.

⁽⁴⁾ امتدت الطرق التجارية من الشمال حيث المدن الساحلية سبتة وطنجة وتتصل بالمدن الداخلية، كما أنه كانت طرق متوازية تمتد من الشرق إلى الغرب، وقد أعطانا الإدريسي وصفاً لإحدى الطرق التي كانت تقطعها القوافل من شرق البلاد حتى جنوبها

وأُنزل العقوبات بالذين يتسببون الاعتداء على التجارة أو قطع الطرق التي لهم، وسار خلفاؤه على نهجه⁽⁶⁾، حيث قطع عبد المؤمن المغارم والمكوس والقبالات التي وجدوها⁽⁷⁾، مما ينشط حركة البيع والشراء بالبلاد، كما أن ولاية الأمر وفروا سبيل الإقامة للتجار بإنشائهم عدة فنادق لإيواء التجار وخزن السلع لتوزيعها بعد ذلك بالجملة⁽¹⁾.

ومما ساعد على ازدهار الحركة التجارية في المغرب تلك الطرق التي كانت تربط معظم المدن المغربية ببعضها البعض⁽²⁾، لذلك ظهرت في بلاد المغرب عدة مراكز تجارية منها العاصمة مراكش التي كانت مركز للتجارة الداخلية بين مدن الشمال ومدن الجنوب، وفاس التي كانت قطبا تجاريا هاما⁽³⁾.

كانت الأسواق منتظمة في المدن المغربية حيث انفردت كل صناعة بناحية معينة من السوق كسوق النحاسين وسوق الفاكهة وسوق الزيوتين...، وكانت لهذه الأسواق أيام معلومة لكي يتجه إليها السكان بسلعهم وشراء ما يلزمهم من الحاجيات⁽⁴⁾.

شهد العصر الموحدى ظاهرة خطف النساء والأطفال التي وجد فيها بعض أشياخ الموحدين وطلبتهم تجارة رابحة، فباعوا النساء دون استبراء، فلما علم الخليفة عبد المؤمن بذلك أمر بعدم بيع

يقول: "وأما من أراد الطريق من تلمسان إلى مدينة سجلماسة بالقوافل تسير من تلمسان إلى فاس إلى صفروي إلى تادلة إلى أغمات إلى بني درعة إلى سجلماسة". أنظر الشريف الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (مطبع بريل، 1863م)، ص 81.

⁽⁵⁾ رسائل موحدية، 65/1.

⁽⁶⁾ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص 271.

⁽⁷⁾ رسائل موحدية، ص 64.

⁽¹⁾ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص 267.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 268-269.

⁽³⁾ نفسه، ص 270-271.

⁽⁴⁾ نفسه، ص 273-274.

الإيماء دون استبراء ولا يتولى بيعهن إلا من اتصف بالدين والأمانة، وأمر بالتوقف عن بيعهن في جميع ما يغنمن منهن حتى يخاطب بأصل أمرهن وكيفيته⁽⁵⁾.

1 - الحسبة:

كانت إدارة الأسواق في بعض الأحيان تعرف بالحسبة ويسمى المشرف عليها بالمحتسب أو صاحب السوق الذي يشرف على الأسواق وسلامة السلع وتفقد المكايل والموازن. تطلق الحسبة بمعنى الاسم: والمقصود بها العد وترد حسن التدبير ومن ذلك فلان حسن الحسبة، كما تطلق الحسبة بمعنى المصدر: كالاتساب وتنصرف إما إلى طلب الثواب الأحمري أو إلى إنكار القبيح من الأفعال. والحسبة في عرف الشرع من الخطط الدينية والكلمات الجامعة للأمر بالمعروف إذا أهمله الناس وللنهي عن المنكر إذا انتشر بينهم. فالحسبة إداريا كانت تطلق على حسابات الدولة وعلى دار المحاسبة والمواريث وعلى ديوان مراقبة الموازين والمكايل ثم خصصت لمعنى الشرطة وبنوع أحص لشرطة الأسواق والآداب⁽¹⁾.

والحسبة وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين⁽²⁾، والمعروف هو قول أو قصد حسنة التاريخ وأمر به، والمنكر هو قول أو فعل أو قصد قبحه الشارع ونهى عنه⁽³⁾. تحقيقا لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽⁴⁾.

والحسبة نظام من النظم الإدارية الإسلامية، يطلق بالمعنى الواسع على وظيفة المحافظة على النظام العام، والمراقبة، لما يجري بين الناس من المعاملات⁽⁵⁾. لم تقتصر وظيفة الحسبة على المشرق

⁽⁵⁾ رسائل موحدة - جديدة-، (الزاوي)، 66/1 - 67.

⁽¹⁾ موسى لقبال: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي - نشأتها وتطورها- (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، 1971م)، ص 20-21.

⁽²⁾ ابن خلدون: المقدمة، 379/1.

⁽³⁾ عمر الشريف: نظم الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية - دراسة مقارنة-، (مكتبة الإسكندرية، 1991م)، ص 285؛
وأحمد عبد الرازق: الحضارة الإسلامية، ص 113.

⁽⁴⁾ سورة آل عمران، الآية: 104.

الإسلامي بل عرفت أيضا ضمن النظم القضائية في المغرب الإسلامي، فقد وجدت في بلاد الأندلس حيث كانت تعرف في بادئ الأمر بولاية السوق وكان متوليها يعرف بصاحب السوق، أما لفظ المحتسب فلم يعرف في الأندلس إلا في فترة متأخرة يمكن تقديرها بأواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وكانت أكثر تحديدا وأهمية منها في المشرق الإسلامي⁽⁶⁾.

فللحسبة صلة وثيقة بالشرطة حيث يعد المحتسب الشرطي المسؤول عن الأسواق والآداب العامة، وقد حددت شروط يجب أن تتوفر فيمن يقوم بوظيفة الحسبة "يجب أن يكون المحتسب رجلا عفيفا، خيرا ورعا عالما، غنيا نبیلا، عارفا بالأمر، محنكا فطنا، لا يميل ولا يرتشي، فتسقط هيئته ويستخف به ولا يعبأ به ويتوبخ معه المقدم له ولا يستعمل في ذلك حساس الناس ولا من يريد أن يأكل أموال الناس بالباطل والمهونة، لأنه لا يهاب من كان له مال وحسب...."⁽¹⁾.

ويجب على المحتسب أن يكون من: "قوام المعاش والمرافق، وأن لا يتولاها في موضع من المواضع إلا الشهير له بتراهة التناولات وسداد الطرائق، وإجراء للأحكام الشرعية على القوانين المرتضاة، واقتفاء في إقامة الحق وإشاعة العدل لسبل العدول من القضاة، وعملا توفية المذاهب المشكورة بالسير الملتزمة منه المقتضاة"⁽²⁾. ويجب على المحتسب أن يستعمل اللين من غير ضعف والشدّة من غير عنف⁽³⁾.

والحسبة مثل القضاء فالمحتسب لا يجب أن يكون من أمثال الناس وهو لسان القاضي وحاجبه ووزيره وخليفته وإن اعتذر القاضي فهو يحكم مكانه فيما يليق به وبخطته..."⁽⁴⁾. ولكن

⁽⁵⁾ شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية، - وموجز عن الحضارات السابقة-، (دمشق: دار الفكر، ط1، 1994م)، ص265.

⁽⁶⁾ أحمد عبد الرازق: المرجع السابق، ص 119.

⁽¹⁾ ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص20؛ وشوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية، ص272-273.

⁽²⁾ رسائل موحدة- جديدة-، (الغزاوي)، 1/488.

⁽³⁾ أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي: كتاب في آداب الحسبة، (د.ن، د.ت)، ص09.

⁽⁴⁾ ابن عبدون: المصدر السابق، ص20.

في بعض الأحيان يلتقي عمل القاضي بعمل المحتسب، كما جاء في التقديم الثامن والستين: "ومحق المنكرات التي يجب الزجر عنها والمنع وأن يطمس آثار ذلك كله في الأسواق وسواها..."⁽⁵⁾.

وللمحتسب أجرة تقدم له من بيت المال حيث جاء في رسالة صادرة عن والي اشبيلية إلى وزير المستنصر تقديم مرتب للمحاسب الذي يساعد الوالي "... مضمنا من التشريف والتزويه والالتفات الكريم النبيه... بمرتب للمحاسب الذي قدم هنا محبكم يستعين به... بإكمال مرتبه الشهري على ما كان عليه مرتب إخوانه الذين كانوا قبله، وليس ذلك بأول أياديه ونعمه بل هو المعروف المألوف من وجدوده وكرمه..."⁽⁶⁾. وذهب ابن عبدون أيضا أنه⁽⁷⁾: لا بد أن تضرب للمحتسب أجرة من بيت المال تقوم به.

ويجب على ولي الحسبة النظر في معاش المسلمين⁽¹⁾، ونظافة السلع وسلامتها وتسعيرها وتفقد المكاييل والموازين⁽²⁾ والنظر في شوارع المسلمين وأسواقهم من النجاسة، ومنع ظهور القمارين والخمارين والسكارى في الأسواق، والأمر بأداء الصلاة في مواقيتها، يحارب الاستغلال والغلو في رفع الأسعار وجني الأرباح غير المشروعة⁽³⁾.

أصبحت الحسبة في العهد الموحدى تحت إشراف الخلفاء حتى أن الخليفة أبا يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن علي كان قد أمر أن يدخل عليه أمناء الأسواق في كل شهر مرتين ويسألهم عن أسواقهم وأسعارهم، وكان المنصور الموحدى - قد أمر أن يدخل عليه أمناء الأسواق وأشياخ الحضر في كل شهر مرتين يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وأحكامهم⁽⁴⁾.

2- الضرائب:

⁽⁵⁾ رسائل موحدية: 506 / 1.

⁽⁶⁾ المصدر نفسه، 1/ الرسالة 102.

⁽⁷⁾ رسالة في الحسبة، ص 21.

⁽¹⁾ حسين الحاج حسن: النظم الإسلامية، ص 244.

⁽²⁾ النباهي: المرقبة، ص 5.

⁽³⁾ رسالة عمر بن عثمان الجرسيفي، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، دراسة وتحقيق: ليفي بروفنصال، (القاهرة: مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، 1955م)، ص 122؛ وحسن الحاج حسن: المرجع السابق، ص 244.

⁽⁴⁾ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص 178.

عندما قامت الدولة الموحدية حرص الخليفة عبد المؤمن على إلغاء الرسوم والضرائب التي تخالف الشرع، والتي فرضها المرابطون، وصدرت الرسائل الرسمية التي رفضت كل أنواع المكوس والقبالات التي كانت في عهد المرابطين والمخالفة للشرع منها الرسالة الصادرة من تينملل في السادس عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وهي موجهة إلى جميع الطلبة بالأندلس ومن صحبهم من المشيخة والأعيان والكافة جاء فيها: "ولقد ذكر لنا في أمر المغارم والمكوس والقبالات وتحجير المراسي وغيرها ما رأينا أنه أعظم الكبائر جرماً وإفكاً وأدناها إلى من تولاها دماراً وهلكاً... لقطع أسباب الظلم وعلقه وتمهيد سبل الحق وطرقه وإجراء العدل إلى غاية شأوه وطلقه..."⁽⁵⁾.

وسبب كتابة هذه الرسالة هو "...وكان مما تعين - وفقكم الله - على تنبيهكم وإذكاركم وإيقاظكم للنظر في تلك المصالح وإشعاركم ما ألفيناه بحضرة مراكش... من بعض تلك الأنواع مما أحدثه فيها بعض أهل الابتداع"، وطالب في ختام الرسالة الاستمسك بكتاب الله وسنة رسوله لإزالة كل هذه الضرائب "فانظروا هذا - وفقكم الله تعالى - نظر أولي الألباب ولتسعوا جهدكم في رفع ذلك...، ولتذهبوا إلى إظهار أمر الله سبحانه على موجب الكتاب..."⁽¹⁾.

وفي رسالة أخرى صدرت من طرف الخليفة عبد المؤمن في الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة 548/1153م موجهة إلى أهل قسنطينة جاء فيها "... وقد كان بهذه الأصقاع من آثار أهل الاختلاف والابتداع ما علمتموه من القبالات والمكوس والمغارم وسائر تلك الأنواع، وكان الأشقياء

من ولائها يرون إيجابها وإلزامها شرعاً يلتزمونه وواجباً يقدمونه ولا يلتفتون إلى ما أوجب الله من الزكوات والأعشار، بل كانوا يطرحون ذلك إطراح أمثالهم من الفجار..."⁽²⁾.

⁽⁵⁾ رسائل موحدية - جديدة -، (الغزاوي)، 54/1 - 55.

⁽¹⁾ المصدر نفسه، 70/1 - 71.

⁽²⁾ مجموع رسائل موحدية، (لبيفي)، ص 21 - 22.

أكد لهم الخليفة بأنه لن يأخذ منهم إلا ما قرره الشرع" وقد قطع الله بفضلهم أصولهم وفروعهم وأجرى الشرع بالإمام المهدي على بابه وأراح جميع أهل البلاد والمعمورة بالتوحيد من جميع ما كانوا

يكلفونه من المغارم فلا يطلبون إلا بما توجبه السنة وتطلبه ولا يلزمون ومعاذ الله مكسا ولا مغرما ولا قبالة ولا سيما مما تسميه الظلمة بأسمائها وتلقبه...⁽³⁾، وقد اتبع الخليفة يوسف بن عبد المؤمن حين قام بتخفيض الضرائب وإسقاطها كإلغاء القبالة على أحد الجسور باشبيلية سنة 567هـ/1171م⁽⁴⁾.

يرى البعض أن الضرائب غير الشرعية لم تسد في المرحلة الأولى من حكم الموحيدين، وهذا نتيجة كثرة الخراج الذي يستغنى به عن الضرائب الأخرى، ولا غرو فإن خراج إفريقية وحده كان في عهد أبي يوسف يعقوب المنصور يصل في كل سنة ما يبلغ حملة مائة وخمسين بغلا ومن مظاهر هذا التنظيم وانعكاساته بناء دار الإشراف بمكناسة، وهي دار كانت بمثابة مقر للمشرف على استخلاص الجبايات⁽⁵⁾.

ويتضح من الرسالة السادسة من المجموعة الجديدة أن الجباة يتعسفون في أخذ الجباية لذا فعبد المؤمن استنكر فيها استعمال السياط لجمع المال ويطلب من الولاة والعمال دون الوساطة، إضافة إلى الرسالة التي يشتكي فيها صاحبها من التصرف السيئ لأحد العمال حين استعمل السياط لجمع الجباية جاء فيها: "...يضرهم بالسياط إيقاعا..."⁽¹⁾.

لذا ير البعض أن الموحيدين فرضوا على المسافرين قبالات ومغارم كثيرة خاصة للذين يريدون الرجوع إلى أوطانهم، فيزعم القاضي أن للمخزن⁽²⁾ حقوق تمتد إلى جميع ما يحمله المسافر،

⁽³⁾ المصدر نفسه، ص 21-22.

⁽⁴⁾ حسن إبراهيم حسن: الحضارة الإسلامية، ص 203.

⁽⁵⁾ بوتشيش: "تطور الفلاحة..."، ص 215.

⁽¹⁾ رسائل موحدية - جديدة -، (الغزاوي)، 1/ 522.

⁽²⁾ هو مصطلح مغربي يقصد به بيت المال، ويذكر الونشريسي أن أراضي المخون كانت في بلدان المغرب، كما كانت له أملاك وعقارات متنوعة منها الدور والحوانيت والبساتين والحمامات. أنظر كمال أبو مصطفى: جوانب حضارية من نوازل الونشريسي، ص 86.

ويفرض عليه أن يقدم له جزء كبير من ماله ومتاعه، زادت شكايات الناس لكثرة القبالات في الأسواق والمغارم ومصادرة الأموال للمخالفين للدعوة الموحدية⁽³⁾.

نظم عبد المؤمن الضرائب بأسلوب حسن التنظيم فقد أعفى الثلث غير المنتج من المساحة من الجبال والغابات، والأنهار، والسيباخ، وفرضت ضريبة الأراضي على الباقي، فكان على كل قبيلة أن تدفع حصتها إما نقدا وإما عينا⁽⁴⁾. كانت الضرائب تفرض على الولايات وفقا لحالة السكان وخصوبة الأرض ونوع الإنتاج⁽⁵⁾.

يهدف عبد المؤمن من هذا التقسيم إلى تطبيق سياسة جبائية مكنت الدولة الموحدية من تكوين موارد مالية من أجل بناء منشآت عمرانية، وتوزيع الأموال على الخدم والقبائل والجنود⁽⁶⁾. ويتعسف بعض العمال في أخذ أموال الناس بالباطل، وضرهم بالسياط، ويفرض المكوس الكثيرة والمغارم على الطوائف المارة على البلاد للتجارة، وظهرت فئة من الناس لاستغلال الوضع وعملت كوسيط بين أشياخ وطلبة الموحدين لتسهيل العمليات التجارية المشبوهة خصوصا بيع النساء دون استبراء⁽⁷⁾.

اتبعت الدولة الموحدية سياسة مشددة مع عمال الجباية ومحاسبتهم، ولقد اهتم عبد المؤمن وخلفاؤه خلال القرن السادس/ الثاني عشر بمحاسبة عمال الجباية، فكانوا يسألون الرعية عنهم، ويستدعونهم لمراجعة أعمالهم، ويقومون بحملة عسكرية تتفقد سيرة العمال في أواسط الناس، فكثرت نكبة عمال الجباية لتقصير اكتشاف أو لتشكي الناس منهم⁽¹⁾.

⁽³⁾ رسائل موحدية، 527/1؛ وعصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص233.

⁽⁴⁾ سعد زغلول: تاريخ المغرب، 152/7؛ و

Pare. Carette: **Origine et migrations des principales tribus de l'Algérie**, Paris: Imprimerie impériale M DCCC LIII, P.406.

⁽⁵⁾ عصمت دندش: المرجع السابق، ص249.

⁽⁶⁾ محمد زنبير: المغرب في العصر الوسيط، 269.

⁽⁷⁾ رسائل موحدية، 6/1؛ والمصدر نفسه، ص234.

⁽¹⁾ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص177.

اتبع الموحدون سياسة جديدة في فرض الضرائب، حيث اجتهدوا وضبطوا طريقة الحصول على الجباية بمراقبة العمال وعدم إثقال كاهل الزراع، حرصين على تطبيق العدل؛ هذه السياسة كانت من أسباب تشجيع الناس على الزراعة⁽²⁾، وأخذت تنصح ولائها برفع المظالم على اختلافها وإزالة المحدثات وقطع المسكرات⁽³⁾.

تسلط الدولة عقوبة بمحتكري السلع، حيث تقوم بإخراج البضائع المحتكرة وبيعها بالثمن الذي اشتراها بما صاحبها، ويرى البعض أن الدولة تنتزع السلعة من المحتكر فتصدق بها تأديبا للمحتكر⁽⁴⁾. تفيدنا بعض التقاديم أن رسوم الأسواق تجددت فيما بعد حيث ورد في التقاديم أن من مهام العمال والولاية " محو الرسوم الجائرة " من الأسواق⁽⁵⁾، ويفهم من التقاديم أيضا أن مهام المقدمين جمع المحايي المخزنية، وشددت الدولة في قبض هذه الجبايات⁽⁶⁾، ولم تذكر التقاديم قيمة ونسبة هذه الجباية التي تؤخذ، وتشير أيضا إلى ضرورة الاعتماد على القوانين المعهودة ولكنها غير واضحة⁽⁷⁾.

يتبين من ذلك أن الخلفاء الأواخر خرجوا عن السياسة الضرائبية التي سار على سنتها الخلفاء الموحدون الأوائل، يقول ابن غازي: " وامت هذه البلاد وعمرت، ولم تزل في نمو وقوة حتى انتهت مجابيتها مائتين من الآلاف، ثم اختلت بجور العمال، وأخذت في النقص منذ سنة كائنة العقاب "⁽⁸⁾.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 177.

⁽³⁾ رسائل موحدية - جديدة -، (الغزوي)، 475/1.

⁽⁴⁾ الحسين بولقطيب: "مشاكل الأسواق ومعوقات العمل التجاري خلال عصر الموحدين"، مجلة المناهل (الرباط)، ع 16/2000م، ص 295.

⁽⁵⁾ الغزوي: رسائل موحدية، 2/ 241.

⁽⁶⁾ رسائل موحدية، 1/ التقاديم 9، 14، 43.

⁽⁷⁾ المصدر نفسه، 1/ التقاديم 25، 26.

⁽⁸⁾ الروض الهتون، ص 12.

وفي سنة 638هـ/1240م دخل محمد بن واندين وأخاه يوسف والقائد أبو ضربة النصراني في جيش الموحدين وعند وصولهم إلى مكناسة "أفئوها بالمغارم الثقيلة، وأفقرُوا أهلها"⁽¹⁾. كما توضح لنا بعض التقاديم أن هناك بعض القبائل أو جهات من بلاد المصامدة لم تدفع الجبايات ما دامت هي عصبية الدولة" وأن تعلموا أن تلکم المدينة (.....) يجب لها من الاعتناء، ومقدمة في تمشية مصالحها على سائر الأقطار والأرجاء، ذلكم لاشتمالها على الأحداث الطاهرة، وامتيازها من الاحتواء على مقار الهداية ... وله المزية التي تعرفونها في حزب التوحيد..."⁽²⁾.

بل إن الولاة يتمتعون بامتيازات خاصة⁽³⁾ إضافة إلى بعض القبائل العربية حيث تفيدنا بعض التقاديم أنها لا تقدم الجبايات⁽⁴⁾.

يبدو أن الحملات العسكرية مكلفة كثيرا، ففي حالة نقص الضرائب تسبب في الغلاء الشديد وفي انعدام الأوقات خاصة في أوساط الجيش، هذا ما حدث لحملة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن سنة 568هـ/1172م، أدى ذلك إلى انسحاب أبي يعقوب يوسف بالجيش والعودة إلى إشبيلية، كما ينتج عن نقص الضرائب نقص المداخيل وانعدام الأوقات لدى العامة⁽⁵⁾.

3- الجبايات: وهي أنواع:

- الزكاة:

احتلت الزكاة منزلة هامة في الدولة الموحدية، لذا اهتم الخلفاء الموحدون اهتماما كبيرا في فرضها وتطبيق أحكامها، ولقد أكد الخليفة عبد المؤمن في رسالته التي أرسلها إلى أهل بجاية في ربيع الثاني سنة 566هـ/1170م يقول فيها: "وخذوا إيتاء الزكاة، وبالكشف عن مانعها

⁽¹⁾ ابن أبي زرع: الذخيرة السننية، ص 60.

⁽²⁾ رسائل موحدية - جديدة -، (العزاوي)، 1/ 450.

⁽³⁾ المصدر نفسه، 1/ الرسائل 79، 88.

⁽⁴⁾ نفسه، 1/التقاديم 8، 38، 39، 40... .

⁽⁵⁾ إسماعيل سامعي: تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، (قسنطينة: منشورات مكتبة افرا، ط1، 2007م)، ص26.

وتشخيص ممسكيها أو التزر اليسير منها، فالزكاة حق المال، والجهد واجب على من منع منها
قدر العقل فمن

ثبت منعه للزكاة فهو لاحق بمن ثبت تركه للصلاة؛ فمن منع فريضة واحدة؛ كمن منع الفرائض
كلها

ومن منع عقالا فما فوقه كمن منع الشرع كله...⁽¹⁾. وأمر بالكشف عن هؤلاء فإن ثبت عليه
ذلك، وصاهم بتطبيق الشريعة عليهم⁽²⁾.

فالأموال التي تؤخذ منها تذكر منها: النقود من الذهب والفضة، والحلي المتخذ منها
للتجارة، وفي معناه البتر والأنعام وهي الغنم والبقر والإبل والحبوب وهو كل مقتاة من الحبوب
وفي معناها ماله زيت منها والثمار...، وهذه الأصناف لا بد أن يحول عليها الحول، حددت
مقادير الحلي والنقود والمعادن والذهب والفضة بعشرين دينارا ذهباً ومائتان درهم فضة خالصين
ونصاب الحبوب والثمار أن يرفع من كل نوع منها خمسة أوسق حاشى البر والشعير السلت فإنه
يجمع بعضه إلى بعض⁽³⁾.

تبين الرسائل الموحدة أن الخلفاء الموحدين اهتموا بجمع زكاة الفطر "أتأمرون العمال
هنالكم بدفع ما تحصل في هذا العام من زكاة الفطر للشيخ القاضي أبي المكارم-أكرمه الله بتقواه-
يوزعه على الضعفاء والمساكين رفقا بهم وتوسعا عليهم؛ فأعتهدوا على ذلك"⁽⁴⁾.

- جباية المرسى "ديوان البحر":

مهمته الاهتمام بأمور المرسى كما أسندت له أمانة السكة والموارث والزكاة، كما
يتصرف في أرزاق الجند وأعطياته: " (وما توخينا) إفراده من النظر في الأسطول وأشغال البحر
بالمهم الذي لا يعدله سواه، ومن أمانته الديوان والسكة والموارث والزكاة كماله... ويتعرف

⁽¹⁾ مجموع رسائل موحدة، (لبي)، ص133.

⁽²⁾ المصدر نفسه، الرسالة 23.

⁽³⁾ حسن إبراهيم حسن: الحضارة الإسلامية، ص199.

⁽⁴⁾ مجموع رسائل موحدة، ص167.

الراكب لسفينه اطراد الأمانة...، فكل ما يرتفع من مجي الديوان وما أضيف إليه يتصرف في
مصالح الأسطول وأرزاق غزاته...⁽⁵⁾.

- القبالات:

قد تستعمل القبالة في الضرائب على السلع، وترد أيضا بمعنى كراء الأرض؛ حيث يقوم
الملاك في الدولة المرابطية بكراء أراضيهم للمزارعين مما أضر بهم لذا فقد وصف المتقبلين بأنهم
"شر أهل الأرض"، لكن في عهد الدولة الموحدة هجم الموحدون القبالات⁽¹⁾ فأزالوها في بداية
عهدهم⁽²⁾، قال المراكشي: "...وكانت أكثر الصنع في مراكش متقبلة عليها مال لازم مثل سوق
الدخان والصابون... وكانت القبالة على كل شيء يباع... فلما ولى المصامدة، وصار الأمر إليهم
قطعوا القبالات بكل وجه وأراحوا منها واستحلوا قتل المتقبلين..."⁽³⁾.

قام عبد المؤمن بقطع جميع المغارم والقبالات والمكوس التي كانت في البلاد، وقام بتقسيم
أراضي المغرب لضمان خراج ثابت، وقام الخلفاء من بعده بنفس الشيء واستمر العمل بذلك إلى
عهد الناصر⁽⁴⁾.

- المكوس:

يستعمل في الضرائب على التجارة، إلا أن الدولة الموحدة حذفت رسوم الأسواق في بداية
الدولة⁽⁵⁾، وتفيدنا بعض التقاديم أن رسوم الأسواق تجددت فيما بعد، حيث ورد في التقاديم أن
من مهام العمال والولاة "محو الرسوم الجائرة" من الأسواق⁽⁶⁾.

أشارت بعض النوازل الفقهية إلى المكوس التي كانت تفرض على أهل المغرب فيذكر
الونشريسي أن هناك ضريبة تسمى مغرم السوق كانت تجبي من التجار والباعة والصناع لتحسين

⁽⁵⁾ رسائل موحدة - جديدة-، (الغراوي)، 1/التقديم 02.

⁽¹⁾ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص 167-168.

⁽²⁾ رسائل موحدة - جديدة-، (الغراوي)، 1/ الرسالة 6؛ ومحمد مغراوي: خطة القضاء بالمغرب، ص 104.

⁽³⁾ الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 70.

⁽⁴⁾ محمد مغراوي: المرجع السابق، ص 104.

⁽⁵⁾ رسائل موحدة، 1/ الرسالة 6.

⁽⁶⁾ المصدر نفسه، 1/ التقاديم 7، 8، 10...

الثغور المغربية، ومنها ضريبة تسمى مغرم الدور يتولى جبايتها عمال يترددون على الدور،
ويحصلونها من أصحاب العقارات السكنية، ومنها أيضا ما يسمى بضريبة العشر، ويتولى جبايتها
عامل الإعشار، وكان العشر يفرض عموما على المحاصيل والأراضي الزراعية⁽⁷⁾.

كما كانت المكوس تفرض على المراكب التجارية الوافدة، حيث كان عليها أن تقدم
الأوراق الضرورية، وهنا تعرف أن شهادة سنة 1186م التي أعطيت للبيزانين كان من خمس
نسخ أربع منها صادرة في الموائى الموحدة الأربعة التي يهملها الأمر والخامس كان يحفظ في ديوان
بيزا، وكان المسؤول

عن تقديم النسخ الأربعة إلى السلطات الموحدة التجار أنفسهم وهم يتولون بضائعهم أو وكلائهم
في تلك الموائى⁽¹⁾.

كانت ضريبة الديوان المأخوذة عن البضائع المباعة للمغاربة تعادل العشر من ثمن البيع، ومع
ذلك فقد كانت العمليات التي تتم بين أعضاء الجالية، وكذلك البضائع الواردة برسم إعادة
التصدير معفاة تماما من الضرائب، أما فيما يتعلق بالتصدير بشكل عام فقد كانت عملياته خاضعة
لضريبة 5 %، أما الإعفاء التام من الضرائب فكان يطبق على المعادن الثمينة والجواهر⁽²⁾.

يتضح مما سبق أن الدولة الموحدة بذلت جهودا كبيرة من أجل إقرار الأمن في البلاد، وقد
كانت صرامة الخلفاء الأوائل من العوامل التي ساعدت على استقرار البلاد واستتباب الأمن،
ولكن الضرائب والمكوس غير الشرعية عادت من جديد عند ضعف الدولة واحتلال أمرها.

4- خطة الإشراف على الضرائب⁽³⁾:

⁽⁷⁾ كمال أبو مصطفى: جوانب حضارية من نوازل الونشريسي، ص 83.

⁽¹⁾ سعد زغلول: تاريخ المغرب، 188/7.

⁽²⁾ المرجع نفسه، 188 /7.

⁽³⁾ تعرض الونشريسي من خلال النوازل والفتاوى الفقهية إلى بعض أرباب الخطط المالية والاقتصادية في المغرب الإسلامي،
حيث أشار إلى الموثقين الذين يخرجون في الجبايات المخزنية ويتولون كتابتها، كما كان يعهد إليهم بكتابة وثائق التجار والعقود
وما شابه إلى ذلك، وإلى فئة تسمى بالمخزنيين كانوا يأخذون أموال الناس بالباطل، كما توجد طائفة تعرف بأمناء الأسواق،
يتولون جباية الأسواق ويضبطون المخازن ويعهد إليهم بتوزيع الوظائف أي الضرائب على الناس. أنظر كمال أبو مصطفى:

جوانب حضارية من نوازل الونشريسي، ص 84.

المسؤول المالي الأعلى في الدولة الموحدة يسمى بصاحب الأشغال⁽⁴⁾، ولا بد أن يكون موحديا يقوم بالنظر في استخراج الأموال وجمعها وضبطها وتعقب نظر العمال والولاية فيها⁽⁵⁾، وعادة ما يسمى ولاية الجباية عمالا⁽⁶⁾ وقد يكون العامل هو نفسه مشرفا⁽⁷⁾.

فمرتبة العامل أعلى من مرتبة ناظر الجباية هذا ما نستشفه من بعض التقاديم التي تنص على الإشراف المباشر للعامل على ناظر الجباية⁽¹⁾، كما نجد مجاي المخزن⁽²⁾ ومجاي المختص⁽³⁾ أو المستخلص عند الموحدين هو المسؤول عن الأراضي الزراعية. والعقارات التي تخص بيت المال الأندلس أما في المغرب فيستعمل مال المخزن⁽⁴⁾، أما في المرسى فيكون المسؤول المالي هو ناظر الديوان⁽⁵⁾.

إن الملاحظ لخطة الإشراف على ضرائب القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي نجد استعمال ثلاث مصطلحات وهي صاحبة الأعمال والمشرف وصاحب الأشغال⁽⁶⁾، فالأعمال هو المصطلح الرسمي لديوان الجباية عند الموحدين، ويسمى أيضا صاحب الأعمال بالمشرف، والمشرف مصطلح أندلسي يطلق على من يقوم بكل الواجبات والحقوق اللازمة عن الإيراد والإصدار للسلع، ومسؤول الجباية يدعى بحافظ للأموال المتجمعة عنها الصارف لها في

⁽⁴⁾ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بالزرركشي: تاريخ الدولتين الموحدة والحفصية، تحقيق وتعليق: محمد ماضور، (تونس: المكتبة العتيقة، ط1، 1966م)، ص29.

⁽⁵⁾ العزاوي: رسائل موحدية، 243/2.

⁽⁶⁾ الزركشي: المصدر السابق، ص37.

⁽⁷⁾ العزاوي: المرجع السابق، 243/2.

⁽¹⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (العزاوي)، 1/ التقاديم، 17، 18، 19، 20.

⁽²⁾ هو اصطلاح مغربي يقصد به بيت المال. أنظر كمال أبو مصطفى: جوانب حضارية، ص86.

⁽³⁾ رسائل موحدية، 1/ التقديم، 42، 46.

⁽⁴⁾ إسماعيل سامعي: تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، ص21؛ وعز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص140.

⁽⁵⁾ رسائل موحدية، 1/ 46، 50؛ والتقديم 2.

⁽⁶⁾ المصدر نفسه، 1/ التقاديم، 07، 08، 10، 11، 12، 18، 26، 28، 46، 48، ...

وجهها، وكانت دار الإشراف مركز هذا العمل والتي تعمل على محاسبة العمال القائمين عليه.
هكذا أصبح مصطلح المشرف الأندلسي يطابق صاحب الأعمال المغربي⁽⁷⁾.

أطلق الموحدون على متولي خطة الإشراف على الضرائب بصاحب الأشغال⁽⁸⁾، إلا أن
الرسائل الموحدية تشير إلى الاختلاف في طبيعة خطتي " الأشغال" و" الأعمال"، وفي بعض الأحيان
يجتمع في شخص واحد بسبب مركزه الاجتماعي أو نتيجة حالة أمنية أو قدراته الإدارية فقد
حرصت التقاديم على توضيح ذلك⁽⁹⁾.

ولما أنشأ المنصور في سنة 593/هـ 1196م ديوان مركز بالأشغال عمل أن لا تتدخل
الديوان

في أعمال الجباية، غير أنه في خلافة الناصر أصبح صاحب الأشغال المركزي مسؤولاً عن
الأعمال أيضاً⁽¹⁾، بعد أن كان هذا من اختصاص الوزير الموحد⁽²⁾.

حرص الموحدون على حماية الزراع وحفظ الأموال، ففي ديوان الجباية يكتب كتاب إلى
جميع الجهات يقيدون المتحصل في أزمة وخرائط، ويضبطونها بالشهود ويرفعونها إلى الخليفة
فيختتمها بخاتمة، مما يسر محاسبة العمال على أعمالهم فلا يتعدون على الناس ولا ينهبون أموال
الدولة وأن فعلوا نكبوا، هذا بالإضافة إلى اهتمام الموحدين بنقل عمال الجباية من مكان إلى آخر
حتى لا ينتفدوا ويتمكنوا⁽³⁾.



خلاصة القول أن الدولة الموحدية اتبعت سياسة اجتماعية واقتصادية؛ حيث قامت بتقسيم
المجتمع إلى عدة طبقات حددتها الرسائل، على رأسها الطبقة الحاكمة التي تتكون من الخلفاء

⁽⁷⁾ عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 178.

⁽⁸⁾ نفسه، ص 179.

⁽⁹⁾ رسائل موحدية، 1/ التقاديم 17، 20، 21، 22، 24، 29، 42، 43، 56.

⁽¹⁾ ابن عذاري: البيان، ص 201 - 227 - 237.

⁽²⁾ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص 179.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 179 - 180.

الفصل الرابع: السياسة الاجتماعية والاقتصادية للدولة الموحدة من خلال الرسائل
الديوانية

وحاشيتهم، وطبقة الطلبة التي استحدثها الموحدون ليحلوا محلها بديلا لتقليص نفوذ الفقهاء
والعلماء، ولكن أصبحت هذه الطبقة فيما بعد مطلوبة من طرف الخلفاء وأضحوا يستجلبونهم من
كل المناطق.

يتضح مما سبق أنه بالرغم من السياسة الزراعية الموحدة القائمة على تقسيم الملكية وتنظيم
الري مما ساعد على إنتاج محاصيل زراعية مختلفة ومتنوعة، إلا أن الزراعة الموحدة خاصة في
منطقة الثغور تتوقف بالدرجة الأولى على نزول الأمطار، فإذا توقف المطر اشتدت الأزمة،
وانتشر الفقر وغلت الأسعار، أما إذا نزل المطر صلحت الأمور.

ومن خلال الدراسة يتضح أن الموحدون نظموا التجارة الداخلية، حيث سطوروا لها سياسة
محكمة لتسييرها بتعيينهم من يشرف عليها.

الفصل الخامس: سياسة الدولة الخارجية من خلال الرسائل الموحدية

أولاً- العلاقات السياسية

ثانياً- العلاقات التجارية

كانت علاقة الموحدين بغيرهم علاقة حرب وعداء في أيام ابن تومرت، وتغيرت تلك العلاقة بعد قيام الدولة، إذ استوعب الموحدون نظم دولتهم، أولئك الذين خضعوا للحكم الموحد، ولم يعارضوا أفكار ابن تومرت على الأقل في الظاهر، فتولى بعضهم القيادة العسكرية، وقام بعضهم بتصريف شؤون الدولة.

توسعت رقعة الدولة الموحدية، وكثرت فيها الفتن، وبالرغم من ذلك استطاعت أن تقضي على الكثير منها، وأن توطد سلطانها على كل الأقطار، وكانت علاقاتها تختلف من حين إلى آخر فتارة تكون علاقة حرب وتوتر وتعقبها عقد هدنة خاصة مع الدول النصرانية.

أولاً- العلاقات السياسية:

كانت للدولة الموحدية علاقات مع المحيط الخارجي، تتأرجح بين الحرب والسلم، استمرت هذه العلاقات من بداية الدولة الموحدية إلى نهايتها أغلبيتها في الأندلس؛ حيث واجهت الدولة الموحدية مشاكل عدة في هذا الإقليم الذي يعد دار الحرب، حيث دارت عدة معارك خاصة مع النصارى كانت نهايتها النصر أو الهزيمة، تسببت في القضاء نهائياً على الدولة الموحدية.

أ- علاقات الموحدين السياسية بالممالك الأندلسية المستقلة:

قامت عدة ممالك مستقلة عن الدولة الموحدية، منها ما جاء على أنقاض الدولة المرابطية، مثل ابن غانية، ومنها ما أراد الاستقلال عن الدولة الموحدية وآمن بالفكرة الأندلسية كما هو الحال لابن مردنيش الذي تعاون مع النصارى من أجل تحقيق أهدافه، وكانت ثورته أعظم الثورات.

1- علاقة الموحدين مع ابن مردنيش⁽¹⁾ أمير شرقي الأندلس:

(1) هو عبد الله بن سعد بن محمد بن سعد الجذامي بن مردنيش، ولد بقلعة بنشكلة سنة 518هـ/ 1124 وهي إحدى قلاع طرطوشة المنيع، أما والده فقد كان والياً للمرابطيين على مدينة أفراغة، وكان عمه عبد الله بن محمد بن سعد بن مردنيش صهر ابن عياض ومساعدته القوي في تأسيس إمارته بشرق الأندلس، استعان ابن مردنيش برجل يدعى إبراهيم بن أحمد بن مفرج بن همشك من أصل نصراني، كان معروف بالشجاعة، إذ رآه النصارى في الحرب قالوا همشك ومعناه هذا مقطوع الأذن. امتدت دولة ابن مردنيش في شرقي الأندلس من مدينة بلنسية شمالاً حتى مدينة المرية في الجنوب، فكانت حدودها تشترك مع حدود

أخذ ابن مردنيش يغزو بلاد الأندلس الخاضعة للموحدين، بغرض الاستيلاء عليها، ففي سنة 554هـ/ 1160م سار بقواته من مرسية⁽¹⁾ بالتعاون مع قوات نصرانية من أجل الاستيلاء على مدينة جيان⁽²⁾، استغل فرصة انشغال عبد المؤمن بفتح إفريقية، وحشي والي جيان محمد بن علي الكومي لقاء ابن مردنيش⁽³⁾ فسلمه مدينة جيان بلا قتال، اتجه ابن مردنيش بعد ذلك للاستيلاء على مدينة قرطبة، عاث فيها فسادا، ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها، فقد تحصن بداخلها الوالي أبو زيد عبد الرحمان بن تيجيت، وأحسن مقاومة ابن مردنيش وصدده⁽⁴⁾.

كره والي قرطبة من حصار ابن مردنيش فتشاور مع القاضي أخيل بن إدريس على صرف ابن مردنيش عن قرطبة فكتب رسالة باسم "سيد راي بن وزير" يدعو فيه ابن مردنيش على التوجه إلى إشبيلية والاستيلاء عليها لأنها بدون دفاع يساعد على احتلالها⁽⁵⁾.

ثم حمل الرسالة أحد رجال القاضي بعد أن غير هيئته على شكل رجل زيات من شرق إشبيلية، فترل بقواته على بعد ميل عنها في موضع يسمى ألفونت، بلغ ذلك والي إشبيلية السيد أبا يعقوب يوسف، وحصن المدينة والأسوار بالجند وهياً نفسه للمقاومة، ثم بعث ابن مردنيش جزء

النصارى من ثلاث جهات مملكة أرغون في الشمال ومملكة قشتالة في الشمال الغربي ونصارى المرية في الجنوب، أما الجهة الرابعة فكانت تشترك

في الحدود مع البلاد الأندلسية الخاضعة للموحدين. أنظر هشام أبو رميلة: **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية**، ص 108.

⁽¹⁾ مدينة بالأندلس، مبنية على أرض مستوية على النهر الأبيض فيها خيرات كثيرة رخيصة كثيرة الشجر والأعنان، وبها الفضة، ولها حصون وقلاع، بينها وبين قرطبة عشر مراحل، وبينها وبين بلنسية خمس مراحل. أنظر الحميري: **الروض المعطار**، ص 539.

⁽²⁾ مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة عشرون ميلا، أرضها خصبة، أسعارها رخيصة، كثيرة اللحوم والعسل، بها ما يزيد على ثلاثة آلاف قرية، كلها يربي فيها دودة الحرير، وبها جنات وبساتين ومزارع وغلات القمح والشعير، وهي تقع في سفح جبل عال جدا. المصدر السابق، ص 183.

⁽³⁾ اسم مردنيش تحريف للاسم الإسباني "مرتنيث" Martinez أي "ابن مرتين". أنظر محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، - **العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس** - عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1990م)، 366/1.

⁽⁴⁾ ابن صاحب الصلاة: **المن**، ص 66؛ وعنان: **المرجع السابق**، 347/1؛ وأحمد فكري: **قرطبة في العصر الإسلامي** - تاريخ وحصارة-، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، 1983 م)، ص 141-142.

⁽⁵⁾ المصدر نفسه، ص 66؛ وأبو رميلة: **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية**، ص 112؛ وعنان: **المرجع السابق**، 348/1.

من قواته لاقتحام المدينة من باب قرمونة دون جدوى، وفي نفس الوقت واصل الغزو لإرهاق إشبيلية.

لكن الموحدون أحسنوا تحصين المدينة وحماتها، ثم لقوا القبض على من لحقه الظن من أهلها، فبقي ابن مردنيش يحاصر المدينة لمدة ثلاثة أيام، فلما لم ير شيئاً مما كان في الرسالة علم أنها خدعة وفك الحصار⁽¹⁾. بعث الكتب المبشرة بالفتح أحدهما المؤرخة بالثاني من ذي الحجة من عام أربعة وخمسين بظاهر المهديّة، وأما الكتاب الثاني⁽²⁾ مبشراً بفتوح المهديّة في يوم عاشوراء عام خمسة وخمسين وخمسمائة⁽³⁾.

وفي العام التالي بعث ابن مردنيش جيشاً بقيادة إبراهيم بن همشك⁽⁴⁾ للاستيلاء على قرطبة، فنازلها ودمر زرعها وخرّب أحوازها، ثم تراجع ورتب كميناً في بلدة أطابة القفرة من أحواز قرطبة فخرج والي قرطبة وسار بقواته يستطلع الأحوال، فخرجت عليه كمائن ابن همشك وألحقت به الهزيمة وسقط قتيلاً في الموقعة، فعاد الموحدون الذين نجوا من الموقعة إلى قرطبة وتحصنوا بداخلها⁽⁵⁾.

(1) نفسه، ص 68.

(2) اكتفى ابن صاحب الصلاة بذكر هذه الرسائل، دون التطرق إلى نصوصها.

(3) ابن صاحب الصلاة: المن، ص 70.

(4) إبراهيم بن أحمد بن همشك، أبو إسحاق، كان صاحب جيان بالأندلس، عرف بالشجاعة، أحد أذنيه مقطوعة، فإذا رآه الأعداء في الحرب عرفوه، وقالوا بالإسبانية "همشك!" ومعناه مقطوع الأذن، تقرب بيحي بن غانية واستقل بحصن شقويش سنة 539هـ، تزوج ابنة محمد بن مردنيش، تغيرت علاقته بابن مردنيش، كانت له حروب مع الموحدين ثم خدمهم في آخر أيامه، هذا ما جعل علاقته تتغير بابن مردنيش، سكن مكناسة ومات فيها، توفي سنة 572هـ / 1176م، كان قاسياً جباراً، عظيم العيث بالناس ويطرحهم من الشواهد. أنظر خير الدين الزركلي: الأعلام، (بيروت: دار العلم للملايين، ط 15، 2002 م)، 1 / 29.

(5) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 75.

في شهر ربيع الأول من سنة 555هـ/ مارس 1160م سار ابن همشك بقواته إلى مدينة قرمونة، وهي حصن إشبيلية من الشمال الشرقي فهاجمها واستولى عليها ماعدا قصبته بمعاونة أحد زعمائها يدعى عبد الله بن شراحيل⁽⁶⁾.

ترك ابن همشك في مدينة قرمونة واليا يدعى ابن أبي جعفر ثم سار عائدا إلى جيان، فانتهر السيد أبو يعقوب يوسف فأرسل جيشا لاسترداد قرمونة فأحسن ابن ظابي جعفر حماية قرمونة، فكان يخرج وتتشابك قواته مع الموحدين ثم وقع في إحدى هذه الاشتباكات عبد الله بن شراحيل أسيرا، فأرسله الموحدون مكتوفا إلى إشبيلية، ثم وصل جيش كبير من الموحدين بقيادة الشيخ أبي يعقوب بن سليمان مددا للموحدين في الأندلس، كما بعث له الميرة والأقوات والآلات⁽⁷⁾.

سار السيد أبو يعقوب يوسف والي إشبيلية إلى مراکش استجابة لأبيه عبد المؤمن، فتولى حكم إشبيلية الشيخ أبو عبد الله بن أبي حفص بن علي، اتجه بقواته لاسترداد قرمونة ونزل بقلعة جابر على بعد أميال من المدينة وأخذ في غزوها يوميا، ثم تقدم بقواته نحو المدينة فترل بحصن ابن سلام وأحكم الحصار على قرمونة، ضاق أهل قرمونة بالحصار فبعثوا رجلا منهم اسمه شراحيل لمفاوضة الموحدين على فتح المدينة مقابل تأمين أهلها، فوافق الموحدون، واقتحم الموحدون المدينة يوم الجمعة العاشر من محرم سنة 557هـ/ 30 ديسمبر 1161م⁽¹⁾.

حاول ابن همشك الاستيلاء على مدينة إشبيلية فظل يواصل غزوها دون جدوى لكنه ألحق بها الخسائر، ثم بعث والي إشبيلية السيد أبو يعقوب يوسف يستنجد بوالده عبد المؤمن، بعث الخليفة عبد المؤمن رسالتين جوابا على كتاب ابنه الرسالة الأولى مؤرخة في شهر ربيع الأول سنة 555هـ/ مارس 1160م، فجاء بها انتصار الخليفة عبد المؤمن على أعراب بني سليم في إفريقية

⁽⁶⁾ أبو رميلة: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية، ص 112-113.

⁽⁷⁾ ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 120.

⁽¹⁾ المصدر نفسه، ص 120-122؛ وأبو رميلة: علاقات الموحدين، ص 115.

واعترافهم بالطاعة، كما جاء فيها نية الخليفة على العبور إلى الأندلس للقضاء على زعماء الفتنة⁽²⁾.

أما الرسالة الثانية التي بعثها عبد المؤمن، من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية والمؤرخة في عشرين من ذي القعدة سنة أربع وخمسين وخمسمائة، فقد أمر فيها أبناءه وولاته بالأندلس ببناء مدينة حصينة وقاعدة حربية في جبل طارق، جاء فيها: "... وهو النظر في احتطاط مدينة عتيقة مباركة بجبل طارق - عمره الله - مجمع البحرين، والقطب الآخذ بأطراف البرين، يختص بعون الله بهذا الأمر العزيز وإنشاؤها ويكون إلى إيجاده اعتزاؤها وانتمائها، ويرتكز بفنائها علم هذه الطائفة ولوائها، وإنا لندرجو أن أشعة النصر لتلكم الجزيرة تثبت من مطلع هذا الشارق الشاهق..."⁽³⁾.

تكون هذه المدينة منزلا للأمير عند إمارة العساكر ومحلا ريثما تتقدم الرايات المظفرة والأعلام المنشورة إلى بلاد الروم، انتهى من بناء المدينة في شهر ذي القعدة سنة 555هـ / 1160م فعبر الخليفة عبد المؤمن البحر إلى الأندلس ونزل في جبل طارق استقبله ولداه أبو يعقوب يوسف والي إشبيلية وأبو سعيد والي غرناطة ثم أشياخ الموحدون وأعيان الأندلس والقضاة والطلبة والحفاظ، حددت له البيعة، أقام الخليفة زهاء شهرين في جبل طارق، عاد إلى مراكش في أوائل سنة 556هـ / 1161م⁽¹⁾.

أوصى عبد المؤمن قبل عودته ولديه وقواده بمواصلة غزو ابن مردنيش وقتاله فعين ابنه السيد أبا يعقوب يوسف واليا على إشبيلية، وعين ابنه أبا سعيد عثمان واليا على غرناطة، ثم عين على قرطبة وأعمالها أبا حفص عمر أيتي، وترك في الأندلس جيشا كبيرا يتألف من الموحدون والأندلسيين فجعل على قيادة الموحدون ابن الشرقي، وجعل على الأندلسيين أحد قوادهم يعرف بابن الصناديد⁽²⁾.

1-1 - غزو ابن همشك لمدينة غرناطة:

⁽²⁾ مجموع رسائل موحدية، (لبيفي)، الرسالة 21؛ ورسائل موحدية - جديدة-، (الغزاوي)، 1/ الرسالة 9.

⁽³⁾ المصدر نفسه، ص 97.

⁽¹⁾ أبو ريميلة: علاقات الموحدون، ص 114.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 115.

اتفق ابن همشك مع يهود غرناطة سرا بالاستيلاء على غرناطة، لكي يفتح لهم حليفهم ابن وهري أبواب المدينة، اتجه ابن همشك إلى المدينة وكسر اليهود باب الربض بغرناطة وتنادوا بالصياح يا للأصحاب فاقترحها ابن همشك، بينما هرع الموحدون وتحصنوا بالقصبة حاول ابن همشك الاستيلاء عليها لكنه فشل لشدة حصانتها، فبعث يستدعي صهره محمد بن سعد بن مردنيش طالبا منه النجدة لأخذ غرناطة⁽³⁾.

قام ابن همشك باحتلال القصبة الحمراء وهي تقع في جبل السبيكة بإزاء قصبة غرناطة، وشرع منها في القتال وإقامة المنجنيقات لرمي الحجارة على الموحدين في قصبتهم⁽⁴⁾. لكن أهلهم يمتلكون القوات واستغاثوا بأمر المؤمنين وبالموحدين الذين بإشبيلية⁽⁵⁾.

استجاب ابن مردنيش لصهره ابن همشك فبعث ثلة من قواته مع قوة النصراري بقيادة ثلاثة من أمرائهم هم البارون دريجس والثاني أيرمانكو السابع والثالث شقيق أيرمانكو يسمى كويسران ووصول⁽⁶⁾.

استجاب الخليفة عبد المؤمن للموحدين المحصورين بقصبة غرناطة، فأمر ابنه أبا سعيد أن

يسير

لإنقاذ غرناطة، فسار أبو سعيد أولا إلى مالقة ثم استدعى جيوش إشبيلية بقيادة عبد الله بن أبي حفص، فصارت الجيوش الموحدية مجتمعة صوب غرناطة وعسكرت في مكان يسمى مرج الرقاد، كذلك أسرع ابن مردنيش بقوات كبيرة من جيان ومرسية للقاء الموحدين فنشبت موقعة بين الطرفين، فحلت الهزيمة بالموحدين⁽¹⁾.

⁽³⁾ ابن صاحب الصلاة: المن، ص123؛ وابن عذاري: البيان، 74/3.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه، ص125؛ وأبو رميلة: المرجع السابق، ص116.

⁽⁵⁾ نفسه، ص126.

⁽⁶⁾ أبو رميلة: المرجع السابق، ص117.

⁽¹⁾ ابن صاحب الصلاة: المن، ص 128 - 129.

عاد ابن همشك بعد الموقعة مباشرة إلى معسكره السابق في جبل السبيكة، فترل في القصبه الحمراء إزاء قصبه غرناطة ثم أخذ يعذب الأسرى الموحديين على مرأى زملائهم، ويضع الموحديين في كفة المنجنيقات، فيقذف زملائهم الممتنعين بقصبه غرناطة⁽²⁾.

بلغ الخليفة عبد المؤمن هزيمة الموحديين في مرج الرقاد فبعث جيشا كبيرا يتألف من عشرين ألف مقاتل يضم جماعة كبيرة من أعراب بني سليم وأسند قيادته إلى ابنه السيد أبي يوسف يعقوب وجعل معه الشيخ أبا يعقوب يوسف بن سليمان، فترل في الجزيرة الخضراء، ثم سار إلى مالقة فانظم إليه السيد أبو سعيد عثمان بقواته ثم اتجه صوب غرناطة عن طريق وادي دلير وقرية همدان مترل وادي شميل الواقع جنوبي غرناطة⁽³⁾.

سار ابن مردنيش وحلفائه النصارى لنجدة صهره ابن همشك، فترل فوق الجبل المتصل بقصبه غرناطة على الجهة الأخرى لنهر حدرة، فبقي ابن همشك معسكرا بقواته في القصبه الحمراء فوق جبل السبيكة، ومعه حلفاؤه النصارى البالغين ثمانية آلاف مقاتل.

في 27 رجب من سنة 557هـ/ يوليو 1162م انقضت قوات الموحديين على قوات ابن همشك قبل أن يركبوا خيولهم ثم نشبت موقعة فانتصر الموحدون، فدخلوا مدينة غرناطة في وسط النهار من نفس اليوم⁽⁴⁾.

1-2- ولاء ابن همشك للموحدين:

بعد استعادة بطليوس، خرج الشيخ أبو حفص بقواته إلى قرطبة لمساعدة السيد أبي إسحاق إبراهيم أخو الخليفة في جهاد ابن مردنيش وحليفه ابن همشك، فتوجهت الأنظار لمحاربة ابن همشك لأنه أضعف الحلفاء، ونتيجة للأعمال التي قام بها ابن مردنيش ضد المقربين من أصحابه خاف ابن همشك فطلق ابن مردنيش زوجته - ابنة ابن همشك -، فاستنجد بالشيخ أبي حفص⁽¹⁾. بعد أن أعلن الولاء للموحدين جاء فيها " وإن الشيخ أبا إسحاق إبراهيم بن همشك وفقه الله -

(2) أبو رميلة: علاقات الموحدين، ص 118.

(3) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 130.

(4) ابن عذاري: البيان، 3/ 77.

(1) سعد زغلول: تاريخ المغرب، 7/ 106.

كشف له عن وجه هداه، وحلي على موارد/ رداه، وتبين له أن هذا الأمر العزيز هو المركب المنجي، السائق إلى السعادة الباقية المزجي، فبادر إلى الدخول فيه بدار من خلصت سرائره وطويت على المودة ضمائره، ورأى أن ذلك أن تمحى بها خطياه وتغفر جرائمه، وأذاع الدعوة المهديّة في جميع بلاده، وأعلن بها، وأبدى الاعتلاق بعصمتها⁽²⁾.

انتهاز الموحدون فرصة توحيد ابن همشك وإعلانه الولاء والطاعة للموحدين، فبعث الخليفة أبو يعقوب يوسف برسالة إلى ابن مردنيش يطلب منه أن يدخل في التوحيد "خاطبناكم بهذه المخاطبة دعاء إلى الله، وإرشادا إليه، وتعريفا بما لا يسع جهله من الفيئة إلى أمره، والبدار إلى ما يجب من طاعته، والاعتلاق بحبله، والاستعصام بدينه..."⁽³⁾، أخذ ابن مردنيش يواصل القتال وغزو بلاد ابن همشك لمدة سنة كاملة، فأحسن ابن همشك خلالها رد ابن مردنيش⁽⁴⁾.

أعطى ابن مردنيش حصنين للنصارى كي يواصلوا منها غزو بلاد ابن همشك وقتاله هما حصنا بلج والكرس، عجز ابن همشك عن صد ابن مردنيش وحلفائه النصارى، مما جعله يطلب النجدة من الموحدين، فبعث وزيره أبا جعفر إلى مراکش يحث الموحدين على الإسراع بالنجدة⁽⁵⁾.

1-3- حملة السيد أبو حفص ضد ابن مردنيش "موقعة فحص الجلاب":

خرج الموحدون من إشبيلية في أول ذي القعدة سنة 560هـ/ سبتمبر 1165م، وساروا للاستيلاء على أندوَجْر فهي من معاقل ابن مردنيش التي تنطلق منها قواته لغزو قرطبة، فاقتحم الموحدون أندوَجْر عنوة واستولوا عليها، فبادروا أهل الحصون المحاورة بإعلان الولاء والطاعة⁽¹⁾،

(2) رسائل موحديّة - جديدة-، (العزاوي)، 1/ 128؛ وابن صاحب الصلاة: المن، ص 303.

(3) مجموع رسائل موحديّة، (ليفي)، الرسالة 25. كما أورد ليفي رسالة أخرى تطلب من ابن مردنيش الدخول في الدعوة الموحديّة في عهد عبد المؤمن من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية، وهي الرسالة المؤرخة في السادس عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة. المصدر نفسه، الرسالة العاشرة.

(4) أبو رميلة: علاقات الموحدين، ص 129.

(5) المرجع نفسه، ص 130.

(1) رسائل موحديّة - جديدة-، (العزاوي)، 1/ الرسالة 12؛ وابن عذارى: البيان، 3/ 89؛ وسعد زغول: تاريخ المغرب،

اتجه الموحدون بعد ذلك ناحية بسطة فترلوا في وادي القشتالي وأخذوا يبعثون سرياهم عائدة بالغنائم من غليرة وقرباكة وبسطة وجبال سقورة، انضمت إلى الموحدين فرقة من الرماة حضرت من غرناطة فاستأنف الموحدون زحفهم ودخل أهل حصن قلية إلى إعلان الولاء والطاعة، ثم حاصر الموحدون حصن بلس⁽²⁾.

سار الموحدون ناحية مدينة لورقة ولكنهم ارتدوا ونزلوا الفحص المسمى بالفندون، فأتوا لورقة من غربها⁽³⁾، لذلك اتجه ابن مردنيش إليها، ارتد ابن مردنيش بقواته ناحية مرسية خوفا من أن يهاجمها الموحدون، استأنف الموحدون السير حتى أشرفوا على فحص مرسية عند ظهر يوم الجمعة السابع من ذي الحجة سنة 560هـ/ 15 أكتوبر 1165م، ثم زلوا بفحص الجلاب فوجدوا ابن مردنيش معسكرا. نظم الموحدون صفوفهم من أهل هرغة وتينملل وهنتانة وجدميوة، كما نظم العرب صفوفهم من بني هلال ورياح، يبلغ تعداد جيش الموحدين اثني عشرة ألف مقاتل⁽⁴⁾، بعد أن "تميزوا شعوبا وقبائل"⁽⁵⁾، يقابله جيش النصارى ثمانية آلاف فارس أغلبيتهم من أرغون⁽⁶⁾. احتدمت الحرب بين الطرفين في فحص الجلاب في يوم الجمعة 7 من ذي القعدة 560هـ/ 15 أكتوبر 1165م على بعد عشرة أميال عن مرسية "فحلت الهزيمة بابن مردنيش" وأجفل الكفرة منهزمين، وولوا الأدبار مدبرين⁽⁷⁾، قتل رجاله ومشاهيره أكثرهم من الروم، وتقهقر منسحبا إلى مرسية⁽⁸⁾، فلحقه الموحدون وضربوا الحصار عليه حتى نهاية عيد الأضحى من سنة

⁽²⁾ المصدر نفسه، 91/1؛ وأبو رميلة: علاقات الموحدين، ص123.

⁽³⁾ نفسه، 91/1-92؛ وسعد زغلول: المرجع السابق، 55/6؛ وميراندا: التاريخ السياسي، ص215.

⁽⁴⁾ أبو رميلة: المرجع السابق، ص124.

⁽⁵⁾ رسائل موحدية، 92/1.

⁽⁶⁾ المصدر نفسه، 92/1؛ وميراندا: المرجع السابق، ص216.

⁽⁷⁾ نفسه، 93/1؛ وسعد زغلول: المرجع السابق، 55/6؛ وعبد الرحمان علي الحججي: التاريخ الأندلسي - من الفتح

الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92-798هـ/711-1492م-، (بيروت: دار القلم، ط2، 1981 م)، ص459.

⁽⁸⁾ نفسه، 93/1.

560هـ/ أكتوبر 1165م، ثم رفع الموحدون الحصار وعادوا أدراجهم، ولكنهم وضعوا حاميات في الحصون والمدن التي استولوا عليها⁽¹⁾.

وجه المشرفان على هذه الحملة السيدان أبو حفص وأبو سعيد ابنا الخليفة يوسف برسالة بسبب هذا الانتصار جاء فيها "وأعلمناكم- وصل الله سراءكم- بهذه البشارة العظمى التي هي نادرة المسار النعمى، لتأخذوا بما وفر حظكم من شكر الله عليها...، وهو فتح الأندلس وإذلال عدوها المتمرد المتصحب، مسلط الروم عبدة الأوثان والصلبان..."⁽²⁾.

غادر السيدان مع قواتهما مرسية اتجاه قرطبة حيث بقي بها عاملها السيد أبو سعيد، في حين عاد أخوه أبو حفص عمر إلى مراكش، والتي وصلها في 11 ربيع الثاني 561هـ/ 14 فبراير 1166م، خرج لاستقباله الأمير يوسف⁽³⁾.

في سنة 562هـ/ 1167م سار والي غرناطة أبو عبد الله بن أبي إبراهيم ونازل حصن بلس على قرب وادي آش⁽⁴⁾ حتى استولى عليه، فوجه رسالة بشرى إلى الخليفة يوسف، فرد عليه الخليفة برسالة جوايية جاء فيها: "... من الأمير يوسف بن أمير المؤمنين... إلى الحافظ ابي عبد الله محمد بن إبراهيم والطلبة والموحدين بأغرناطة...، وقد وصلت إلينا مكاتباتكم... ما ذكرتم من استبشاركم بما سنى الله تعالى لأولياء امره من الفتح والنصر وبما سناه الله سبحانه وتعالى هناك من غزو المجسمين..."⁽⁵⁾، ثم انصرف عائدا إلى غرناطة وأعلم الخليفة بذلك، عاود أبو عبد الله المسير بجيش الموحدين إلى بلاد ابن مردنيش فاستولى على بسطة وعادوا إلى غرناطة.

بعث ابن مردنيش بعض قواته من النصارى المرتزقة للاستيلاء على مدينة وبذة فغزوا وادي شنيل وتقدموا جنوبا حتى بلغوا أحواز رندة، بلغ ذلك والي غرناطة السيد أبا عبد الله فأرسل

(1) أبو رميلة: علاقات الموحدين، ص124.

(2) رسائل موحديّة- جديدة-، (الغزوي)، 93/1.

(3) ميراندا: التاريخ السياسي، ص217.

(4) مدينة بالأندلس، قريبة من غرناطة كبيرة، وهي كثيرة التوت والأعناب وأصناف الثمار والزيتون والقطن. أنظر أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم: صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر وتصحيح وتعليق، إ.لا.في بروفصال، (د.م، ط2، 1988 م)، ص194.

(5) رسائل موحديّة، 108/1.

جيشا لقتال النصارى يتألف من الموحدون والجنود الأندلسيين، لكن النصارى خشوا لقاء الموحدون فامتنعوا في أحد الجبال القريبة من وادي آش فصعد الموحدون الجبل، وانتصروا عليهم في أعلى الجبل⁽¹⁾.

1-4- سقوط دولة ابن مردنيش:

بعث الموحدون جيشا لغزو ابن مردنيش⁽²⁾، بعد أن ثبت صدق نجدة ابن همشك، سار السيد أبو حفص بعسكره من مراكش أول شهر ذي القعدة سنة 565هـ/ أوت 1170، ومعه أخوه السيد أبو سعيد عثمان وعدة من الأسيخ والحفاظ والموحدون والزعماء الأندلسيين، فوصل إلى إشبيلية أوائل سنة 566هـ/1177م، كما حضر إليه من قرطبة الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى ومعه إبراهيم بن همشك، ثم عقد السيد أبو حفص مؤتمرا للتشاور في حفظ القتال وغزو البلاد فاستقر الرأي على غزو ابن مردنيش في داره⁽³⁾.

سار السيد أبو حفص بعسكره ومعه أخوه السيد أبو سعيد والشيخ أبو حفص وإبراهيم بن همشك من إشبيلية في شهر رجب سنة 566هـ/ مارس 1171م، فتزلوا مدينة قرطبة، سار السيد أبو حفص بعد أيام بعسكره لغزو بلاد ابن مردنيش فاستولى على مدينة فيحاطة ثم مدينة مرسية، واستأنف أبو حفص زحفه حتى ضرب الحصار على ابن مردنيش في مرسية⁽⁴⁾.

قام أثناء ذلك أهل مدينة لورقة بالثورة على النصارى ببلدهم من أعوان ابن مردنيش وحاصروهم بقصبة المدينة، استولى السيد على لورقة ثم شدد الحصار على القصبة، عاد السيد أبو حفص إلى مرسية وضرب الحصار عليها، فأعلنت خلال الحصار بعض الحصون المجاورة له، وافتتح مدينة بسطة، وبادر أهل جزيرة شقر بالطاعة للموحدون.

خرجت المرية عن طاعة ابن مردنيش فأعلنت الولاء والطاعة للموحدون، فقد ثار بها محمد ابن مردنيش المعروف بابن صاحب البسيط وهو ابن عم مردنيش وزوج أخته فقبض على والي

(1) أبو رميلة: علاقات الموحدون، ص 125.

(2) رسائل موحدية، 1/ الرسالة 24.

(3) أبو رميلة: المرجع السابق، ص 132.

(4) نفسه، ص 132.

المرية من قبل ابن مردنيش وخاطبا بذلك السيد أبا حفص وهو بعسكره على مرسية وبعث إليهما عسكرا لمساعدتهما على ضبط المرية، انتهز ملك أرغونة ألفونسو الثاني فرصة حصار الموحدين لابن مردنيش بمرسية فغزا أراضي بلنسية⁽¹⁾.

استغل ابن مردنيش اتجاه أبو حفص بعسكره من مرسية إلى إشبيلية، فسير قواته لاسترداد شقر من القائد أبي أيوب بن هلال الشرقي، لكنه عجز عن ذلك، استدعى أخاه يوسف بن مردنيش لمساعدته، رأى منه التقصير بسبب ولائه للموحدين، فأشدد ألمه وزادت علتة، فرجع إلى مرسية وتوفي في العاشر من رجب سنة سبعة وستين وخمس مائة، وله من العمر ثمانية وأربعين سنة⁽²⁾، واستقامت جزيرة الأندلس بعد اعوجاجها⁽³⁾.

2- علاقة الموحدين مع ابن غانية⁽⁴⁾ أمراء الجزائر الشرقية:

حاولوا التقرب من الموحدين خاصة بعد القضاء على ثورة ابن مردنيش، بعث الموحدون برسائل إلى إسحاق بن غانية في عام 578هـ / 1183م يطلبون منهم الدخول في طاعة الموحدين فامتنع عن ذلك⁽⁵⁾، وبعد مقتل الخليفة أبو يعقوب يوسف في عام 580هـ / 1184م ومبايعة أبي يعقوب يوسف الملقب بالمنصور (580هـ/1184م - 595هـ/1198م) وانشقاق بني عبد المؤمن على أنفسهم تمرد ابن غانية على دولة الموحدين، فقاموا باعتقال سفارة أبي يعقوب يوسف برئاسة

(1) المرجع نفسه، ص 135.

(2) نفسه، ص 136.

(3) رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 1/ الرسالة 29؛ وأحمد فكري: قرطبة في العصر الإسلامي، ص 141.

(4) ينتمي بنو غانية إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية سموها بهذا الاسم نسبة إلى أمهم غانية، انتقلوا من غرناطة إلى جزر شرقي الأندلس خاصة ميورقة، كان علي المسوفي جد بني غانية يتمتع بشخصية قوية، يتحلى بمواهب عدة وله مكانة عالية في قومه مما جعله مقربا من أمير المرابطين يوسف بن تاشفين، اختلف يوما مع أحد رجال قبيلة لتونة فقتله وهرب إلى الصحراء فتدخل يوسف بن تاشفين في النزاع، ووضع من ماله الخاص دية القتل وأرضى أهله، ثم استدعى إليه علي المسوفي بالصحراء وزوجه امرأة من بيته تسمى غانية بعهد أبيها، فأنجبت غانية ولدين هما يحيى ومحمد وتربيا في رعاية يوسف بن تاشفين واستعملهما على الولايات، عرف يحيى ومحمد وأحفادهما من بعدهما باسم بني غانية نسبة إلى أمهم غانية. أنظر أبو رميلة: علاقات الموحدين، ص 144.

(5) المرجع نفسه، ص 148.

الرويرتير⁽⁶⁾، وفي غرة 6 شعبان سنة 580هـ/1184م قام بشحن قواته وهاجم مدينة بجاية، وخرجوا من كان فيها من الموحدين واستول عليها سنة إحدى وثمانين وخمسمائة أو ثمانين وخمسمائة⁽¹⁾، بعد أن قبضوا على السيد أبي الربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن والسيد أبي موسى عمران ابن عبد المؤمن صاحب إفريقية، وولى أخاه يحيى على بجاية بعد الاستيلاء عليها، ثم اتجه إلى الجزائر واستولى عليها أيضا وعين عليها طلحة ابن أخيه.

وبعد أن وطد سلطانه فيها، هاجم قلعة بني حماد فاستولى عليها، وعلى ما يجاورها من قلاع ثم تمكن علي بن إسحاق من الاستيلاء على كل إفريقية ماعدا تونس والمهدية، كما استولى على الجزء الشرقي من المغرب الأوسط ابتداء من الجزائر - التي عين عليها طلحة ابن أخيه - حتى قسنطينة. بما في ذلك مليانة والقلعة حيث ولى علي مليانة أخاه بدر بن عائشة، حيث جاء في إحدى الرسائل التي بعثها الأمير يعقوب يوسف بن عبد المؤمن إلى الطلبة بإشبيلية في 5 ربيع الثاني سنة 581هـ/1185م: "... وامتدت أطماع الكافر وآماله... وغطى على بصيرته العمياء جهلة وضلالة فتطوف على الجزائر ومليانة وأشير والقلعة... ولما استفز بما تهيأ له من بجاية وجهاته الغربية طمعه... قصد إلى قسنطينة"⁽²⁾، حيث وجد أهلها متمسكين بالدعوة الموحدية ولم يستطيع خداعهم، ورغم الحصار لشديد لها فإنه لم يستطع اقتحامها، لأن أهلها تمكنوا من حمايتها، وكانت النتيجة إلحاق الهزيمة له وقتل شرذمة من أصحابه، إلا أنه قرر مواصلة الحصار رغم الهزيمة⁽³⁾.

⁽⁶⁾ معمر الهادي محمد القرقوطي: جهاد الموحدين في بلاد الأندلس - 541-629هـ / 1146-1233م - (بوزريعة: دار هومة للطباعة والنشر، 2005م)، ص 179.

⁽¹⁾ ابن خلدون: العبر، 6 / 287؛ والنويري: نهاية الأرب، 24 / 180؛ ومراجع عقلية الغناي: سقوط دولة الموحدين، ص 177 - 178؛ ومحمود السيد: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2007 م)، ص 62؛ وعز الدين عمر موسى: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، (بيروت: دار الشروق، ط1، 1983 م)، ص 29.

⁽²⁾ مجموع رسائل موحدية، (ليفى)، ص 171 - 172؛ وعبد الواحد المراكشي: والمعجب، ص 343 - 344؛ وابن خلدون: المصدر السابق، 6 / 287؛ وسالم: المغرب الكبير، ص 802 - 803؛ وعقيلة مراجع الغناي: المرجع السابق، ص 179؛ القرقوطي: جهاد الموحدين، ص 179.

⁽³⁾ المصدر نفسه، ص 173.

عات في الجهات التي استولى عليها فسادا واستباح حرمة أهلها، فبدأ "بأخذ أموالهم بغير حقها ويصرفها في غير مستوجبها ومستحقها، ويحملهم من كلف المغارم،... ما لا طاقة لهم بحملها..."⁽⁴⁾.

في سنة 580هـ/1184م خرجت إليه القوات الموحدية البرية والبحرية فوجهنا من الطلبة- أعانهم الله- من نظر في أمر الأسطول المبارك وإعدادة... وجردنا من الموحدين- أعزهم الله- عسكريا منصورا وجمعا مباركا..."⁽¹⁾. أسندت مهمة قيادة الجيش الموحدى إلى السيد أبي زيد بن اليسد أبي حفص، كما أسندت قيادة الأسطول إلى محمد بن إسحاق بن جامع وأبي محمد بن عطوش، وأبي العباس أحمد الصقلي⁽²⁾.

وعند وصولهم تلمسان اجتمع "طلبة الأسطول المظفر... بالموحدين... ورسم لهم أن يكون اجتماعهم بالجزائر..."⁽³⁾، تعاون الموحدون مع أهالي المنطقة، ففتحوا لهم أبواب المدينة، وقضوا على أصحاب بني غانية منهم ابن عمه⁽⁴⁾.

وعند وصول الأسطول الموحدى بجاية استطاع أن يسر قائد حملة ابن غانية الذي يسمى "رشيدا"⁽⁵⁾، هرب يحيى ابن غانية إلى أخيه علي الذي كان يحاصر قسنطينة⁽⁶⁾. تمكن الموحدون من استعادة المدن التي استولى عليها ابن غانية سنة 581هـ/1185م⁽⁷⁾. هرب علي ابن إسحاق وأخوه يحيى إلى الصحراء أين كسب ود قبائل العرب⁽⁸⁾ تحالف مع قراقوش الغزي⁽⁹⁾ حاول

(4) نفسه، ص 172.

(1) نفسه، ص 173-174.

(2) القرقوطي: جهاد الموحدين، ص 180.

(3) مجموع رسائل موحدية، (ليفي)، ص 176.

(4) المصدر نفسه، الرسالة 29.

(5) نفسه، ص 177.

(6) القرقوطي: المرجع السابق، ص 180.

(7) مجموع رسائل موحدية، الرسالة 29.

(8) ابن خلدون: العبر، 6/ 289؛ خليل إبراهيم السمراي وعبد الواحد ذنون طه وناطق صالح مطلوب: تاريخ العرب وحضارتهم، (دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، د.ت)، ص 273، وعصام سالم سيسالم: جزر الأندلس، ص 365-366.

استعادة بعض المناطق بدون جدوى، ولكنه بمساعدة وانضمام قراقوش إليه قصدوا بلاد إفريقية واستولوا عليها⁽¹⁰⁾ وشنوا "الغارات بأوساطها وأطرافها واجتمعوا على اكتساح زروعها... وانتسافها"⁽¹¹⁾.

اتجه الموحدون لمحاربة ابن غانية في إفريقية من تونس، وعند وصول الموحدون القيروان، كان بنو غانية يتمركزون بجهات وادي ران، ثم اتجهوا منها إلى قفصة، طاردهم الموحدون وفروا إلى قابس وانتهوا إلى حمة مطماطة فاستنجدوا ببني سليم وأعراب المنطقة فأعانوهم.

حط الموحدون رحالهم على مقربة من حمة مطماطة، هاجمهم الموحدون ولكن بنو غانية لاذوا بالفرار وتبعهم الموحدون⁽¹⁾ "يقتلونهم في كل غور ونجد، ويجدلوهم في كل ربوة ووهد"⁽²⁾، وعندما وصل الموحدون إلى قابس خرج إليهم أهلها وطلبوا الأمان ودخلوا في الدعوة الموحدية. تحصن بها أهل قراقوش، حصرهم الموحدون حتى تمكنوا منهم⁽³⁾.

خرج الموحدون قابس إلى بلاد الجريد⁽⁴⁾ لمحاربة ابن غانية وحلفائه، فانتصروا عليهم، كتب بعد ذلك الأمير يوسف بن عبد المؤمن إلى طلبة تونس برسالة من إنشاء أبي الفضل بن محشرة بتاريخ 2 رمضان 583هـ/1187م، يعلمهم فيها بدخول أهل الجريد في الدعوة الموحدية جاء فيها: "...نهض الموحدون... من قابس... آخذين على صحرائها وقاصدين إلى البلاد الجريدية من ورائها... بالعساكر... وعندما شارف الموحدون على الجهات المذكورة جاءت الفتوح... وتنظم لآليء الأقطار الجريدية في عقدها... واستنقذت نفاوة وقسطيلية... من وبش الفتنة، وألقت بلاد

⁽⁹⁾ مجموع رسائل موحدية، الرسالة 30.

⁽¹⁰⁾ خليل إبراهيم السمراي وآخران: المرجع السابق، ص 272.

⁽¹¹⁾ مجموع رسائل موحدية، ص 174.

⁽¹⁾ مجموع رسائل موحدية، (لبيي)، الرسالة 30.

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص 188.

⁽³⁾ نفسه، الرسالة 30.

⁽⁴⁾ " إقليم متسع الأكناف، حرب الأوساط وللأطراف، كثير المنافع،... جم الحدائق الغلب والجنات الألفاف، وكل مدينة منه مستقلة بذاتها، مكتفية بأقواتها...". نفسه، ص 196.

نفزاوة... وتوزر⁽⁵⁾ وتقيوس والحمة ونفظة بأزمتهما، وتطلبت من هذه الدعوة العلية معلوم منتها...⁽⁶⁾.

بقي من أهل توزر ثلة لم تدخل في الدعوة الموحدية، توغلت في الصحراء، سار الموحدون من توزر إلى قفصة، فوجد الموحدون جملة من الأغزاز، الذين امتنعوا الدخول في الدعوة الموحدية، فعزم الموحدون على محاربتهم⁽⁷⁾، وعندما تمكن الموحدون منهم بعد حصارهم وردم خنادقهم بالآلات، أمنوا على كافة أهل قفصة وعامة من كان معهم من قبائلهم وأهل باديتهم، كما مس هذا الأمان الأغزاز وأتباعهم، واستثنى الميورقيون، حيث اشترطوا عليهم أن لا أمان لهم إلا بإسلامهم، رفضوا ذلك وقرر الموحدون غزوهم، حتى تمكنوا منهم⁽¹⁾، "وكان فتح قفصة... لبنة تمامها، ومسكة ختامها... ولم يبق للفتنة في هذه الجنبات من عين ولا أثر، ولا لغواتها الشقاة استقلال فيها بورد ولا صدر..."⁽²⁾

وبعد فتح قفصة في 583هـ/1187م ورد على الخليفة يعقوب رسول من قراقوش يرغب في أخذ العفو والأمان لمرسله فأجابه الخليفة، كما أرسل في اليوم الموالي أبو زيان-وهو زعيم من زعماء الأغزاز يضاهي قراقوش المستقل بطرابلس- رسالة تحمل نفس المضمون، ويعرب فيها عن انضوائه تحت راية لموحدين⁽³⁾ وهكذا أصبحت إمارة قراقوش بما فيها عرب منطقة تحت السيادة الموحدية⁽⁴⁾.

غير أن قراقوش تراجع عن هذه الطاعة واستولى على مدينة قابس وطرابلس، توترت العلاقة بين قراقوش وابن غانية الذي تمكن من إزاحة قراقوش واستعادة بلاد الجريد في سنة

⁽⁵⁾ توزر حظيرة من حظائر بلاد الجريد، تعتبر مركز دائرته الذي عليه يستدير محيطه. نفسه، ص 197.

⁽⁶⁾ نفسه، ص 196.

⁽⁷⁾ نفسه، الرسالة 31.

⁽¹⁾ نفسه، الرسالة 32.

⁽²⁾ نفسه، ص 215.

⁽³⁾ نفسه، الرسالة 31.

⁽⁴⁾ نفسه، الرسالة 33.

1201/هـ598م استولى على المهديّة بالرغم من محاولة الدولة الموحدية استرجاعها وفرض حصار تجاري عليها ولكن دون جدوى⁽⁵⁾. بعث له الناصر حملة مابين 1204/هـ601م و1206/هـ603م بزعامة الشيخ عبد الواحد المنتاتي ولحقوا بهم إلى مشارق الصحراء وألحقوا بهم هزيمة في 12 ربيع الأول سنة 1205/هـ602م⁽⁶⁾، بينما الناصر كان يحاصر المهديّة برا وبحرا⁽⁷⁾ واستخدم مختلف الأسلحة إلى أن استسلم عامل ابن غانية بها سنة 1205/هـ602م⁽⁸⁾.

وبعد ذلك عقد الناصر عند عودته إلى مراکش ولاية إفريقية المطلقة سنة 1205/هـ603م إلى أبي محمد عبد الواحد المنتاتي حيث هزمهم في عدة معارك منها معركة شبرو⁽¹⁾ قرب تبسة سنة 1206/هـ604م، وبعد الانتصار بعث الشيخ عبد الواحد الحفصي برسالة جاء فيها:

"وقد انتصر الحق من الباطل ففرق جموعه، واذهب بسطوته الغالبة ودعوته العالية... فشد من قبائل دباب وزغب ونفات ومن انقاد إليهم من برابر تلك الجهات... فلما تراءى الجمعان، وضاق متسع المجال عن الدماء والطعان، وشيتم السيوف كالبورق الخواطف في اللمعان وحملت الكتائب على الكتائب كالرعان على الرعان... حتى استلحمت السيوف أحزاب الضلال... فقتلوا مئين وعشرات وآحاد وفر غويهم الشقي جريحا وامتألت الأيدي من غنائمهم فهي..."⁽²⁾.

ومعركة وادي أبي موسى سنة 1208/هـ606م، عند جبل نفوسة، بعدما أن تجمعت له جموع من العرب الموجودين ببلاد الزاب وطرابلس، خاصة من بني رياح ومن البربر والغز، بعث بعدها الشيخ عبد الواحد الحفصي برسالة جاء فيها:

⁽⁵⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 1/ الرسالة 53.

⁽⁶⁾ مجموع رسائل موحدية، (ليفي)، الرسالة 37.

⁽⁷⁾ رسائل موحدية، 1/الرسالة 57.

⁽⁸⁾ الغزوي: رسائل موحدية، 2/ 79.

⁽¹⁾ موضع على مقربة من تبسة من البلاد الإفريقية. أنظر الحميري: الروض المعطار، ص338.

⁽²⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 1/ 246-247.

"وصل الله بالنجاح أسباب آمالكم وختم بالفلاح صحائف أعمالكم فإن للموحدين... في اتباع الأعداء وأوطارهم، أقبل هذا العدو الأشقى فيمن التف عليه من غدرة بني رياح... يؤمون هذه الجهة الافريقية حيننا إليها وكانت قد تلتقتهم بأطراف الزاب جماعة بني مالك مزيدة وجموع دياب... في الهجوم على البلاد... فأخذ الموحدون في الحركة إليهم... حتى نزلوا القيروان... والأعداء حينئذ نزلوا بظاهر قفصة يرتقبون ورود بقية دباب من طرابلس..."(3).

عندما سمع الأعداء برحيل الموحدين من القيروان اتجهوا إلى الحمة ثم إلى نفاوة ثم انصرفوا إلى زميط مروراً بحزن دمر، حتى نزلوا بوادي أبي موسى من سفح جبل نفوسة، وفيه أتاها من نفات وآل سليمان وآل سالم وجموع أخرى من الأعراب وحلفائهم الأعاجم، فحمل الموحدون عليهم حملة أزلتهم عن مصافهم فولى شقيهم منهزماً لأول دفعة(1)، واستمرت تمرداته إلى غاية وفاته سنة 1233/631م و1234/632م(2).

ب- علاقة يعقوب المنصور بصلاح الدين الأيوبي:

استولى الصليبيون على سواحل الشام وملكوا بيت المقدس في أواخر القرن الخامس الهجري، ولن تستطيع الدولة الفاطمية ولا العباسية الجهاد، ولما آل الأمر إلى صلاح الدين الأيوبي في مصر والشام عزم على الجهاد، وأخذ يستولي على مواقع الصليبيين، حتى استولى على بيت المقدس سنة 583هـ/1187م(3).

فاستعد الصليبيون للحرب "استصرخ بأصل الكفار من الغرب فأجابوهم رجالاً وفرساناً، وشيياً وشباناً، وزرافات ووحداناً، وبراً وجرأ، ومركبا وظهرأ، وركبوا إليهم سهلاً ووعراً، وبدلوا ماعونا وذخراً، وما احتاجوا ملوكاً ترتادهم، ولا أرسانا تقتادهم، بل خرج كل يلبي دعوة بطرکه...، وخرجت إليهم عدة ملوك أقفلت العجمة على أسمائها...منهم ملك الألمان وجلب

(3) المصدر نفسه، 251/1 - 262.

(1) نفسه، 1/ الرسالة 61.

(2) العزاوي: رسائل موحديّة، 2/ 80.

(3) رسائل موحديّة - جديدة-، (العزاوي)، 186/1؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، 4/ 316.

الكفار إلى المحصورين بالشام كل مجلوب وملاؤوا عليهم ثغريهم من كل مطلوب، ما بين أقوات وأطعمة، وآلات وأسلحة... إلى أن شحنوا بلادهم رجال مقاتلة، وذخائر للعاجلة من حربهم والأجلة" (4).

وقد خرج هؤلاء الملوك في عدد كبير إلى القسطنطينية ومنها إلى بلاد الشام، في نهاية الشتاء وبداية الصيف، خرجت إليهم جيوش المسلمين لمقاتلتهم (5). لذلك فكر صلاح في طلب النجدة من يعقوب المنصور الموحد، وأرسل إليه هدية تشتمل على مصحفين وعشرين رطلا من العود وستمائة مثقال من المسك والعنبر، وخمسين فرسا عربية بأوتارها، وعشرين من النصول الهندية وعدة سروج موشاة، وقد بعث صلاح الدين هذه الهدية مع كتابا، جاء فيه "... ولما مخض النظر زبده، وأعطى الرأي حقيقة ما عنده، لم نر لمكاثرة البحر إلا بحرا من أساطيله المنصورة، فإن عددها واف وشرها كاف، ويمكنه أدام الله تمكينه - أن يمد الشام منه بعد كثيف، وحد رهيف، ويعهد إلى واليه أن يقيم إلى أن يرتبع ويصيف، ويمكنه أن يكف شطرا لأسطول طاغية صقلية ليحص جناح قلوعه أن تطير ويعقل عباب بحره أن يغير..." (1).

"... وما رأينا أهلا لهذه العزلة إلا حضرة سيدنا أدام الله صدق محبة الخير فيه، إذ كان منحه عادة في الرضى به وقدرة على الإجابة، ورغبة في الإنابة ولاية لأمر المسلمين، ورئاسة للعالم والدين، وقيامه لسلطان التوحيد القائم بالموحدين" (2).

والهدف من النجدة هو تطهير الأرضيين كما جاء في الرسالة رقم 38؛ فالهدف الأول هو تطهير الديار المصرية واليمنية من الفاطميين، والثاني هو تطهير بيت المقدس من الصليبيين (3).

(4) المصدر نفسه، 187/1 - 188؛ وشهاب الدين عبد الرحمان بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، حققه وعلق عليه إبراهيم الزبيق، (بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ط1، 1997 م)، 4/199؛ وعز الدين موسى: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ص37.

(5) رسائل موحدية، 1/الرسالة 38.

(1) نفسه، 1/ 183 - 185.

(2) نفسه، 1/185.

بعثها مع أبي الحارث عبد الرحمان بن منقذ إلى إفريقية وصل في شهر رجب 586هـ/أوت 1190م، رغم المرض فإن المنصور استقبله بعد عودته من البرتغال في 6 محرم سنة 588هـ/ 23 جانفي 1192م، وبعد أن قدم الهدية من قبل صلاح الدين الأيوبي، عرض السفير السبب من بعثته وهو تدخل الأساطيل الموحدية لحصار بلاد الكفار وتحرير بلاد المسلمين، ولكن المنصور رفض عرض السفير⁽⁴⁾. لأن صلاح الدين الأيوبي لم يخاطب الخليفة بأمر المؤمنين⁽⁵⁾.

يذهب البعض أن أسباب رفض المنصور لهذا العرض تعود إلى التوسعات التي قام بها قراقوش مملوك تقي الدين أخ صلاح الدين إلى غرب مصر فاستولى على برقة وطرابلس، وتحالف قراقوش مع بني غانية، إلا أن قراقوش حاول أن يدخل في طاعة الموحدين بعد حملة المنصور سنة 583هـ/1187م⁽¹⁾.

يرى العزاوي أن⁽²⁾: مصدر التوتر بين الدولتين جاء مصدره الطرف الموحدية نتيجة الدعاية الموحدية في الأندلس فالموحدون يعتبرون أنفسهم باتخاذهم لقب الخلافة هم أحق بتسيير العالم الإسلامي، وأن للمنصور نية الرحلة إلى الشرق لغرض القضاء على البدع والخرافات في البلاد المصرية ويكون تطهيرها على يد المصريين

بينما إبراهيم حسن يرى أن⁽³⁾: استنجد صلاح الدين بيعقوب المنصور الموحدية راجع إلى حاجة الأسطول المصري إلى بعض قطع من الأسطول الموحدية لدفع خطر الصليبيين الذين كانوا يغيرون على بلاد الشام بحرا، إذ عني المغاربة في عهد الموحدين خاصة ببناء الأساطيل البحرية لاجتياز البحر إلى عدوة الأندلس وليكونوا دائما على أهبة الاستعداد لحرب نصارى الأندلس

⁽³⁾ نفسه، 183/1.

⁽⁴⁾ سعد زغلول: تاريخ المغرب، 7/ 53-55؛ وابتسام مرعي خلف الله: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي 524-936هـ/1130-1529م، (دار المعارف، 1985م)، ص160.

⁽⁵⁾ أبو شامة: كتاب الروضتين، 205/4.

⁽¹⁾ مجموع رسائل موحدية، (ليفي)، الرسالة 31؛ وعز الدين موسى: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ص40.

⁽²⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (العزاوي)، 83/1.

⁽³⁾ تاريخ الإسلام، 316/4.

الذين كانوا يتطلعون إلى استرداد أملاكهم من أيدي المسلمين بسبب الحروب التي كانت تدور بين المغاربة والنصارى في الأندلس.

أبا يعقوب المنصور لم يقبل كتاب صلاح الدين الأيوبي، وهذا راجع إلى أن أبا يعقوب المنصور كان دائما على أهبة الاستعداد لحرب النصارى في الأندلس، وليس كما قال بعض المؤرخين بأنه لم يلقيه بأمر المؤمنين.

ج- الأندلس: جهاد الموحدين للممالك النصرانية: 1- جهاد الموحدين للممالك الأسبانية:

منذ سنة 1144/539هـ أخذ النفوذ الموحدى يدخل الأندلس فدخلت مجموعة من المدن في الدعوة الموحدية منها إشبيلية ثم تحرك الموحدون جنوب شرق الأندلس لفتحها، فقد قاد أبو محمد عبد الله سليمان صاحب أسطول سبته بحملة بحرية متجها إلى المرية حاول من خلالها فتح مدينتي مالقة والمنكب ولكن دون جدوى، ثم اتجهوا إلى المرية⁽¹⁾، ويذكر ابن عبد المؤمن أن أمر المرية " من أهم الأمور وأكدها في هذا الغرض المبرور، والأمل الميسور، لكونها ناظمة بين الجهات الشرقية والغربية ، ورابطة بين البلاد البرية والبحرية"⁽²⁾.

الرسالة لم تذكر الهجوم البري، إلا أن بعض المصادر تذكر أن الخليفة عبد المؤمن بعث سنة 1151/546هـ الشيخ أبا حفص إلى الأندلس وبعث معه السيد أبا سعيد عثمان بعشرين ألف فارس لغزو الروم واستنقاذ المرية منها⁽³⁾.

فرض عبد المؤمن حصارا على مدينة مالقة أدى إلى تسرب الدعوة الموحدية في شمالها وشرقها، كانت تحت سلطة ابن حسون القاضي الذي دعا لنفسه ثار على اللمتونيين حاصر

⁽¹⁾ مجموع رسائل موحدية، (لبيفي)، الرسالة الخامسة؛ وعبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول

الأندلس، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، 1984م)، ص 95.

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص 73-74؛ والمرجع نفسه، ص 96.

⁽³⁾ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 193.

القصبة لمدة ستة أشهر وملكها وانتقل إليها وتسمى بالأمير، ثار عليه الرعية ولما تيقن من الهلاك قتل نفسه يوم السبت 11 من ربيع الأول عام 1153/هـ 548م حمل رأسه إلى مراکش واستولى الموحدون على مالقة⁽⁴⁾.

بعد دخول الموحدين إشبيلية سنة 1146/هـ 541م منعهم القوات القشتالية وقوات ابن غانية من الوصول إلى قرطبة غير أن خوف ابن غانية من استيلاء القشتاليين عليها سلموها للموحدين سنة 1148/هـ 543م وقاموا بطرد النصارى منها وهذا ما جعل زعيم أبي زكريا يحي يعلن الطاعة للموحدين⁽⁵⁾.

وهذا ما جعل أبا القاسم محمد بن الحاج قاضي قرطبة بكتابة نص بيعة أهلها وبعثها مع وفد عنه، وتأخر الوفد في مراکش لانشغال الخليفة بحرب دكالة وبرغواطة⁽⁶⁾ والرسالة الثالثة عن عبد المؤمن إلى جماعة المشيخة بقرطبة يعلمهم بوصول الكتاب⁽¹⁾، سارت القوات الموحدية من مدينة قرطبة اتجاه وسط الأندلس واستولوا على جيان⁽²⁾.

تمكنت القوات الموحدية من حصار المرية سنة 1151/هـ 546م ولكن لم تتمكن من دخولها، وأثناء حصارها دخل الموحدون بياسة⁽³⁾ وأبذة⁽⁴⁾ وأعلن صاحب وادي آش الطاعة للموحدين⁽⁵⁾، ونتيجة لحصار الموحدين على غرناطة وقطع إمدادات ابن مردنيش عليها قام ميمون بن بدر اللمتوني بتسليمها للموحدين مقابل العفو عنه وذلك سنة 1156/هـ 551م، وبعدها قامت القوات الموحدية بفرض حصار على المرية دام ثلاثة أشهر واسترجعوها سنة 1157/هـ 552م،

⁽⁴⁾ مجموع رسائل موحدية، الرسالة 5؛ ورسائل موحدية - جديدة-، (الغزاوي)، 1/ الرسالة 07.

⁽⁵⁾ المصدر نفسه، الرسالة 04.

⁽⁶⁾ نفسه، الرسالة 02.

⁽¹⁾ نفسه، الرسالة 06.

⁽²⁾ القرقوطي: جهاد الموحدين، ص 97-98.

⁽³⁾ مدينة الأندلس بينها وبين جيان عشرون ميلا، مطلة على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة، وهي مدينة ذات أسوار وأسواق،

خلها الروم سنة 623هـ. أنظر الحميري: الروض المعطار، ص 121.

⁽⁴⁾ مجموع رسائل موحدية، (ليفي)، الرسالة 16.

⁽⁵⁾ المقرئ: نفع الطيب، 4/ 378؛ والقرقوطي: المرجع السابق، ص 100.

كانت هزيمة ابن مردنيش والقشتاليين ثم موت ملك قشتالة عاملا مساعدا على فتح مدينتي بياسة وأبذة⁽⁶⁾.

أصبحت بياسة بعدها نقطة الإغارة على بلاد النصارى، ومركز بعث السرايا، لذا فقد شحنها الموحدون بالآلات المعدة والأقوات الممدة تحصينا لهم، فهي قطر عظيم المنافع متسع المسارح والمزارع⁽⁷⁾.

خلال هذه الأحداث كان ملك البرتغال ألفونسو بن الرند وبعض المغامرين يهددون الحصون الإسلامية في غربي الأندلس، ففي عام 1147/542م استطاع ملك البرتغال بالتعاون مع قوات صليبية أن يستولي على مدينة لشبونة، ثم استولى على مدينة شنترين⁽⁸⁾.

جدد الإسبان هجومهم على الأندلس فقام ملك قشتالة ألفونسو الثامن بمهاجمة الأراضي

الأندلسية، فقاومه القوات الموحدية قرب طلبيرة⁽¹⁾ عام 1182/578م، وفي عام 1184/580م عبر الخليفة الموحدى إلى الأندلس قاصدا شنترين⁽²⁾ ونازلها في عدة معارك، إلا أنه أمر بالانسحاب فجأة قبل افتتاحها، ثم أصيب في المعركة وتوفي بعد قليل في ربيع الآخر من عام 580هـ /جويلية 1184م⁽³⁾.

تولى الخلافة بعده ابنه ولقب بالمنصور عبر إلى الأندلس 586هـ / 1185م لرد اعتداءات ملك البرتغال الذي سيطر على مدينة شلب، وبعبور الخليفة إلى الأندلس طلبت ليون الهدنة من

⁽⁶⁾ مجموع رسائل موحدية، الرسالة 16.

⁽⁷⁾ المصدر نفسه، ص 79.

⁽⁸⁾ خليل إبراهيم السمراي وآخرون: تاريخ العرب، ص 287.

⁽¹⁾ بالأندلس وبينها وبين وادي الرمل خمسة وثلاثين ميلا، وهي أقص ثغور الأندلس، وباب من الأبواب التي يدخل منها إلى أرض النصارى، وهي قلعة كبيرة وقلعتها أرفع القلاع حصنا. أنظر الحميري: الروض المعطار، ص 395.

⁽²⁾ رسائل موحدية، - جديدة-، (الغزاوي)، 1/ الرسالة 34.

⁽³⁾ خليل إبراهيم السمراي: تاريخ العرب، ص 288؛ وعبد الرحمان علي الحجي: التاريخ الأندلسي، ص 462؛ وأحمد فكري: قرطبة في العصر الإسلامي، ص 164.

المنصور فانفرد المنصور بالبرتغاليين وهاجمهم برا وبحرا ووصلت حملته سنة 586هـ/1185م إلى شنترين⁽⁴⁾ وكانت الغارات تشن على ما حولها أثناء الحصار خاصة حصن طمار⁽⁵⁾.

استطاع بعد معارك جهادية استرجاع مدينة وقصر الفتح (قصر أبي دانس) وذلك في عام 587هـ/1191م - 591هـ/1195م، فلما انتهت مدة المعاهدة بدأ ملك قشتالة بمهاجمة الأراضي الإسلامية، فعبر إليه المنصور الموحدى بجيوش كبيرة فالتقوا قرب حصن الأرك⁽⁶⁾ قرب مدينة قلعة رباح في عام 591هـ/1195م، فأحرز الموحدون النصر الكبير وافتتحوا حصن الأرك⁽⁷⁾، وغنم المسلمون غنائم كثيرة لم يسمع بها من قبل حتى بيع السيف بنصف درهم والحصان بخمسة دراهم، والحمار

بدرهم⁽¹⁾، وفي عام 591هـ/1196م غزا المنصور أرض قشتالة، واستولى على عدد من الحصون منها منتانجس وترجالة وغيرها، ثم تقدم إلى طليطلة وخرّبها⁽²⁾، وحالف المنصور أعداء قشتالة صاحب نباره وصاحب ليون الفونس التاسع ودعمه لغزو قشتالة⁽³⁾.

وقد جاء في إحدى الرسائل الموحدية المؤرخة في 9 رمضان 592هـ/5 أفريل 1196م أنه أثناء غزو المنصور لأراضي قشتالة " كان صاحب ليون وهو ابن عم هذا الكافر المغرور... وتوسل إلى المسألة بخدمة، وألقى الله بينهما حربا...؛ فشغل بالرغبات أفواه المخاطبات عسى أن

(4) أحمد عزراوي: قضايا تاريخية، ص 120.

(5) مجموع رسائل موحدية (ليفي)، الرسالة 34.

(6) هو حصن منبع بمقربة من قلعة رباح. أنظر الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص 13.

(7) رسائل موحدية، 1/ الرسالة 42؛ وابن عذاري: البيان، 3/ 221، 228؛ وميراندا: التاريخ السياسي، ص 354، 358؛ والقرطوبي: جهاد الموحدين، ص 195، 201؛ وعنان: دولة الإسلام، 2/ 196 - 210؛ و

E Fagnan: **Listoire des Almohades**, P. 181.

(1) اليافعي: مرآة الجنان، 3/ 358.

(2) ابن عذاري: البيان، 3/ 223.

(3) أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب، (تونس: الدار العربي للكتاب، 1997م)، 2/ 204 - 205.

يبعث إلى أرضه بجيش من المسلمين...؛ فبعث إلى أرضه بجيش من المسلمين هالته شجاعتهم...»⁽⁴⁾.

انتصر الموحدون في هذه الغزوة وأثناء عودتهم سيطر الموحدون على معقل كثيرة منها قلعة بطربونة التي تحصن فيها النصارى وحلفائهم الإفريين⁽⁵⁾. وفي عام 593هـ/ 1196م غزا المنصور أرض قشتالة للمرة الثانية، توغل شمالاً فهاجم حصن مجريط ووادي الحجارة، عاود ألفونسو طلب الصلح ووافق المنصور على ذلك⁽⁶⁾، وعقدت هدنة بين الطرفين ابتداء من عام 594هـ/ 1197م⁽⁷⁾.

إن انتصار الموحدين في الأرك كان رادعا لملوك اسبانيا الشمالية إذ التزموا بشروط المهادنات المعقودة إلى عام 607هـ/ 1210م مع أن البابوية كانت ترفض عقد المهادنات مع المسلمين⁽⁸⁾.

في عام 595هـ/ 1298م توفي الخليفة المنصور، فخلفه ابنه الناصر لدين الله 595هـ/ 1298م - 610هـ/ 1213م وسنه دون العشرين، فبدأ ألفونسو الثامن في عام 606هـ/ 1209م، قبل انتهاء أجل الهدنة مهاجمة الأراضي الأندلسية، استولت قوات القشتاليين على حصن شلبطرة الذي أصبح مركزا للتحركات القشتالية، وعيَّسهم في ولاية جيان فاستنجد أهل الأندلس بخليفة الموحدين الذي جهز جيشا وعبر الأندلس عام 607هـ/ 1211م، فضل البدء بالسيطرة على حصن شلبطرة، ولما تم فتحه سنة 608هـ/ 1211م، يبعث برسالة بشرى إلى ولايات دولته⁽¹⁾، إلا أن فرحة النصر انتهت بالتقاء الناصر بألفونسو الثامن عند حصن العقاب⁽²⁾

⁽⁴⁾ مجموع رسائل موحدية، (لبيفي)، ص 238 - 239.

⁽⁵⁾ المصدر نفسه، الرسالة 35.

⁽⁶⁾ أمين توفيق: المرجع السابق، ص 205.

⁽⁷⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الزاوي)، 1/ الرسائل 63 - 64.

⁽⁸⁾ أمين توفيق الطيبي: المرجع السابق، ص 206.

⁽¹⁾ رسائل موحدية - جديدة- (الزاوي)، 1/ الرسالة 67.

عام 609هـ/1212م وانتهى اللقاء بهزيمة جيش الناصر وتشتت قوة الموحدين⁽³⁾، أعقبها سقوط أبدة وبياسة، وتم الاستيلاء على قرطبة وبلنسية وإشبيلية⁽⁴⁾.

وبعد هذه الهزيمة عقد الموحدون هدنة مع القشتاليين، يتشكل الوفد القشتالي من الوزير أبو الحجاج بن مزاح ومعه الوزير أبي إسحاق بن أبي الحجاج ابن الفخار⁽⁵⁾، أما الوفد الموحدى فحسب الرسائل يتشكل من الشيخ أبو عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمان⁽⁶⁾، إلا أن الرسائل لم تذكر شروط المعاهدة ومدتها، تجددت هذه الهدنة سنة 618هـ/1221م⁽⁷⁾.

كانت هزيمة العقاب نقطة تحول في عهد الدولة الموحدية؛ فقد انتقلت من فترة القوة إلى فترة الضعف، تبعها مجاعة وأوبئة، ونتج حركة انفصال وصراع بين القوى المحلية مع تزايد ضغوطات النصارى، مما أدى بإضرار الوضع الاقتصادي، نتيجة انعدام الأمن من جهة ومن جهة أخرى نتيجة الضغط الجبائي من أجل تجنيد الأتباع والمرتزة النصارى، ثم من أجل دفع الإتاوات للملك النصارى.

2- انتصار الموحدين على القائد البرتغالي جراندة:

استغل النصارى انشغال الموحدين بالقضاء على ثورات المغرب الأقصى وبمحاربة ابن مردنيش في شرق الأندلس فقاموا بمجموعة من الاعتداءات على القواعد الإسلامية في غرب

⁽²⁾ تعرف هذه الموقعة في المصادر الإسبانية بموقعة نافاس دي تولوزا "Navas di Toloza" أو موقعة أوبده. أشباخ: تاريخ الأندلس، ص120؛ وتعرف في الرواية العربية باسم "موقعة العقاب". أنظر شوقي أبو خليل: العقاب بقيادة أبي عبد الله محمد الناصر، (دمشق: دار الفكر، ط1، 1979م)، ص53؛ وعبد الفتاح الغنيمي: موسوعة المغرب العربي، 4/ 202.

⁽³⁾ رسائل موحدية، 1/ الرسائل 67-68؛ و خليل إبراهيم السمرائي وآخران: تاريخ العرب، ص 288-289؛ والقرقوطي: جهاد الموحدين، ص233؛ وطارق سويدان: الأندلس التاريخ المصور، 367؛ وأحمد فكري: قرطبة، ص147؛ وشوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص53.

⁽⁴⁾ ج. س. كولان: الأندلس، ترجمة: إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1980 م)، ص137.

⁽⁵⁾ رسائل موحدية، 1/ الرسالة 77.

⁽⁶⁾ المصدر نفسه، 1/ الرسالة 78.

⁽⁷⁾ نفسه، 1/ الرسالة 85.

الأندلس بقيادة جيرالدو سمبافور، ينعت في الروايات النصرانية بالباسل⁽¹⁾ كان يعمل لصالح البرتغال حيث غزا في شهر جمادى الأولى 560هـ/ماي 1164م مدينة ترجالة⁽²⁾ وهاجم مدينة يابرة في نفس السنة، باع المدينتين للنصارى⁽³⁾، ولكن في إحدى عملياته أغار على وادي آش سنة 563هـ/1167م اعترضته حامية غرناطة خلال عودته وهزيمته وأخذت منه الغنائم، فكتب الشيخ أبو عبد الله والي غرناطة إلى الخليفة مخبراً بهذا الانتصار، فأجابه الخليفة مهتماً له برسالته⁽⁴⁾.

3- انتصار الموحدين على فرسان أبله في فحص هلال

عندما فشل الخليفة يوسف عن فتح وبدة⁽⁵⁾ أواخر سنة 567هـ/1121م⁽⁶⁾، استقر باشبيلية، وفي هذا الوقت خرجت جماعة من النصارى إلى الوادي الكبير وأسرت عدداً من الناس واحتطفت المشية⁽⁷⁾، وعادت في اتجاه قلعة رباح⁽⁸⁾ (بفحص هلال) جنوب طليطلة "يميلون على جوانبهم بالغارات، فلا يجدون من يصرف تطاول اعتدائهم، ولا من يردع أعنة استشارتهم قد نامت عنهم الحوادث وأمهلتهم الأقدار... وجمعوا ممن انضاف إليهم من أهل إلبه وطلبيرة والافريريين وغيرهم جمعا كثيفا من الفرسان والرجالة، وقصدوا هذه الجهات....

(1) القرقوطي: جهاد الموحدين، ص142.

(2) مدينة بالأندلس كالحصن المنيع لها أسوار وأسواق عامرة، بها تكون الغارات على بلاد الروم، استولى عليها الروم سنة 630هـ. أنظر الحميري: الروض المعطار، ص133.

(3) القرقوطي: المرجع السابق، ص143.

(4) رسائل موحدية -جديدة-، (الغزوي)، 1/ الرسالة 22- 23؛ وابن صاحب الصلاة: المن، ص 274- 277.

(5) مدينة بالأندلس، وهي حصن على واد يقرب أقليمش. أنظر الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص194.

(6) القرقوطي: المرجع السابق، ص156- 157.

(7) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص428- 429.

(8) من عمل جيان تقع بين قرطبة وطليلة، وهي مدينة حسنة، ولها حصون حصينة على نهر، سقطت بأيدي النصارى حتى وقعة الأرك بقيت في أيديهم إحدى وخمسين سنة وعشرة أشهر، فأمر المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بتطهيرها جامعها وصلّى فيها. أنظر الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص163.

وانتهى أعداء الله إلى الوادي الكبير ما بين إشبيلية وقرطبة... فأجازوا الوادي الكبير هناك ومروا على الحصون التي على الوادي من ضفة الكتب (ان)ية واستمروا إلى استجة⁽¹⁾ وقرطبة فألفوا هناك غنائم مجموعة وشاءا كثيرا... ثم عكفوا على قبلي قرطبة... ليجعلوا ذلك طريقهم إلى الجهات الشرقية⁽²⁾.

عندما سمع الخليفة وجه إليهم مجموعة من فرسان الموحدين والعرب بقيادة الشيخ أبي حفص الهنتاتي وصلوا جبل قرطبة يوم الاثنين السابع عشر من شعبان سنة خمسماية وثمانية وستين، وواصلوا سيرهم يوم الثلاثاء والأربعاء، مع بعث الطلائع لاكتشاف أخبار العدو، اجتمعا الفريقان في فحص هلال المطل على جهات قلعة رباح⁽³⁾. ووقعت المعركة بين الموحدين وفرسان آبله فهزم فرسان آبله وقتل زعيمهم، وبعد وصول خبر النصر وجه الخليفة من إشبيلية رسائل إلى مراكش يخبرهم بالنصر⁽⁴⁾.

دفعت هذه الغارات النصرانية الفاشلة إلى طلب الهدنة مع الموحدين، التي كانت استمرارية للهدنة التي عقدت مع ليون في سنة 1167/563م وجددت سنة 1170/566م، وكانت الوفود التي بعثت إلى عقد هذا السلم هي وفد صاحب قلمرية (البرتغال)، وصلت هذه الوفود إلى إشبيلية في ذي الحجة سنة 1172/568م، وبقيت الوفود إلى أن تمت الهدنة وفق شروط معينة وإلى وقت محدود⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ بين القبلة والمغرب من قرطبة بينهما مرحلة كاملة، وهي مدينة قديمة، ومعنى الاسم عندهم جمعت الفوائد. أنظر الحميري: الروض المعطار، ص53.

⁽²⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغزاوي)، 1/ 131-132.

⁽³⁾ المصدر نفسه، 1/ 132-133؛ وابن صاحب الصلاة: المن، ص430-431؛ وميراندا: التاريخ السياسي، ص259-261.

⁽⁴⁾ رسائل موحدية، 1/ الرسائل 27-28؛ ومجموع رسائل موحدية: (ليفي)، الرسالة 22.

⁽⁵⁾ الغزاوي: رسائل موحدية، 2/ 103؛ والقرقوطي: جهاد الموحدين، ص162؛ وميراندا: المرجع السابق، ص261.

كانت الدوافع الموحدية من عقد هذا الصلح حسب الرسالة هو حاجة الثغور إلى التعمير وعودة النشاط الفلاحي والتجاري إليها حتى تستطيع مستقبلاً أن تتحمل عبء القوات العسكرية الكبيرة لمواجهة أرض العدو، واعتبر الخليفة هذا النصر صلحاً على غرار صلح الحديبية⁽⁶⁾.

ويرى أحمد عزاوي أن⁽¹⁾: هناك عامل آخر لعقد الهدنة وهو الوضع في إفريقية بسبب وصول الماليك بقيادة قراقوش مملوك ابن أخي صلاح الدين إليها منذ سنة 568/1172م، بتعاونه مع عرب رياح الخارجين عن السلطة الموحدية، ودعم بني الرند للمتمردين في قفصة.

ومن جانب الممالك الإسبانية: هناك ثلاثة ملوك تذكرهم رسالة الخليفة حول موضوع الهدنة: ملك ليون وملك قشتالة وملك البرتغال: ملك ليون هو الذي تسميه الرسالة "فرانده بن السليطين"، والسليطين هو الفونسو ريمونديس ملك قشتالة وليون الذي تولى الحكم صغيراً، فلقب بالسليطين، اشتد ضغطه على الأندلس، استولى على المرية سنة 542/1147م، إلى أن دخلها الموحدون سنة 552/1147م، وفي نفس السنة مات السليطين⁽²⁾.

ترك ولدان أحدهما فردناندو الثاني الذي خلفه على عرش ليون 552 - 583/1157 - 1188م، الذي تسميه الرواية العربية الببوج أو صاحب السبطاط نسبة إلى عاصمته، وهو الذي تقصده الرسالة⁽³⁾، وبالنسبة للابن الثاني هو سانشو الثالث 552 - 554/1157 - 1159م، خلفه ابنه الصغير ألفونسو (النبيل) وهو الذي أهزم في الأرك وانتصر في العقاب.

عرفت قشتالة في فترة الوصاية عليه فترة فتنة داخلية بين عائلة كاسترو الذي يؤيدهم ملك ليون عم الملك الطفل وبين أنصار عائلة لارا الوصية على الملك الصبي والتي تعاكس أطماع ملك ليون، غير أن تغلب هؤلاء بتتويج الطفل ملكاً على قشتالة سنة 560 - 561/1166م، وتقاربهم مع ملك أرغون والذي أنشأ حلف ضد نفارا وليون، إلى جانب عداء البرتغال لمملكة ليون، هذه

⁽⁶⁾ رسائل موحدية، 1/ الرسالة 29.

⁽¹⁾ العزاوي: رسائل موحدية، 2/120؛ وأحمد عزاوي: قضايا تاريخية، ص 116.

⁽²⁾ رسائل موحدية - جديدة - (العزاوي)، 1/ الرسالة 29.

⁽³⁾ المصدر نفسه، 1/ الرسالة 29؛ والعزاوي: المرجع السابق، 2/120.

الدوافع كلها جعلت ملك ليون فيرناندو الثاني يعقد حلف مع الموحدين سنة 563هـ/1167م، والذي تجدد في سنة 566هـ/1170م بطلب من الموحدين حين جاءوا من إشبيلية لإنقاذ بطليوس من حصار جراندة الجليقي، وأنقذها ملك ليون من السقوط في يد البرتغاليين⁽⁴⁾.

ويرى العزاوي أن⁽¹⁾: تجدد الموحدين الصلح مع ليون في هذه الظروف هو حربهم مع ابن مردنيش، وسيستمر الصلح إلى آخر سنة 569هـ/1172م، ويكون سببا في عدم الاعتداء الموحدية على ليون عندما يقوم بشن الغارات جنوب قشتالة في آخر سنة 568هـ/1171م.

بالنسبة لقشتالة التي أدركت الخطر الموحدية بسبب استقرار الخليفة يوسف بالأندلس رغم قضائه على ابن مردنيش، وفي تحالفه مع قشتالة، وفي الغارات التي يشنها الموحدية على طليطلة، وهذه العوامل وغيرها جعلت قشتالة تدخل في عقد الهدنة مع الموحدية.

أما البرتغال سمي ملكها في المصادر العربية بصاحب قلمرية⁽²⁾ وسمي في الرسالة بـ"ملك البرتغال"⁽³⁾، قام بتوسيع مملكته شمالا وجنوبا، فاحتل اشبونة وشتترين سنة 542هـ/1147م وقصر أبي دانس سنة 555هـ/1160م، واستولى القائد جيرالدو لصالحه على عدد من الحصون بناحية بطليوس⁽⁴⁾.

وفي محرم من سنة 568هـ/1172م تحرك جيش ملك البرتغال واحتل باجة قاعدة إقليم الغرب وهدم أسوارها، وأسر عدد كبير من أهلها ثم تركها، وتنص الرسالة على أن ملك البرتغال سارع لطلب الصلح قبل ملك طليطلة⁽⁵⁾. وتشير الرسالة إلى أن الصلح الذي عقده النصراني مع الموحدية جاء نتيجة عدة أسباب منها: الضغط العسكري الموحدية، والحروب القائمة بين

⁽⁴⁾ العزاوي: المرجع السابق، 141/2.

⁽¹⁾ نفسه، 121/2.

⁽²⁾ نفسه، 121/2.

⁽³⁾ رسائل موحدية - جديدة - (العزاوي)، 1/ الرسالة 29.

⁽⁴⁾ العزاوي: رسائل موحدية، 122/2.

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، 122/2.

الممالك النصرانية، حيث جاء في الرسالة: "وعقد لكل جهة منهم العهد إلى مدد مختلفة قدر ما
ينجبر فيها ما يليه من الثغور... ولم يبق من روم الجزيرة إلا شردمة بإزاء بلنسية"⁽⁶⁾.

استغل النصراني انشغال الخليفة بحروبه في بلاد المغرب واخترقوا الهدنة، حيث في سنة
1177/572م حاصرت قوات ملك قشتالة مدينة كوينكة الموحدية وهي من الثغور الشمالية
الشرقية، بدعم من جيوش أرغون فسقطت بيد القشتاليين، وعجزت القوات الموحدية عن
تحريرها⁽¹⁾.

وفي سنة 1177/573م استولت قشتالة على باجة ، واشتد الضغط القشتالي والبرتغالي
خاصة ما بين 577هـ - 1181/578م - 1182م في نواحي إشبيلية نفسها، مما جعل الخليفة
يتجه للمرة الثانية إلى الأندلس ويقوم بحصار شنترين سنة 580/1184م، بعد أن استكمل
قواته بتعيينه ولاية جدد على المدن الكبرى من أبناء الخليفة يوسف منهم السيد أبو عبد الله محمد
الوالي على مرسية⁽²⁾ لكن هذا الحصار فشل بسبب موت الخليفة متأثراً بجروح.

وأثناء عودة الحركة الموحدية وعند وصولهم إلى يابرة وجه السيد والي الشرق السيد محمد
إلى أهل ولايته بمرسية برسالة، يخبر فيها بما قام به الموحدين⁽³⁾ خلال هذه الحركة وهي مؤرخة
بـ 21 ربيع الثاني سنة 580/1184م⁽⁴⁾.

4- ثورة البياسي:

ثار البياسي في مدينة بياسة عندما ولاه العادل قرطبة فخلع دعوة العادل وخرج عن
الموحدين⁽⁵⁾، استعان بالقشتاليين لتحقيق أهدافه التوسعية— فعقد معه اتفاقاً في سنة 623هـ/

⁽⁶⁾ رسائل موحدية، 1/ 143.

⁽¹⁾ القرقوطي: جهاد الموحدين، ص164.

⁽²⁾ رسائل موحدية - جديدة-، (الغراوي)، 1/ الرسالة 34.

⁽³⁾ لإخفاء فشل حصار شنترين.

⁽⁴⁾ رسائل موحدية، 1/ الرسالة 34؛ والقرقوطي: المرجع السابق، ص165، 171.

⁽⁵⁾ ابن عذاري: البيان، 3/ 271.

1225م مع الملك فرناندو، وتعهد له أن يسلم له بعض الحصون التي كان يطلبها مثل مرتش وأندوجر وجيان، ودفع إليه ابنه كرهينة، ونزل الجند القشتالي قلعة بياسة، ونتيجة التحالف تحرك فرناندو الثالث في حملة وصل إلى غرناطة واستسلمت له مرتش وأندوجر، بينما قاومت حصار الحليفين مدينة جيان التي كانت تدافع عنها حامية موحدية وفرقة من المرتزقة القشتاليين بقيادة " البار بيريث دي كاسترو"، كما امتنعت أيضا مدينة غرناطة على الحليفين⁽¹⁾.

وأمام هذا الانتصار وفشل الموحدين في رد التحالف، زحف البياسي نحو إشبيلية وسيطر على بعض الحصون، وانهزم أمامه جيش أبي العلاء صاحب إشبيلية في معركة القصر قرب طليلطة⁽²⁾، عندما حاول البياسي الهجوم مرة أخرى رده أبي العلاء، وانهزم أمامه في 25 صفر 623هـ / 25 فيفري 1226م⁽³⁾ وعلى إثر هذا النصر وجه أبو العلاء إلى الخليفة العادل برسالة مبشرة بالنصر مؤرخة بربيع الأول سنة 623هـ / 1226م⁽⁴⁾، كانت هذه الهزيمة إيذانا بنهاية ثورة البياسي، سقطت الحصون التي استولى عليها في أيدي الوالي، وثار عليه أهل قرطبة فقتلوه⁽⁵⁾.

ثانيا: العلاقات التجارية:

ربطت الدولة الموحدية علاقاتها الاقتصادية مع مجموعة من الدول المجاورة لها.

أ- تجارة المغاربة في السودان:

تمتد التجارة المغربية جنوبا نحو السودان، وعند دخول التجار المغاربة إلى غانا فإنهم يجدون الأمن وتنوع الخيرات والمتاجر، ولقد وصف الإدريسي أهل أغمات: " أهل وهم أملياء تجار مياسير يدخلون بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطر الأموال من النحاس الأحمر والملون

(1) نفسه، 2 / 197 - 198.

(2) ميراندا: التاريخ السياسي، ص 448.

(3) ابن عذاري، البيان، 3 / 271.

(4) رسائل موحدية - جديدة -، (الغزاوي)، 1 / الرسالة 110.

(5) ابن عذاري: المصدر السابق، 3 / 273؛ وميراندا: المرجع السابق، ص 249.

والأكسية و ثياب الصوف والعمائم والمآزر وصنوف النظم من الزجاج والأصداف والأحجار
وضروب الأفوية والعطر وآلات الحديد"⁽⁶⁾. إلا أن الموحدين تعرضوا إلى بعض الصعوبات في
بلاد السودان مما جعل الأمير الموحد أبي الربيع سليمان بن عبد المؤمن يبعث برسالة إلى ملك
السودان بغانة، ينكر عليه تعويق التجار، ومما جاء في هذا الكتاب: "وقد بلغنا احتباس مساكين
التجار ومنعهم من التصرف

فيما هم بصدده، وتردد الجلاية إلى البلد مفيد لسكانها، ومعين على التمكن من استيطانها، ولو
شئنا لاحتبسنا من في جهاتنا من أهل تلك الناحية، لكننا لا نستوصب فعله..."⁽¹⁾.

ومع هذا فإن هذه الفئة تعرضت للكثير من النكبات والعقبات التي كدست تجارتهم،
وراحت بأموالهم، ومن هذه النكبات تعرض سوق مراكش سنة 607هـ/ 1210م للحريق، قضى
على كل ما فيه. وكانت الحروب سببا مباشرا في تراجع التجارة، وفي سنة 637هـ/ 1239م
تعرضت مدينة فاس لغزوات المرينيين، تسببت في خراب المدينة⁽²⁾.

ب- العلاقات التجارية الموحدية مع المدن الإيطالية.

كانت المدن التجارية الإيطالية تتعامل مع المشرق بسبب الامتيازات التي قدمت لها في
المشرق في بداية الحروب الصليبية والمخاطر التي تتعرض لها في المغرب، غير أن الأمن الذي قدم لها
من طرف الموحدين وجهت أنظارها إلى المغرب للتعامل معها.

1 - العلاقات مع بيزا⁽³⁾.

⁽⁶⁾ نزهة المشتاق، ص 66.

⁽¹⁾ رسائل موحدية - جديدة -، (الغزاوي)، 211/1؛ وعبد الله كنون: النبوغ المغربي، (طبعة، ط2، 1960م)، ص 425.

⁽²⁾ نوارة شرقي: الحياة الاجتماعية، ص 107.

⁽³⁾ تقع شرق مدينة جنوة على ساحل البحر، وهي أعظم منها، قومها تجار في البر والبحر. أنظر الزهري: كتاب الجغرافية،
ص 78.

للدولة الموحدية علاقات اقتصادية مع الأجنبي من دول أوروبا كإيطاليا، حيث عقدت معهم معاهدات تجارية في سنة 528هـ/ 1133م و548هـ/ 1153م و555هـ/ 1160م، وأطلقت لهما الحرية في التجارة ببلادها، ولقد نصت تلك الاتفاقيات في خطوطها العامة على تأمين الملاحة والتجارة المتبادلة وتحديد أسس التجارة بين الطرفين وضمان إقامة الأروبيين الأجانب في الاسكالات (الموانئ المغربية)، وأن يكون لكل جالية أروبية قنصلها وفندقها لحماية بضائعها وإقامة أفرادها وأن تضمن المسؤولية الفردية، أن لا يعاقب مثلاً كل أفراد الجاليات أو الجالية الواحدة كلها لذنب اقترفه واحد منهم⁽⁴⁾.

وفي سنة 552هـ/ 1157م أبرم عبد المؤمن معاهدة تجارية مع بيزة، بموجبها يقدم عبد المؤمن ضمانات تحمي حقوق الرعايا البيزنين في إفريقيا ولكن في عهد الخليفة أبو يعقوب يوسف بعثت حكومة بيشة "بيزا" إلى أمير المؤمنين يذكره فيها باحترام العهد التي تؤمن للبيشانين في الأنفس والأموال ولا يفرض عليهم غير أداء العشر المعتاد أخذه منهم⁽¹⁾. وفي سنة 582هـ/ 1186م أبرم المنصور معاهدة سلم وتجارة مع جمهورية بيزا تدوم هذه المعاهدة خمس وعشرين سنة وتضمن هذه المعاهدة حرية تجار بيزا في كل من سبتة ووهران وبجاية وتونس⁽²⁾.

جاء في الاتفاقية أنه لا يحق للبيشانين التزول بغير المدن الأربعة السابقة إلا لضرورة من صعوبة البحر لكنهم لا يبيعوا في هذه المنطقة التي أرسوا فيها شيئاً أو يشتروه ولا يتعاملوا مع أحد في هذا الغرض ما عدا المرية فقد سمح لهم التزويد منها ويصلحوا مراكبهم، ولا يحملوا أحد من

⁽⁴⁾ الجليلي: تاريخ الجزائر، 62/2 - 63.

⁽¹⁾ رسائل موحدية - جديدة -، (الغزاوي)، 1/ الرسائل 32، 33.

⁽²⁾ المصدر نفسه، 1/ الرسالة 35؛ ومحمد ولد داداه: مفهوم الملك، ص 175؛ و

المسلمين للسفر معهم وأن يقدموا العشر للدولة الموحدية، وعدم تعدي الطرفين على الآخر، كما تثبت المسؤولية الشخصية في الجرائم⁽³⁾.

ومن خلال الرسالة السادسة والثلاثون يبدو أن النشاط التجاري للبيشانيين لم يكن منتظماً إما بسبب الأحوال الداخلية بأفريقية أو بسبب عدم احترام الاتفاقيات المبرمة بحيث نجد أن تردد تجار بيشة ضعف ترددهم إلى المغرب هذا ما جعل السيد أبي زيد والي تونس يبعث لهم برسالة يشجعهم للتردد على البلاد ويعطي لهم الأمان "...كتاب أمان وتأكيد إحسان أمر بكتبه عبد الرحمان بن سيدنا أبي حفص إلى جماعة تجار نصارى بيش...أمنه سر بهم... وأجراهم على ما تعدوه من إحسان سيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين..."⁽⁴⁾.

كما تكرر المراسلات سنتي 596هـ/1199م و597هـ/1200م من طرف والي تونس السيد أبي زيد بن عبد الرحمان إلى حكومة بيشة من أجل تحريض تجارها على الوفود إلى إفريقية وتأكيد التأمين لهم رغم الاعتداءات التي تعرضت لها بعض مراكب المسلمين من طرف سفنهم بخليج تونس في شوال سنة 596هـ/1199م مع التأكيد على إلزامه احترام العهود المبرمة بين الطرفين⁽¹⁾.

نتيجة لظروف سياسية تلجأ الدولة الموحدية إلى الإعفاء الضريبي، وقد ورد في إحدى الرسائل الموحدية أن: "وأما أمر القبض التي تؤخذ من التجار وجرت به العادة فقد هونأها وأمرنا بلطفها"، كما تؤكد نفس الرسالة على إعفاء بعض المواد من الضريبة كالخشب "...وقد تركنا لتجاركم جميع ما يخرجون من الشب وأعفيناهم من الواجب فيه..."⁽²⁾. هناك نظام آخر للإعفاء

⁽³⁾ نفسه، 1/ الرسالة 35.

⁽⁴⁾ نفسه، 1/ 176.

⁽¹⁾ نفسه، 1/ الرسائل 46، 47، 48، 50، 52، 53.

⁽²⁾ ابتسام مرعي خلف الله: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق، ص309.

إذا تم الأمر فيما بينهم على ظهر المركب أو عند وصول المراكب إلى إحدى الموانئ المسموح بالرسو فيها⁽³⁾.

أما عن المبادلات التجارية مع بيشة" بيزا" نجد الشب، الأصواف، النحاس، الجلود⁽⁴⁾، وكان البيشانيون يحملون إلى إفريقية القمح⁽⁵⁾ الذي يجلب خاصة من صقلية لوجوده بكثرة في الجزيرة وفي المقابل فإن المنطقة المغربية بحاجة إليه بسبب الظروف المناخية أو الحروب وعدم وجود الأمن والاستقرار⁽⁶⁾.

2- العلاقات مع جنوة:

تعتبر جنوة من أقدم المدن الإيطالية التي تعاملت مع الموحدين، وكانت أول معاهدة وقعها الجنويون مع البربر المصامدة سنة 548هـ/1153م⁽⁷⁾، وتجددت بعد فتح المهديّة وفي عهد الخليفة عبد المؤمن⁽¹⁾ 556-557هـ/1160-1161م، أصبح للجنويين حق المتاجرة على سواحل الدولة الموحدية مع امتياز خاص وهو أداء ضريبة 8% على سلعهم ماعدا في بجاية 10%⁽²⁾، وقد بلغ حجم الاستثمارات التي وجهها رجال الأعمال الجنويون إلى موانئ بلاد المغرب والتي وصل حجمها ما بين 556هـ-560/1160-1164م 49%⁽³⁾، وقد جدد

⁽³⁾ رسائل موحدية- جديدة- (الغزوي)، 1/ الرسالة 35.

⁽⁴⁾ الغزوي: رسائل موحدية، 2/ 90.

⁽⁵⁾ رسائل موحدية، 1/ 32-46.

⁽⁶⁾ المصدر نفسه، 1/ الرسائل 30-31.

⁽⁷⁾ رشيد باقة: نشاط جنوة الصليبي والتجاري في سواحل بلاد المغرب من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر ميلادي، (من السادس إلى التاسع الهجري)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ، اختصاص تاريخ العصور الوسطى، (قسنطينة: جامعة الأمير عبد القادر، 2006-2007م)، ص135؛ ومحمد ولد داداه: مفهوم الملك، ص147.

⁽¹⁾ أرسل الجنويون سفيرا إلى مراكش اسمه القنصل هوتوبونه، استقبله الخليفة بجفاوة، ووافق على حرية التجارة بين جنوة وحليفها ساوونه وجميع الإمبراطورية الموحدية... أنظر محمد ولد داداه: مفهوم الملك، ص175.

⁽²⁾ Mas- Latrie: **Traité de paix** - p. 47. وعز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص286؛ والغزوي:

رسائل موحدية، 2/ 93.

⁽³⁾ رشيد باقة: نشاط جنوة، ص135.

الاتفاق مرتين في سنتي 1175/571م و1191/587م⁽⁴⁾. كانت أهم الموانئ التي تعامل الجنويون في أعمالهم التجارية بجاية من 1155-1165م، ثم سبتة ووهران وطرابلس الغرب وجربة⁽⁵⁾.

أصبحت استثمارات جنوة على جميع مراسي المغرب إلى سلا، حيث كانت حصة الاستثمار في المغرب أكثر من حصة الاستثمار في الجهة الشرقية، حتى أوشكت جنوة على احتكار النقل البحري من المغرب⁽⁶⁾. ومن بين منتجات جنوة التي تصدرها إلى بلاد المغرب الفساتين والأقمشة الكتانية والحريية والسجاديد ومواد الصباغة كالزعفران والاك والنيلة ثم الأحجار الكريمة والعطور والمسك والتوابل والتين المجفف والنحاس والورق وملح النشادر (يستعمل للصبغة). أما السلع التي تستوردها جنوة من بلاد المغرب فهي الجلود والمصنوعات الجلدية والقرب والصوف، والشب والذهب، وتبر الذهب والقمح⁽⁷⁾.

إن حكام جنوة يحترمون الاتفاقيات التي أبرمها مع غيرهم، ويعاقبون كل من يخرق هذه الاتفاقيات وهذا ما نستشفه من رسالتان موحديتان إلى بيشة تذكر حكومتها أن تسير سير جنوة في معاقبة من يخترق العهود "...وما يوجبه ما بيننا وبينكم من مهادنة وصلاح وكريم عهد وأزمة، كما يفعل أشياخ الجنويين فيمن قصد المسلمين بمضرة من أهل بلادهم..."⁽¹⁾، وجاء أيضا: "...لكن رأينا أن نصرف عقوبتهم في هذه المرة إليكم لتفعلوا فيهم ما يفعله أشياخ جنوة فيمن تعدى على المسلمين من إخوتهم في إخراج ديارهم..."⁽²⁾.

⁽⁴⁾ عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 276.

⁽⁵⁾ أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب، 138/2؛ ومحمد ولد داداه: المرجع السابق، ص 175.

⁽⁶⁾ عز الدين موسى: المرجع السابق، ص 191.

⁽⁷⁾ أمين توفيق الطيبي: المرجع السابق، 138/2 - 139.

⁽¹⁾ رسائل موحدية - جديدة -، (الغزاوي)، 214/1.

⁽²⁾ المصدر نفسه، 215/1.

كانت التجارة الخارجية في البداية قائمة على مبدأ الثقة بين الطرفين، وفي بعض الأحيان يكون الدفع مسبق وفي حالة الدين تكتب العقود بين البائع والمشتري⁽³⁾، ومن جهة أخرى تخضع التجارة إلى مبدأ الاتفاقيات بين الطرفين كما نلمح من إحدى الرسائل الموحدية أنها في بداية العهد بين البيشانيين والموحدين كانت شفوية ثم أصبحت كتابية "...وعندهم عهد ملتزم مؤكد، ورسم مكتوب مبرم مجدد بالأمن والأمان..."⁽⁴⁾. كانت عمليات البيع تتم في "حلقات الدلالة" وتكون عمليات البيع في الأسواق الموجودة في المراسي⁽⁵⁾، ويسهر على مراقبة وتسيير تجارة الأجناب بالمراسي ناظر الديوان ومساعدوه من الكتاب العدول والتراجم⁽⁶⁾.

كانت حركة التجارة الأوروبية الموحدية قائمة على التبادل بين الطرفين بالرضا والمحبة، وهذا ما نستشفه من إحدى الرسائل الموحدية جاء فيها: "...ونحن نهدى إليهم من السلام أعطره وننثر عليهم درره ونذرف إليهم مسكه وعنبره ونحضر فيهم كل يوم محضرة لما انعقد قديما وحديثا من السلاف والأحلاف منا ومنهم ومن أسباب المحبة ومقدم الصحبة والمودة.. وشيحت بيننا أواصر الائتلاف واستمرت منا ومنهم المحبة.." ⁽⁷⁾.

هذا لا يعني أن العلاقات لا تواجه المشاكل سببها الطبيعة أو القرصنة البحرية من طرف الذين لا يلتزمون بهذا بالتعهدات الرسمية، لقد بينت لنا إحدى الرسائل الموحدية في شأن الأسباب الطبيعية، جاء فيها: "...من مدينة بيشة حرسها الله؛ أن مركبا من تجارنا وأهل قطرنا وأنظارنا، أوسق بالقمح من جزيرة سقلية وأقلعوا يردون مدينة اطرابلس حماها الله، فأسقطهم الريح في

⁽³⁾ نفسه، 1/الرسالة 112.

⁽⁴⁾ نفسه، 1/166.

⁽⁵⁾ العزاوي: رسائل موحدية، 2/ 241.

⁽⁶⁾ رسائل موحدية، 1/ الرسائل 50، 51.

⁽⁷⁾ ابتسام مرعي خلف الله: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق، ص 272-273.

أحوازها، وكان الماء قد عجزهم فترلوا إلى البر ليستقوا، فلم يتركهم أهل الموضع حتى بعوا منهم من القمح إلا قليلا...⁽¹⁾.

أما الجهاد البحري فقد التزم الموحدون بالعهد التي تبادلته مع الدول الخارجية، فقد جاءت على شكل موثيق الأمن، وكان على التجار الأوروبيين أثناء إقامتهم في الموانئ الإسلامية الالتزام بالعهد ولم يتعرضوا للأذى، وكان الخوف من نهاية مدة المعاهدة، وعدم قدرة التجار الأوروبيين بالاحتفاظ بمكانتهم جعل الأوروبيين يجددون العهد مع الخلفاء الموحدين⁽²⁾.

حيث جاء في إحدى الرسائل الجوابية: "...أنه ما زوى له من المشارق والمغرب والاكفاف والارجاء والرضى عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم محيى رسوم الدين بعد الدروس...مظهر معالم الشريعة بعدما تناولها الجهل بيد الاضحار والاخفا وعن أمير المؤمنين...ابن أمير المؤمنين... من الصلح للقناصلة والأشياخ والأعيان والكافة من أهل بيشة وجهاتها من بلد العتيق إلى بلد...والجزائر التي هي سردانية وقرصة...وكل من فيها من زعمائهم وأعيانهم أطروان بن تدسك واستنابوه في العقد لهم وعليه...فعرف رسولهم المذكور في رغبتهم في إدامة الهدنة لهم...

وأهم يلتزمون لكل شرط يشرط عليهم...وأجاب لهم مسألتهم وأمان لهم الصلح على عادتهم وهدنتهم وعقد لهم السلم من مدة خمس وعشرين عاما من تاريخ هذا الكتاب...وأذن لهم أعلى الله إذنه...ومنه في الوصول إلى بلاد الموحدين أعزهم الله فيها للتجارة والتجهيز بها وقصرهم على أربعة بلاد من حملتها وهي سبتة ووهران وبجاية وتونس...ولم ييح لهم التزول بغيرها والاحتلال بسواها إلا لضرورة من صعوبة البحر...⁽³⁾.

من خلال الرسالة يتضح أن الدولة الموحدية حددت الموانئ التي يتزل فيها التجار الأوروبيين، سطرت لهم القوانين والمراسيم التي يخضعون لها، كما بينت لهم أسلوب التعامل

⁽¹⁾ رسائل موحدية - جديدة -، (الغزاوي)، 163/1.

⁽²⁾ ابتسام مرعي خلف الله: العلاقات بين الدولة الموحدية والمشرق، ص 273-274.

⁽³⁾ رسائل موحدية، 173/1-174.

معهم. وبالرغم من ذلك فإن التجار الأروبيين والمسلمين تعرضوا لقرصنة أروبية ، ففي ميناء تونس استولى تجار بيزا على مسطحين الأركليوسة واكرناطة، واستولوا على ثلاثة للمسلمين، كما قاموا بالاعتداءات المختلفة كانتهاك الحرمات⁽¹⁾.

ولهذا السبب قرر الموحدون معاقبة الذين ارتكبوا هذا الأعمال وفقا للشريعة الإسلامية، وشددوا في ذلك لكي يكون عبرة للآخرين وهذا ما كان يفعله الجنويين فيمن اعتدى على المسلمين من أهل بلادهم⁽²⁾.

وكان رد فعل البيزانين من ذلك هو بعث كتاب أمان "...يصلوا إلى بلاد إفريقيا حاطها الله محمولين على الرعاية والعناية محوطين بكانف الكفاية والحماية... وحيث حلوا من معاقلها وسواحلها وبرها وبحرها في مسالك تجارتهم وترددهم بها ومتصرفاتهم لا يعترضهم في شيء منها معترض..."⁽³⁾.

حاولت الدولة الموحدية من خلال إحدى رسائلها حماية الطرق التجارية في البحر الأبيض المتوسط جاء فيها: "...يعز من ولاه ويذل من عداه ويحفظ من تمسك بعهده وذمته وحافظ على صنائعه الجسيمة ونعمته..."⁽⁴⁾.

ج- التنظيمات التجارية الموحدية:

يمكن لنا أن نقف عند الإطار التنظيمي للمعاملات التجارية القائمة داخل أراضيها من خلال الرسائل الموحدية ومن الرسائل التي اطلعنا عليها "كتاب أمان وتأكيذ إحسان، أمر بكتبه عبد الرحمان بن سيدنا أبي حفص ... إلى جماعة تجار نصارى بيش - هداهم الله - أمن بهم سريهم وأعذب سريهم وأنس وحشتهم...فليصلوا إلى بلاد إفريقيا - حاطها الله محمولين على سنن

⁽¹⁾ المصدر نفسه، 212 / 1.

⁽²⁾ نفسه، 215 / 1.

⁽³⁾ نفسه، 177 / 1.

⁽⁴⁾ نفسه، 224 / 1.

الحماية والرعاية، محوطين بكانف الكفاية والحماية... وحيث حلوا من معاقلها وسواحلها، وبرها وبحرها، في مسالك تجارتهم وترددهم بها، ... لا يعترضهم منها معترض...⁽¹⁾.

وجاء أيضا "من عثمان الترجمان في تونس إلى... ابن كرسى يعلمك أنه قد عز على كثير لم تكن حاضرا حتا نخلص لك رحلك...، والسلع رخيصة وكل ما تريد بعمل ... وكل من خلا من أصحابك في تونس..."⁽²⁾.

من أبرز الشخصيات المنظمة لحركة التجارة الوكيل التجاري، حيث تؤكد إحدى الرسائل أن الوكيل كان يتولى أيضا حصر التجار الأحياء والأموات منهم على السواء لمعرفة ما عليهم من ديون وما لهم وتعبر نصوص إحدى الرسائل عن ذلك: "...بمضور وكيل البيشانيين وهو قسوم في مدينة تونس، حيث قال: فنحب منك أن تفحص عن أصحابي من مات منهم ومن هو حي... قد اتخذ عندي وما بقي لي عنده... وما لكم عنده موقوف ما أخذ منه أحد شيئا"⁽³⁾.

يقوم الوكيل التجاري أيضا بفض النزاعات القائمة بين تجار المغاربة والأوروبيين من غش في التعامل وتهرب الأوروبيين من دفع ثمن السلعة للمغاربة. يقتضي على الوكلاء أن يكون محل ثقة وأهل للأمانة الموضوعة فيهم لكونهم الوسطة في حل المشاكل وسداد الديون، على حد قول إحدى الرسائل: "فما لكم موقوف على وجه الأمانة لم يغير فيه شيء... وعثمان المهدي باكرا من بادر إليه في ثمن النحاس فإنه مسافر إلى الإسكندرية".

لاستكمال وظيفة الوكيل وجود شهود عدول معروفين للأطراف جميعا، إلى جانب ترجمة معتمدين لهذه العلاقات، فصاحب الترجمة لا يقل شأنه عن الوكيل⁽⁴⁾. ففي عهد الناصر ولي محمد الشيخ أبو حفص إمارة تونس أصبحت التجارة منفذا تجاريا هاما، منعت التجارة في بلاد المغرب على التجار إلا إذا كانوا مثبتين في الديوان كما يقال: "نترجم في الديوان"، وبناء على هذه

(1) رسائل موحدية - جديدة-، (الغراوي)، 176/1 - 177.

(2) ابتسام مرعي خلف الله: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق، ص 295.

(3) المرجع نفسه، ص 295-296.

(4) رسائل موحدية - جديدة، 1/ 222 - 223.

الترجمة كانت تكتب لهم عقود تبيح البيع والشراء، بشرط أن يكون هذه العقود مشهود على صحتها وموافق عليها من المسؤولين لأنهم تسمح لأصحابها أن يدللوا على بضائعهم في الحلقة التجارية⁽¹⁾.



وخلاصة القول أن بعد أن توطد الموحدون سلطاتهم في المغرب الأقصى توجهوا إلى المغرب الأوسط والأدين والأندلس وقاموا بجحوض مجموعة من المعارك فأدخلوا سكان هذه المناطق في الدعوة الموحدية، إلا أن بعض التمردات حاولت أن تكسر شوكة الدعوة الموحدية سواء في الأندلس أو المغرب مثل ابن مردنيش وابن غانية. سخرت الدولة الموحدية كل مجهوداتها من أجل القضاء على هذه التمردات التي أثقلت كاهلها.

ونتيجة لقوة الدولة الموحدية حاولت بعض الدول التقدم منها وطلب النجدة كما فعله صلاح الدين الأيوبي حين طلب من المنصور الموحدى التدخل ضد الصليبيين في المشرق.

كما يمكن القول أن الموحدون عرفوا قيمة التجارة الخارجية فأقاموا معاهدات تجارة وتعاون خاصة مع المدن الإيطالية، كما وجهوا أنظارهم إلى الجنوب وتعاملوا مع السودان.

⁽¹⁾ المصدر نفسه، 1 / 254 - 255.

الخاتمة

لقد حاولنا من خلال هذه الدراسة أن نوضح العديد من المسائل التي تخص سياسة الدولة الموحدية، وقد توصلنا في النهاية إلى جملة من النتائج، وكان في مقدمتها تلك التي خلصت الدراسة إليها أن عدم كثافة الرسائل الديوانية حول موضوع معين - غالباً - وميلها إلى التعميم لم تتمكن من الخروج بنتائج مفصلة، وهي في بعض الأحيان تصحح وتدعم ما جاء في المصادر، هذا مهم خاصة وأنها تتخذ صبغة رسمية، وأحياناً أخرى تدعو الضرورة إلى الاستعانة بالمصادر الأخرى لجعل الأحداث متسلسلة ومتصلة ببعضها البعض.

أكدت الدراسة أن الرسائل الديوانية تناولت موضوع الانتصارات، والفتوحات والتقليد في الوظائف، والترقية في المناصب، والتهديد للأعداء والوصايا للقضاة والولاة.

كما تبين لنا أن هذه الرسائل اتسمت بالدقة، حملت في طياتها كتابة فنية ميزت النشر الموحد، انفردت بسمات أسلوبية خاصة، إذن هي التي كانت تصدر عن ديوان الخليفة أو يوجهها إلى ولاته وعماله وقادة جيشه بل وإلى أعدائه أحياناً منذراً ومتوعداً. ولأهمية الإنشاء الديواني كان الخلفاء يتخبرون بلغاء الكتاب من كبار الأدباء والشعراء في عصرهم، يتولون الكتابة عنه في كل مهام الدولة، وشؤونها من الرسائل والمنشورات والعهود والمبايعات.

هذا ما يترجم مدى ازدهار العلم والأدب والثقافة الذي وصلت إليه الدولة الموحدية، نتيجة اهتمام الأمراء بهذا الجانب، مما ترجم ظهور ثلة من الأدباء والكتّاب اللامعين الذين يشار إليهم بالبنان أمثال: أبي جعفر بن عطية وأخيه أبي عقيل وأبي المطرف بن عميرة. ومن خلال الدراسة توصلنا أن في هذا العصر عاد عنفوان الصبغة الدينية إلى سابق عهده بعد أن خفت أوار الصبغة الدينية وغربت شمسها على يد أمراء المرابطين فظهر ذلك في الأدب إذ كان كثير من كتاب هذا العصر هم من أهل دين وفقه، قبل أن يكونوا أهل أدب.

لقد أكدت الأبحاث أن مواضيع الكتابة لدى الموحدين تنوعت، فعالجوا جميع القضايا السياسية والاقتصادية والثقافية، وخاصة الاجتماعية منها، رغم أن مواضيع السياسة والحكم غلبت على الكتابة إلا أن الصراع السياسي بين الدولتين الموحدية والمرابطية هو الذي بعث روح الكتابة خاصة في المجال السياسي لتحفيز النفوس على القتال، وجهاد المرابطين لأنهم حسب رأي

زعيم دولتهم المهدي بن تومرت أن المرابطين عثوا في الأرض فسادا، وابتعدوا عن الدين الإسلامي، وآن الأوان أن تطهر الأمة من هذه الأذناس، ولا بد عليها أن تستضيء بمشكاة الهداية. كما توصلت الدراسة إلى أن أغراض الكتابة كثرت وتنوعت أساليبها، هذا ما يدل على اهتمام دولة الموحدين، وعنايتها البالغة بتسجيل الأحداث التاريخية، والوقائع المهمة والحاسمة في تاريخ دولتهم، ولاسيما التي كانت لهم فيها الغلبة على أعدائهم من المتمردين والخارجين عن سلطان طاعتهم.

أثبتت الدراسة أن الموحدين كانوا يركزون على قمع الثورات، ولم يكشفوا على أنه صراع سياسي هدفه الإحاطة بحكمهم، وإنما يريدون الحفاظ على الدين الإسلامي والعمل به، والحرص على تطبيقه في أنظمتهم.

ويلاحظ مما سبق أن تكوين هيئات أهل عشرة وأهل خمسين والمستدركين بعد التمييز والطلبة، كل هذه تكوينات سياسية، وكان الهدف منها بناء قاعدة سياسية ترمي إلى تركيز السلطان في يد محمد بن تومرت ومن يرشحه للخلافة من بعده، والهدف الرئيسي هو نقل السيادة من صنهاجة إلى مصمودة.

والحقيقة أن عندما تولى عبد المؤمن السلطة اصطبع الملك الموحد بصبغة دينية وديوية معا، أي أنه صار ملكا مطلقا؛ فكان خليفة المهدي القائد الأعلى للجيش ورئيس الهيئة الحكومية، وكان يتصرف في بيت المال كيف شاء، وكان رئيس القضاة إذ أنه كان يعين القضاة؛ كما أنه كان الشارع الأول؛ إذ أنه كان أعلم من الجميع بأفكار المهدي.

ولإضفاء صفة الشرعية على الحكم اتبعوا أسلوب البيعة بنوعيتها الخاصة والعامة، كما حاولوا صبغها بصبغة الخلفاء الراشدين، ونسوا أن حكمهم وراثي نقيض الإمامة والمهدية التي نادى بها المهدي، وأنهم خالفوا سيرة الخلفاء الراشدين.

هذا التوريث في الحكم تسبب في عدم الاستقرار وانتشار الفتن في البلاد، وخروج الرعايا عن الأمير، مما يجعل الخليفة يضطر في الدخول في حرب هؤلاء والقضاء على هذه التمردات.

نظم المهدي دولته في هيكل إداري يساعده في تكوين دولة قوية، تتكون من الإمام والوزراء- الأشياخ الذين شكلهم في مجالسه الثلاث-، فهم اليد المساعدة له في كل الأمور، إلا أن عبد المؤمن قلص من سلطة أشياخ المهدي بإدخاله نفر من أشياخ العرب، وكان هدفه من ذلك مساعدتهم له في توريث ابنه الحكم.

ومن أجل السيطرة على كل البلاد اضطر الخليفة تقسيمها إلى أقاليم ويعين على كل إقليم وال له القدرة الكافية على تولي المنصب الذي منح له، والخليفة له سلطة المراقبة والاتصال تكون بواسطة المكاتبات التي يبعث بها الخليفة إلى الطلبة والأشياخ في هذه الأقاليم، أسندت المهمة إلى الرقاصين الأكفاء.

فالقول بالتوحيد والمهدية وبعصمة الإمام واتهام المرابطين بالتجسيم والمروق وتجويز قتالهم كل هذه دعوات سياسية استخدمها ابن تومرت في تحقيق غاياته، كما أبقاها عبد المؤمن كشعارات في الخطب والرسائل الرسمية، رغم إعلانه عن الحكم الوراثي، حتى جاء الخليفة المأمون وألغاهما، ولكن الخليفة الرشيد أراد أن يكسب الرعية مرة أخرى حين تقرب من الأشياخ وأعاد هذه الرسوم.

ومن أجل تحقيق ذلك اهتدى الموحدون إلى تكوين جيش قوي بقسميه البري والبحري، نظموا تنظيمًا محكمًا، وبنوا أسطولًا ضخمًا يعد من الأساطيل العظام في العصور الوسطى، مما جعل صلاح الدين الأيوبي يستنجد بالمنصور الموحد لتحرير بلاد الشام من الصليبيين.

ولغرس في نفوس المغاربة منهجه اتخذ من الواقع المغربي الذي حدث فيه الفساد سلاحًا، وهذا الفساد جاء بسبب الحكام والأمراء الخارجين عن القانون، وكان هدفه من ذلك هو كسب الأنصار، والأتباع لتبني مذهبه التومرتي. أخذ يدعوهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويوضح لهم أن الإمامة عماد الدين، ولا بد أن يقتدى بالإمام المعصوم المهدي المعلوم، فهي واجبة في الأمة، وصلاح الأمة يتوقف على صلاح الإمامة بها.

للحفاظ على العقيدة كان عبد المؤمن دائم الدعوة إلى عقيدة المهدي في دروسه وخطبه ورسائله، لذا ألزم العامة على حفظ هذه الشرائع.

أكدت الدراسة أن موقف خلفاء الدولة الموحدية من المذهب المالكي تراوح بين المد والجزر؛ فالمهدي وقف موقفا عدائيا من فقهاء المذهب المالكي، فقد وصفهم بأعوان الكفرة المثلثين، إلا أنه لم يرفض المذهب المالكي ولكن طلب العودة إلى الكتاب والسنة، ونحا عبد المؤمن نفس المنحى حيث أمر بحرق كتب الفروع، ودعاهم إلى العمل بالكتاب والسنة، كما وصاهم بالرجوع إلى تعاليم المهدي، وبالرغم من ذلك فقد مارس فقهاء المالكية نشاطهم الفقهي.

أما الخليفة يوسف فلم يكن له موقف مع فقهاء المالكية حيث عامل الرعية معاملة عمر بن عبد العزيز، وحاول المنصور القضاء على مذهب مالك بحرق كتب المذهب المالكي، وحمل الكافة على تطبيق المذهب الظاهري. ونظرا لأهمية العدل فالدولة الموحدية قامت منذ البداية على الأمر بالمعروف والنهي على المنكر، ولتحقيق ذلك رسمت خطة قضاء قادرة على تحقيق العدل الذي مصدره الشريعة الإسلامية، وأفكار المهدي بن تومرت، وبالرغم من الاستقلالية التي منحت للقضاء، إلا أن القضاء الموحدى قيده بعض الأوامر التي قدمها الخلفاء للقضاة، خاصة أحكام الإعدام فلا يعلنها القاضي إلا بالرجوع إلى الخليفة.

بالرغم من أن الدولة الموحدية نادى بالعدالة إلا أن الطبقة نخرت المجتمع؛ فالطبقة الحاكمة التي تتكون من الخليفة وأسرته وأعوانه والطلبة تعيش حياة الرفاهية، ثم العامة والتي هي رعية الدولة الموحدية. لقد عانت طبقة العامة من التهميش والازدراء، كما كانت الأزمت أشد عليهم، مما جعلهم يتدمرون من هذه الأوضاع، ويلتفون حول رجال التصوف، لأن رجال التصوف يهتمون كثيرا بمشكلات الفقراء والمساكين، وينفقون من أموالهم عليهم.

استحدثت الموحدون طبقة جديدة في المجتمع الموحدى من أجل تقليص نفوذ الفقهاء والعلماء في دولتهم، وهذه الطبقة تمثلت في طبقة الطلبة الذين اشتغلوا بمذهب المهدي، وكان لهذه الطبقة

مكانة رفيعة، وعند استقرار دولة الموحدين استرجع الفقهاء والعلماء والقضاة مكانتهم في الدولة الموحدية، وأصبحوا يستدعونهم من كل الأقطار.

بعد تمعنا في الرسائل الموحدية اتضح لنا أن السياسة الموحدية الداخلية محددة بعد ترو ودراسة، فهم لا يدخلون في حرب مباشرة لقمع المتمردين، لكنهم يوجهون لهم لغة سياسية بعد التعرف على العناصر المتمردة، ثم يقيموا عليهم الحجة، ويتوجهون بعدها إلى الأسلوب العسكري.

والحقيقة أن الاقتصاد من العوامل الفاعلة في التاريخ، حيث كان له دور كبير في توجيه سياسة الدولة الموحدية، والذي فسر لنا المدلول الاجتماعي للثورة الموحدية ولحركة التغيير التي قام بها المهدي ومن جاء بعده، خاصة بعد أن أُلغى المغارم والمكوس التي كانت الدولة المرابطية تفرضها على سكان المغرب. ومن النتائج المتوصل إليها -أيضا- أن بعد استقرار البلاد واستتباب الأمن شهد الاقتصاد الموحدى ازدهارا كبيرا خاصة في عهد الخلفاء الكبار الذين تحملوا مسؤولية البناء والدفاع عن الوطن، فانتعشت بذلك الحياة الاقتصادية، وتحسنت أحوال السكان المعيشية، حيث في عهد عبد المؤمن بن علي قرر تحصيل الأموال الضرورية للدولة، اكتفى بجمع الزكاة وتحصيل الأعشار وأخماس الغنائم حتى لا يرهق كاهل الشعب مما ساهم في توسيع من دائرة الرخاء داخل المجتمع المغربي.

ونلاحظ مما سبق أن الدولة الموحدية أقامت علاقات سياسية وتجارية مع الدول المجاورة، فقد تراوحت هذه العلاقات بين الحرب والسلام؛ حيث أعلنت حربا شعواء على المرابطين وعلى القبائل التابعة لهم حتى أخضعتهم، وتبع ذلك الحروب السجال مع النصارى التي تتأرجح بين النصر والهزيمة، مما فرض عليها توقيع هدن، خاصة بعد أن دخلت الدولة مرحلة الاحتضار، بعد معركة العقاب، التي يرى البعض أنها من العوامل الكبرى التي أدت بزوال الدولة الموحدية.

لقد توصلت الدراسة إلى أن موقعة العقاب لم تكن سببا في تحطيم قوى أبي عبد الله محمد الناصر بالأندلس فقط، ولكنها أفضت فوق ذلك إلى تحطيم سلطان الموحدين في المغرب أيضا،

فقامت دويلات في المغرب ولكنها لم تضارع الموحدين قوة وهيبة وسعة ملك. وفي الأندلس بدأ عهد ملوك الطوائف الثاني بعد عهد الموحدين.

وفي الأخير لا يعني أني قد استخرجت كل ما يمكن استخراجه من الرسائل الموحدية، وإنما قد أكون أعطيت توضيحا لدراسات أكثر تعميقا.

الملاحق

الملاحق (1): العلامة الموحدية

الرسالة المشهورة

كثير الحديث عن هذه الرسالة التي تعتبر بمثابة دستور دُتِب الخلفاء على ترديده وهي في الواقع نموذج لما كانت عليه الرسائل البرنامجية - كما أسماها - مما يزود به الخلفاء أمراءهم على الأقطار...

وقد حررت هذه الرسالة في الحضرة العلوية (تتمثل) جنوب المغرب بتاريخ 16 ربيع الأول 943 (4 غشت 1148) وهي الرسالة التي جعل عليها الخليفة الموحدي العلامة بخطه وبه هكذا:



وتضمن التحذير من المخالفات وترفع شعار المساواة والعدل بين الناس، وتحرم احتكار المراسم واستغلال ظروف المسافرين وتجمل حدًا لتلاعب البعض بأمر الأسرى، ثم تتخلص لتحديد واجبات مؤدعي البريد (الرقاصين)، ما لهم وما عليهم...

... وتختبروا بوسائلكم إرسالاً وانتقوا من أهل المقدوة على ذلك والطقة رجلاً، وادفعوا إليهم زاحاً يقوم بهم في السجود والإنصاف ويقطع شأنهم عن التكليف والإنصاف، وأرسلوا لهم أياماً معروفة العبد، معلومة الأمد، ليتهوا إليها إلى موافق رسالتهم، ويؤجروها على منافع برأجلهم، فهدروهم من تكليف أحد من الناس ولو متحال قوة، وأوعدوا من تسبب فيهم بمساعة أو مضرة...

ابن صاحب الصلاة: المن، ص 230.

الملاحق (2): رسالة المهدي بن تومرت إلى المرابطين

الى القوم الذين استزلهم الشيطان، وغضب عليهم الرحمن، الفئة الباغية، والشردمة الطاغية اللمتونية⁽²⁾. اما بعد، فقد امرناكم بما نأمر به انفسنا من تقوى الله العظيم ولزوم طاعته، وان الدنيا مخلوقة للفنا⁽³⁾ والجنة لمن اتقى، والعذاب لمن عصى، وقد وجبت لنا⁽⁴⁾ عليكم حقوق بوجوب السنة⁽⁵⁾، فان اديتموها كنتم في عافية، والا فنستعين بالله على قتلكم حتى نمحوا آثاركم، ونكثروا ونهدم⁽⁶⁾ دياركم، و⁽⁷⁾ حتى يرجع العامر خاليا، والجديد باليا⁽⁸⁾ وكتابنا (هذا) إليكم إعدار وانذار⁽⁹⁾، وقد اعذر من انذر، والسلام عليكم سلام السنة لاسلام الرضى⁽¹⁰⁾.

رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 43/1.

الملاحق (3): العقيدة والمرشدة عند ابن تومرت

بسم الله الرحمن الرحيم

المرشدة (1)

اعلم أُرشدنا الله وإياك أنه وجب على كل مكلف أن يعلم أن الله عز وجل واحد في ملكه، خلق العالم بأسره، العلوي والسفلي والعرش والكرسي والسماوات والأرض، وما فيهما، وما بينهما، جميع الخلاق مهورون بقدرته، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، موجود قبل الخلق، ليس له قبل ولا بعد، ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، ولا كل ولا بعض، لا يتخصص في الذهن ولا يتمثل في العين، لا يتصور في الوهم، ولا يتكيف في العقل، لا تلحقه الأوهام والأفكار، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، ليس معه مدبر في الخلق، ولا له شريك قسي الملك، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، عالم الغيب والشهادة، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم ما في السر والنجوى، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حية في ظلمات الأرض، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً، فعال لما يريد، قادر على ما يشاء، له الملك والغنى، وله العزة والبقاء، وله الحكم والقضاء، وله الأسماء الحسنى، لا دافع لما قضى، ولا مانع لما أعطى، لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً، ليس عليه حق، ولا عليه حكم، فكل نعمة منه فضل، وكل نعمة منه عدل، لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون، لا يقال متى كان؟ ولا أين كان؟ ولا كيف كان؟ ولا مكان كون المكان ودبر الزمان، لا يتقيد بالزمان، ولا يتخصص بالمكان، لا يلحقه وهم، ولا يكيفه عقل، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

- ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص 224.

الملحق (4): ظهير من المستنصر إلى رهبان بوبلات

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد نبيه الكريم، وعلى آله وسلم تسليماً، والحمد لله وحده⁽¹⁾، هذا ظهير كريم أمر به أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين⁽²⁾ أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته لرهبان بوبلات التي بجهة لاردة⁽³⁾، وقفهم الله وسددهم، وأثار بصائرهم وأرشدهم، وجعل ما يقرب من رحمته معتلهم ومعتمدهم، أباح به لما شئتم وللقاتمين عليها أن لا يذادوا في بلاد المسلمين في زمن حرب أو سلم عن مكرع ولا مرعى، رعيماً لما سَعَوْا له وانتدبوا إليه من المأخذ (الذي)⁽⁴⁾ حبسوا له أنفسهم والمسعى.

فليحفظ حَفَظَتِهَا في إيرادها وإسامتها⁽⁵⁾، ولا يتعرض أحد من المسلمين لتغيبص إناختها، تأمينا مدَّ به عليهم كثيف ظلاله، وأوردهم غير مرئق ولا مرصد ناقع زلاله، فمن وقف عليه⁽⁶⁾ فليمثل حدَّه، ولا يتجاوز رسمه الكريم ولا يتعدَّه، إن شاء الله تعالى، وهو المستعان، لارب غيره ولا (خير إلا خيره)⁽⁷⁾؛ وكتب في الموفى عشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع عشرة وستائة.

رسائل موحدية - جديدة-، (الغزوي)، 347/1.

الملحق (5): نموذج من تقاديه المولاة

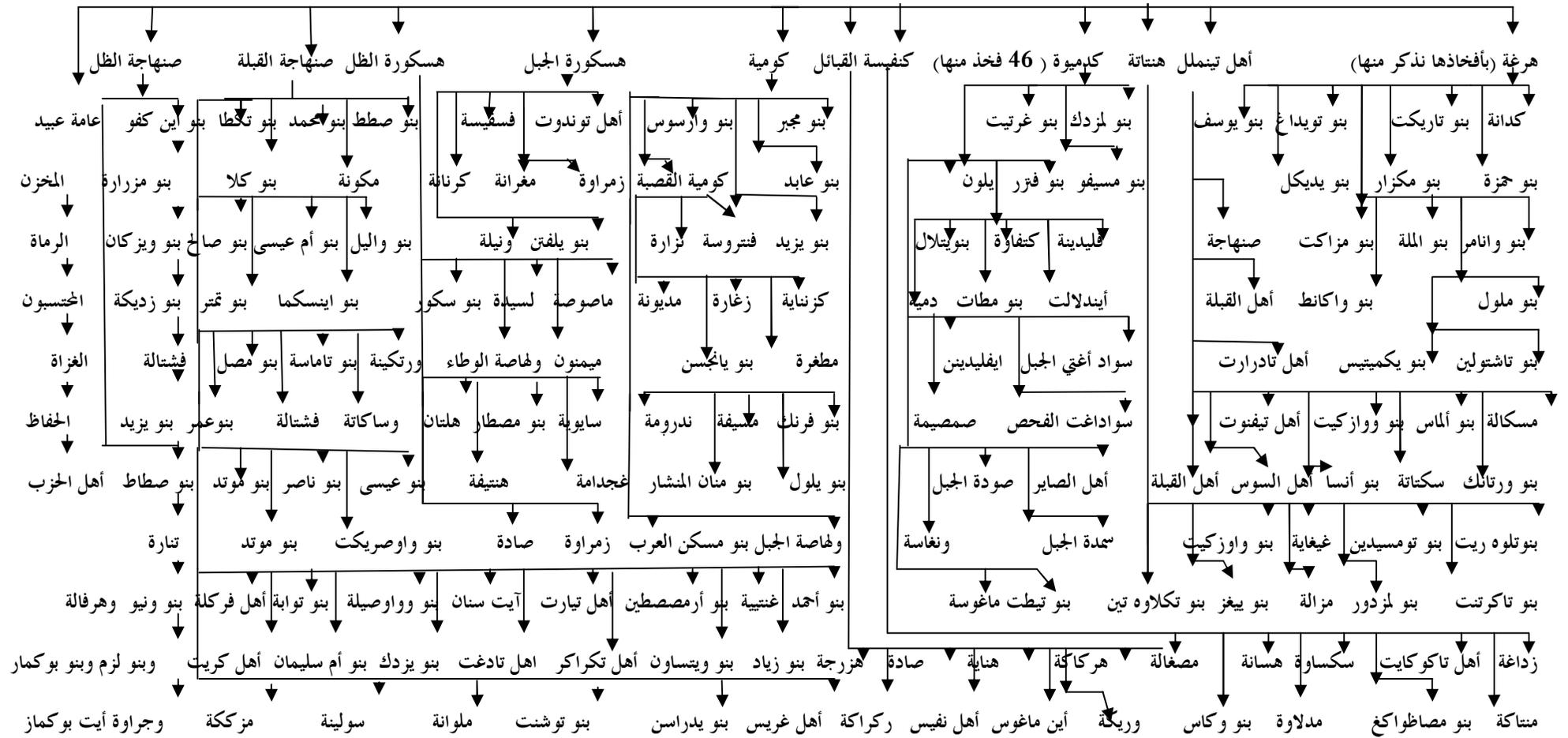
وفي مخاطبة تقديم عامل

27/ي أدام الله كرامتهم بتقواه، وأعانهم على العمل بما يتقبله ويرضاه ؛ وإنا كتبناه / كتب الله لكم تعرفاً لإصلاح⁽¹⁾ الأحوال وأسدها، وأوتياً إلى أوزف ظلال الأمانة وأمدّها، والمحافظة من وظائف دينكم على ما يحظيكم بالزلفى لديه، وأن تعلموا أننا ننظر للبلاد وأهلها النظر الذي يمهّد أكنافها، ويحمي مواسطها وأطرافها، ويمكّن أمنها ويذهب مخافها ؛ ذلكم لأن الله عز وجل استرعانا أمورها، واستحفظنا خاصها وجمهورها، فنحن نصر⁽²⁾ إليها ما في الوسع من الاهتمام بها والاعتناء، ونوالي التعهّد لها في كل الأوقات والأثناء، ونتخير لأشغالها أهل الاضطلاع والعناء، حرصاً على أن تتمشّي مصالحها على سنن السداد، وثوفاً من الاحتياط عليها ما يدفع عنها عوادي الشرّ والفساد، والله تعالى يُمدنا في ذلكم بالتأييد والإنجاد، ويجعل توفيقه لنا رقيقاً في الإصدار والإيراد ؛ وبمقتضى ما ذكرناه في توتحي الصلاح للرعية وبلادها، وقصد الأمانة⁽³⁾ لها من العافية في أوتر مهادها، قدّمنا الآن فلاناً على جهاتكم — حاطها الله تعالى — ليقوم بمصالحها ومنافعها، ويثبّ الأمان التام في أماكنها ومواقعها، ويستوفي بالتطواف جميع دانيها وشاسعها، وينظر في الأعمال كلها بما فيه تدليل مهائعها ورفع موانعها، وهو المعروف بالشهامة، الموصوف بالحزامة، السالك سبيل سلفه في النجدة والصرامة ؛ وقد وصّيناه بتقوى الله تعالى والتزامه في سره وعلنه، والتزيّن منها بأجمل نعت وأحسنه، والجري في كل أحواله على سبيل الحق وسننه، وأمرناه أن يشند في محق الفساد والمفسدين، وتشريد الباغين والمعتدين، وأن يوالي التمهيد لنواحيكم والتأمين، وأكدنا عليه أن يقضي الحقوق المترتبة للمخزن⁽⁴⁾ — ثمره الله — في الأموال، ويستوفي الواجبات على الكمال، ويستخرج من ذلك ما بقي في ذم الرعية وتعيّن عليها، ويأخذها بالأداء لما انتسب بالوجه الصحيح بقاؤه إليها، جامعاً في ما يتولاه بين ملاحظة الرفق والمطالبة بالحق، وضم المرتفعات التي منها تُستمدّ المصالح، والاحتياط منها على ما تقام به للمسلمين المساعي النواصح⁽⁵⁾.

28/ي فإذا وافاكم بمعونة الله سبحانه / فارجعوا إليه بأمركم المصلحية، وسيروا في الائتار له والتعاون على السوية، وكونوا معه يدا واحدة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والموافقة من المصالح في الأقل والأكثر، إن شاء الله تعالى ...

رسائل موحدية — جديدة—، (العزاوي)، ص 437.

تمييز الموحديين



كشف الأعلام البشرية

أبو أحمد: 29.

أحمد بن محمد بن بقي: 153.

أحمد بن عبد الرحمان بن محمد: 153.

أخيل بن إدريس: 207.

إدريس المأمون بن يعقوب المنصور: 10،

166.

أرسطو طاليس: 106، 108.

أبو إسحاق بن أبي الحجاج ابن الفخار:

227.

أبا إسحاق براز بن محمد والحاج: 26،

أبو إسحاق إبراهيم بن الخليفة يوسف بن

عبد المؤمن: 10، 29، 42، 67، 70،

72، 212.

أبو إسحاق المكادي: 38.

إسحاق الموحي: 21.

إسماعيل الهزرجي (القاضي): 155.

ابن أشرفي: 145.

الأصمعي: 4.

أبو الأصبع الباجي: 26.

أبو الأصبع بن عياش: 67.

- أ -

ابن الآبار، عبد الله محمد بن عبد الله

القضاعي: 11، 32، 42.

إبراهيم إسماعيل ابيحج: 100، 141.

إبراهيم بن همشك: 208، 209، 211،

212، 215.

أبو إبراهيم (والي إشبيلية): 67.

أبو إبراهيم (الأمير): 14، 21.

أجر فرجان: 137.

ابن أحمد بن خرسان: 152.

أحمد بن عتيق بن قنترال الأموي: 166.

أحمد بن محمد بن حمدين (قاضي الجماعة):

26.

أحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن

عبد الله بن علي القضاعي البلوي (أبو

القاسم): 40.

أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن

أحمد بن عميرة المخزومي: 43.

أحمد بن محمد: 30.

ألفنس: 71.

ألفونسو الثاني: 215.

ألفونسو الثامن: 103، 225، 227.

ألفونسو (النبيل): 229.

أفلاطون: 110.

الإمام مالك: 127.

الأمير إبراهيم: 19.

أيرمانكو السابع (شقيق كويسران ووصال):

211.

أبو أيوب بن هلال الشرقي: 215.

إينوسنت الرابع: 93.

- ب -

البار بيريث دي كاسترو: 232.

أبو بجر بن صفوان بن إدريس: 35، 36،

37.

البياسي: 232، 233.

أبو بكر بن ميمون القرطبي: 130.

أبو بكر بن يحيى بن الجبر: 100.

أبو بكر بن الشيخ المشرف أبي الحسن بن

غالب: 92.

البشير (من وزراء المهدي): 57.

أبو بكر محمد بن أحمد بن عيسى بن محمد

بن عيسى بن إسماعيل بن عيسى ابن حجاج

اللخمي: 38.

البلوي: 34، 38، 42.

أبو بكر (بن مرخي): 32.

أبو بكر رضي الله عنه: 121.

أبو بكر محمد بن سلمان السلمي الشاطبي:

28.

أبو بكر بن الشيخ المشرف أبو الحسن بن

غالب: 17.

أبو بكر يحيى بن الجبر: 137.

أبو بكر توندوت: 27.

أبو بكر بوندود بن يحيى القرطبي: 107.

أبو بكر بن زهر: 131.

أبو بكر بن الجدة الإشبيلي: 130.

أبو بكر بن أبي حفص عمر إبنتي: 55.

أبو بكر يحيى وزير المنصور: 55.

- أبو محمد عبد الكريم: 132.
- ت -
- تاشفين بن علي بن يوسف المرابطي: 23.
- تميم الداري: 5.
- ابن توندوت: 147.
- ج -
- جراندة (قائد برتغالي اسمه جيرالدو سمبافور):
85، 228، 230، 231.
- جهم بن الصلت: 6.
- أبو جعفر (وزير ابن همشك): 234.
- ابن أبي جعفر: 209.
- أبو جعفر أحمد بن محمد بن حمد بن حمد بن حمد: 26.
- أبو جعفر أحمد بن مضاء: 153.
- أبو جميل زيان ابن سعد ابن مردنيش: 43.
- أبو جعفر النحاس: 3، 4، 16، 17.
- أبو جعفر بن عطية: 9، 15، 20، 21، 23، 24، 26، 61، 62، 64، 98، 117، 209.
- أبو جعفر بن غزلون: 27.
- الجوهري: 3، 4، 16، 17.
- ح -
- حاتم بن أبي بلعنة: 5.
- ابن الحاج (الفيقيه): 130.
- أبو الحاج بن مزاح: 227.
- أبو الحارث عبد الرحمان بن منقذ:
222.
- أبو الحسن (بن عبد المؤمن): 27، 67.
- أبو الحسن (عم الخليفة المنصور): 77.
- أبو الحسن بن زرقون: 131.
- أبو الحسن بن زيد الإشبيلي: 31.
- أبو الحسن السرقسطي: 44.
- أبو الحسن بن العردوس: 66 - 67.
- الحسن بن علي بن عبد الله بن أبي رافع: 6.
- أبو الحسن علي بن محمد الفضل المعافري:
39.
- أبو الحسن بن عبد الله بن خزار: 28.
- أبو الحسن عبد الملك بن عياش: 13، 16، 21، 26.

أبو حفص عمر بن عيسى (والي شاطبة):
67.

أبو حفص الموحدى: 15.

الحجاج صالح بن عبد الرحمان: 9.

الحصين بن نمير: 6.

ابنا حوط: 27.

-خ-

خالد بن سعيد بن العاص بن أمية: 6.

ابن الخطاب: 61.

-د-

أبو دبوس الوثائق: 157.

دحية الكلبي: 5.

دريجس (البارون): 211.

-ر-

أبو الربيع سليمان الحضرمي: 65.

أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن الخليفة:

67، 68، 72، 203.

أبو الحسن القالمي: 21.

أبو الحسن القليني: 33، 34.

أبو الحسن بن أبي قنون: 29، 33.

أبو الحسن بن الشريك: 38.

أبو الحسن بن وضاح: 37.

ابن حسون القاضي: 223.

أبو حفص (والي تونس في عهد الناصر):

221.

أبو حفص (والد أبو القاسم بن عذرة):

40، 50.

أبو حفص: 212، 214، 237، 223.

أبو حفص ابن البيراقي: 27.

أبو حفص بن عبد المؤمن: 26، 30، 36،

أبو حفص عمر: 58.

أبو حفص عمر أصناج: 61.

أبو حفص عمر بن أبي زيد الهنتاتي: 20،

23، 59، 62، 64، 69، 85، 140،

141، 146، 153، 229.

أبو حفص عمر بن يحيى: 214.

أبو زكريا بن يحيى المعروف بانجمار:
140.

الزبير بن العوام: 6.

أبو زيد: 19، 47.

زيري بن ماحوخ: 145.

أبو زيد عبد الرحمان بن زكريا بن محمد
الرجراحي: 110.

أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن يخلفتن
الفزازي: 44.

أبو زيد عبد الرحمان بن تيجيت: 207.

أبو زيد بن عمر بن عبد المؤمن: 72.

أبو زيد عبد الرحمان بن عمر بن عبد المؤمن:
61، 68، 74، 75.

أبو زيد (والي تونس): 196.

أبو زيد بن الخليفة يوسف: 67.

زيد بن ثابت: 6.

أبو زكريا يحيى المعتصم بن الناصر: 44.

أبو زكريا يحيى الفزازي: 45.

ابن أبي زيد: 131.

الرجال الذين طلبوا السلم من عبد المؤمن
عند

فتح تونس (بنو عبد السيد عمر ومعاوية
وعبد السيد وابنا منصور بن إسماعيل وابن
عمه عتيق ومحمد وحمزة ابن حمزة وعبد
العزیز القمودي): 152.

ابن رشد (محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد
بن محمد بن أحمد بن عبد الله): 35،
105، 106، 107، 108، 109،
110، 111، 156.

ابن رشد الجد (محمد بن أحمد بن محمد بن
أحمد بن عبد الله بن رشد أبا الوليد):
105، 106.

الرشيد: 36، 43، 49، 54، 56، 59،
62، 125، 144، 157.

ابن الرند: 156، 184، 230.

أبو عمران موسى ابن إسحاق موسى:
169.

الرعيبي: 45، 46.

- ز -

- أبو زكريا يحيى: 223.
- س -
- سانشو الثالث: 229.
- سبع بن منخفاذ الغماري: 50، 145، 146.
- سحنون: 131.
- سعيد بن نجران الهمداني: 6.
- ابن السكين: 2، 16.
- أبو سعيد يخلف بن الحسين: 145.
- ش -
- السعيد (الخليفة): 45، 173.
- ابن سعيد: 36.
- أبو سعيد: 15، 92.
- أبو سعيد الحفصي: 68.
- أبو سعيد بن الشيخ والشيخ الأجل أبي محمد بن الشيخ الأجل أبي إسحاق: 62.
- أبو سعيد بن عبد المؤمن: 60، 74، 211.
- أبو سعيد عثمان: 211، 223.
- أبو سعيد عثمان (شقيق أبو حفص): 214، 215.
- أبو سعيد عثمان بن جامع: 62، 63.
- سير بن علي: 145.
- سليمان بن سعد: 9.
- سليمان بن عبد المؤمن بن علي أبو الربيع القيسي: 37.
- الشينور: 138.
- ص -
- صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمان بن عيسى بن إدريس التجيبي المرسي: 35.
- صفية بنت أبي عمران: 30.
- ابن الصقر: 137، 156.
- صلاح الدين الأيوبي: 14، 91، 103، 222، 223، 224.

أبو العباس الرنداحي: 144.	- ض -
أبو العباس ابن سعيد المالقي: 19.	أبو ضربة النصراني: 196.
أبو العباس بن الصقر المري: 129.	- ط -
أبو العباس بن مضاء: 35، 67.	ابن طفيل: 12، 107.
أبو العباس بن هارون: 27.	- ظ -
عبد الحق: 85.	ابن ظابي جعفر: 209.
عبد الحق بن علناس الكومي: 66.	- ع -
عبد الرحمان بن أبي حفص: 196.	العادل بن المنصور: 38، 44، 55،
عبد الرحمان بن الخليفة يوسف: 35،	83، 232، 233.
74.	عامر بن فهيرة: 6.
عبد الرحمان المدعو أبا القصبه: 139.	أبو عامر يحيى بن أبي الحسن بن ربيع
عبد السلام الكومي: 23.	الأشعري (القاضي): 111.
أبو عبد الله بن عبد الحميد: 27.	ابن عباس: 5، 17.
عبد العزيز بن أبي زيد: 63.	أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله اللخمي
عبد العزيز بن مرخي: 90.	المعروف بابن الحائك: 27.
أبو عبد الله: 228.	أبو العباس أحمد بن مقدم الرعيني الأشيلي:
عبد الله (أبو محمد): 50.	30.
أبو عبد الله بن إبراهيم: 214.	أبو العباس بن جعفر الرعيني: 42.
	أبو العباس بن حرج البلنسي: 132.

- أبو عبد الله بن أبي إبراهيم: 20، 74.
- عبد الله بن عبد العزيز بن عياش: 21.
- عبد العزيز (أخو ابن تومرت):
154، 176.
- أبو عبد الله بن أبي بكر بن رشيد البغدادي:
41.
- أبو عبد الله بن حامد بن يحيى بن سليمان بن
أبي حامد المعافري: 38.
- أبو عبد الله بن أبي حفص بن علي: 209،
211.
- أبو عبد الله بن حميد: 35.
- أبو عبد الله بن الخليفة عبد المؤمن: 80.
- أبو عبد الله بن سفيان: 85.
- أبو عبد الله بن سليمان: 66.
- عبد الله السماك: 163.
- أبو عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمان:
227.
- أبو عبد الله بن عياش: 11، 17، 25.
- أبو عبد الله بن الفخار المالقي: 141.
- أبو عبد الله ابن محسن: 94.
- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم: 72، 73.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نخيل: 40.
- أبو عبد الله محمد الأنصاري الغرناطي: 44.
- أبو عبد الله محمد ابن ترج الكومي: 66.
- عبد الله محمد بن الخليفة يوسف: 67.
- أبو عبد الله بن عبد المؤمن: 80.
- عبد الله بن زغبوش: 163.
- عبد الله بن شراحيل: 208، 209.
- أبو عبد الله بن محسن: 11.
- أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي عمران
الضرير: 63.
- عبد الله بن محمد بن عيسى التادلي: 153.
- أبو عبد الله محمد بن يحيى الخطيب: 38.
- عبد المؤمن: 10، 12، 19، 22، 23،
24، 26، 28، 29، 30، 31، 33،
34، 35، 36، 37، 44، 49، 51،
52، 53، 55، 56، 57، 58، 59،
62، 63، 65، 66، 70، 72، 73.

عبد الملك بن صاحب الصلاة: 16.	74، 77، 78، 83، 84، 85، 89،
عبد الرحمان بن الخليفة عبد المؤمن: 75.	90، 92، 93، 94، 98، 99، 100،
عبد الواحد الحفصي: 86.	105، 106، 115، 117، 118،
عبد الواحد الحفصي: 74، 221.	124، 126، 127، 129، 130،
عبد الواحد الهنتاتي: 221.	136، 137، 138، 140، 141،
عثمان (أبو السعيد): 57.	143، 145، 146، 148، 151،
أبو عثمان بن سعيد بن زكريا الجدميوي:	152، 153، 155، 156، 160،
59.	161، 175، 176، 177، 178،
علي بن إسحاق بن غانية: 216.	183، 184، 191، 192، 195،
علي بن عبد العزيز الرندي (المنتزي):	196، 197، 199، 204، 209،
155.	210، 223، 224، 235، 239.
أبو العلاء إدريس بن إبراهيم بن جامع:	عبد الله بن وانودين: 150.
62.	عبد الواحد بن يوسف: 62.
أبو العلاء إدريس المأمون بن أبي يوسف	أبو عبد الله بن المناصف: 157.
يعقوب المنصور بن أبي يعقوب يوسف بن	أبو عبد الله بن عياش: 147، 213.
أبو علي الحسن: 64، 67.	أبو عبد الله محمد بن الخليفة يوسف:
أبو علي الحسن (أخو الخليفة يوسف):	232.
147.	ابن عبدون: 144، 194.
	ابن عبد الحميد: 27.
	أبو عقيل عطية بن عطية: 24.
	عبد الملك بن مروان: 9.

- علي بن الحسن الجذامي (القاضي الفقيه):
124.
- أبو علي يونس (شقيق أبو سعيد الحفصي):
68.
- أبو علي (بن عبد المؤمن والي دانية): 67.
- أبو علي الحسن (أخو الخليفة يعقوب):
148.
- علي بن زيد الأنصاري أبو الحسن: 31.
- علي عبد الله بن أبي رافع: 6.
- علي بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز
اللخمي أبو الحكم: 32، 33.
- أبو علي الصفدي: 27.
- علي بن عيسى: 144، 145.
- علي بن مسلم: 31.
- أبو علي بن نارار: 33،
- علي بن يوسف المرابطي: 23.
- علي بن يحيى بن سعيد بن مسعود بن سهل
الأنصاري: 33،
- عمر أصناك: 57، 138.
- عمر بن أمية الضمري: 5.
- عمر بن حزم: 5.
- عمر بن عبد العزيز: 139.
- عمر بن علي الصنهاجي: 61.
- أبو عمران موسى: 155.
- عمران بن موسى الصنهاجي: 146.
- أبو عمر بن صالح: 31.
- عمر بن عبد المؤمن: 61، 62.
- عمران بن أبي موسى: 41، 144.
- أبو عمران موسى: 152.
- أبو عمرو سالم ابن صالح بن سالم المالقي:
28.
- أبو عمران بن أبي موسى بن الخليفة عبد
المؤمن: 46.
- عمران بن منخفاذ (أخو سبع بن منخفاذ):
147.
- ابن عياض: 157.
- عيسى بن عبد العزيز بن يلبخت الجزولي:
173.

- ق -

أبو القاسم (أبو ابن رشد): 106.

أبو القاسم حبيش: 35.

أبو القاسم الحوفي: 171.

أبو القاسم محمد بن الحاج: 223.

أبو القاسم عبد الرحمان القالمي: 17، 25،

26.

أبو القاسم بن الرماك: 31.

أبو القاسم عبد الرحمان بن عمر بن عبد

الرحمان بن عمر ابن عبد العزيز بن عذرة

الأنصاري: 40.

أبو القاسم العزفي: 144.

أبو القاسم محمد بن إبراهيم بن المراعي:

30.

أبو القاسم بن الورد: 28.

القتوري: 145.

قراقوش الغزي: 82، 217، 221، 222،

230.

- ك -

عيسى (أخو المهدي بن تومرت): 154،
173، 183.

عيسى بن عمران بن دافال المكناسي
الودميشي التلمساني (أبو موسى قاضي
الخلافة): 28.

عيسى بن مريم: 127.

عيسى بن عمران التازي: 153.

- غ -

ابن غانية: 37، 87، 153، 216،
217، 221، 223، 235.

أبو الغمرين عزون: 99.

- ف -

أبو الفضل بن محشرة: 25.

فرانده بن السليطين (ألفونسو ريمونديس):
230.

فردناندو (البيوج أو صاحب السبباط في
الروايات العربية): 230.

فرناندو الثاني: 230.

فرناندو الثالث: 232.

أبو محمد الرعيبي: 149، 150.	الكساني: 3، 16.
أبو محمد بن سكاتو: 171.	كسرى: 2، 5، 17.
محمد بن سماك العاملي: 171.	كويسران ووصال: 211.
أبو محمد ابن الشيخ أبي حفص: 68.	- م -
أبو محمد الصفا: 139.	الماسي (محمد بن هود): 15، 20، 23،
أبو محمد عبد الحق: 30.	65، 83، 85، 140، 141.
أبو محمد عبد السلام بن محمد: 30.	المأمون بن الناصر: 17، 26، 39، 44،
محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن عبد	45، 49، 55، 56، 59، 60، 62،
الله بن عياش التجيبي: 36.	75، 125، 126، 142، 144، 157،
أبو محمد بن عبد الكبير بن بقی (الفقيه):	158، 182.
132.	ابن مبشر (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن
أبو محمد عبد الكريم: 132.	مبشر بن عبد الله بن يونس بن عمران
محمد بن عبد الله (المهدي): 123، 124.	القيسي: 29، 30.
أبو محمد عبد الله (الخليفة): 125.	ابن محشرة: 82.
أبو محمد عبد الله البياسي: 62.	أبو محمد؟: 157.
أبو محمد عبد الله سليمان: 85، 222.	محمد بن أبي إبراهيم: 20.
أبو محمد عبد الله بن محسن الونشريسي	أبو محمد بن باجة: 46.
(البشير): 60، 93، 94.	أبو محمد بن حامد: 38.
	أبو محمد بن الخليفة يوسف: 33، 74.

184، 207، 208، 210، 211،
 212، 213، 214، 215، 216،
 224، 228، 231، 235.
 المستنصر بالله: 11، 14، 41، 42، 44،
 55، 60، 62، 63، 75، 81، 139،
 182، 186، 192.
 أبو المكارم المصري: 156.
 ملول بن إبراهيم بن يحيى الصنهاجي: 65.
 المنتزي: 103.
 ابن المنتصر: 156.
 موسى بن نمره: 64.
 محمد بن يحيى بن فانو: 145.
 محمد بن يحيى (قائد المرابطين): 146.
 محمد بن واندن: 193.
 مرزدغ الغماري: 146.
 محمد الناصر: 17، 19، 34، 36، 38،
 39، 41، 42، 55، 63، 64، 68،
 69، 71، 73، 74، 81، 90، 128،
 132، 139، 153، 173، 184،
 203، 221، 226، 227، 243.

أبا محمد عبد الله بن أبي القاسم العراقي:
 173.
 أبو محمد اللخمي: 28.
 محمد بن علي الكومي: 207.
 أبو محمد عبد الواحد: 43.
 محمد بن عبد المؤمن: 53، 55.
 محمد ابن عبدون بن قاسم الخزرجي: 44.
 محمد بن الفرس الغرناطي: 132.
 أبو محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص:
 64.
 أبو محمد عبد الواحد بن عمر الهنتاتي: 66،
 68.
 أبو محمد واندوق: 66.
 أبو محمد بن الياسمين: 27.
 أبو محمد عياش بن عبد الملك: 25.
 المرتضى: 32، 45، 94، 125، 128،
 147.
 ابن مردنيش: 9، 26، 28، 50، 54،
 68، 72، 80، 95، 115، 154.

136، 139، 143، 147، 148،

153، 154، 167، 169، 170،

178، 184، 189، 194.

أبو موسى بن عمران التلمساني: 139.

أبو موسى بن المنصور: 56.

أبو الميمون: 11.

- ن -

النجاشي: 5.

- ه -

هرقل: 5.

أبا هريرة: 7.

ابن همشك: 31، 133، 184.

- و -

الوليد بن هشام بن المغيرة: 7.

أبو الوليد بن رشد: 130.

أبو الوليد بن هشام الأزدي: 157.

ابن وهري: 232.

- ي -

المطرزي: 3، 16.

أبو المطرف بن عميرة: 14، 25، 43،
186.

ابن مطروح (والي طرابلس): 66.

أبو موسى (أخو الخليفة أبو يعقوب):
156.

أبو موسى عيسى: 43، 47.

معاوية بن أبي سفيان: 9.

المعتضد من بني عبد المؤمن: 38، 41.

المعتضد بالله أبو الحسن علي: 43.

المغيرة بن شعبة: 6.

المقوقس: 5.

المهدي بن تومرت: 9، 14، 15، 27،

28، 29، 49، 51، 52، 53، 56،

57، 61، 65، 67، 70، 71، 78،

84، 94، 95، 96، 111، 112،

113، 115، 116، 118، 119،

120، 121، 122، 123، 124،

125، 126، 127، 128، 129،

131، 135، 139، 133، 135.

59، 62، 67، 68، 71، 80، 81،
83، 84، 85، 90، 92، 96، 102،
106، 107، 121، 127، 130، 131،
132، 108، 109، 110، 158،
164، 184، 196، 203، 211،
216، 217، 221، 222، 224،
225.

أبو يوسف حجاج الهواري: 152.

يوسف (أبو يعقوب) بن عبد المؤمن:
10، 11، 14، 16، 17، 19، 25،
26، 27، 28، 29، 30، 31، 32،
33، 34، 35، 50، 51، 52، 53،
54، 55، 59، 62، 63، 67، 72،
74، 77، 80، 81، 83، 84، 87،
89، 90، 94، 95، 96، 101، 102،
106، 115، 125، 126، 128،
132، 147، 149، 151، 164،
156، 160، 161، 162، 172،
181، 184، 185، 193، 194،
204، 208، 209، 214، 216،
217، 228، 230، 231.

يوسف بن تاشفين: 10، 139.

أبو يحيى (شقيق الخليفة المنصور): 146.

يحيى بن إبراهيم الأصبحي الحكم المكنى أبو
زكريا والمعروف بالخوذج: 52.

يحيى بن تميم الحمادي: 81.

يحيى جامع التقاديم: 45.

أبو يحيى بن أبي الحسن بن أبي عمران: 63.

أبو يحيى بن الخليفة يوسف: 67.

أبو يحيى زكريا بن يحيى بن سنان: 67.

يحيى الصحراوي: 98، 143.

بن يحيى بن العزيز بالله أمير بني حماد: 211.

يحيى بن عيسى: 142.

يحيى بن غانية: 217.

يحيى المعتصم: 144.

يحيى بن الناصر: 55.

يحيى بن يغمور: 74.

أبو يعقوب يوسف بن سليمان: 67،
211.

يعقوب بن يوسف الملقب بالمنصور: 13،
34، 36، 37، 49، 52، 54، 55.

أبو يوسف حجاج: 28.

أبو يوسف أخو الخليفة يوسف: 67.

يوسف بن مردنيش: 215.

يوسف بن واندين: 139.

يصلاسن بن المعز: 107، 157.

أبو يعقوب بن سليمان: 209.

ابن يونس: 209.

كشف الأعلام البشرية

- أبو أحمد: 29.
- أحمد بن محمد بن بقي: 153.
- أحمد بن عبد الرحمان بن محمد: 153.
- أخيل بن إدريس: 207.
- إدريس المأمون بن يعقوب المنصور: 10، 166.
- أرسطو طاليس: 106، 108.
- أبو إسحاق بن أبي الحجاج ابن الفخار: 227.
- أبا إسحاق براز بن محمد والحاج: 26،
- أبو إسحاق إبراهيم بن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن: 10، 29، 42، 67، 70، 212، 72.
- أبو إسحاق المكادي: 38.
- إسحاق الموحي: 21.
- إسماعيل الهزرجي (القاضي): 155.
- ابن أشرفي: 145.
- الأصمعي: 4.
- أبو الأصبع الباجي: 26.
- أبو الأصبع بن عياش: 67.
- أ -
- ابن الآبار، عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي: 11، 32، 42.
- إبراهيم إسماعيل ابيحج: 100، 141.
- إبراهيم بن همشك: 208، 209، 211، 212، 215.
- أبو إبراهيم (والي إشبيلية): 67.
- أبو إبراهيم (الأمير): 14، 21.
- أجر فرجان: 137.
- ابن أحمد بن خرسان: 152.
- أحمد بن عتيق بن قنترال الأموي: 166.
- أحمد بن محمد بن حمد بن حمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن علي القضاعي البلوي (أبو القاسم): 40.
- أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن أحمد بن عميرة المخزومي: 43.
- أحمد بن محمد: 30.

ألفنس: 71.

ألفونسو الثاني: 215.

ألفونسو الثامن: 103، 225، 227.

ألفونسو (النبيل): 229.

أفلاطون: 110.

الإمام مالك: 127.

الأمير إبراهيم: 19.

أيرمانكو السابع (شقيق كويسران ووصال):

211.

أبو أيوب بن هلال الشرقي: 215.

إينوسنت الرابع: 93.

- ب -

البار بيريث دي كاسترو: 232.

أبو بجر بن صفوان بن إدريس: 35، 36،

37.

البياسي: 232، 233.

أبو بكر بن ميمون القرطبي: 130.

أبو بكر بن يحيى بن الجبر: 100.

أبو بكر بن الشيخ المشرف أبي الحسن بن

غالب: 92.

البشير (من وزراء المهدي): 57.

أبو بكر محمد بن أحمد بن عيسى بن محمد

بن عيسى بن إسماعيل بن عيسى ابن حجاج

اللخمي: 38.

البلوي: 34، 38، 42.

أبو بكر (بن مرخي): 32.

أبو بكر رضي الله عنه: 121.

أبو بكر محمد بن سلمان السلمي الشاطبي:

28.

أبو بكر بن الشيخ المشرف أبو الحسن بن

غالب: 17.

أبو بكر يحيى بن الجبر: 137.

أبو بكر توندوت: 27.

أبو بكر بوندود بن يحيى القرطبي: 107.

أبو بكر بن زهر: 131.

أبو بكر بن الجدة الإشبيلي: 130.

أبو بكر بن أبي حفص عمر إبنتي: 55.

أبو بكر يحيى وزير المنصور: 55.

أبو حفص عمر بن عيسى (والي شاطبة):
67.

أبو حفص الموحدى: 15.

الحجاج صالح بن عبد الرحمان: 9.

الحصين بن نمير: 6.

ابنا حوط: 27.

-خ-

خالد بن سعيد بن العاص بن أمية: 6.

ابن الخطاب: 61.

-د-

أبو دبوس الوثائق: 157.

دحية الكلبي: 5.

دريجس (البارون): 211.

-ر-

أبو الربيع سليمان الحضرمي: 65.

أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن الخليفة:

67، 68، 72، 203.

أبو الحسن القالمي: 21.

أبو الحسن القلبي: 33، 34.

أبو الحسن بن أبي قنون: 29، 33.

أبو الحسن بن الشريك: 38.

أبو الحسن بن وضاح: 37.

ابن حسون القاضي: 223.

أبو حفص (والي تونس في عهد الناصر):

221.

أبو حفص (والد أبو القاسم بن عذرة):

40، 50.

أبو حفص: 212، 214، 237، 223.

أبو حفص ابن البيراقي: 27.

أبو حفص بن عبد المؤمن: 26، 30، 36،

أبو حفص عمر: 58.

أبو حفص عمر أصناج: 61.

أبو حفص عمر بن أبي زيد الهنتائي: 20،

23، 59، 62، 64، 69، 85، 140،

141، 146، 153، 229.

أبو حفص عمر بن يحيى: 214.

أبو زكريا بن يحيى المعروف بانجمار:
140.

الزبير بن العوام: 6.

أبو زيد: 19، 47.

زيري بن ماحوخ: 145.

أبو زيد عبد الرحمان بن زكريا بن محمد
الرجراحي: 110.

أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن يخلفتن
الفزازي: 44.

أبو زيد عبد الرحمان بن تيجيت: 207.

أبو زيد بن عمر بن عبد المؤمن: 72.

أبو زيد عبد الرحمان بن عمر بن عبد المؤمن:
61، 68، 74، 75.

أبو زيد (والي تونس): 196.

أبو زيد بن الخليفة يوسف: 67.

زيد بن ثابت: 6.

أبو زكريا يحيى المعتصم بن الناصر: 44.

أبو زكريا يحيى الفزازي: 45.

ابن أبي زيد: 131.

الرجال الذين طلبوا السلم من عبد المؤمن
عند

فتح تونس (بنو عبد السيد عمر ومعاوية
وعبد السيد وابنا منصور بن إسماعيل وابن
عمه عتيق ومحمد وحمزة ابن حمزة وعبد
العزیز القمودي): 152.

ابن رشد (محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد
بن محمد بن أحمد بن عبد الله): 35،
105، 106، 107، 108، 109،
110، 111، 156.

ابن رشد الجد (محمد بن أحمد بن محمد بن
أحمد بن عبد الله بن رشد أبا الوليد):
105، 106.

الرشيد: 36، 43، 49، 54، 56، 59،
62، 125، 144، 157.

ابن الرند: 156، 184، 230.

أبو عمران موسى ابن إسحاق موسى:
169.

الرعيبي: 45، 46.

- ز -

- أبو زكريا يحيى: 223.
- أبو سعيد عثمان بن جامع: 62، 63.
- س-س-
- سانشو الثالث: 229.
- سبع بن منخفاذ الغماري: 50، 145، 146.
- سحنون: 131.
- سعيد بن نجران الهمداني: 6.
- أبو سعيد يخلف بن الحسين: 145.
- ابن السكين: 2، 16.
- السعيد (الخليفة): 45، 173.
- سيد راي بن وزير: 209.
- ابن سعيد: 36.
- الشيوخ أبو عبد الله: 31.
- أبو سعيد الحفصي: 68.
- الشينيور: 138.
- أبو سعيد بن الشيخ والشيخ الأجل أبي محمد بن الشيخ الأجل أبي إسحاق: 62.
- صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن إدريس التجيبي المرسي: 35.
- أبو سعيد بن عبد المؤمن: 60، 74، 211.
- صفية بنت أبي عمران: 30.
- أبو سعيد عثمان: 211، 223.
- ابن الصقر: 137، 156.
- صلاح الدين الأيوبي: 14، 91، 103، 222، 223، 224.
- أبو سعيد عثمان (شقيق أبو حفص): 214، 215.
- ش-ش-
- ص-ص-

أبو العباس الرنداحي: 144.	- ض -
أبو العباس ابن سعيد المالقي: 19.	أبو ضربة النصراني: 196.
أبو العباس بن الصقر المري: 129.	- ط -
أبو العباس بن مضاء: 35، 67.	ابن طفيل: 12، 107.
أبو العباس بن هارون: 27.	- ظ -
عبد الحق: 85.	ابن ظابي جعفر: 209.
عبد الحق بن علناس الكومي: 66.	- ع -
عبد الرحمان بن أبي حفص: 196.	العادل بن المنصور: 38، 44، 55،
عبد الرحمان بن الخليفة يوسف: 35،	83، 232، 233.
74.	عامر بن فهيرة: 6.
عبد الرحمان المدعو أبا القصبه: 139.	أبو عامر يحيى بن أبي الحسن بن ربيع
عبد السلام الكومي: 23.	الأشعري (القاضي): 111.
أبو عبد الله بن عبد الحميد: 27.	ابن عباس: 5، 17.
عبد العزيز بن أبي زيد: 63.	أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله اللخمي
عبد العزيز بن مرخي: 90.	المعروف بابن الحائك: 27.
أبو عبد الله: 228.	أبو العباس أحمد بن مقدم الرعيني الأشيلي:
عبد الله (أبو محمد): 50.	30.
أبو عبد الله بن إبراهيم: 214.	أبو العباس بن جعفر الرعيني: 42.
	أبو العباس بن حرج البلنسي: 132.

- أبو عبد الله بن أبي إبراهيم: 20، 74.
- عبد الله بن عبد العزيز بن عياش: 21.
- عبد العزيز (أخو ابن تومرت):
154، 176.
- أبو عبد الله بن أبي بكر بن رشيد البغدادي:
41.
- أبو عبد الله بن حامد بن يحيى بن سليمان بن
أبي حامد المعافري: 38.
- أبو عبد الله بن أبي حفص بن علي: 209،
211.
- أبو عبد الله بن حميد: 35.
- أبو عبد الله بن الخليفة عبد المؤمن: 80.
- أبو عبد الله بن سفيان: 85.
- أبو عبد الله بن سليمان: 66.
- عبد الله السماك: 163.
- أبو عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمان:
227.
- أبو عبد الله بن عياش: 11، 17، 25.
- أبو عبد الله بن الفخار المالقي: 141.
- أبو عبد الله ابن محسن: 94.
- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم: 72، 73.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نخيل: 40.
- أبو عبد الله محمد الأنصاري الغرناطي: 44.
- أبو عبد الله محمد ابن ترج الكومي: 66.
- عبد الله محمد بن الخليفة يوسف: 67.
- أبو عبد الله بن عبد المؤمن: 80.
- عبد الله بن زغبوش: 163.
- عبد الله بن شراحيل: 208، 209.
- أبو عبد الله بن محسن: 11.
- أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي عمران
الضرير: 63.
- عبد الله بن محمد بن عيسى التادلي: 153.
- أبو عبد الله محمد بن يحيى الخطيب: 38.
- عبد المؤمن: 10، 12، 19، 22، 23،
24، 26، 28، 29، 30، 31، 33،
34، 35، 36، 37، 44، 49، 51،
52، 53، 55، 56، 57، 58، 59،
62، 63، 65، 66، 70، 72، 73.

عبد الملك بن صاحب الصلاة: 16.	74، 77، 78، 83، 84، 85، 89،
عبد الرحمان بن الخليفة عبد المؤمن: 75.	90، 92، 93، 94، 98، 99، 100،
عبد الواحد الحفصي: 86.	105، 106، 115، 117، 118،
عبد الواحد الحفصي: 74، 221.	124، 126، 127، 129، 130،
عبد الواحد الهنتاتي: 221.	136، 137، 138، 140، 141،
عثمان (أبو السعيد): 57.	143، 145، 146، 148، 151،
أبو عثمان بن سعيد بن زكريا الجدميوي:	152، 153، 155، 156، 160،
59.	161، 161، 175، 176، 177، 178،
علي بن إسحاق بن غانية: 216.	183، 184، 191، 192، 195،
علي بن عبد العزيز الرندي (المنتزي):	196، 197، 199، 204، 209،
155.	210، 223، 224، 235، 239.
أبو العلاء إدريس بن إبراهيم بن جامع:	عبد الله بن وانودين: 150.
62.	عبد الواحد بن يوسف: 62.
أبو العلاء إدريس المأمون بن أبي يوسف	أبو عبد الله بن المناصف: 157.
يعقوب المنصور بن أبي يعقوب يوسف بن	أبو عبد الله بن عياش: 147، 213.
أبو علي الحسن: 64، 67.	أبو عبد الله محمد بن الخليفة يوسف:
أبو علي الحسن (أخو الخليفة يوسف):	232.
147.	ابن عبدون: 144، 194.
	ابن عبد الحميد: 27.
	أبو عقيل عطية بن عطية: 24.
	عبد الملك بن مروان: 9.

- علي بن الحسن الجذامي (القاضي الفقيه):
124.
- أبو علي يونس (شقيق أبو سعيد الحفصي):
68.
- أبو علي (بن عبد المؤمن والي دانية): 67.
- أبو علي الحسن (أخو الخليفة يعقوب):
148.
- علي بن زيد الأنصاري أبو الحسن: 31.
- علي عبد الله بن أبي رافع: 6.
- علي بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز
اللخمي أبو الحكم: 32، 33.
- أبو علي الصفدي: 27.
- علي بن عيسى: 144، 145.
- علي بن مسلم: 31.
- أبو علي بن نارار: 33،
- علي بن يوسف المرابطي: 23.
- علي بن يحيى بن سعيد بن مسعود بن سهل
الأنصاري: 33،
- عمر أصناك: 57، 138.
- عمر بن أمية الضمري: 5.
- عمر بن حزم: 5.
- عمر بن عبد العزيز: 139.
- عمر بن علي الصنهاجي: 61.
- أبو عمران موسى: 155.
- عمران بن موسى الصنهاجي: 146.
- أبو عمر بن صالح: 31.
- عمر بن عبد المؤمن: 61، 62.
- عمران بن أبي موسى: 41، 144.
- أبو عمران موسى: 152.
- أبو عمرو سالم ابن صالح بن سالم المالقي:
28.
- أبو عمران بن أبي موسى بن الخليفة عبد
المؤمن: 46.
- عمران بن منخفاذ (أخو سبع بن منخفاذ):
147.
- ابن عياض: 157.
- عيسى بن عبد العزيز بن يلبخت الجزولي:
173.

- ق -

أبو القاسم (أبو ابن رشد): 106.

أبو القاسم حبّيش: 35.

أبو القاسم الحوفي: 171.

أبو القاسم محمد بن الحاج: 223.

أبو القاسم عبد الرحمان القالمي: 17، 25،

26.

أبو القاسم بن الرماك: 31.

أبو القاسم عبد الرحمان بن عمر بن عبد

الرحمان بن عمر ابن عبد العزيز بن عذرة

الأنصاري: 40.

أبو القاسم العزفي: 144.

أبو القاسم محمد بن إبراهيم بن المراعي:

30.

أبو القاسم بن الورد: 28.

القبّوري: 145.

قراقوش الغزي: 82، 217، 221، 222،

230.

- ك -

عيسى (أخو المهدي بن تومرت): 154،
173، 183.

عيسى بن عمران بن دافال المكناسي
الودميشي التلمساني (أبو موسى قاضي
الخلافة): 28.

عيسى بن مريم: 127.

عيسى بن عمران التازي: 153.

- غ -

ابن غانية: 37، 87، 153، 216،
217، 221، 223، 235.

أبو الغمرين عزون: 99.

- ف -

أبو الفضل بن محشرة: 25.

فرانده بن السليطين (ألفونسو ريمونديس):
230.

فردناندو (البيوج أو صاحب السبباط في
الروايات العربية): 230.

فرناندو الثاني: 230.

فرناندو الثالث: 232.

أبو محمد الرعيبي: 149، 150.	الكساني: 3، 16.
أبو محمد بن سكاتو: 171.	كسرى: 2، 5، 17.
محمد بن سماك العاملي: 171.	كويسران ووصال: 211.
أبو محمد ابن الشيخ أبي حفص: 68.	- م -
أبو محمد الصفا: 139.	الماسي (محمد بن هود): 15، 20، 23،
أبو محمد عبد الحق: 30.	65، 83، 85، 140، 141.
أبو محمد عبد السلام بن محمد: 30.	المأمون بن الناصر: 17، 26، 39، 44،
محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن عبد	45، 49، 55، 56، 59، 60، 62،
الله بن عياش التجيبي: 36.	75، 125، 126، 142، 144، 157،
أبو محمد بن عبد الكبير بن بقی (الفقيه):	158، 182.
132.	ابن مبشر (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن
أبو محمد عبد الكريم: 132.	مبشر بن عبد الله بن يونس بن عمران
محمد بن عبد الله (المهدي): 123، 124.	القيسي: 29، 30.
أبو محمد عبد الله (الخليفة): 125.	ابن محشرة: 82.
أبو محمد عبد الله البياسي: 62.	أبو محمد؟: 157.
أبو محمد عبد الله سليمان: 85، 222.	محمد بن أبي إبراهيم: 20.
أبو محمد عبد الله بن محسن الونشريسي	أبو محمد بن باجة: 46.
(البشير): 60، 93، 94.	أبو محمد بن حامد: 38.
	أبو محمد بن الخليفة يوسف: 33، 74.

184، 207، 208، 210، 211،
 212، 213، 214، 215، 216،
 224، 228، 231، 235.
 المستنصر بالله: 11، 14، 41، 42، 44،
 55، 60، 62، 63، 75، 81، 139،
 182، 186، 192.
 أبو المكارم المصري: 156.
 ملول بن إبراهيم بن يحيى الصنهاجي: 65.
 المنتزي: 103.
 ابن المنتصر: 156.
 موسى بن نمره: 64.
 محمد بن يحيى بن فانو: 145.
 محمد بن يحيى (قائد المرابطين): 146.
 محمد بن واندنين: 193.
 مرزدغ الغماري: 146.
 محمد الناصر: 17، 19، 34، 36، 38،
 39، 41، 42، 55، 63، 64، 68،
 69، 71، 73، 74، 81، 90، 128،
 132، 139، 153، 173، 184،
 203، 221، 226، 227، 243.

أبا محمد عبد الله بن أبي القاسم العراقي:
 173.
 أبو محمد اللخمي: 28.
 محمد بن علي الكومي: 207.
 أبو محمد عبد الواحد: 43.
 محمد بن عبد المؤمن: 53، 55.
 محمد ابن عبدون بن قاسم الخزرجي: 44.
 محمد بن الفرس الغرناطي: 132.
 أبو محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص:
 64.
 أبو محمد عبد الواحد بن عمر الهنتاتي: 66،
 68.
 أبو محمد واندوق: 66.
 أبو محمد بن الياسمين: 27.
 أبو محمد عياش بن عبد الملك: 25.
 المرتضى: 32، 45، 94، 125، 128،
 147.
 ابن مردنيش: 9، 26، 28، 50، 54،
 68، 72، 80، 95، 115، 154.

136، 139، 143، 147، 148،

153، 154، 167، 169، 170،

178، 184، 189، 194.

أبو موسى بن عمران التلمساني: 139.

أبو موسى بن المنصور: 56.

أبو الميمون: 11.

- ن -

النجاشي: 5.

- ه -

هرقل: 5.

أبا هريرة: 7.

ابن همشك: 31، 133، 184.

- و -

الوليد بن هشام بن المغيرة: 7.

أبو الوليد بن رشد: 130.

أبو الوليد بن هشام الأزدي: 157.

ابن وهري: 232.

- ي -

المطرزي: 3، 16.

أبو المطرف بن عميرة: 14، 25، 43،
186.

ابن مطروح (والي طرابلس): 66.

أبو موسى (أخو الخليفة أبو يعقوب):
156.

أبو موسى عيسى: 43، 47.

معاوية بن أبي سفيان: 9.

المعتضد من بني عبد المؤمن: 38، 41.

المعتضد بالله أبو الحسن علي: 43.

المغيرة بن شعبة: 6.

المقوقس: 5.

المهدي بن تومرت: 9، 14، 15، 27،

28، 29، 49، 51، 52، 53، 56،

57، 61، 65، 67، 70، 71، 78،

84، 94، 95، 96، 111، 112،

113، 115، 116، 118، 119،

120، 121، 122، 123، 124،

125، 126، 127، 128، 129،

131، 135، 139، 133، 135.

59، 62، 67، 68، 71، 80، 81،
83، 84، 85، 90، 92، 96، 102،
106، 107، 121، 127، 130، 131،
132، 108، 109، 110، 158،
164، 184، 196، 203، 211،
216، 217، 221، 222، 224،
225.

أبو يوسف حجاج الهواري: 152.

يوسف (أبو يعقوب) بن عبد المؤمن:
10، 11، 14، 16، 17، 19، 25،
26، 27، 28، 29، 30، 31، 32،
33، 34، 35، 50، 51، 52، 53،
54، 55، 59، 62، 63، 67، 72،
74، 77، 80، 81، 83، 84، 87،
89، 90، 94، 95، 96، 101، 102،
106، 115، 125، 126، 128،
132، 147، 149، 151، 164،
156، 160، 161، 162، 172،
181، 184، 185، 193، 194،
204، 208، 209، 214، 216،
217، 228، 230، 231.

يوسف بن تاشفين: 10، 139.

أبو يحيى (شقيق الخليفة المنصور): 146.

يحيى بن إبراهيم الأصبحي الحكم المكنى أبو
زكريا والمعروف بالخوذج: 52.

يحيى بن تميم الحمادي: 81.

يحيى جامع التقاديم: 45.

أبو يحيى بن أبي الحسن بن أبي عمران: 63.

أبو يحيى بن الخليفة يوسف: 67.

أبو يحيى زكريا بن يحيى بن سنان: 67.

يحيى الصحراوي: 98، 143.

بن يحيى بن العزيز بالله أمير بني حماد: 211.

يحيى بن عيسى: 142.

يحيى بن غانية: 217.

يحيى المعتصم: 144.

يحيى بن الناصر: 55.

يحيى بن يغمور: 74.

أبو يعقوب يوسف بن سليمان: 67،
211.

يعقوب بن يوسف الملقب بالمنصور: 13،
34، 36، 37، 49، 52، 54، 55.

أبو يوسف حجاج: 28.

أبو يوسف أخو الخليفة يوسف: 67.

يوسف بن مردنيش: 215.

يوسف بن واندين: 139.

يصلاسن بن المعز: 107، 157.

أبو يعقوب بن سليمان: 209.

ابن يونس: 209.

كشف الأعلام الجغرافية

- أ -

207، 208، 209، 210، 211،	أبذة: 25، 98، 224، 228.
212، 213، 214، 224، 225، 229،	أثريجان: 81.
230، 231، 232، 234، 235، 237.	الأريس: 49.
أشير: 216.	أرغونة: 215.
الأطلس المتوسط: 144.	أرغون: 14.
أغمات: 29، 149، 203.	أريولة: 39.
إفريقية: 17، 18، 25، 43، 49، 64،	اسبانيا: 177، 226.
67، 68، 69، 73، 79، 80، 81، 83،	استجة: 229.
86، 92، 101، 147، 148، 152،	اسطونة: 41.
153، 182، 183، 185، 196،	الإسكندرية: 117، 149، 243.
205، 206، 209، 216، 217، 221،	اشبونة: 231.
230، 242.	إشبيلية: 16، 17، 19، 26، 28، 29،
إلبه: 228.	30، 31، 32، 33، 37، 40، 41، 42،
الأندلس: 11، 14، 19، 23، 28، 30،	44، 52، 64، 67، 68، 72، 74، 77،
36، 40، 42، 43، 44، 48، 49، 56،	81، 105، 106، 127، 150، 152، ،
59، 62، 63، 64، 67، 72، 77، 80،	156، 163، 164، 165، 160، 186،
81، 82، 85، 91، 92، 95، 96، 99،	237، 240.
105، 106، 110، 117، 118، 142،	
149، 151، 153، 154، 155، 156،	

برشانة: 36.	163، 175، 184، 186، 190، 191،
برشلونة: 104.	193، 195، 202، 207، 208، 209،
برغواطة: 141، 142، 143، 223.	215، 222، 223، 224، 225، 226،
برغوس (مدينة بالأندلس): 96.	227، 228، 230، 231، 232، 233،
برقة: 221.	أندوجر: 16، 44، 212، 213،
بزفالة: 180.	232.
بسطة: 213، 214، 215.	أودغشت: 171.
بشج (حصن): 110.	إيجلي: 124، 189.
بطليوس: 212، 230، 231.	إيجيليز: 132.
بغداد: 48.	إيطاليا: 204.
البلاد الجريدية: 81، 189، 217،	- ب -
221.	باجة: 252.
بلاد نول (من السوس الأقصى): 177.	بجاية: 25، 30، 34، 37، 64، 75،
بلنسية: 37، 43، 54، 55، 75، 95،	77، 78، 79، 80، 91، 149، 150،
215، 227، 231.	151، 152، 163، 164، 171، 189،
بوننة: 223.	199، 205، 206، 207، 216، 241.
بياسة: 24، 25.	البحر الإدرياتيكي: 85.
بيت المقدس: 221.	بحر قزوين: 85.
	البرتغال: 221، 224، 228، 230،
	231.

تونس: 14، 43، 74، 92، 101، 149، 150، 152، 153، 163، 216، 217، 236، 237، 240، 241.	بيشة (بيزا): 8، 14، 73، 201، 204، 236، 237، 238، 240، 241.
تينملل: 64، 73، 78، 93، 94، 95، 127، 133، 158، 169، 186، 213.	- ت - تاجندويت: 137.
تيونوين: 137.	تادلا: 67، 95، 141، 182، 185، 186.
- ج - جدميوة: 169، 213.	تارودنت: 65، 85، 94، 95.
جربة: 198.	تازا: 29، 189.
الجريد: 149.	تامسنا: 80، 137، 143، 175، 178.
الجزائر: 195، 216، 241.	تبسة: 221.
جزائر مزغنة: 189.	ترجالة: 228.
جبل زغوان: 186.	تقيوس: 217.
جبل السبيكة: 211.	تلمسان: 26، 30، 33، 37، 54، 55، 67، 75، 96، 163، 172، 176، 186، 188.
جبال سقورة: 213.	تنس: 29، 104.
جبل طارق: 91، 209، 210.	تنسيفت: 45.
جبل غيابة: 145.	توزر: 239.
جبال فازاز: 186.	

حصن قلية: 213.	جزولة: 37، 99، 137، 138، 139،
	140، 182.
حصن متانجس: 226.	
الحمة: 217، 221.	الجزيرة الخضراء: 40، 157، 211.
- د -	جنفيسة: 64، 162.
	جنوة: 237، 238.
دانية: 54، 67.	جيان: 75، 163، 186، 217، 211،
درعة: 186.	223، 224، 226، 232.
دكالة: 78، 85، 100، 142، 223.	جيجل: 236، 237.
- ر -	
	- ح -
رباط الفتح: 43، 67.	حاحة: 78، 138.
رقالة: 138، 182.	الحبشة: 5، 17.
ركراكة: 130، 131.	حزن دمر: 221.
رندة: 214.	حصن الأرك: 225.
- ز -	حصن بلس: 213، 214.
الزاب: 179، 221.	حصن ترجاله: 226.
زغبة: 95.	حصن مجريط: 226.
زميط: 221.	حصن طمار: 225.
زناتة: 78، 80، 195.	حصن العقاب: 227.
- س -	

شريس: 99، 150.	سبته: 43، 56، 67، 75، 80، 93، 142، 143، 144، 145، 147، 152.
شقر: 43، 149، 215.	171، 172، 176، 222، 241.
شلب: 67، 80، 83، 195، 225.	سجلماسة: 37، 74، 83، 163، 195، 196.
شلبطرة: 36، 89، 102، 226، 227.	سردانية: 241.
شترين: 33، 53، 54، 224، 225، 232.	سلا: 43، 57، 75، 93، 149، 150، 152، 154.
- ص -	السودان: 178.
الصحراء: 217.	السوس: 67، 83، 138، 139، 182، 186.
صقلية: 237، 240.	سطيف: 79.
صنهاجة: 57، 67، 96، 146، 148، 151، 180، 195.	سنت: 67.
صنهاجة تاسرغت: 172.	- ش -
صنهاجة الجبل: 137.	شاطبة: 27، 28، 35، 54، 67، 156.
صنهاجة الظل: 82.	الشام: 5، 221، 221، 222.
صنهاجة القبلة: 82.	شبرو: 221.
الصين: 91، 132.	شرشال: 195.
- ط -	
طبنة: 186.	

غمارة: 15، 21، 30، 50، 67، 96، 102، 145، 146، 147، 191، 194، 195.	طرابلس: 48، 81، 149، 221، 222، 240.
- ف -	طرابلس الغرب: 198.
فاس: 45، 75، 79، 83، 96، 100، 101، 130، 141، 143، 149، 154، 160، 163، 179، 183، 186، 192.	طرشوشة: 23، 24.
فحص الجلاب: 25، 95، 212، 213.	طلبيرة: 67، 225، 231.
فحص الهلال: 229.	طليطلة: 81، 226، 228، 231، 233.
فرنسا: 195.	طنجة: 80، 91، 143.
فلسطين: 8.	- ع -
الفندون: 213.	العراق: 9.
فيحانة: 215.	عناية: 93.
- ق -	- غ -
قابس: 43، 82، 153، 186، 221.	غانا: 203.
قادس: 36.	غرناطة: 14، 15، 16، 21، 22، 37، 50، 54، 67، 68، 71، 72، 74، 77، 124، 153، 156، 163، 184، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 224، 228، 229، 232.
قالمة (قالم): 25.	غليرة: 213.
قرباقة: 213.	
قرمونة: 208، 209.	

القل: 190.	قرطبة: 15، 25، 26، 31، 32، 55،
القلعة: 238.	67، 68، 71، 74، 80، 83، 105،
قلعة بطربونة: 226.	106، 108، 109، 112، 156،
قلعة جابر: 209.	160، 175، 184، 186، 207، 208،
قلعة رباح: 95، 225، 228.	210، 212، 223، 224، 229، 232،
قلمرية: 229.	233.
القبروان: 185، 186، 221.	قرملة: 23، 24.
- ك -	قرية همذان: 211.
كتامة: 224.	قسطيلية: 217.
الكتبانية: 229.	قسطنطينة: 17، 25.
كدمية: 73.	قشتالة: 35، 62، 103، 184، 224،
كزولة: 65، 123، 148.	225، 226، 230، 231، 232.
كنفيسة: 73.	القصبية الحمراء: 233.
كومية: 37، 73، 78، 95، 163.	قصبية تونس: 40.
كوينكة: 231.	قصبية المرية: 149.
- ل -	قصر الفتح (قصر أبي دانس): 225، 231.
لشبونة: 224.	قطريونة: 25.
لمتونة: 179.	قفصة: 33، 34، 80، 82، 89، 90،
	101، 146، 147، 185، 186، 190،
	217، 221.

لواتة: 151.	مرج الرقاد: 211.
لورقة: 213، 215.	المرية: 24.
لوسا (ممر): 113.	مريلة: 41.
ليون: 225، 226، 229، 230، 231.	مرسية: 26، 33، 35، 36، 37، 46.
- م -	مستغانم: 186.
ماسة: 20.	مسوفة: 78، 179.
مالقة: 35، 44، 68، 85، 156، 163، 211، 223.	المسيلة: 186.
مدينة الفتح: 103.	المشرق الإسلامي: 193.
مراكش: 17، 23، 24، 28، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 38، 41، 43، 44، 48، 55، 64، 72، 78، 81، 82، 83، 85، 89، 95، 99، 100، 101، 105، 108، 110، 110، 127، 136، 137، 138، 139، 142، 143، 146، 147، 148، 150، 154، 158، 160، 163، 172، 173، 174، 183، 192، 195، 190، 204، 209، 210، 212، 214، 221.	مصر: 5، 81، 84، 221، 222.
المغرب: 10، 11، 33، 61، 62، 64، 72، 80، 81، 85، 93، 95، 96، 99، 106، 111، 119، 126، 131، 136، 140، 140، 150، 155، 157، 163، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 182، 184، 186، 188، 190، 191، 200، 202، 231، 233، 239، 243.	المغرب الأقصى: 83، 123، 151.
مرتش: 232.	المغرب الأوسط: 24، 149، 151، 216.
	مكناسة: 43، 45، 54، 83، 100.
	141، 142، 143، 149، 196.

هرغة: 57، 73، 78، 94، 169، 183، 213.	مكناسة الزيتون: 29.
هسكورة: 57، 78، 147، 148.	مليانة: 216.
هسكورة الجبل: 137.	المهدية: 19، 20، 25، 29، 36، 66، 67، 69، 83، 90، 93، 101، 102، 151، 152، 153، 208، 216، 217، 221.
هسكورة الظل: 73.	منورقة: 17.
هسكورة القبلة: 73.	الموصل: 8.
هنتاتة: 57، 78، 175، 213.	ميورقة: 17.
الهند: 132.	- ن -
هنكيسة: 137، 182.	نبارة: 226.
هيلانة: 43، 78.	نفارا: 230.
- و -	نفزاوة: 217، 221.
واحات الجريد: 186.	نفطة: 217.
وادي أم الربيع: 144.	نفوسة: 221.
وادي آش: 214، 224، 228.	نقاوس: 186.
وادي تنسيفت: 189.	نهر حدرة: 211.
وادي الحجارة: 226.	نهر مراکش: 189.
وادي دلير: 211.	- ه -
وادي سوس: 189.	

وادي شنيل: 214.

وادي القشتالي: 213.

الوادي الكبير: 229.

وادي أبي موسى: 221.

وبذة: 214، 228.

وهران: 93، 101، 183، 237، 238.

- ي -

يابرة: 25، 33، 34، 86،

228، 232.

يابسة: 17.

اليسانة: 110.

اليمن: 5.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع (1)

- القرآن الكريم (رواية ورش)

أولاً: المحررات باللغة العربية:

1- المصادر:

- 01- ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت: 658ه/1260م): إعتاب الكتاب، تحقيق: صالح الأشر، (دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ط1، 1961م).
- 02- : التكملة لكتاب الصلة، السفر الأول، (مجريط: مطبعة روخس، 1886م).
- 03- : الحلة السبراء، الجزء الثاني، تحقيق وتعليق: حسين مؤنس، (القاهرة: دار المعارف، ط2، 1985م).
- 04- : المقتضب من تحفة القادم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة: دار الكتاب المصري، ط3، 1989م).
- 05- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبو الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت: 630ه/1233م): الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط4، 2003م).

(1) الترتيب الذي اعتمد عليه في البحث هو الألف بائي (على حروف المعجم). ولم يراع في الترتيب (ابن، أبو وأل التعريف).

- 06- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الحسيني السبتي (ت: 560هـ / 1165م):
المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس؛ مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في
اختراق الآفاق، (مطبع بريل، 1863م).
- 07- ابن أبيك، صلاح الدين خليل الصفدي (ت: 864هـ / 1459م): الوافي
بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط تركي مصطفى، الجزء السادس، (بيروت: دار إحياء
التراث العربي، ط1، 2000م).
- 08- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك القرطبي (ت:
578هـ / 1182م): كتاب الصلة ومعه كتاب صلة الصلة لابن الزبير، أبو جعفر بن
إبراهيم الغرناطي (ت: 708هـ / 1308م): تحقيق: شريف أبو العلا العدوي، (القاهرة:
مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2008م).
- 09- البيدق، أبو بكر علي الصنهاجي (ت: 555هـ / 1160م): أخبار المهدي بن
تومرت، تحقيق وتقديم وتعليق: عبد الحميد حاجيات، (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،
1975 م).
- 10- : المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عبد
الوهاب بن منصور، (الرباط: دار المنصور، 1971م).
- 11- التادلي، أبو يعقوب يوسف بن يحيى (ت: 628هـ / 1230م): التشوف إلى
رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، (الرباط: منشورات
كلية الآداب، ط2، 1997م).
- 12- التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد (ت: 717هـ / 1317م): رحلة
التجاني، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، (الدار العربية للكتاب ليبيا 1981م).
- 13- ابن تومرت، محمد (ت: 524هـ / 1129م): أعز ما يطلب، تحقيق وتقديم:
عبد الغني أبو العزم، (مراكش: مؤسسة الغني للنشر- دار وليلي للطباعة والنشر،
1997م).

- 14- التحيي، محمد بن أحمد بن عبدون (ق 6/هـ 12م): رسالة في الحسبة، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، دراسة وتحقيق: ليفي بروفنصال، (القاهرة: مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، 1955م).
- 15- الجرسيفي، عمر بن عثمان بن العباس: رسالة في الحسبة، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، دراسة وتحقيق: ليفي بروفنصال، (القاهرة: مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، 1955م).
- 16- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي السبتي (ت: 727هـ/1327م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (مكتبة لبنان، ط2، 1984 م).
- 17- : صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر وتصحيح وتعليق، إ.لا.في بروفنصال، (د.م، ط2، 1988 م) .
- 18- الحنبلي، أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء (ت: 458هـ/1065م): الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م).
- 19- ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي (ت: 776هـ/1375م): تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط - القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام-، تحقيق وتعليق: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، (الدار البيضاء: دار الكتاب، 1964م).
- 20- : الإحاطة في أخبار غرناطة، الجزء الأول، تحقيق: محمد عبد الله عنان، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1973م).
- 21- : الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، (تونس، 1329هـ).
- 22- : رقم الحلل في نظم الدول، (تونس: المطبعة العمومية، 1317هـ).

- 23- ابن خلدون، أبو زكريا يحيى ابن أبي بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن (ت: 780ه/1478): بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، (الجزائر: مطبعة بدير بونطانا الشرفية، 1903م).
- 24- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي (ت: 808ه/1405م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء السادس، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1992م).
- 25- ... : المقدمة، حققها وقدم لها وعلق عليها عبد السلام الشدادى، (الدار البيضاء، ط1، 2005م).
- 26- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت: 681ه/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، 1975م).
- 27- ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن الكلبي السبتي (ت: 633ه/1235م): المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، مراجعة: طه حسين، (بيروت: دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع، 1955م).
- 28- ابن أبي دينار، عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت: 1092ه/1681م): كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، (مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1286ه).
- 29- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي أحمد بن عثمان (ت: 748ه/1374م): المستملح من كتاب التكملة، تحقيق: بشار عواد معروف، (دار الغرب الإسلامي، ط1، 2008م).

- 30- الرعيبي، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الإشبيلي (ت: 666هـ/1268م):
برنامج شيوخ الرعيبي، تحقيق: إبراهيم شيوخ، (دمشق: مطبوعات إحياء التراث
القديم، 1962م).
- 31- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي الفاسي (حي سنة 726هـ/1326م): الأنيس
المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس، (الرباط: صور للطباعة
والوراقة، 1972م).
- 32- : الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، (الرباط: دار المنصور،
1972م).
- 33- الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (حي سنة 894هـ/1489م): تاريخ
الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق: محمد ماضور، (تونس: المكتبة العتيقة،
ط2، 1966م).
- 34- الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الأندلسي (حي سنة 555هـ/1160م):
كتاب الجغرافية وما ذكرته في الحكماء من العمارة وما في كل جزء من الغرائب
والعجائب تحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراخ، تحقيق:
محمد حاج صادق، بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.
- 35- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي (ت: 685هـ/1286م):
اختصار القدر الملقى في التاريخ المحلي، اختصره: أبو عبد الله بن خليل، تحقيق:
إبراهيم الأبياري، (دار الكتب الإسلامية، ط2، 1980م).
- 36- : رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق وتعليق: محمد رضوان
الداية، (طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1987م).
- 37- : كتاب الجغرافيا، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه: إسماعيل
العربي، (بيروت: منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،
1970م).

- 38- - المغرب في حلى المغرب: تحقيق: شوقي ضيف، (القاهرة: دار المعارف، ط4، 2009م).
- 39- السقطي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد الملقب: كتاب في آداب الحسبة، (د.ن، د.ت).
- 40- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان (911ه/1505م): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، الجزء الأول، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، (دار الفكر، ط2، 1979م).
- 41- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمان بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت: 665ه/1267م): كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، حققه وعلق عليه إبراهيم الزبيق، ط1، (بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ط1، 1997م).
- 42- ابن صاحب الصلاة، أبو مروان عبد الملك بن محمد الباجي (حي 594ه/1198م): المن بالإمامة - تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين-، السفر الثاني، تحقيق: عبد الهادي التازي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط3، 1987م).
- 43- الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (599ه/1203م): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، (دار الكتاب العربي، 1967م).
- 44- ابن عبد الملك، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الأنصاري الأوسي المراكشي (ت: 703ه/1303م): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الأول، تحقيق ابن شريفة، (بيروت: دار الثقافة، د.ت).
- 45- : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، بقية السفر الرابع، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، 1964م.

- 46- : الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة، السفر الخامس، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، 1965م.
- 47- : الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة، السفر السادس، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الثقافة، 1973م).
- 48- : الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة، السفر الثامن، تحقيق: محمد بن شريفة، (الرباط: منشورات أكاديمية المملكة المغربية، 1984م).
- 49- عبد الواحد المراكشي، أبو محمد بن علي التميمي (ت: 647هـ / 1249م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد عريان، (القاهرة، 1962م).
- 50- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (حي سنة 712هـ / 1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - قسم الموحدين - الجزء الثالث، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1985م).
- 51- : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الرابع، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الثقافة، ط3، 1983م).
- 52- ابن عسكرة، أبو عبد الله محمد بن علي بن عبيد الله بن الخضر بن هارون الغساني (ت: 636هـ / 1238م) وابن خميس، أبو بكر محمد بن محمد بن علي (ت: 688هـ / 1289م): أعلام مالقة: تقديم وتخرّيج وتعليق: عبد الله المرابط الترغي، (دار الغرب الإسلامي، دار الأمان للنشر، ط1، 1999م).
- 53- ابن عميرة، أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن أحمد (ت: 658هـ / 1259م) : رسائل ابن عميرة الديوانية - القرن السابع الهجري-، دراسة وتحقيق: أحمد عزّاوي، (الرباط: مطبعة ربانيت، ط1، 2008م).

- 54- ابن غازي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد العثماني المكناسي (ت: 919ه/1513م): الروض المتهون في أخبار مكناسة الزيتون، (الرباط، 1952م).
- 55- الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت: 704ه/1305م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، حققه وعلق عليه: عادل نويهص، ط2، (بيروت: منشورات دار الأفاق الجديدة، ط2، 1979م).
- 56- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت: 505ه/1161م) : إحياء علوم الدين، (دراسة وتحليل: بدوي طبانة، كرياضة فوترا، د.ت).
- 57- ابن القاضي: أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت: 1025ه/1616م): جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973 م).
- 58- ابن القطان، أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك (حي سنة 650ه/1252م): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي مكي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990 م).
- 59- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله، الشهاب بن الجمال بن أب اليمن القاهري الشافعي(ت: 821ه/1476م) : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الجزء الأول، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1922م).
- 60- ... : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الجزء الخامس، القاهرة: المطبعة الأميرية، دار الكتب الخديوية، 1915م.
- 61- ... : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الجزء السادس، (القاهرة: المطبعة الأميرية، دار الكتب الخديوية، 1915م).
- 62- ... : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الجزء العاشر، (القاهرة: المطبعة الأميرية، دار الكتب السلطانية، 1916م).

- 63- : **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، الجزء الرابع عشر، (القاهرة: المطبعة الأميرية، دار الكتب السلطانية، 1919م).
- 64- **كتاب دواوين الإنشاء الموحدة (ق 6-7/12-13م): رسائل موحدة** - **مجموعة جديدة** - تحقيق ودراسة: أحمد عزاوي، (القنيطرة - المغرب : منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، 1995م).
- 65- : **مجموع رسائل موحدة**، نشرها ليفي بروفنصال، (الرباط: المطبعة الاقتصادية، 1941م).
- 66- **الكتبي، أبو عبد الله محمد بن شاكر الدراني دمشقي (ت: 764هـ / 1363م): فوات الوفيات والذيل عليها**، تحقيق: الجزء الثاني، إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، د.ت).
- 67- **الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت: 450هـ/1058م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، (الكويت: دار ابن قتيبة، ط1، 1989م).
- 68- : **أدب الوزير للماوردي المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك**، تصحيح: حسن الهادي حسين، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1994م).
- 69- **المطرزي، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي (ت: 610هـ/ 1213م): المغرب في ترتيب المغرب**، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت).
- 70- **ابن مغاور، أبو بكر الشاطبي (ت: 587هـ / 1191م): حياته وآثاره**، دراسة وتحقيق: ابن شريفة، (د.م، 1994م).
- 71- **ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حقة (711هـ/1311م): لسان العرب**، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهشام محمد الشاذلي، (القاهرة: دار المعارف، د.ت).

- 72- مؤلف مجهول (حي سنة 587هـ/1191م): الاستبصار في عجائب الأمصار - وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب ق6هـ/12م-، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، (دار الشؤون الثقافية العامة، د.ت).
- 73- مؤلف من العصر الموحدى: "رسائل نادرة وتراجم أندلسية"، عرض وتقديم: إدريس العلوي البلغيثي، مجلة المناهل، ع38/1989م، ص243-291.
- 74- المقرئ، أبو العباس أحمد بن محمد القرشي التلمساني (ت: 1041هـ/1632م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الجزء الرابع، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، 1988م).
- 75- ... : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الجزء الخامس، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، 1988م).
- 76- ... : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الجزء السادس، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، د.ت).
- 77- النباهي، محمد بن أبي القاسم أحمد بن أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد يكنى أبا الوليد (حي سنة 793هـ/1390م) : تاريخ قضاة الأندلس وسماه المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط5، 1983م).
- 78- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت: 948هـ/387م): صناعة الكتاب، تحقيق: بدر أحمد ضيف، (بيروت: دار العلوم العربية، ط1، 1990م).
- 79- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (733هـ/1332م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2004م).
- 80- الوزان، الحسن بن محمد الفاسي (حي 957هـ/1550م): وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983م).

- 81- الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى التلمساني (ت914ه/1508م): كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، نشر وتعليق: محمد الأمين بلغيث، (لافوميك، د. ت).
- 82- اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليميني المكي (ت: 768ه/1367م): مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997م).
- 83- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت: 626ه/1228م): معجم البلدان، الجزء الأول، (بيروت: دار صادر، 1977م).
- 2- المراجع:
- أ- الكتب المطبوعة:
- 84- أحمد، عبد الرزاق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، (دار الفكر العربي، ط3، 1999م).
- 85- بوتشيش، إبراهيم القادري: مباحث في التاريخ الاجتماعي بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2000م).
- 86- ... : مقالات في تاريخ الغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين، ط1، (مكناس: مطبعة سجلماسة، ط1، 2007م).
- 87- بوعزيز، يحيى: مدينة وهران عبر التاريخ وبلية مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط وبلية المساجد العتيقة في الغرب الإسلامي، (دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2009 م).
- 88- بولطيف، لخضر محمد: فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، (الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2009م).

- 89- التليلي، عبد الرحمان: ابن رشد الفيلسوف العالم، (تونس: المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، 1998م).
- 90- الجابري، محمد عابد: ابن رشد سيرة وفكر دراسة ونصوص، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1998م).
- 91- الجبري، عبد المتعال محمد: أصالة الدواوين والنقود العربية، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 1989 م).
- 92- جورجى، زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت).
- 93- الجيلالي، عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام، الجزء الثاني، ط8، (الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، د.ت).
- 94- حاجيات، عبد الحميد: الجزائر في التاريخ - العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني - ، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م).
- 95- الحجى، عبد الرحمان علي: التاريخ الأندلسي - من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92- 798هـ/711- 1492م-، ط2، بيروت: دار القلم، 1981.
- 96- حسن، إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي-العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس 447- 656هـ/1055- 1258م- الجزء الرابع، (بيروت: دار الجيل - القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط14، 1996م).
- 97- حسن، حسين الحاج: النظم الإسلامية، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1987م).
- 98- حسن، علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس - عصر المرابطين والموحدين -، ط1، (مصر: مكتبة الخانجي، ط1، 1980 م).

- 99- حلاق، حسان: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1999 م).
- 100- الخربوطلي، علي حسني: الحضارة العربية الإسلامية- حضارة السياسة والإدارة والقضاء والحرب والاجتماع والاقتصاد والتربية والتعليم والثقافة والفنون-، (مصر: مكتبة الخانجي، ط2، 1994 م).
- 101- أبو خليل، شوقي: الحضارة العربية الإسلامية،- وموجز عن الحضارات السابقة-، (دمشق: دار الفكر، ط1، 1994م).
- 102- : العقاب بقيادة أبي عبد الله محمد الناصر، (دمشق: دار الفكر، ط1، 1979م).
- 103- الدراجي، بوزياني: القبائل الأمازيغية- أدوارها- مواطنها- أعيانها- (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2007م).
- 104- دندش، عصمت عبد اللطيف: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين - عصر الطوائف الثاني 510هـ - 546هـ/ 1116 - 1151م-، (لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988م).
- 105- الرشيد، محمد: عصر المنصور الموحدي- أو الحياة السياسية والفكرية والدينية في المغرب من سنة 580هـ إلى سنة 595هـ، (مطبعة الشمال القسنطيني، د.ت).
- 106- أبو رميلة، هشام: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط1، (عمان: دار الفرقان، ط1، 1984م).
- 107- الزحيلي، محمد: تاريخ القضاء في الإسلام، لبنان: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، 1995م.
- 108- الزركلي، خير الدين: الأعلام، (بيروت: دار العلم للملايين، ط15، 2002م).

- 109- زغروت، فتحي: الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين (المغرب والأندلس)، ط1، (القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، 2005م).
- 110- زناقي، أنور محمود: مصادر تاريخ المغرب والأندلس - المصادر - المراجع - الدوريات -، (سحر للنشر، ط1، 2008 م).
- 111- زنبير، محمد: المغرب في العصر الوسيط - الدولة - المدينة - الاقتصاد -، تنسيق: محمد المغراوي، (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 1999 م).
- 112- السائح، الحسن: الحضارة الإسلامية في المغرب الإسلامي، (الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط2، 1986م).
- 113- سالم، السيد عبد العزيز والعبادي، أحمد مختار: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، (بيروت: دار النهضة العربية، 1969م).
- 114- سالم، السيد عبد العزيز: تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، 1984م).
- 115-: تاريخ المغرب الكبير - العصر الإسلامي دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية -، (بيروت: دار النهضة العربية، 1981م).
- 116- سامعي، إسماعيل: تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، (قسنطينة: منشورات مكتبة اقرأ، ط1، 2007م).
- 117- سانشيز، إكسبيراثيون غارثيا: الزراعة في إسبانيا المسلمة - ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس - ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998 م).

- 118- السعيد، ع: توحيد المغرب في عهد الموحدين، ضمن كتاب تاريخ إفريقيا العام- إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر-، إشراف: ح.ت. نياني، (باريس: اليونسكو، 1988م).
- 119- السعيد، محمد مجيد: بحوث أندلسية، (منشورات الجمع العلمي، 2001 م).
- 120- سيفر، لخضر: التاريخ السياسي لدول المغرب الإسلامي، (الجزائر: الأمل للدراسات، 2006م).
- 121- السمراي، خليل إبراهيم وطه، عبد الواحد ذنون ومطلوب، ناطق صالح: تاريخ العرب وحضارتهم، ط1، (ليبيا: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2000م).
- 122- سويدان، طارق محمد: الأندلس التاريخ المصور، مراجعة وتدقيق لغوي: راتب المصري، (الكويت: مطابع المجموعة الدولية، ط1، 2005م).
- 123- السيد، محمود: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2007 م).
- 124- سيسالم، عصام سالم: جزر الأندلس المنسية - التاريخ الإسلامي لجزر البليار 89-685هـ/708-1287م-، (بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1984م).
- 125- الشريف، عمر: نظم الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية - دراسة مقارنة-، (مكتبة الإسكندرية، 1991م).
- 126- الصلابي، علي محمد محمد: إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين، ط1، (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، 2002م).
- 127- طه، جمال: الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى - العصر المرابطي والموحدي، (الإسكندرية: دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، ط1، 2004م).
- 128- عبادة، الفتاح: سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها في الإسلام، (مصر: مطبعة الهلال، 1913م).

- 129- الطيبي، أمين توفيق: ودراسات وبحوث في تاريخ المغرب، الجزء الثاني، (تونس: الدار العربية للكتاب، 1997 م).
- 130- العبادي، أحمد مختار: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، (الإسكندرية: منشأة المعارف، 2000 م).
- 131- العباس بن إبراهيم، أبو الفضل بن محمد المراكشي (ت: 1378هـ / 1958م): الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، الجزء الثامن، مراجعة: عبد الوهاب منصور، ط2، (الرباط: المطبعة الملكية، ط2، 1993 م).
- 132- عبد الحميد، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي- الموحدون: مصامدة السوس الجباليون المرابطين تأسيس الدولة وقيامها- 500 - 558هـ / 1100- 1163م، الجزء الخامس، (الإسكندرية: منشأة المعارف، 2003 م).
- 133- ... : تاريخ المغرب العربي - أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن 558 - 580هـ/1172 - 1184، الجزء السادس، (الإسكندرية: منشأة المعارف، 2004 م).
- 134- ... : تاريخ المغرب العربي- المنصور الموحدى- 580هـ - 590هـ / 1184م - 1199م-، الجزء السابع، (الإسكندرية: منشأة المعارف، 2005 م).
- 135- عبد الرازق، أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط3، 1999 م).
- 136- عزاوي، أحمد: قضايا تاريخية خلال العصرين الموحدى والمريني- دراسة وثائقية-، (عالم الفكر، ط1، 2010 م).
- 137- ... : رسائل موحديّة - جديدة-، الجزء الثاني، (القنيطرة - المغرب : منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، 1995 م).

- 138- عنان، محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، - العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس- عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية، الجزء الأول، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1990 م).
- 139- : دولة الإسلام في الأندلس، - العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس- عصر المرابطين وانهيار الأندلس الكبرى- الجزء الثاني، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1990 م).
- 140- : دولة الإسلام في الأندلس- عصر المرابطين-، الجزء الخامس، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 2001م).
- 141- علام، عبد الله: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، (مصر: دار المعارف، 1971 م).
- 142- الغنای، مراجع عقيلة: سقوط دولة المرابطين، (بنغازي: منشورات جامعة قار يونس، ط2، 2008م).
- 143- الغنای، مراجع عقيلة: قيام دولة المرابطين، (بنغازي: منشورات جامعة قار يونس، ط2، 2008م).
- 144- غيشار، بيير: التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم المرابطين- من بداية القرن الثامن إلى نهاية القرن الثامن عشر- ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998م).
- 145- فكري، أحمد: قرطبة في العصر الإسلامي- تاريخ وحضارة-، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، 1983م).
- 146- القادري، إبراهيم القادري: الإسلام السري في المغرب العربي، (القاهرة: سينا للنشر، ط1، 1995م).

- 147- ابن قربة، صالح: عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1911م).
- 148- القرقوطي، معمر الهادي محمد: جهاد الموحدين في بلاد الأندلس - 541-629هـ / 1146-1233م-، (بوزريعة: دار هومة للطباعة والنشر، 2005 م).
- 149- كنون، عبد الله: النبوغ المغربي، (طنجة، ط2، 1960م).
- 150- لقبال، موسى: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي- نشأتها وتطورها-، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، 1971م).
- 151- مؤنس، حسين: تاريخ المغرب وحضارته - من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي دول المرابطين والموحدين والحفصيين-، الجزء الثاني، (بيروت: العصر الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 1992م).
- 152- مرعي خلف الله، ابتسام: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي 524-936هـ/1130-1529م، (دار المعارف، 1985م).
- 153- مزارى، توفيق: النشاط البحري، بالمغرب الإسلامي في عهدي الموحدين والمرابطين، (تلمسان: جسر للنشر والتوزيع، 2011م).
- 154- أبو مصطفى، كمال: جوانب من حضارة المغرب الإسلامي- من خلال نوازل الونشريسي-، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1997 م).
- 155- ابن منصور، عبد الوهاب: قبائل المغرب، الجزء الأول، (الرباط: المطبعة الملكية، 1968م).
- 156- المنوني، محمد، حضارة الموحدين، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ط1، 1989م).
- 157- موسى، عز الدين: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط1، (بيروت: دار الشروق، ط1، 1983م).

- 158- : دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، (بيروت: دار الشروق، ط1، 1983م).
- 159- : الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990م).
- 160- الناصري، أحمد بن خالد السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى- الدولتان المرابطية والموحدية، الجزء الثاني، تحقيق: محمد الناصري وجعفر الناصري، (الدار البيضاء: دار الكتاب، 1994م).
- 161- النجار، عبد المجيد: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت- الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري-، (هيردن - فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1995م).
- 162- : المهدي بن تومرت- أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي المتوفى سنة 524 / 1129- حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره في المغرب، (دار الغرب الإسلامي، ط1، 1983م).
- 163- ولد داداه، محمد: مفهوم الملك في المغرب- من انتصاف القرن السابع- دراسة في التاريخ السياسي-، (لبنان: دار الكتاب اللبناني، القاهرة: دار الكتاب المصري، ط1، 1977م).
- ب- الموسوعات:
- 164- زيب، نجيب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تقديم: أحمد ابن سودة، (بيروت: دار الأمير للثقافة والعلوم، ط1، 1995م).
- 165- عثمان، عبد الستار: موسوعة عالم المعرفة- المدينة الإسلامية-، (1978).
- 166- الغنيمي، عبد الفتاح مقلد: موسوعة المغرب العربي- المغرب العربي بين الفاطميين والمرابطين والموحدين، المغرب العربي بين بني زيري وبني هلال وبني حماد، دراسة في التاريخ الإسلامي، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط1، 1994م).

167- موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية- التاريخ الإسلامي- الإسلام في المغرب وأروبا-، (القاهرة: دار الفكر العربي، 2008 م).

ج- الرسائل المرقونة:

168- إملولي، حكيمة: الأشكال النثرية في الأدب المغربي القديم - العهد الموحدى نموذجاً- مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب المغربي القديم، (جامعة الحاج لخضر: كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم اللغة العربية وآدابها-، السنة الجامعية 2008-2009 م).

169- باقة، رشيد: نشاط جنوة الصليبي والتجاري في سواحل بلاد المغرب من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر ميلادي، (من السادس إلى التاسع الهجري)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ، اختصاص تاريخ العصور الوسطى، (قسنطينة: جامعة الأمير عبد القادر، 2006-2007م).

170- شرقي، نوار: الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين- 524- 667هـ/ 1126- 1268م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، (جامعة الجزائر: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - قسم التاريخ- السنة الجامعية 2007-2008م).

171- العابد، وردة : القيادة العسكرية في الثغر الأدنى والأعلى بالأندلس في ق5ه حتى ق6ه (ق11-12م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط تخصص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس، (جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008م).

172- عابد، يوسف: الموحدون في بلاد المغرب، 515-595هـ/ 1190-1199م- دراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية- أطروحة لنيل شهادة دكتوراه

- الدولة في التاريخ الإسلامي-، (قسنطينة: جامعة الأمير عبد القادر، السنة الجامعية: 2006-2007م).
- 173- غربي، بغداد: **خطة الكتابة على عهد الموحدين**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، (جامعة وهران: كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية قسم الحضارة الإسلامية-، السنة الجامعية 2006-2007 م).
- 174- فيلاي، بلقاسم: **التعليم والدعوة الموحدية 510-524هـ / 1116-1129م**، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، (جامعة منتوري- قسنطينة-، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، السنة الجامعية، 2003 م).
- 175- مغراوي، محمد: **خطة القضاء بالمغرب في الدولة الموحدية 515-668هـ/1121-1269م**، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، (الرباط: جامعة محمد الخامس- كلية الآداب والعلوم الإنسانية-، 1986-1987م).
- 176- المغراوي، محمد: **العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب والأندلس في عصر الموحدين**، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، (الرباط: جامعة محمد الخامس- أكادال-، السنة الجامعية 1422-1423 / 2001-2002 م).
- 177- هيصام، موسى: **الجيش في العهد الحمادي 405هـ- 547هـ / 1014-1152م**، (رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، 2000-2001م).

د- المجلات والدوريات:

- 178- بوتشيش، إبراهيم القادري: "تطور الفلاحة في مكناس من عصر المرابطين إلى أواخر العصر المريني"، **مجلة المناهل** (الرباط)، ع38 / 1989م، ص204-205.
- 179- بولقطيب، الحسين: "مشاكل الأسواق ومعوقات العمل التجاري خلال عصر الموحدين"، **مجلة المناهل** (الرباط)، ع16 / 2000م، ص293، 309.

- 180- حمدان، محمد العلمي: "أدباء المغرب في العصر المريني- مالك بن المرحل 604-699هـ، الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية في عصره"، مجلة دعوة الحق (الرباط)، ع1/جوان 1973، ص 174-177.
- 181- خليفة، رمضان المبروك: "سيطرة النورمان على شمال إفريقيا"، مجلة كلية الدعوة الإسلامية (ليبيا)، ع6/1989م، ص 319-326.
- 182- الشاهدي، الحسن " تاريخ الموحدين ومذهبهم من خلال رسائل موحدية"، مجلة دعوة الحق (الرباط)، ع3/ 1980 م، ص 103-108.
- 183- عبد العليم، أنور: "الملاحة وعلوم البحار عند العرب"، عالم المعرفة، 13 سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1979م.
- 184- عزاوي، أحمد: "ذيل على رسائل موحدية - قراءة تاريخية لرسائل شاطبية"، مجلة دعوة الحق (الرباط)، ع 350/مارس 2000م، ص 102-127.
- 185- العمراني، عبد الله: "الموحدون والحضارة أبو الوليد بن رشد"، مجلة دعوة الحق (الرباط)، ع5/مارس 1966م، ص 98-102.
- 186- محمد بن معمر: "رسالة جوابية من أهل الرباط وسلا عن كتاب الخليفة الموحدي الرشيد حول بيعة أهل تلمسان"، الجملة الجزائرية للمخطوطات (وهران)، ع2و3/2004-2005م، ص 25-26.
- 187- مراد، حسين سيد عبد الله: "فلاحو فاس في عصر الموحدين 540هـ-646م/1146-1248م"، وقائع تاريخية دورية علمية محكمة (القاهرة)، ع3/يوليو 2005، ص 65-98.
- 188- المغراوي، محمد: "تطور علاقة السلطة الموحدية بفقهاء المذهب المالكي إلى عهد يعقوب المنصور" مجلة آفاق التراث والثقافة (الإمارات العربية المتحدة)، ع31/2000م، ص 24-33.

- 189- نهلة شهاب أحمد: "الأهمية الإستراتيجية لجبل طارق عند العرب والمسلمين خلال القرون الوسطى 92- 867هـ / 711- 1462م"، مجلة آفاق الثقافة والتراث (الإمارات العربية المتحدة)، ع16/ مارس 1997 م، ص67- 73.
- 3- المعاجم والقواميس:
- 190- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 2005م).
- 191- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، (مصر: مكتبة الشروق، ط4، 2004م).
- ثانيا: الخرات باللغة الأجنبية:
- 1- في لغتها الأصلية:
- 192- Abd Allah Laroui: L'histoire du Maghreb- Un essai de synthèse-, paris, 1976.
- 193- E Fagnan: L'histoire des Almohades d'après Abd El Wah'id Merrâkechi, Revue Afrika, Volume 13, Alger, A. Jourdan libraire éditeur, 1893.
- 194- Ernest Mercier: Histoire de l'Afrique septentrionale - berbérie de puis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830)-, Paris: Ernest lrouxe éditeur, 1868.
- 195- Lévi-provençal: Un recueil de lettres officielles almohades- étude diplomatique et historique-, revue hesperis, 1941.

- 196- M-L de Mas-Latrie: Traité de paix et de commerce et Documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au moyen Age recueillis par ordre de L'empereur et publiés avec une introduction historique , Paris: Henri Plone, 1866.
- 197- Pare. Carette: Origine et migrations des principales tribus de l'Algérie, Paris: Imprimerie impériale M DCCC LIII.
- 198- Robert et Marianne Cornevin: Histoire de L'afrique- des origines à la deuxième guerre mondiale, France: Imprimerie Bussiere à Saint- Amand,1974.
- 199- R.Bourouiba: Le problème de la succession de Abd al- Mu' min, revue d'hstoire et de civilisation du maghreb, n° 13, 1976.

2-المعربة:

- 200- أشباخ، يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، (القاهرة مكتبة الخانجي، ط2، 1996 م).
- 201- كراتشكوفسكي، أغناطيوس يوليانوفتش: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية: صلاح الدين عثمان هاشم، مراجعة: إيغود بلياييف، (جامعة الدول العربية: الإدارة الثقافية، 1959م)
- 202- كرنجال، مارمول: إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد زبير ومحمد الأخضر وأحمد توفيق وأحمد بنجلون، (الرباط: دار المعرفة للنشر والتوزيع، 1989م).

- 203- كولان، ج. س.: الأندلس، ترجمة: إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1980م).
- 204- لي تورني، روجي: حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني والثالث عشر، ترجمة: أحمد أمين الطي، (ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب، 1982م).
- 205- مارسيه، جورج: بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي خلال العصور الوسطى، ترجمة: محمد عبد الصمد هيكل، (الإسكندرية: منشأة المعارف، د.ت).
- 206- ميراندا، أميروسو هويثي: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، تعريب عبد الواحد اكدير، (الدر البيضاء، ط1، 2004م).
- 207- هوبكتر، وج.ف.ب.: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، نقله عن الإنجليزية: أمين توفيق طي، (الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع - المدارس، 1999م).

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
المقدمة (أ- ش)	
الفصل الأول: الرسائل الديوانية خصائصها ومميزاتها... .. (01- 46)	
01- أصل كلمة الديوان ومدلولها... ..	02
أ- تعريف الديوان	02
ب- أصل الديوان	04
ج- الديوان في الغرب الإسلامي	05
02- فن كتابة الرسائل الديوانية الموحدية	06
أ- تعريف الرسائل	06
ب- مميزات وخصائص الرسائل الديوانية	08
03- كتاب الرسائل الديوانية	23
الفصل الثاني: النظام السياسي والعسكري في الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية... ..	
(47- 103)	
01- النظام السياسي:	48
أ- الإدارة المركزية	48
ب- الإدارة المحلية	65
ج- تنظيم البريد	75
02- النظام العسكري	77
أ- تنظيم الجيش	77

- ب- الأسطول 91
 ج- رواتب العسكر وأعطياتهم 92
 د- التمييز 93
 ه- راية الموحدين 96
 و- فن الحرب 98

الفصل الثالث: السياسة الفكرية والمذهبية والقضائية للدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية ... (104-167)

- 01- السياسة الفكرية 105
 أ- نشأة ابن رشد 105
 ب- فلسفة ابن رشد 107
 ج- نكبة ابن رشد 108
 02- السياسة المذهبية 111
 أ- التوحيد 111
 ب- الاعتقاد بالإمامة وظهور المهدي 119
 ج- موقف الموحدين من المذهب المالكي 128
 03- موقف الموحدين من المرابطين والمعارضين من خلال الرسائل 133
 أ- موقف الموحدين من المرابطين 133
 ب- موقف الموحدين من القبائل المغربية 136
 04- القضاء عند الموحدين 155
 أ- تعيين القضاة 156
 ج- شروط تولية القاضي 158
 د- اختصاصات القاضي 158

- ه- مصادر القضاء الموحدى 162
- و- مذهب القضاء الموحدى 163
- ز- استقلالية القضاء الموحدى 164
- ح- العدول 165

الفصل الرابع: السياسة الاجتماعية والاقتصادية للدولة من خلال الرسائل ... (168-204)

- 01- السياسة الاجتماعية 169
- أ- طبقات المجتمع 169
- ب- محاربة الآفات الاجتماعية 179
- 02- السياسة الاقتصادية للدولة الموحدية من خلال الرسائل 184
- أ- سياسة الدولة الفلاحية 184
- ب- تنظيم التجارة الداخلية 191

الفصل الخامس: سياسة الدولة الخارجية من خلال الرسائل الديوانية ... (205-244)

- 01- العلاقات السياسية 206
- أ- علاقات الموحدين السياسية بالممالك الأندلسية المستقلة 206
- ب- علاقة المنصور بصلاح الدين الأيوبي 222
- ج- الأندلس: جهاد الموحدين للممالك النصرانية 224
- 02- العلاقات التجارية 235
- أ- تجارة المغاربة مع السودان 236
- ب- العلاقات التجارية الموحدية مع المدن الإيطالية 236
- ج- التنظيمات التجارية الموحدية 242

245 الخاتمة
251 الملاحق
258 الكشافات
284 قائمة المصادر والمراجع
311 فهرس الموضوعات